حزب الدعوة الاسلامية

بحث وثائقي في مسيرة الدعوة

تاريخ العراق السياسي المعاصر

٤

الكتاب الثاني

١٧/٧/١٩٦٨ - ٩/٤/١٩٨٠



حسن شُبّر

مكتبة

مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .

الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

تاريخ العراق السياسي المعاصر
الجزء الرابع

حزب الدعوة الاسلامية

- الكتاب الثاني -

١٧/٧/١٩٦٨ ـ ٩/٤/١٩٨٠

بحث وثائقي في مسيرة الدعوة

حَسن شُبَّر



تاريخ العراق السياسي ـ ج ٤

تأليف: السيد حسن شبّر

الناشر: باقيات

ايران، قم، شارع المعلم، الرقم ٤٤، هاتف: ٧٧٤٣٩٠٠ (٠٢٥١)

المطبعة: شريعت • العدد: ٣٠٠٠ نسخة • الطبعة الاولى: ١٤٢٧ هـ. ق

ISBN 964 - 6168 - 38 - 8

ISBN 964 - 6168 - 39 - 6 (4 vol. set)

مركز التوزيع:

قم، سوق القدس، مكتبة الامام الصادق (ع)، هاتف: ٧٧٤٠٠٥٥

بداية تعرض البعثيين لمرجعية الإمام الحكيم

إنّ بداية تحرش البعثيين بالمرجعية , كانت اتصالاً تلفونياً من احمد حسن البكر بالسيد مهدي نجل الإمام الحكيم (رحمه الله).

فلقد أصبح البكر رئيساً للجمهورية , وكانت له علاقة صداقة مع السيد مهدي .

وحالما توصل البعثيون إلى الحكم , ذهب السيد مهدي إلى والده في النجف , يسأله عن رأيه في ثورتهم (١٧ تموز١٩٦٨) وليتعرف على موقف والده منها .

قال له والده[١]: إننا الآن لابدّ ان نتوقف (لا نسالم ولا نحارب) ونراقب الموقف , باعتبار ان بيانهم الأول لا بأس به .

يقول السيد مهدي: ((رجعت إلى بغداد , وفي اليوم الثاني أو الثالث جاءني (فاضل العساف) وكان مدير الشرطة العام , وقال لي : إنّ أخاك أبا هيثم (احمد حسن البكر) يسلم عليك , ويقول إننا لم نر السيد مهدي , وإنه لم يأت إلينا .

١- مذكرات السيد مهدي الحكيم المسجلة,نقلناها كما هي .

فضحكت وقلت له : انه في يوم من الأيام كان يملك وقته , فكنا نشاطره هذا الوقت , أما الآن فوقته للناس , وأنا ليس لدي عمل معـــين حتى اذهب إليه , وان هذه الزيارة والمجاملة ليس وقتها الآن , ولنتركه يهتم بشؤون الناس.....ونحن أمامنا وقت للزيـــارات ..... وان البيـــان الأول لا بأس به , وإذا يطبّق فهذا شيء جيد , ونحن بـــدورنا نـــدعو له..... فذهب العساف.

ومرة ثانية اتصل البكر نفسه وقال: ما جرى ؟ لم نركم......أين انتم؟

فقلت له : ان شاء الله , فرص طويلة , وانـــتم الآن مـــشغولون بالثورة ومرة ثالثة اتصل وتخلصت منه أيضاً.

وعرضت ذلك على السيد الوالد

فقال لي السيد : إنّ أحسن حل ان تسافر أنت والسيد هادي إلـــى مكان ما,تغيّبان أنفسكم لمدة شهر من الزمن ونرى ماذا يجري بعد ذلك. وفعلاً سافر السيد مهدي لمدة شهر خارج العراق , وعندما رجـــع لـــم يتصل به احد من المسؤولين .

وبعد عودته بسبعة اشهر, قال له والده المرحوم ان السيد محمود الصافي اخبره : ان (صدام) يريد ان يزوره (أي يزور السيد المرجـــع) فأجابه أن بإمكان صدام أن يواجه ولده السيد مهدي في بغداد .

يقول السيد مهدي : انه رجع إلى بغداد فاتصل به شخص اسمه(خالد) ومعه كاظم السعدي مدير تسجيل الشركات , فقال له خالد : ان (صدام) يريد ان يراك.

أجابه السيد مهدي بأنه يستقبله متى ما يجيء (أي ان السيد مهدي يريد ان يزوره صدام , وليس هو الذي يزور صدام) .

ثم اتصل به خالد في اليوم التالي , وينقل له كلام صدام , بأنه يحب أن يرى السيد مهدي في بيته هو , أي في بيت صدام نفسه.

وامتنع السيد مهدي , وانه مستعد لاستقبال صدام , ثم اتصل به ثالثاً يقول له : لماذا ذهبت إلى احمد حسن البكر ولا تأتي إلينا(وكان السيد مهدي قد ذهب إلى البكر حول جامعة الكوفة) .

قال له : إني ذهبت إلى البكر باعتباره رئيساً للجمهورية , وأما صدام فما هي صفته ؟ فعلى أي أساس اذهب إليه؟ لا هي صداقة شخصية بيني وبينه وليست له صفة رسمية.

اتصل به خالد مرة رابعة , وقال له : ان صدام يقول نعقد اجتماعاً ثلاثياً معكم بحضور احمد حسن البكر في القصر الجمهوري .

فقال له السيد مهدي : أنا لست مستعداً لذلك ,يأتي إلينا اهلاً وسهلاً , لا يأتي في أمان الله)).

ثم يُبلّغ السيد مهدي ان صدام قال : ان هذا العطاس في أنفه يجب أن أخرجه (والعطاس كناية عن التكبر) .

إلى هنا ينتهي الحديث عن طلب صدام اللقاء بالسيد مهدي الحكيم وامتناع الأخير.

***

هكذا هي القصة كما ينقلها المرحوم الشهيد السيد مهدي عن المرحوم والده في مذكراته المسجلة .

في البداية يبعث رئيسُ الجمهورية شخصاً يطلب من السيد مهدي ان يزوره ــ وكان السيد مهدي صديقاً للبكرـــ ولكن السيد مهدي يمتنع ثم يتصل به رئيس الجمهورية نفسه لكي يراه , ويمتنع السيد مهدي أيضا, ويتصل الأخير بوالده المرجع, فيرجّح له ان يسافر إلى خارج البلاد.

***

فما هو الضير في مقابلة السيد مهدي لرئيس الجمهورية ؟ وقد قام بانقلاب على عبد الرحمن محمد عارف , ولا شك أنّ حكم البعث كان ضعيفاً في البداية , كانوا يحتاجون إلى أن يقوّوا علاقتهم بالرموز السياسية , ثم لاشك أن السيد مهدي بزيارته لرئيس الجمهورية سوف يحقق بعض المكاسب , فلماذا هذا الموقف ؟

لقد كان موقف السيد مهدي صلباً لا يقبل النقاش والتغيير , حتى اضطر السيد مهدي نفسه إلى ان يزور رئيس الجمهورية بعد تعــرض جامعة الكوفة إلى عملية الإلغاء.

***

ولو كان الإمام الحكيم يعرف ماذا سوف يجري على الامتنــاع من اللقاء مع صدام, أتراه كان يأمر ولده بالرفض؟

ولو تم اللقاء بينــهما , فماذا سوف يحــدث من ضــرر للدين والأمة ؟ هل كانت كل الأمور تدار هكذا ؟

لا يجوز اللقاء الاّ مع الذين لهم صفات رسمية ؟

في حين ان المراجع والسيد الحكيم منهم يلتقون مع كثيــر مــن الشخصيات غير الرسمية, من الداخل والخارج.

ولو كان قد التقاه , أليس في ذلك احتمال ان تكون بينهما علاقة قد تؤخر تطبيق (برنامج البعث الإجرامي) إلــى فتــرة مــا , أو أن يتعرف على خططهم حول المرجعية ؟

أسئلة كثيرة , هذه وغيرها

***

والذي يثير فينا التساؤل أكثر, هو أن السيد مهدي نفسه يقول انه عندما اخبر والده المرحوم بتفاصيل الاتصالات التي دارت بينه وبــين وسيط صدام , قال له والده : نِعمَ ما صنعت وسوف تدفع الثمن غالياً.

فإذا كان السيد الإمام يعرف ان الثمن سوف يكون غالياً,فهل ان موقف الرفض كان صائباً ؟ وكان هو الموقف الأنسب ؟

وهل كانت فائدة الرفض أكثر من فائدة اللقاء مع شخص يحمل صفة حزبية في ظل حزب حاكم ؟

***

وبالمناسبة , فلقد كانت لي علاقة زمالة مع(إبراهيم عبد الرحمن الداوود) يوم كنا ندرس في كلية الحقوق في الصفوف المسائية.

وعندما حدثت ثورة البعث في ١٩٦٨/٧/١٧ , تباحثت مع الأخوين المرحومين (عبد الصاحب دخيل ومحمد هادي السبيتي) في جدوى زيارتي(للداوود) في وزارة الدفاع للعلاقة التي كانت بيننا,فرجّحا لي ذلك , وبالفعل فقد ذهبت إلى وزارة الدفاع ,ولكنه كان قد ذهب إلى الأردن لزيارة القطعات العراقية هناك , ومن ثم صدر بيان بالقاء القبض عليه في ١٩٦٨/٧/٣٠.

***

حزب البعث

في بدايات استلامه للحكم عام ١٩٦٨

جاء البعثيون للحكم وهم يعلمون أنهم مكروهون من قبل الشعب العراقي , فالمخازي التي ارتكبوها عام ١٩٦٣ لا تزال في الذاكرة , لم تمحُها السنوات الخمس .

ولذلك فإنهم آثروا أن لا يعلنوا عن اسمهم بصراحة في الأيـــام الأولى خوفاً من ردة الفعل , وإنما أعلنوا الثورة بإســـم مجلـــس قيـــادة الثورة الذي كان يضم سبعة أشخاص , ثلاثة منهم بعثيون فقط هم :
(احمد حسن البكر , حردان التكريتي , صالح مهدي عمّاش) .

إضافة إلى مجلس قيادة الثورة فان الـــوزارة تـــشكلت مـــن ٢٥ وزيراً . وكان عدد البعثيين فيها عشرة وزراء .

ودبّر البعثيون بعد ١٣ يوماً من ثورتهم أي في ٣٠ تموز ١٩٦٨ مؤامرة تخلصوا فيها من النايف والداوود ثم بعد ذلـــك مـــن حـــردان التكريتي.

وكان هدف السياسة البعثية يرمي إلى ضرب كافة مراكز القوى في الســـاحة العراقية من اجل ان يفقد المجتمـــع العراقي عناصر قوته والتي قد تتحول ذات يوم إلى منطلق للمعارضة .

وكان للبعثيين تجربة مريرة مع المرجعية العليا للشيعة عام ١٩٦٣ , حيث كانت في تلك الفترة تمتلك نفوذاً واسعاً وسط الأمة واستطاعت الحركة الإسلامية ان تربط الجماهير بها بقوة . وكان من نتائج ذلك ان واجه (حزب البعث) عزلة جماهيرية واضحة أضعفت موقفه في السلطة فأصبحت عندها مهمة (عبد السلام عارف) سهلة في إسقاط الحزب وتنحيته عن الحكم .

لقد تركت تلك التجارب آثارها العميقة على التوجه السياسي لحزب البعث ,بحيث انه جعل ضرب المرجعية الدينية عند الشيعة هدفاً اولياً ضمن قائمة أهدافه عند تسلم السلطة في تموز ١٩٦٨.

ان هدف النظام هذا هو في حقيقته جزء من هدف اكبر يتمثل في ضرب التحرك الإسلامي في العراق ,حيث كان النظام يمتلك معلومات دقيقة حول وجود تنظيم إسلامي منتشر في صفوف الأمة ويمارس نشاطه التغييري بفاعلية وتأثير.الأمر الذي أشار إليه التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن في معرض تحليله لأسباب انقلاب ١٧ تموز حيث شخّص حزب البعث ان العراق سيقع قريباً تحت سيطرة التيار"الرجعي" وهو التعبير الذي يستخدمه البعثيون لوصف التيار الإسلامي . علماً بان البعثيين كانوا يحمّلون حزب الدعوة مسؤولية إسقاطهم جماهيرياً عام ١٩٦٣ من خلال التظاهرات الجماهيرية التي قادتها الدعوة احتفاءً بزيارة السيد الحكيم إلى بغداد وتحدياً لسلطة البعث وإظهاراً لتماسك الأمة مع المرجعية .

وحاول حزب البعث في السنة الأولى أن يداري توجهات المرجعية والحركة الإسلامية ,فكانوا يذيعون من خلال الإذاعة والتلفزيون محاضرات إسلامية , كما أبدوا احتراماً للشعائر الحسينية بمناسبة استشهاد الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ في العاشر من المحرم وكذلك بمناسبة مرور أربعين يوماً على ذلك , حيث يصادف في العشرين من صفر.

ففي شهر محرم أذاعوا قصة مقتل الحسين ـ عليه السلام ـ من إذاعة بغداد , كما وزع رئيس الجمهورية (احمد حسن البكر) مائة دينار وكيساً من الرز على المواكب الحسينية في شهر صفر.

ولكن ذلك كله كان نفاقاً وتكتيكاً , فقد كانوا يخططون للقضاء على الحركة الإسلامية والمرجعية وعلى الجماهير التي تؤيدهم.

جاء ذلك ضمن مقررات البيان الختامي للقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث في١٩٦٩/٤/٤والذي ينص على ضرورة القضاء على الرجعية باعتبارها العقبة الكبرى في مسيرة الحزب[١]

١- وكما ابتكر عبد السلام عارف من قبلهم اسم(الحزب الفاطمي) ليضفي على ذلك لوناً طائفياً , فان البعث ابتدع (الرجعية) لمجمل التحرك الإسلامي ليعطي مبرراً لضرب أي تحرك إسلامي, ويصفه بأنه رجعي على الضد من تقدمية حزب البعث ! وأسسّ لذلك جهازاً لمكافحة النشاط الإسلامي والذي استوعب أكثر من٨٠%من مساحة النشاط البعثي في القضاء على التحركات المعارضة , حتى شمل الذين يرتادون المساجد والمراقد المقدسة للصلاة والزيارة ,ووصمهم بأنهم رجعيون ينتمون إلى حزب الدعوة وبذلك القوا الرعب في قلوب العراقيين خوفاً من هذه التهمة التي لم يكن يتحمّلها الاّ الذين آثروا ان يسلكوا طريق ذات الشوكة.

وكان باكورة تحرشهم بالمؤسسة الإسلامية هو تعرضهم لـ(جامعة الكوفة) التي كانت جامعة أهلية و كل مؤسسيها من الشيعة ولها ارتباط بالمرجعية[1] .

ثم اعدموا احد تجار الشيعة وهو (عبد الحسين جيتة) لأنه كان من التجار المعتمدين لدى مراجع النجف في مسرحية واضحة للنيل من المرجعية الدينية.

ولعل ذلك كله لجسّ نبض المرجعية في النجف والتعرف على مدى معارضتها وردود الفعل الصادرة منها.

وافتعل البعث خلافاً مع حكومة الشاه في إيران ,وألغت إيران في ١٩٦٩/٤/٢٧ معاهدة ١٩٣٧ الحدودية مع العراق وهنا حاولت حكومة البعث ان توسط المرجع الحكيم في حل الخلاف بين الدولتين.

وذهب إليه (حردان التكريتي) يطلب منه الوساطة , ولكن الحكيم كان ذكياً ,قال نعم بشرط ان يطلب منه شخص رئيس الجمهورية ذلك وبتوقيع منه , وان يطلق سراح المعتقلين السياسيين الذين كانوا آنذاك بعشرات الآلاف , من مختلف توجهات وانتماءات الشعب العراقي .

ولم تستجب حكومة البعث لمطلب السيد الحكيم , بل إنها أوغلت في الاعتقالات . ثم أغلقت (كلية أصول الدين) في بغداد واستولت

١- سوف يأتي الحديث عنها بعد قليل .

على(كلية الفقه) في النجف وتبنّت مدارس وجمعيات إسلامية كاذبة تتاجر بالدجل والخداع باسم الإسلام : مثل (جمعية النهضة الإسلامية) في كربلاء لصاحبها الشيخ (عبد اللطيف الدارمي) و(جمعية التوجيه الديني) في النجف,لصاحبها السيد (إبراهيم الفاضلي) وتبنّت السلطة بعض الأشخاص الدجالين , وسلطت عليهم الأضواء على أساس أنهم من علماء المسلمين .

ثم سيطرت الدولة على كثير من المكتبات العلمية ونفائس المخطوطات لدى علماء الشيعة , سواء كانت هذه المكتبات عامة أو خاصة في البيوت أو حتى التي في خزائن العتبات المقدسة ونقلتها إلى مكتبة الآثار في متاحف بغداد تحت ستار المحافظة على التراث العربي.

كما قامت السلطة بممارسة الضغوط المختلفة على إدارات مدارس الحوزة العلمية لغرض ربطها بالأجهزة الحكومية وتوجيه نشاطاتها المختلفة وإخضاعها لسياسة السلطة البعثية ومناهجها الرسمية المنحرفة .

وتوجهوا إلى مساجد الشيعة , فربطوا أئمتها بالدولة , بحيث ان الدولة هي التي تعين إمام المسجد وتفصله , حتى شمل ذلك سدنة الأضرحة المقدسة للائمة الطاهرين ــ عليهم السلام ــ .

كل تلك الأمور دعت (جماعة علماء بغداد والكاظمية) إلى ان يعقدوا اجتماعاً موسعاً لعموم علماء بغداد والكاظمية .

إذ حضر ستون عالماً منهم تداولوا الأوضاع الراهنة فيما بينهم وتوصلوا إلى ان البعثيين أشاعوا الخوف والرعب في الأمة , بحيث لا يمكن القيام بعملٍ مالم يكسر هذا الخوف والرعب , وانتخبوا عشرة منهم ذهبوا إلى النجف ليواجهوا المرجع السيد الحكيم الذي أمر ان يقام مؤتمر جماهيري في الصحن العلوي الشريف في ١٩٦٩/٥/١٤ احتجاجاً على التصرفات التي تقوم بها حكومة البعث .

وأقيم المؤتمر وحضره السيد الحكيم نفسه وعدد آخر من المراجع , وألقى السيد (مهدي الحكيم) كلمة في المؤتمر نيابة عن والده[١] , وقد تضمنت الكلمة نقداً حاداً لنظام الحكم , وتطرقت إلى الاعتقالات في صفوف الإسلاميين وحملات التهجير والتضييق على الحوزة العلمية .

***

اقتراح مرفوض

١- الكلمة كتبها الشهيد الصدر بطلب من الإمام الحكيم.

لو تحقق لتخلّصنا من كثير من المآسي

قلنا سابقاً ان الحالة الإسلامية التي عمّ صداها العراق كله من أقصاه إلى أقصاه , هي التي دعت الاستعمار إلى ان يعجّل بتغيير الوضع في العراق ,حيث أقصي (عبد الرحمن محمد عارف) وجيء بالبعثيين الذين وجد فيهم الاستعمار أدوات جيدة للقضاء على الروح الإسلامية تلك وللقيام بأعمال أخرى في المرحلة اللاحقة .

وقلنا أيضاً أن البعثيين كانوا يؤجلون الهجمة على حزب الدعوة ما دام المرجع الحكيم حياً يرزق , لأنهم يعلمون ان المرجعية تسند الحركة الإسلامية , حتى ظهرت المرجعية والحركة الإسلامية وحدة متكاملة غير متجزئة .

ولكن بعض البعثيين بدأوا يسرّبون أحاديث تدور حول أمر واحد, هو أنهم يهددون حزب الدعوة بالإنتقام حتى قبل وفاة السيد الحكيم .

ولم يكن من سياسة حزب الدعوة ان يطرح اسم الحزب بعد وإنما كان العمل في الحزب سرياً ولكن بدأ اسم الحزب يتردد على الألسن وإنّ حزب البعث يخطط للكيد بالحزب وأعضائه .

وربما كانت بعض الأسماء من الدعاة ,سواءً في بغداد أو غيرها يشملها التهديد .

كان ذلك بالتحديد عام ١٩٦٩ بحيث لم يمر عام واحد على مجيء البعثيين .

وكانت تلك الأنباء تصلنا بصورة متواترة .

عندها تحدثت مع أحد الزملاء في القيادة (الشهيد السعيد محمد هادي السبيتي"أبو حسن") ونقلت له ما يدور في الأوساط من تهديد للحزب.

وكان حديثي معه هكذا :

إنّ حزب البعث بدأ يهدد بعض الأشخاص من الدعاة بالتصفية وان ذلك ناشيء من احتمالين :

الاحتمال الأول ـ هو وجود دعاة لم يبلغوا مرحلة من النضج يؤهلهم للاحتفاظ بأسرار الحركة وذكرت له بعض الأسماء : وكان هؤلاء وأمثالهم يحلو لهم دائماً ان يتعرفوا على أسماء أكثر من الدعاة في حين أن الداعية المنضبط لابدّ أن لا تكون لديه رغبة للتعرف على أسماء ممن ليست له علاقة بهم.والتعليمات كانت تحث على ذلك .

إنّ هؤلاء الثرثارين ـ ومن باب التباهي ـ بدأوا يذكرون أسماء الدعاة ممن يعرفون , وربما ذكروا أسماء لامعة ليست لها علاقة بالدعوة لإعطاء لونٍ من التوسع والانتشار وينسبون لهم اعمالاً جبارة سوف يقومون بها للحد من توجهات البعث .

الاحتمال الثاني : هو وجود أشخاص يعملون لصالح النظام يخترقون الدعوة .

وعمليات الاختراق ـ عادة ـ لا تؤدي إلى فقدان الثقة فقداناً كاملاً , والأحزاب في غالبها تبتلى بهذه الاختراقات , وكلما كان الحزب اكبر ,كان احتمال الاختراق اكبر, حتى جماعة الرسول (ص) فقد كان بعض المنافقين في صفوفهم والرسول نفسه لا يعرفهم وبصريح القرآن (وممّن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يُردون إلى عذاب عظيم) وعلى كل حال , والحديث لا يزال لي مع المرحوم الشهيد السبيتي ـ قلت له .

(إننا لا نستطيع أن نفصل أولئك الثرثارين ,وماذا نقول لهم . وهم دعاة جيدون لولا الثرثرة ؟.

ثم لا نستطيع ان نفصل أولئك المندسين في صفوفنا ـ إذا كانوا ـ لأننا لا نعرفهم .

والطريقة المثلى , هي ان نعلن إننا جمّدنا عمل حزب الدعوة وليس الإلغاء.

وهذا سوف ينفعنا حيث يعطي انطباعاً للسلطة ان حزب الدعوة لم يبق قائماً , ثم بعد ستة اشهر نبدأ بمفاتحة الأشخاص , شخصاً شخصاً , ومن بعد التدقيق والتحقيق . وعندها نتخلص من الثرثارين .

ولكن السبيتي رحمه الله لم يوافق على هذه الفكرة ـ مع الأسف ـ وفوّت علينا فرصة ثمينة , كنا نستطيع من خلالها ان نتخلص من العناصر المسيئة للدعوة .

***

جامعة الكوفة

بداية نشوئها ورأي المرجع الحكيم فيها وكيف تم القضاء عليها

كانت بداية تأسيس جامعة الكوفة, ان ذهب كل من الدكتور محمد مكية وصالح كبة والدكتور كاظم شُبّر إلى الإمام الحكيم وعرضوا عليه فكرة تأسيس جامعة الكوفة , على أساس أنها عمل ثقافي , وسوف يكون لها تأثير كبير باعتبارها مرتبطة بتراث الكوفة .

فقال لهم السيد الحكيم :

(ان هذا العمل عمل ثقافي , وفي الواقع أنا لا اهتم كثيراً بهذا المشروع , لان الدولة لها امكانات أكثر من امكاناتنا , وهي تعمل الآن على تخريج أطباء ومهندسين وغيرهم , ولذلك فانا لا اشعر أننا بحاجة إلى ذلك , وإنما هو عمل (تأسيس جامعة الكوفة) مطلوب منه ان يكون وسيلة تجمعكم , وأنا أرجو أن تكون هذه الجامعة جامعة لكم).

***

إنّ كلام المرجع الحكيم له دلالة كبيرة , انه كان يفكر سياسياً أكثر مما يفكر ثقافياً ,فمهما يكن العمل الثقافي واسعاً ومؤثراً فان الدولة تستطيع ان تلغيه بقانون ما .

والجماعة التي أسست جامعة الكوفة وضعت في نظامها أنها ترتبط بالمرجعية .

ولكن وزير الداخلية ـ آنذاك ـ (شامل السامرائي) رفض هذا القيد (تحت إشراف المرجعية) وقال (نحن ليس عندنا في القانون شيء اسمه المرجعية في ارتباط الجامعة بالمرجعية).

والواقع ان تأسيس جامعة الكوفة كان في البداية تاسيساً لجامعة المثقفين العراقيين كما أراد لهم المرجع الحكيم , ليتجمعوا ويفكروا بشؤون الأمة التي تمزقها الطائفية التي درج عليها حكام العراق.

وسواء كانت جامعة الكوفة جامعة أكاديمية , أو جامعة تجمع السياسيين ,فإنها لا تناسب ذوق البعثيين الذين قاموا بثورتهم في ١٩٦٨/٧/١٧ .

ففي ٤ نيسان ١٩٦٩ , أي بعد ثورتهم بثمانية اشهر ونصف صدر قرارهم الرسمي بالقضاء على الحركة الإسلامية والوجود الديني في العراق عن القيادتين القومية والقطرية , ونصّ على (ضرورة القضاء على الرجعية الدينية باعتبارها العقبة الكبرى في مسيرة الحزب الحاكم) , حسب مذكرات حردان التكريتي ص٣٨.

والرجعية الدينية هنا كناية عن الحركة الإسلامية والمرجعية

وأما التحرش العملي فقد بدأ بمصادرة السلطات للأموال التي تجمعت

من المتبرعين لجامعة الكوفة والتي تبلغ ٤،٥٣٠،٠٠٠ دينار بما يساوي خمسة عشر مليون دولاراً تقريباً , وسحب إجازتها.

واحتج الإمام الحكيم على هذا الإجراء , حيث قابل نجله السيد مهدي الحكيم , احمد حسن البكر رئيس الجمهورية وابلغه احتجاج والده.

ولكن الجامعة تمّ وأدها وهي لمّا تزل في المهد , ليكون ذلك شاهداً حياً على حقد البعثيين وطائفيتهم .

* * *

البعث يتمادى في تعرضه للتحرك الإسلامي

وأخذ البعث يحثّ الخطى في إنهاء التحرك الإسلامي بعنوانه العام (مرجعية وحزب) .

وهنا يقول حردان التكريتي في مذكراته :

(دعانا احمد حسن البكر إلى الاجتماع به , حيث كلف لجنة مؤلفة من طه الجزراوي وناظم كزار وعبد الوهاب كريم وشبلي العيسمي وصالح مهدي عماش , بوضع خطة لذلك , وذكر أن نجاحنا في ضرب المرجعية الشيعية سيمكننا من التحرك كما نريد لأنه سيصفي لنا الجو بالتخلص من اكبر قدرة لا مصلحة لها في التقرب من الحكم ـ كما ظهر الآن ـ وهي قدرة تتمتع بسلطة كبيرة على الشعب ولا تبالي بالموت , وثورة العشرين ضد بريطانيا اكبر دليل على ذلك.

ثم اخرج رسالة جوابية من عفلق , يظهر أنها كانت بشأن المرجعية الشيعية التي بدأت تقلق بال الحكومة وتثير في وجهها بعض الصعوبات , وقد قرأ الرسالة التي ذكر فيها عفلق انه سيصل إلى بغداد قريباً ليبحث الموضوع من كافة جوانبه .

ثم تم الاتفاق على الخطوات التالية :

١- استمرار الحملة ضد رجال الدين , واعتقال اكبر عدد ممكن منهم , والإعلان عنهم كجواسيس يعملون لحساب إيران بدل إسرائيل , ذلك لان عمالة رجال الدين لإسرائيل أمر لا يمكن تصديقه , ولكن مادامت إيران دولة شيعية فان من المحتمل تصديق عمالتهم لإيران .

٢- التسلل إلى صفوف رجال الدين الشيعة في محاولة لاحتوائهم وضرب بعضهم ببعض.

٣- اختلاق مجموعة رجال دين مزوّرين وفرضهم على الشعب.

٤- القيام باغتيالات فردية في صفوف رجال الدين القاطنين في إيران , لبنان , الهند , باكستان , وأفغانستان .

٥- تقليص نشاطات رجال الدين وحصرها في إمامة الصلوات وإعطاء المسائل الشرعية , وذلك بإلغاء اجازات مدارسهم ومستشفياتهم ومكتباتهم العامة ومصادرة أموالهم , وتجميد أرصدتها.

***

وسوف يرد في هذا الكتاب , في موضوع علاقة الحزب بالمرجعية كيف ساهم حزب الدعوة الإسلامية في مجيء الإمام الحكيم إلى بغداد في الشهر السادس عام ١٩٦٩ وان لقاء تم بين الإمام وبين

وفد من الحزب وعلى مستوى عالٍ منه ينبّه السيد ان عمــلاً اجراميــاً ينوي حزب البعث توجيهه إليكم , وان الحــزب مــستعد لان يحــرك الجماهير ويغلق الأسواق ويقوم بتظاهرات , حتى لو أدى ذلك إلــى أن يستشهد مائة شخص من كوادر الدعوة , بشرط ان يتم ذلــك بموافقــة السيد المرجع .

ولكن السيد رفض ذلك وعبّر عن حرصه الشديد على الحــزب بأنه لا بدّ أن يبقى حزباً سرياً لئلا يتعرض للفناء , وهو في نفس الوقت يعبّر عن رؤية المرجع الحكيم في الانتفاضة فضلاً عن الثورة ولأنــه يخشى كثيراً من إراقة الدماء .

ومما يجدر ذكره أن السيد الحكيم لا يعتمد كثيراً على الجماهير الشعبية فإنهم ربما يثورون ولكنهم ما أسرع ما ينسحبون .

وربما تكون هذه الرؤية قد اكتسبها من تحركه مع السيد محمد سعيد الحبوبي وبقية العلماء الذين ثاروا عام ١٩١٤ عندما ذهبوا إلى الشعيبة في البصرة لمواجهة القوات البريطانية الغازية , فان العشائر كانت قد أيدتهم وتحشّدت معهم ولكنهم سرعان ما انكفأوا على أعقابهم.

ولعل ما يعزز نظرة المرجع الحكيم في الجماهير عندما انفضّت الجماهير من حوله حالما أعلن , من على شاشة تلفزيون بغداد مــساء يوم ١٩٦٩/٦/٩ عن اعتراف (مدحت الحاج سري) بأنــه ومهــدي الحكيم وآخرين كانوا يخططون لمــؤامرة للإطاحــة بالنظــام البعثــي بمساعدة إيران وأمريكا.

في حين كان مجلسه يحتشد كل ليلة فأصبح خالياً إلا من وفد الطلبة المسلمين الذي كان واجهة لحزب الدعوة الإسلامية .

كما أنّ السيد مرتضى العسكري بقي جالساً بجوار السيد الحكيم. وجاء احد شيوخ بني تميم يهمس في أذن السيد العسكري عن استعداده لتهيئة عدد من الأشخاص بين ١٥ ـ ٢٠ بكامل رشاشاتهم وأسلحتهم يحرسون دار السيد الحكيم , وسأل العسكري السيد الحكيم في ذلك فأبدى عدم قبوله .

وفي ١٩٦٩/٦/١٠ اقتحمت قوات السلطة مقر إقامة السيد الحكيم بحجة البحث عن نجله السيد مهدي[1].

ثم اخذوا السيد المرجع نفسه بسيارة حكومية وأوصلوه إلى مقره في الكوفة , ووضعوه تحت الإقامة الجبرية , وأحاطوا منزله بالعيون والجواسيس.

***

١- والأمر واضح جداً , فالسيد مهدي لم يكن هو المقصود وإنما ابتكروا له فكرة المؤامرة ليتعرضوا إلى والده , وتلك جرأة لم يتعرض لها احد من المراجع على طول العهود.

بعد اتهام نجل الحكيم
بدأت مرحلة جديدة أكثر شراسة
لضرب التحرك الإسلامي

كانت الخطوة الأولى في المخطط البعثي , ضــرب المرجعيــة باعتبارها تمثل غطاءً حامياً للحركة الإسلامية , وان الإجهــاز علــى الحركة لا يتم الاّ بعد إضعاف المرجعية المتمثلة ــ آنــذاك ــ بالــسيد محسن الحكيم .

وخشي الناس من الدخول إلى بيت السيد الحكيم , فالعيون تراقبه مراقبة شديدة , ولم يزره إلا خمسة (السيد محمد باقر الــصدر والــسيد الخميني وابنه السيد مصطفى والسيد الخوئي والشيخ احمد الطرفي).

ولكن حزب الدعوة الإسلامية استنفر طلاب الحوزة في النجــف في مظاهرة كما يلي:

فقد استطاع احد الدعاة المؤثرين في الحوزة ان يــدعو طــلاب الحوزة للذهاب إلى الكوفة لزيــارة الــسيد ــ رحمــه الله ــ وتحــدياً للسلطة.وتجّمع حوالي خمسين طالباً من مختلف الجنــسيات , وذهبــوا بالسيارات إلى الكوفة ودخلوا دار السيد وتشرفوا بلقائه .

وعند رجــوعهم إلى النجــف ــ قرب مسجد الكوفة ــ تصّدت

لهم مجموعة من جلاوزة البعث ضرباً بالأيدي , والقوا عليهم القبض وأودعوهم مركز الشرطة هناك , حيث بقوا ليلتهم تلك , ثم أطلقوا سراحهم في اليوم الثاني .

إنّ أخبار هذه الواقعة انتشرت بسرعة في أوساط الحوزة وحركت الآخرين على الرواح لزيارة السيد , وعمل الدعاة على إنجاح ذلك.

فتضامن عدد كبير من طلاب الحوزة يفوق العدد الأول وتقدموا باتجاه السيارات .

ولكن السلطة علمت هذا اليوم بهذا التجمع . في حين تفاجأت يوم أمس . فقامت السلطة ــ عن طريق نقابة السواق ــ التي تسيطر عليها سيطرة تامة , بالامتناع عن نقل هذه الجموع .

فقرر الطلاب الذهاب إلى الكوفة مشياً على الأقدام مسافة عشرة كيلومترات وبدأوا المسيرة التي لا شك أنها سوف تعبّر أكثر بكثير مما لو ركبوا السيارات .

وعندما وصلوا إلى مقابل دائرة المحافظة في النجف , انقضّت عليهم جموع غفيرة من البعثيين والمرتزقة من أفراد الأمن والمتعاونين معهم[1] وهجموا على أولئك , وبدأوا يضربونهم بالأيدي والعصي

١- هذه الحادثة تثير التساؤل , كيف حصل هذا الاعتداء من أبناء النجف على طلاب الحوزة العلمية ؟ قد يقال أنهم كانوا بعثيين , ولكن لماذا لم يتأثروا بالحوزة نفسها ؟ ←

وقضبان الحديد , حيث كانت المنطقة تتركز فيها أعمال تصليح السيارات .

فما كان من طلاب الحوزة الا المقابلة ,ولكنهم لم يكونوا مستعدين لهذه المقابلة , ومع ذلك فقد أبلوا بلاءً حسناً .

واعتقل بعضهم وأرسلوا إلى بغداد.

وانتشر نبأ هذه الحادثة سريعاً , وكانت حافزاً للآخرين لكي يقوموا في اليوم الثالث بمسيرة اكبر ومشياً على الأقدام إلى الكوفة.

وتنادى كثير من الطلبة فيما بينهم لأن يتجمعوا يوم غد في الصحن الشريف , ولعلهم كانوا يستعدون للمواجهة واستعمال السكاكين وأمثالها .

ولكن السيد (محمد رضا) نجل السيد الحكيم , أوصل اليهم خبراً بأن أباه يرفض ان يقوم الطلبة بعملٍ كهذا .

وامتنع أولئك امتثالاً.

وعلى خلفية تعرض مرجعية الإمام الحكيم إلى هجمة لئيمة من قبل نظام البعث قرر الشهيد السيد محمد باقر الصدر السفر إلى لبنان لأجل القيام بحملة إعلامية للدفاع عن النجف والمرجعية المتمثلة بالسيد الحكيم وقام رضوان الله عليه بعملية ضخمة وجريئة في فترة زمنية قصيرة .

←وما أحسن قول الشهيد الصدر حيث يقول : لو كان كل واحد من أفراد الحوزة يتصل بخمسة من جيرانه والذين يتعامل معهم يومياً فيؤثر فيهم بحيث لا تبقى هناك طبقة متعالية على طبقة أخرى .

ومن لبنان بعث برسالة إلى احد أصدقائه شارحاً طبيعة عمله وما تم إنجازه إذ يقول في بعض فقراتها :

(... أكتب إليكم هذه السطور بعد أسبوعين كاملين من دخول لبنان وأود ان أعطيك صورة عن الموقف في حدود رؤيتي له واشعر بأن وجود صورة لك عن الموقف شئ مفيد على خط العمل .

لا ادري كيف أصنّف الحديث ,أتصور إنني ابدأ بما تم من عمل ثم أتحدث لك عن الموقف بشكل عام ,ثم عن المشاكل والمكاسب

أما ما تم من عمل فهو كما يلي:

أولاً : خطاب استنكار وقّـــع عليه حوالي أربعين عالماً.

ثانياً : ملصقة جدارية ألصقت في كثير من المواضع في بيروت تطالب بإنقاذ النجف .

ثالثاً : برقيات طيّرها أبو صدري (السيد موسى الصدر) إلى جميع رؤساء وملوك الدول العربية والإسلامية باسم المجلس الشيعي الأعلى يشرح فيها لهم المأساة ويستنجد بهم .

وقد جاءه الجواب حتى الآن من جمال عبد الناصـــر وفيـــصل والإرياني الرئيس اليماني.

وقد أرسل أبو صدري برقية إلى الشيخ محمد الشريعة وتلقى منه رسالة وبرقية يقول في الرسالة ان الشعب الباكستاني رئيساً وعلماء شيعة وسنة كلهم هزتهم المأساة التي اعتبرها الجميع ضربة للإسلام .

كما ينقل ان المودودي وجملة من السياسيين السنة قاموا باستنكار الموضوع وأعلنوا تأييدهم المطلق للنجف).

وكان سفر الشهيد الصدر إلى لبنان والحملة الإعلامية التي قادها ضد الحكم العفلقي في العراق بمثابة إعلان الحرب ضدهم.

وكان متوقعاً اعتقال السيد الصدر أو مطاردته عند عودته إلى العراق , وهو ما كان يخشاه السيد الحكيم نفسه .

ولكن السيد الصدر أصّر على العودة وكان يتوقع ذلك ويستعد لمواجهته , فسلمّ كل ما لديه في العودة لرفيقه الذي كان معه خشية اعتقاله , ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث .

***

بقي السيد الحكيم معتزلاً في منزله بالكوفة , ولم يزره احد من العلماء الا أولئك الذين ذكرناهم ,وكذلك طلاب الحوزة الذين تعرضوا بعد عودتهم من زيارته إلى الضرب والتنكيل .

ولكن الإمام الخميني اجتمع به وعرض عليه رأيه بضرورة كسر هذه العزلة التي ليست فيها أية مصلحة للإسلام والمسلمين وان المرجع أو القائد يجب ان يكون بين الجماهير دائماً , كما طلب منه الانتقال إلى داره في النجف وفتح بابه للناس.

ونزل المرجع الحكيم عند رأي الإمام واخذ يتردد على النجف كل يوم جمعة لزيارة مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى أصبح

تواجده الأسبوعي ومقابلته للعلماء والطلبة والمؤمنين في الصحن العلوي امراً طبيعياً بعد ان كان الكثيرون يتخوفون حتى من الاقتراب منه .

***

واستمر حزب البعث في تنفيذ مخططاته الجهنمية التي كانت تستهدف القضاء على الحركة الإسلامية , فان اخطر الأسباب التي جاءت بهم إلى الحكم هو ذلك.

وهم وان كانوا يتوعدون حزب الدعوة الإسلامية بالاستئصال إذا مات (الشايب) ويقصدون به المرجع السيد الحكيم رحمه الله , الاّ أنهم استعجلوا الأمر , فالسيد الحكيم ربما لا يموت بالسرعة التي كانوا يقدرونها , فلا بدّ إذن من التوجه إلى ضرب حزب الدعوة ,فانه وعلى رغم كل تلك الأجواء المضطربة كان ينتشر ويتوسع .

وكان البعث يتصور الأمور هكذا :

(حزب الدعوة الإسلامية ,هو حزب شيعي ,يعيش في أوساط الشيعة ,وان اغلب مؤيديه من الشيعة أنفسهم , فلا بدّ من التفكير في إحداث انفصام بين الحزب والوسط الذي يعيش فيه ويؤيده مالياً ومعنوياً) .

ان ضرب الشيعة بتهجيرهم سوف يؤدي إلى عدة مكاسب يحققها البعث في آن واحد :

١- إضعاف التيار الذي كان يسبح فيه حزب الدعوة .

٢- إضعاف الشيعة أنفسهم , لان البعث يعتبرهم قوماً لا ينسجمون مع البعث كما ينسجمون مع قياداتهم المرجعية .

٣- الاستيلاء على أموالهم ومصادرتها.

***

عمليات تهجير العراقيين إلى إيران

فقد بدأ النظام بحملة التهجير الجماعية الأولى في أواخر نيسان ١٩٦٩, حيث شملت بغداد والكاظمية وسامراء وكربلاء والنجف الأشرف وعدداً آخر من المدن .

وصادفت حملات التهجير مناسبة أربعين الإمام الحسين عليه السلام ووجود الإمام الحكيم في كربلاء الذي احتج بشدة على ممارسات السلطة .

فقطع زيارته ورجع إلى النجف , وحاولت السلطة احتواء أي رد فعل جماهيري وديني من خلال تهدئة المرجعية العليا .

هدأت حدّة التسفيرات أشهراً معدودة , ثم أستأنفتها السلطة من جديد بشكل واسع .

وقد شملت حملات التهجير تلك العديد من العلماء والطلبة بالشكل الذي أربك الوضع في الحوزات العلمية .

***

وكانت قمة التسفيرات في عام ١٩٨٠ على عهد صدام حسين .

كانوا يأتون إلى العائلة التي يراد تهجيرها في منتصف الليل ويأخذونهم ليضعوهم في سيارات والى مديرية الأمن العامة دون أنْ يدعوهم يأخذون معهم أي شيء من أثاثهم وأموالهم وحلي نسائهم

ومستمسكات أملاكهم .

ثم ترّحل تلك الجموع مودّعة وطنها سيراً على الأقدام مجتازة الهضاب والجبال والوديان الموحشة في شتاء كانون الثاني القارص وتحت رحمة الثلوج .

ربما يستمر مسيرهم على الأقدام إلى أقرب مخفر شرطة إيراني عشر ساعات وفيهم الشيخ الكبير والطفل والمرأة الحامل والمريض مما يؤدي إلى موت أعداد غير قليلة من الأطفال والنساء والشيوخ , كما أجهضت الكثيرات من الحوامل أو وضعن في الطريق .

أما الشباب الذين هم بأعمار ١٨ ــ ٢٨ , فكانوا يحجزونهم في العراق , في سجون أبي غريب ولا يدعونهم يسافرون مع أهليهم خوفاً من أن يلتحق هؤلاء بالجيش الإيراني في الحرب الدائرة بين العراق وإيران[١] .

١- عندما أعلن صدام حسين حربه على إيران , كان يستفيد من هؤلاء الشباب كدروع بشرية , يمشون أمام الجنود في الأرض الملغومة قبل دخول الجيش العراقي إليها .
كما انكشف بعد سقوط صدام ان هؤلاء المحجوزين , كانت دولة البعث تجعل منهم حقول تجارب للأسلحة الجرثومية ليعرفوا مدى تأثير تلك الجراثيم في أبدانهم .
إضافة إلى أن النظام كان يسحب دماءهم ويخزنها في مصرف الدم والاستفادة منها عند الحاجة .
وفي جميع الأحوال , فإن أحداً من هؤلاء الشباب لم يعد إلى أهله , وقد كانوا يبلغون عشرات الآلاف وكان معظمهم من الأكراد الفيليين الشيعة.

ونثبت هنا برقية من وزارة الداخلية خلال عمليات التهجير الظالمة , وعلى رغم أنّ عمليات التهجير والممارسات اللاانسانية قد تخطت نصّ البرقية... الاّ أننا نشير إلى بعض المقاطع التي تعكس العقلية الإجرامية للسلطة الحاكمة في العراق .

نص البرقية السرية لتهجير المسلمين في العراق :

" **برقية سرية** "

فيما يلي نص رسالة وزارة الداخلية ٢٨٨٤ في ١٠/٤/١٩٨٠

(...) لوحظ وقوع أخطاء والتباسات عديدة من قبل أجهزتكم في التفسيرات .

توضيحاً للتعليمات السابقة , أدناه الضوابط التي يجب العمل بموجبها في هذا الشأن (.)

(١)ــ يسفر جميع الإيرانيين الموجودين في القطر وغير الحاصلين على الجنسية العراقية وكذلك المتقدمين بمعاملات التجنس أيضا ممن لم يبت بأمرهم .

(٢)ــ عند ظهور عائلة , البعض منها حاصلين على شهادة الجنسية ولم تشملهم الضوابط إلاّ أنّ البعض الآخر مشمولين فيعمد مبدأ وحدة العائلة خلف الحدود مع سحب الوثائق , أي الجنسية ان وجدت والاحتفاظ بها لديكم ومن ثم إرسالها إلى الوزارة مع تزويد الوزارة بقوائم المشمولين بقرارنا هذا ليتسنّى لنا إسقاط الجنسية عنهم .

(٣)ـ يجري تسفير البعض خاصة العوائل عن طريق القومسيرية[1]. وفي حالة عدم استلامهم يجري تسفيرهم من مناطق الحدود الاعتيادية.

* * *

١- الملاحظ أنهم تم تسفيرهم عن طريق الجبال في شمال العراق أو الطرق الملغومة أثناء الحرب التي شنها صدام على إيران , والحالات كثيرة التي ينفجر فيها لغم مزروع فيقضي على الإنسان أو يقطع منه الأيدي والأرجل .

" الاستثناآت "

(.) اولاً (.) ــ العسكريين على مختلف الرتب يسلمون إلى الانضباط العسكري في بغداد للتصرف بهم من قبلها وحسب التعليمات المبلغة إليها .

(.) ثانياً (.) ــ النساء الإيرانيات المتزوجات من أشخاص عراقيين ترسل قوائم بأسمائهن إلى الوزارة .

(.) ثالثاً (.) ــ عدم تسفير الشباب المشمولين بالتسفير المقيمين في القطر وتزود هذه الوزارة بقوائم تتضمن هوياتهم الكاملة وأعمالهم .

(.) رابعاً (.) ــ عدم تسفير الشباب المشمولين بالتسفير من هم بعمر ١٨ ــ ٢٨ سنة والاحتفاظ بهم في مواقف المحافظات إلى إشعار آخر .

(.) خامساً (.) ــ يستثنى من التسفير الأرمن الإيرانيين المقيمين في القطر وتزود هذه الوزارة بقوائم تتضمن هوياتهم الكاملة وأعمالهم.

(.) سادساً (.) ــ لا يشمل التسفير اللاجئين السياسيين الإيرانيين

(.) سابعاً (.) ــ يستثنى العرب العربستانيين المقيمين في القطر من التسفير.

(.) ثامناً (.) ــ يستثنى أبناء المتجنس غير المشمولين بالضوابط أعلاه ممن لم يكتسبوا الجنسية لحد الآن من التسفير .

(.) تاسعاً (.) ــ عند ظهور أية حالة من غير الواردة أعلاه إعلامنا هاتفياً قبل البت فيها .

نؤكد امرنا في فتح النار على من يحاول العودة إلى الأراضي العراقية من المسفرين . (.) انتـــــــــــــــــــــهت.

نرجو الإطلاع والعمل بموجبه .

وزير الداخلية

***

وتعقيباً على هذه البرقية نقول :

عندما انسلخ العراق من الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى , ووقع تحت الاحتلال الإنكليزي , كان العراقيون كلهم لايزالون يحملون من الناحية النظرية , الجنسية العثمانية[1] إلى ان جاء ما يسمى بالحكم الوطني , ونصب فيصل الأول ملكاً على العراق بعد ثورة العشرين , فصدر قانون الجنسية العراقية في ٢٣/آب١٩٢٢ وقسم العراقيين إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول ــ الذي اختار التبعية العثمانية .

١- ولنفترض ان بعض الأشخاص هم من أصول إيرانية , وهم كـــانوا يـــسكنون العراق قبل ان يصبح العراق مستقلا !
فلماذا يسفر هؤلاء إلى إيران ؟ ولا يسفر أولئك الآخرون إلى تركيا ويقولـــون لهم أنهم من أصول تركية ؟
أليست هي الطائفية التي تعاقبت عليها حكومات العراق؟

القسم الثاني ــ اختار التبعية الإيرانية , وهم كلهم عراقيون وأبناء عراقيين , الاّ ان الذين اختاروا التبعية الإيرانية كانوا يخشون من الخدمة العسكرية التي كان يجّند لها العراقيون أيام الدولة العثمانية سبع سنوات للخدمة الإلزامية وينقل فيها الجندي إلى حيث تشاء الإدارة العسكرية, إلى قفقاسيا أو طرابلس الغرب أو بلغاريا أو اليمن وهكذا ...وقليل منهم من كان يرجع إلى أهله سالماً.

فخشي الناس من اسم التبعية العثمانية التي تحمل في طياتها الخدمة العسكرية الطويلة... فاختاروا أن يُصنـّفوا ضمن هذا التقسيم الثاني .

والشعب , عموم الشعب لم يكن بحاجة إلى وثيقة الجنسية , إذ لم تكن الأمور في تلك الفترة تتطلب من الشعب الحصول على هذه الوثيقة,فلا يحتاجها الكاسب الذي يشتغل بالسوق ولا الفلاح ولا العامل ولا الذي يريد ان يدخل المدارس ولا حتى من يروم السفر إلى خارج العراق.

فالذي كان يريد ان يذهب إلى حج بيت الله الحرام لم يطالب بأي وثيقة من جواز سفر أو غيره , بل لا يفكر هو بذلك ابداً .

وكذلك الذي يريد ان يسافر إلى إيران , فالطرق مفتوحة تماماً ولم تكن هناك نقاط حدودية بالمعنى الصحيح .

أما الذين كانوا يسافرون إلى الهند والخليج , فكانوا يركبون الباخرة كما لو كانوا ينتقلون فيما بين البصرة وبغداد .

أما العمل في مرافق الدولة آنذاك , فان الدولة لم تكن تنظر إلى طبيعة التبعة التي يدّعيها صاحب العلاقة .

وسارت الأمور هكذا ...

ثم أراد الاستعمار ان يدقّ إسفيناً بين أبناء الشعب العراقي الواحد,فابتكروا (شهادة الجنسية العراقية) التي أصبحت هي المعوّل عليها لدى الدوائر الرسمية , وبدأ مفعول (هوية الأحوال المدنية) يتضاءل شيئاً فشيئاً .

وأعلنت حكومة صدام ان لجميع العراقيين ان يستحصلوا شهادة الجنسية العراقية , ولكن المعاملات كانت تتعرقل حتى تصل إلى عدة سنوات .

ثم ان بعثيي العراق وفي عام ١٩٨٠ , وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران – والذي يظهر أنّ صدام كان يفكر بخطط جهنمية مسبقاً – اخذوا يمرّون على جميع البيوت , بيتاً بيتاً ويسجلون اسماء الساكنين فيها ذكوراً واناثاً وأعمارهم وتحصيلهم العلمي وممتلكاتهم ودخولهم الشهرية , ثم لم يكتفوا بذلك فذهبوا إلى السوق وادّعوا أنهم يريدون أن يمنحوا المستوردين[1] السابقين من التجار إجازات استيراد وطلبوا منهم ان يقدّموا وثائقهم , وجمعوهم في غرفة تجارة بغداد بحجة

١- كان حزب البعث قد احتكر التجارة كلها وجعلها حكومية , ثم تظاهر أمام التجار أنهم يريدون أن يعطوهم إجازات استيراد في عملية لئيمة لغرض القبض عليهم وتسفيرهم .

أنهم يريدون أن يتباحثوا وإياهم في موضوع الاستيراد , ثم سفروهم إلى إيران بعدما جرّدوهم من أملاكهم وأموالهم وجميع الوثائق والمستندات التي بحوزتهم.

***

أما ما يتعلق ببرقية وزير الداخلية , ذاتها فان في أقل نظرة إليها يستطيع القارئ ان يجد الحقد والطائفية فيها .

فالعائلة التي بعضها يحمل شهادة الجنسية والبعض الآخر لا يحملها , فان عواطف صدام تشملهم ليجمعهم خلف الحدود مع سحب الوثائق منهم .

أما العسكريون وعلى مختلف رتبهم , الضباط منهم وبقية المراتب , هؤلاء طبعاً ما وصلوا لهذه الدرجة الا لأنهم عراقيون وليسوا إيرانيين كما تدعي حكومة البعث .

نعم هؤلاء العسكريون يُسلمّون إلى الانضباط العسكري للتصرف بهم وكأنهم أغنام وليسوا بشراً , طبعاً سوف يعرّضونهم للقتل والتعذيب أو للحجز في اقل تقدير .

أما الشباب الذين هم من عمر ١٨ ــ ٢٨ سنة فليس من مصلحة البعث ان يذهبوا إلى إيران لأنهم قد يقومون بعمليات مضادة , والأفضل أن يحتجزوا . وأبرز ما يُظهر حقد البعث الطائفي هو النقطة الخامسة من البرقية التي تستثني الإيرانيين الأرمن من التسفير لأنهم ليسوا من الشيعة المقصودين طبعاً .

وفاة المرجع السيد محسن الحكيم

في زحمة المشاكل والمتاعب , يتعرض المرجع الحكيم إلى مرض شديد , فينتقل على أثره إلى لندن .

ولم يمثل هناك للشفاء , فأعيد إلى العراق , ورقد في مستشفى (ابن سينا) في بغداد , وما هي الاّ أيام حتى فارق الحياة في ٢٦ ربيع الأول ١٣٩٠ هـ المصادف ١٩٧٠/٥/٢ م .

وجرى له تشييع فخم ابتداء من الكاظمية ومروراً بالاعظمية فشارع الرشيد وجسر الجمهورية حتى جسر الخر , ومن هناك نقل جثمانه بالسيارات إلى كربلاء ثم إلى النجف .

وكان موكب التشييع يتوقف كثيراً حيث يشترك في التشييع أبناء المناطق التي يمرّ عليها الجثمان .

وفي بغداد توافدت إلى تشييع جنازته مئات الألوف من مختلف مناطق العراق , وكان التشييع مجالاً لإظهار نقمة الشعب على السلطة واشترك احمد حسن البكر رئيس الجمهورية بالتشييع , ولكنه أحيط بـ(هوسات)[1].كان يردد فيها الناس عبارات تستنكر على البعث اتهامهم

١- الهوسات جمع هوسة وهي احد أطوار الأهازيج التي يتميز بها العراقيون يلقيها (المهوال) أي الشاعر , الذي يكون مدفوعاً على أكتاف احدهم ثم يرددها الجماهير , يدورون حول (المهوال) وهي في أكثر الأحوال أهازيج حماسية.

للسيد مهدي نجل الإمام الحكيم بالجاسوسية .

فكانت (الهوسات) التي تحيط بالبكر تقول (سيد مهدي مو جاسوس , اسمع يا الريّس) .

أي ان السيد مهدي ليس جاسوساً , اسمع أيها الرئيس

وخشي البكر من مغبّة هذه الصيحات ان تتفاقم , وفي غفلة من العواطف الجياشة ينقضّون عليه ــ على الرغم من الحرس الذين كانوا يرافقونه ــ والتجأ إلى دائرة بدالة تلفونات الغرب مقابل متحف بغداد

***

بعد وفاة المغفور له السيد الحكيم مباشرة , استهدفت السلطة المسلمين المتدينين في مختلف مناطق العراق , فقامت بحملات اعتقال متتالية في بغداد والنجف وكربلاء والحلة والديوانية والناصرية وسوق الشيوخ والسماوة والرميثة والكوت والعمارة والبصرة وغيرها من محافظات الوسط والجنوب .

ولقي حزب الدعوة الإسلامية من نظام البعث وجماعته أنواع الاضطهاد , واشتدت عمليات الإرهاب والقمع وتوسعت حتى بلغت مداها في صيف ١٩٧٤ , حيث قامت سلطة البكر بإعدام خمسة من خيرة علماء وشباب الأمة من بغداد والنجف وكربلاء عدا الذين قتلتهم تحت التعذيب والذين أودعتهم السجون .

وأخذ البكر وجماعته على أنفسهم ان يواصلوا بقسوة ضرب الدعوة الإسلامية وان يفرغوا حقدهم على الإسلام , حتى لو كان عملها الفعلي مجرد اتجاه فكري .

***

ولكن السلطة غيرّت بعد وفاة المرجع الحكيم من اسطوانة الجاسوسية , وأخذت تعتقل المسلمين بتهمة تحريض الجماهير على الهتاف ضد السلطة والإخلال بالأمن في موكب التشييع لجثمان السيد الحكيم الذي ضمّ مئات الألوف من مختلف مناطق العراق والذي عبّرت فيه الجماهير بصورة طبيعية عن سخطها على السلطة بالاحتشاد والهتاف في بغداد وكربلاء والنجف وفي وفود التعزية التي استمرت أربعين يوماً تتوافد على النجف معبّرة عن سخطها على السلطة بالهتاف والقصائد والكلمات .

وبعد ذلك استعملت السلطة عدة تهم لتغطية حملات الإرهاب والاعتقال , من تهمة الرجعية إلى تهمة الإخلال بالأمن إلى تهمة الانتماء إلى حزب الدعوة الإسلامية إلى تهمة معاداة خط الثورة والتآمر على مكاسب الجماهير وما شابه ذلك .

وقد أنشأت لمكافحة الدعوة الإسلامية , مديرية خاصة من استخباراتها وجلاوزتها أسمتها (مديرية مكافحة النشاط الرجعي) .

ولكن الملاحظ ان تهمة عضوية حزب الدعوة الإسلامية انحصرت على الصعيد الداخلي في أوساط الناس والمعتقلات والنشرات الحزبية , ولم تستعمل في وسائل الإعلام الخارجية .

لقد كانت السلطة تتصور ان هجمة إرهابية واحدة كافية للقضاء على حزب الدعوة الإسلامية وعلى الأصالة الإسلامية في الشعب العراقي .

فقد كانوا يطلبون من دعاة الإسلام ــ إلى جانب أساليب التعذيب الوحشي ــ ان يؤيدوهم ويتعاونوا معهم مع إغرائهم بالأموال , ولكنهم في كل أساليبهم باؤوا بالفشل , وكانوا يجدون أن الداعية المسلم يفضّل الاختفاء والهجرة والاعتقال والتعذيب والشهادة على الخضوع لهم والتعاون معهم أو التنازل لاغرآتهم .

وسوف نذكر في موقع آخر قانون إعدام الدعاة وما تابع ذلك .

***

بعد وفاة الإمام الحكيم , انقسم التقليد بصورة عامة , بين السيد الخوئي والسيد محمود الشاهرودي .

أما السيد الخميني , فإنّ الحوزة في النجف لم تكن متعاطفة معه بالصورة التي تطرحه مرجعاً يخلف السيد الحكيم وذلك لأسباب كثيرة لسنا بصددها هنا .

ولم يدم السيد الشاهرودي طويلاً , فقد انتقل إلى رحمة الله في عام ١٩٧٤ .

وتركز التقليد على السيد الخوئي , وبدأ السيد الصدر يظهر بسرعة .

وقد حاولت حكومة البعث أن تتدخل في موضوع تعيين المرجع وكانت ترشح لذلك (الشيخ علي كاشف الغطاء)[١].

ولكنها باءت بالفشل السريع الذريع , لأن الشيخ علي شخص معروف في تبعيته للحكومة , إضافة إلى انه ليس له رصيد في حوزة النجف ولا واحد بالمائة .

وهو مع ذلك ليس من مستوى المراجع .

***

١- الشيخ علي كاشف الغطاء من عائلة علمية معروفة , ولكن فيه نقطة ضعف هي انه كان يوثق علاقته بكل حكومة في العراق لحّد التنازل عن المبادئ ابتداءً من العهد الملكي وعبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وأخيه , وأخيراً حكومة البعث .
وأفضل وصف ينطبق عليه , انه من وعاظ السلاطين .
وعندما كان عبد الكريم قاسم في الحكم , أرسل له بواسطة متصرف (محافظ) كربلاء (خاتما) مع رسالة يذكر فيها ان هذا الخاتم إذا لبسه الزعيم فان فيه خصوصية الحفظ .
ولذلك فهو يهديه إلى(الزعيم) عبد الكريم قاسم ليحفظه من الأعداء ويطلب من المحافظ ان لا يخبر أحداً بذلك .
ولكن الزعيم قتل ولم يحفظه الخاتم , ثم وضعت مخلفات عبد الكريم قاسم في متحف ومن ضمنها الرسالة والخاتم ليقراها كل إنسان .

دور البعث في التشهير بالسيد الصدر

لقد كان البعثيون يعلمون ان السيد الصدر ليس في قيادة حزب الدعوة الإسلامية , ولكنهم يعلمون أيضا ان السيد الصدر لا زال يخطط للدعوة , ويعمل للدعوة , وأفكاره تنتقل للدعوة , وان الدعاة لا زالوا يعتبرونه نبراساً لهم وان السيد الصدر وراء كل النشاط الإسلامي الذي كان قوياً ,آنذاك.

وكانت عدة مشاهد توحي لهم بهذا الاعتقاد , ولعل منها : ـــ

١ـــ ان قطاع الشباب (من الدعاة وغيرهم) كان مجمعاً على تقليد السيد الشهيد وهو لم يطبع رسالته العملية بعد.

٢ـــ الطرح الفكري الذي كان يواصله باستمرار , وما يحتويه هذا الطرح من مادة إسلامية ناضجة يمكنها ان تحرك الشباب .

٣ ـــ دار السيد الشهيد الصدر كانت ملتقىً فكرياً عامراً بالشباب العاملين في سبيل الله والإسلام .

٤ ـــ حوزة السيد الشهيد كانت تضم خيرة الطلبة المتحركين فيهم الحوزوي والمهندس والطبيب والمحامي وغيرهم .

٥ ـــ مواقف السيد الشهيد نفسه وما انطوت عليه من رسالية صارمة لا تعرف التردد والضعف والهوان .

٦ ــ إضافة إلى الوشاة وأهل الحسد والحاقدين الذين يتبرعون بإيصال المعلومات إلى دوائر الأمن قربة إلى الله !.

هذه الأسباب وغيرها كانت توحي للبعث بان السيد الشهيد وراء ما تشهده الساحة العراقية من نشاط إسلامي وتحركات إسلامية .

وبناءً على ذلك فان البعثيين اعتبروا (السيد محمد باقر الصدر) عدوهم الأول , وقرروا تصفيته بشكل أو آخر .

وقد اتجهوا اولاً إلى محاولة تحجيمه وتطويقه , فأشاعوا في الأوساط الحوزوية ان السيد الصدر رجل حزبي وان الحوزة في خطر والدين في خطر والإسلام في خطر , وقد أراد البعثيون في ذلك ان يقلّصوا دور السيد الصدر في الحوزة وبالتالي يعملون على ضرب مرجعيته التي بدت تلوح في أفق المستقبل .

وقد جنّد البعثيون لهذه الحملة بعض الحاقدين في الحوزة , فضلاً عن شرطتهم وأفراد حزبهم .

ولم يستخدموا الإشاعة الكلامية فحسب , بل راح بعضهم يكتب هذه التهم الباطلة ويبعث بها على شكل رسائل إلى المساجد والحسينيات والمكاتب والمدارس , ولكن هذه الدعايات كانت تصطدم بوعي الشباب الأمر الذي يزيدهم إصراراً على الالتفاف حول مرجعية السيد الشهيد.

ان تلامذة السيد الصدر ضربوا مثلاً رائعاً في الصمود والثبات والإخلاص فلم يعطوا اذناً لتلك الحرب النفسية الظالمة , ولم يثنهم أي شيء عن معاضدة السيد الصدر رغم أنهم حوربوا حتى بأرزاقهم .

والغريب ان الحرب النفسية هذه امتدت حتى شملت كتبه وفكره فبعضهم يقول إنها لا تنفع الإسلام والمسلمين بشيء , ولو كان هذا (السيد) قد اهتم بالقرآن لكانت الفائدة أعظم .

وشنّ هذا البعض حملة ظالمة على كل من يقرأ كتب السيد الصدر لأنها كتب ضلال ــ كما يقولون ــ وبعضهم كان يقول ان هذا الفكر فكر ضحل , انه فكر جرائد وصحف وليس هو ذلك الفكر العلمي العظيم , خاصة وانه لا يمتّ بصلة إلى الفقه والأصول .

ولكن السيد الصدر صمد وانتصر , وفكره هو الآخر صمد وانتصر وخاب ظن المـــــــــــــنافقيـــن .

***

وكلاء الشهيد الصدر

اعتاد أئمة المسلمين ، وخصوصاً المتأخرون منهم كالهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام ، أن يكون لهم وكلاء ينتشرون حيث ينتشر المسلمون.

فقد مهّد الهادي والعسكري للمهدي ان يتخذ وكلاءه، كما مهّدوا للأمة الإسلامية ان تتعوّد على السرية ومراجعة الوكلاء ، حيث سوف يكون الوصول إلى الإمام من الصعوبة بمكان.

فان الوصول للإمام العسكري عليه السلام – في بعض الفترات – كان يعني الاعتقال والتعذيب.

أما الإمام المهدي فقد اختفى عن الأنظار خوفاً من أعدائه الذين كانوا يتربصون به الدوائر فاتخذ عدداً من الوكلاء (السفراء) كانوا الواسطة بينه وبين الأمة.

ومراجع الشيعة اتبعوا طريقة الوكلاء ايضاً فان الشيعة أصبحوا ينتشرون في بقاع متباعدة من العالم.

فالمرجع الذي – غالباً ما – يسكن العراق وفي النجف بالذات فان المسلمين الذين في الهند واندونيسيا وأمريكا وأوربا وأفريقيا مثلاً،أو حتى الذين يسكنون العراق ولكنهم في مناطق بعيدة عن النجف ، فان أولئك جميعهم يصعب عليهم أن يلتقوا المرجع نفسه لحل مشكلاتهم

اليومية في مسائل الحلال والحرام.

ولذلك فان المراجع خصوصاً أولئك المتأخرين منهم اتخذوا طريقة الوكلاء الذين يأخذون وكالة خاصة من المرجع، يدعون فيها المسلمين إلى ان يرجعوا إليه في أخذ أحكامهم ، على اختلاف في سعة هذه الوكالة وضيقها.

وفي العراق بالذات , لم يكن مألوفاً أن يخرج العلماء من النجف إلى القرى والأرياف وحتى المدن , وقلنا سابقاً أن المرجع الحكيم رحمه الله في مقابلة لي معه كان يقول (إنّ الجيد من العلماء لا يخرج من النجف وغير الجيد لا يفيد) .

فالدارسون في النجف بصورة عامة على قسمين:

قسم يدرس بصورة معمّقة، فهذا لا يخرج من النجف لأنه يطمح أن يصبح مجتهداً ثم مرجعاً، والمرجعية لا تتأتّى له لو خرج من النجف.

وقسم يتخذ من العمامة وسيلة للاعتياش ، وهؤلاء كانوا يذهبون للمناطق البعيدة عن النجف ، ولكنهم كانوا لا يحسنون الوعظ والإرشاد لأنهم بالأساس حفاة[1].

١- تعبير عراقي عن الشخص الذي لا يملك علماً فيقولون انه حافي.

أما عندما انتشر الوعي الإسلامي على عهد حزب الدعوة الإسلامية وريادة السيد محمد باقر الصدر ، فقد تغيّر الوضع تغيراً أساسيا ، وانقلبت الأمور رأساً على عقب.

فأولئك الذين كانوا يعتاشون على السفر ، لم يبق لهم وجود ، بل لم يبق في الأمة من يستمع إلى خزعبلاتهم إلاّ القليل جداً ، فالوعي الجديد طغى على كل شيء ووصل إلى كل ناحية.

وبدأ طلاب الحوزة يدرسون العلم للعمل ، والشريعة للتطبيق ونشر الوعي ، وكان معظمهم من الدعاة ، ومن طلاب السيد محمد باقر الصدر.

وبدا السيد الصدر يوجههم للسفر إلى المدن والأرياف التي تريد من ينبهها إلى واقعها ، ويوضح لها معالم دينها.

والتبدّل الكبير الذي حصل في هذا الموضوع، هو أنّ تلك المدن والأرياف ــ سابقاً ــ كان لا يذهب إليها إلاّ الحفاة .

أما بعد انتشار الوعي وقيادة السيد الصدر ، فقد بدأ يذهب إليها الوعاظ والمرشدون الحقيقيون.

والنقطة الجديرة بالاهتمام ، هي أن السيد الصدر كان يأمر الذين يرسلهم للتبليغ ان لا يأخذوا مالاً من الناس ، وإنما هو الذي يعطيهم.

هذا كله في الذين يبعثهم السيد الصدر للتبليغ الموقت وهم الذين كانوا يذهبون بمناسبة شهر رمضان وشهري محرم وصفر ، وان كان بعضهم يحمل توكيلاً من السيد الصدر ، وكان هناك أشخاص آخرون

يقيمون في المدن ، يرسلهم الشهيد الصدر ويعطيهم تخويلاً ينوبون فيه ويتوكلون عنه في استلام الحقوق الشرعية وأكثرهم كانوا من المنتسبين إلى حزب الدعوة الإسلامية.

فقد كان في كل مدينة أو منطقة، قريبة أو نائية وكيل واحد أو أكثر للسيد الصدر ، بل أن الأمر تعدّى حدود العراق ، فكان للسيد الصدر وكلاء في الكويت ولبنان والخليج وأماكن أخرى (ليس من المصلحة الأمنية ذكر أسمائهم ومناطقهم).

وكان نتيجة هذا السيل من المبلغين، وسيل الدعاة الذين هم من أبناء تلك المناطق ، ان بنيت المساجد وتأسست المكتبات وكثر أعداد المصلين وحضّار المكتبات ، وأقيمت الندوات الإسلامية.

وانتشر الوعي في الأمة ، وبدأوا يوجهون الأسئلة لعالم المنطقة يسألونه عن الديمقراطية والشيوعية والقومية وعلاقتها بالإسلام وحاكمية الإسلام، بعدما كان الناس يسألون العالم – إذا سألوه – عن الطهارة والنجاسة ويأخذون عنده الاستخارة.

***

مدرسة العلوم الدينية للإمام الحكيم

كانت دراسة الحوزة في النجف دراسة معمّقة ومركزة , حفظت تراث أهل البيت عليهم السلام , وعملت على نشر الفقه الجعفري في أقطار الدنيا منذ أكثر من ألف سنة , منذ يوم أسسها الشيخ الطوسي ــ رحمه الله ــ في منتصف القرن الخامس الهجري .

ولكنها مع ذلك , وبسبب تمادي الدهور وبسبب الدخلاء على الحوزة أصبحت تعيش الارتباك والفوضى في بعض مرافقها.

وكم من مرة تنادى بعض المصلحين من اجل تهذيبها , وكخطوة في ذلك , إجراء الامتحانات للطلاب حيث يعطون الرواتب حسب القابليات , ولكن تلك الصيحات كانت تبوء بالفشل الذريع بحجة أن الامتحانات سوف تكون خطوة في سبيل القضاء على الحوزة العلمية وربطها بمناهج الحكومة الظالمة .

فقد ذكرنا في الكتاب الأول كيف أن (جمعية منتدى النشر) التي أرادت إصلاح الحوزة وتهذيب الدراسة فيها , جوبهت بمشاكل ومتاعب قام بها أولئك المعارضون.

ولكن بعد بروز أفكار (حزب الدعوة الإسلامية) للميدان وبعد ظاهرة (جماعة العلماء) تغيرت حوزة النجف نوعاً ما في موضوع

تنسيق الدراسة ومنهجيتها وخضوعها للامتحان بحيث تصبح الدراسة أكثر فاعلية وجدية[1].

وفي عام ١٩٦٧ كان قد تألق السيد محمد باقر الصدر في الحوزة العلمية , على رغم المعارضة القوية التي كان يتلقاها .

وكان الشهيد الصدر مشهوداً له من جميع الطبقات بالعلم والنبوغ واستيعاب متطلبات دراسة الحوزة , لتكون دراسة تواكب التقدم الحضاري الذي كان قد بدا يسابق الزمن خصوصاً في النصف الثاني من القرن العشرين .

وكان يريد أن يطرح الإسلام الذي يتسع لكل جوانب الحياة ويجعل الإنسان المسلم وطالب الحوزة بالذات منفتحاً لكل المتطلبات متفتحاً ذهنياً وعقائدياً للدين والسياسة والعلم والعمل الصالح .

كانت الدراسة في حوزة النجف والحركة العلمية فيها محل عناية الشهيد الصدر واهتمامه , يسعى بكل جهده لحمايتها ووقايتها من الأخطار الداخلية والخارجية لتبقى مركز الإشعاع الفكري والمرجع الروحي والقيادة السياسية .

١- ليست الدراسة في حوزة النجف ممنهجة بالمعنى الصحيح , فالطالب له الحق ان يدرس أي كتاب يحبذه له الأستاذ , أو يختاره التلميذ لنفسه ,أما العلوم التي تدرس , فقد كانت في العهود السابقة تشمل (الفقه وأصول الفقه وعلوم العربية والفلسفة والتاريخ والرياضيات والمنطق وعلم الكلام والفلك) أما اخيراً فقد أصبحت الدراسة تتركز على الفقه وأصوله ويكادون يتركون بقية العلوم حتى العربية منها التي هي الأساس في الدراسة ولذلك نجد الكثيرين منهم يلحنون في كلامهم ويقعون في أخطاء لغوية كثيرة .

فأسلوب الدراسة الكلاسيكي الذي يتمثل في الدراسة الحرة وإعطاء الطلاب الحرية في اختيار أساتذتهم وأوقات الدراسة والكتب التي يدرسونها ــ له ما يبرره ويسوّغ الأخذ به ــ .

أما الأسلوب المنظم للدراسة , فهو ضروري أيضا , يوفّر للطلاب وقتاً اقصر , ويفسح لهم المجال واسعاً أمام المعارف الجديدة وميادين العلم الحديثة ومناهج البحث الأكاديمية التي تفتقر إليها جامعة النجف ضمن أسلوب الدراسة الكلاسيكي .

والسيد الشهيد لا يرفض القديم لقدمه , ولا يقبل الجديد لحداثته فلكل منهما مزايا وحسنات , وان احدهما يكمل الآخر , ولذلك خصّ السيد الشهيد كلا الأسلوبين بالتأييد ومنحه العناية والاهتمام .

***

فالمدرسة التي أسسها السيد الحكيم ــ رحمه الله ــ المعروفة بـ (الدورة) والتي نظّمت فيها الدراسة ضمن المرحلة الأولى والتي تسمى بـ (السطوح) وهي ما قبل الدراسات العليا تحت رقابة وإشراف هيئة إدارية , كانت من مقترحات السيد الصدر , وهو الذي اقنع السيد الحكيم بضرورة تنظيم الدراسة بهذا الشكل , وكان له الدور الكبير في إدارتها وتوجيهها .

وقد بدأت تلك الدورة عام ١٩٦٧ من عدة أشخاص قد لا يتجاوزون العشرين طالباً , وكلهم من العراقيين , تعقد في حلقات

دراسية في (مسجد الهندي) ثم أصبحت بعد ذلك أكثر تنظيماً وتنسيقاً ومنهجية , فاتخذوا لها بناية ذات ستة صفوف لمائة طالب , وأصبح اسمها (دورة العلوم الدينية للإمام الحكيم) .

وهي وان كانت غير مجازة رسمياً , إلا ان تسميتها بالمدرسة إنما هو على غرار المدارس الدينية العلمية الموجودة في النجف , أما طلابها فقد كانوا في غالبيتهم من مؤيدي السيد الصدر , وكان أكثرهم من الدعاة , وكانت اغلب مناهجها الفكرية والثقافية من كتب السيد الصدر كفلسفتنا واقتصادنا .

***

وعمد السيد الصدر إلى وضع أطروحة تتناسب مع الدراسات الحديثة , وذلك بالرغم من إبقاء الأسلوب الكلاسيكي في الدراسة .

وتتلخص هذه الأطروحة في قيمومة المرجع وإشرافه على فعاليات هذه المدرسة والحركة العلمية فيها وتنظيم الدراسة دون إلغاء حق الحرية , ويكون ذلك عن طريق استقراء للعلماء والأساتذة مع التعرف على قدراتهم وعددهم , وهذا يوفر للمرجع الإشراف على الدراسة ــ على الأقل ــ وتنظيمها , فيلجأ الطلاب إلى الهيئة التي أوكل إليها القيام بعملية الاستقراء هذه لتعيّن لهم الأستاذ المناسب وترشدهم إليه .

كما إنها تعينهم على اختيار المناهج الدراسية التي تعود بمزيد من الفائدة عليهم.

***

ومن اجل تنظيم الدراسة في النجف شعر السيد الصدر بضرورة تجديد المناهج الدراسية والكتب التي مضت عليها قرون طويلة , ولم تعد تتناسب مع الحركة الفقهية والأصولية والفكرية التي قطعت اشواطاً بعيدة من التطور والتجديد .

هذا بالإضافة إلى كونها كتباً لا تتوفر فيها خصائص المناهج الدراسية ولم يهدف مصّنفوها جعلها موضع التدريس , وإنما كانت تمثل نظرياتهم وآراءهم النهائية التي توصلوا إلى اكتشافها وصياغتها .

ويعتبر السيد الشهيد عملية وضع المناهج الدراسية الجديدة أقل مظاهر التغيير في هذه الجامعة الكبرى , ولذلك كان يتذمّر ويظهر ذلك في مناسبات عديدة إذ يقول :

(لا بدّ لنا ان نتحرر من النزعة الاستصحابية , من نزعة التمسك بما كان حرفياً بالنسبة إلى كل أساليب العالم . هذه النزعة التي تبلغ القمة عند بعضنا حتى أنّ كتاباً دراسياً مثلاً , إذا أريد تغييره إلى كتاب دراسي آخر أفضل منه , حينئذٍ تقف هذه النزعة الاستصحابية في مقابل ذلك .

إذا أريد تغيير كتاب بكتاب آخر في مجال التدريس , وهذا اضئل التغيير حينئذٍ يقال : لا ليس الأمر هكذا , لا بدّ من الوقوف لا بدّ من الثبات والاستمرار على نفس الكتاب الذي يدرس فيه الشيخ الأنصاري أو المحقق القمي .هذه النزعة الاستصحابية التي تجعلنا دائماً نعيش مع امة قد مضى وقتها , مع امة قد ماتت وانتهت بظروفها وملابساتها , لأننا نعيش بأساليب كانت منسجمة مع امة لم يبق منها احد)[1]

* * *

وللتعرف على صورة مفصلة وجلّية عن مدرسة العلوم الدينية في تاريخ ١٢ ربيع الأول /١٤٠٧ , سألت (الشيخ الأوحدي) عن هذه المدرسة , علماً بأنه كان مديراً لها في بعض الفترات , فقال :

ان السيد الحكيم ـ رحمه الله ـ كان مؤسسها , ولكن السيد الصدر كان الملهم لها , ولعل السيد الصدر , هو الذي أشار على السيد الحكيم بتأسيسها , فالإدارة الفكرية كانت للسيد الصدر .

فقد كانت أفكاره هي التي تدرّس (فلسفتنا واقتصادنا ورسالتنا والمعالم الجديدة في علم أصول الفقه) .

والطلاب كانوا كلهم ينهجون نفس الطريقة التي ينهجها السيد الصدر في أفكاره ونظرته للمجتمع .

وقد كان اغلب الأساتذة فيها من طلاب السيد الصدر ومن الذين يتبنون منهجيته في التفكير , كان منهم (السيد كاظم الحائري والسيد

١- من محاضرة للسيد الشهيد في كتاب المحنة ص ٧٨ .

محمود الهاشمي والسيد محمد الغروي والسيد محمد باقر الحكيم والشيخ محمد علي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني والشيخ مهدي العطار والسيد محمد الصدر) ولعل جميع أولئك كانوا من المنتسبين إلى حزب الدعوة الإسلامية والقريبين له .

كما يدرّس فيها أيضا (السيد كمال نجل السيد يوسف الحكيم والسيد كاظم نجل المرجع الحكيم) . وهذان كانا يحملان أفكاراً على الضد من أفكار وتوجهات السيد الصدر .

وكانت الظاهرة العامة (للدورة) هي ظاهرة الشهيد الصدر وحزب الدعوة الإسلامية .

وتخرج في هذه المدرسة , أو ما كانت تسمى (بالدورة) طلاب يعتبرون مثالاً لطلاب الحوزة في النجف وعياً وعلماً وفهماً للمرحلة ولما يجب ان يقوم به طالب العلم من مسؤوليات جسام تجاه الأمة حتى ان بعضهم بلغ في مدّة وجيزة مرحلة متقدمة من العلم تقترب من الاجتهاد .

***

كان المرجع الحكيم يرعاها خير رعاية , ولم يكن يضيره ان يكون الطلاب أو المدرسون هم من مريدي السيد الصدر , كما لم يكن يضيره ان تدرّس كتب السيد الصدر .

فالسيد الحكيم ــ رحمه الله ــ وجدهم متدينين واعين ينهلون من مناهل العلم بكل لهفة وشوق ثم يهتبلون الفرص لينفروا إلى أهليهم وغيرهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

والظاهرة التي كانت تستلفت الاهتمام هي ان جميع طلاب (الدورة) كانوا من العراقيين غير النجفيين , وهي ظاهرة لم تكن موجودة من قبل , ولذلك فان المرجع الحكيم ــ رحمه الله ــ كان يهتم بها اهتماماً كبيراً ويرعاها رعايةً فائقة بعدما وجد ذلك الإقبال الشديد عليها من أناس كانوا بعيدين جدا عن هذه الأجواء العلمية .

ولم يكن السيد الحكيم يعير اهتماماً عندما يجد نفسه يصرف الرواتب والمخصصات على الطلاب وهم يميلون في نفوسهم إلى غيره (السيد الصدر) .

***

وشاء الله ان ينتقل المرجع الحكيم إلى رضوانه تعالى , والدورة لمّا تزل قائمة , وهي تعتبر انجازاً من إنجازات السيد الحكيم .

فاستمر نجله الأكبر السيد (يوسف) بالصرف عليها , وأبقى في البداية نفس الأساتذة ونفس الكتب الدراسية .

وكان السيد يوسف يتميّز بأنه يحاول أن يبتعد عن المشاكل والمتاعب ولكن أثّر عليه بعض المقربين إليه.

فبدت الإدارة تتضايق من الصرف على (الــدورة) وطلابهــا يؤيدون ويناصرون (السيد الصدر) .

وساهم عدد من الحواشي في توسيع الخلاف وإثــارة الأنانيــة فكانوا يقولون :

لا ينبغي ان يكون (الغُرم علينا والغُنم لغيرنا) [1] .

وكان أحد الأشخاص المناوئين للسيد الصدر ولحــزب الــدعوة الإسلامية , يقول للسيدين (فاضل وحسن النوري) وهما من طــلاب هذه (الدورة) ومن مقلدي الشهيد الصدر , انه لا يقــول بــأن الــسيد الصدر شخص منحرف أو فاسق وإنما نحن لا نرغــب بــان تتوجــه المدرسة نحو شخص السيد الصدر .

وكان احد طلاب (الدورة) قد نظم قصيدتين

أما الأولى :

كان يمدح فيها السيد الصدر , ولكن ذلك الشخص المناوىء كان لايتحمل ان يسمع مديحاً للسيد الصدر , فكان يقول للسيدين :

(فاضل وحسن النوري) ان فلاناً يقول في قصيدته

اقــتداءً بــالصدر فهــو وعــاءٌ يــحــفظ القــلب يتقي الاحشاءا

١- الطلاب عادة ــ والجيدون منهم بالذات ــ يساهمون مساهمة فعالة في تعيين المرجع حيث يشرحون للأمة المقدرة العلمية وقوة استنباط الأحكام الشرعية للشخص الذي يرشحونه للمرجعية .

وهو تبنٍّ للسيد الصدر ونحن لانتبنى حتى (السيد الخوئي) فبأي حق نتبنى السيد الصدر؟ وكان يعبر عن السيد الصدر بـ (سيد باقر) ويقول : (نحن نحلب والسيد باقر يشرب الحليب) .

أما القصيدة الثانية :ــ

فان هذا الشاعر نفسه نظم قصيدة أخرى ينعى فيها على طلاب الحوزة اهتمامهم بدروسهم فقط دون الاهتمام بشؤون الأمة , وكانت القصيدة حماسية .

وكان عجز احد الأبيات (فما رواه السكوني وما رواه زرارة[1]) أي يجب على طلاب الحوزة ان لا يقتصر همهم على حفظ الروايات فقط وإنما يجب ان يهتموا بتطبيق ذلك , فالعلم للعمل كما كان يهتم الأئمة عليهم السلام.

ولكن المناوئين استغلوا هذه القصيدة , فبدأوا يشهّرون بالشاعر وبالطلاب وبالاتجاه الواعي بصورة عامة بأنهم يهينون رواة الحديث .

وأخيراً تمّ إغلاق (الدورة) وبذلك أغلقوا معيناً عظيماً للعلم وتهيئة العلماء وانفضّ الطلاب .

***

أما السيد الصدر ــ رحمه الله ــ فقد تبنى الطلاب أنفسهم وتبنى الدراسة نفسها , ولكنه لم تكن لديه القدرة المالية على أنْ يستأجر لهم

١- السكوني وزرارة من رواة الأحاديث .

بناية خاصة , فكانت الدروس تلقى في مسجد الطوسي ولكن على شكل مجاميع وكأنها صفوف , وتدّرس فيها نفس الكتب والمناهج وبنفس الأساتذة .

وأما التقليديون , فبعد ان تخلصوا من أولئك الطلاب والأساتذة أعادوا (الدورة) ولكن بانتقاء خاص للطلاب والأساتذة والمناهج .

وطلبوا من الشيخ الأوحدي (وقد كان مديراً للدورة قبل الإغلاق) ان يتولى الإدارة الجديدة , ولكنه رفض ذلك .

واستمرت الدورتان :

دورة السيد الصدر في مسجد الطوسي تحقق انتصاراً ونجاحاً باهراً في حين لم تحقق الدورة الأخرى النجاح المطلوب .

ولكن الدورتين معاً لم يستمرا طويلاً , فان أيدي البعث العابثة طالتهما فقضت على الاثنين , كما طالت الحوزة بصورة عامة .

***

اعتقال عبد الصاحب دخيّل (أبي عصام)
واعتقالي من بعده

لعل أول نكبة كبرى أصابت حزب الدعوة الإسلامية هي اعتقال القيادي الكبير عبد الصاحب دخيّل (أبو عصام)[1].

وأبو عصام غني عن التعريف , ولد في مدينة النجف الأشرف عام ١٩٣٠ من عائلة (دخيّل) الشهيرة العريقة في النجف ترجع إلى اصل بدوي من قبيلة (روَلة) التي تنتهي إلى (عنزة).

وعمل في وسط العمل الإسلامي الواعي منذ عام ١٩٤٣ يوم كنا زميلين في كلية (منتدى النشر) العلمية في النجف .

وجمعية منتدى النشر ذكرناها في كثير من مواطن حديثنا إنها كانت بذرة حزب الدعوة الإسلامية , لان أكثر مؤسسي الحزب كانوا من طلابها أو أساتذتها أو المتعاطفين معها والمؤيدين لفكرتها .

وتوطدت بيننا الصداقة , فكنا نحضر للمدرسة سوية ونتذاكر في الدروس سوية , لا نكاد نفترق .

١- القيادي عبد الصاحب دخيل , قد يلفظ دخيّل بتشديد الياء وقد يلفظ عبد الصاحب الدخيل , ولكنه بصورة عامة كان معروفاً بكنيته (أبو عصام) .

كان الشهيد ــ رحمه الله ــ جيد الحفظ والذاكرة , استطاع في مدة قصيرة أن يدرس أكثر أبواب الفقه وأصوله بإمعان , وكذلك المنطق والعلوم العربية , كما درس شيئاً من الفلسفة وعلم الكلام .

وكان وهوــ صغير ــ يناقش أساتذته العلماء وكأنه واحد منهم

***

في عام ١٩٥١ شكّلنا أنا وإياه وشخص ثالث من منتدى النشر وفداً تحرّكنا فيه على علماء النجف ندعو إلى أن تكون مدينة النجف محكومة حكماً ذاتياً من قبل علماء الدين .

وفي عام ١٩٥٢ شكلنا أنا وإياه وصادق القاموسي (حزبــاً) لــم يستمر طويلاً , ذكرت ذلك بصورة مفصلة في الكتــاب الأول لحــزب الدعوة الإسلامية .

وكان الشهيد أبو عصام في نواة تأسيس حزب الدعوة الإسلامية عام ١٩٥٧ .

وفي عام ١٩٥٨ انتقل إلى بغداد وعمل في لجنة قيــادة بغــداد وكلف بالإشراف عــلى إصــدار النشــرة الســرية المركزية للحزب (صوت الدعوة) .

ولم تمر فترة طويلة حتى غدا من ابرز قياديي الحزب , وكان له الإشراف على مواكب الطلبة وهي تظاهرة طلابيــة ضــخمة , كانــت تخرج في كربلاء بمناسبة استشهاد الإمام الحسين ــ عليه السلام ــ .

وتربّى على يديه عدد كبير من المـؤمنين الرسـاليين الـذين ساهموا في قيادة الحركة الإسلامية فـي العـراق وسـقوها بـدمائهم الطـاهرة .

كان ـ رحمه الله ـ شجاعاً لا يخاف احداً , دؤوباً لا يكلّ أبـداً كثير الحركة , يفكر كثيراً ويعمل عملاً متواصلاً .

وانتقلت أنا إلى بغداد عام ١٩٦٠ من النجف , وكنت احمل معي حزب الدعوة أيضا, فالتقيت واياه من جديد , وكان عملنا من طراز آخر يختلف عمّا كنا نعمله في النجف , فلقد توسع العمل وكثـرت الحركـة وتشعّبت اللجان .

كان ـ رحمه الله ـ ثقة المرحوم المرجـع (السـيد محسـن الحكيم) كما كان يحظى بثقة عالية لدى الشهيد السيد (محمـد بـاقر الصدر).

يضاف إلى ذلك انه عاش فقيراً ومات فقيراً , وكان سريعاً فـي تكوين الأصدقاء والمحبين كما كان سريع التأثير فـي الغيـر عنـدما يناقشهم في الإسلام وحاكمية الإسلام .

ولعل حرصه على تكوين الأصدقاء من اجل التأثير فـيهم هـو الذي أوقعه في ورطة كبيرة, كان فيها هلاكه وهلاك غيره .

فلقد كانت له صداقة حميمة مع احد أفراد الأمن هو (إبـراهيم شلال) وكان هذا دؤوباً على أن يحضر في مكتبه الذي اتخذه للتجـارة بالوكالة .

كما كانت له صداقة حميمة أيضاً مع شخص يدعى (عبد الرزاق العبايچي) من النجف , ولكن هذا كان منحرفاً في اعتقاده , إذ كان مسلماً في البداية , ثم انتسب إلى الفرقة البهائية الضالة الخارجة عن الإسلام .

واعترضت عليه في علاقته بهذين الشخصين

أما عن عبد الرزاق العبايچي , فكان يقول : إنني أريد أن اهديه إلى سواء السبيل .

قلت له : انه من الصعب جداً القبول بشخص من النجف حاضرة العلم منذ مئات السنين , أن يتحول فيها شخص مسلم إلى فرقة ضالة خارجة عن الإسلام .

ولو كان هذا الشخص من منطقة بعيدة عن الجو الإسلامي ولنفترضه في الهند ولم يكن مسلماً , فإننا نحتمل فيه الانتساب إلى البهائية ولكننا لا نقبله وهو في النجف , وقد كان مسلماً ومن عائلة لا تزال مسلمة آباءً وأجداداً وفي مدينة تحمل الإسلام منذ ما يقرب من ألف عام وإلى الآن , فانه من الصعب جداً القبول بصحة ا دّعائه إنه لا شك شخص يعمل لجهة أجنبية تريد بذر التخريب في معتقدات الناس وفي منطقة حساسة ولذلك فإنه من الصعوبة بمكان أن يرجع إلى الهدى.

كان ــ رحمه الله ــ لا يقبل بحديثي , وكان مصراً على رأيه انه يريد أن يهديه إلى سواء السبيل .

وأما عن (إبراهيم شلال) رجل الأمن , فقد كنت احذره منه كثيراً , والأنكى من ذلك إنّ الشهيد (أبا عصام) كان له مكتب للتجارة بالوكالة (قومسيون) كما ذكرت سابقاً , وكان الدعاة المتصلون بالشهيد يراجعونه باستمرار في مكتبه هذا , وكان الشهيد ربما يختلي بالدعاة في غرفة خاصة , كما يختلي بآخرين في مكان آخر , كل ذلك على منظر من (إبراهيم شلال) .

كنت أقول لشهيدنا : إنّ هذا رجل أمن وهو ــ غالباً ــ رجل ذكي , يلتقط الأخبار والمعلومات وان اجتماعك مع الدعاة في غرفة خاصة والحديث معهم بصوت هاديء يثير التساؤلات , وهو لا يمكن ان يكون لعمل تجاري , كما كان يدّعي أبو عصام نفسه .

وكنت دائماً اطلب منه ان يقطع علاقته بإبراهيم .

ولكن أبا عصام كان يقول : انه يعطيني بعض المعلومات بالإضافة إلى إنني أريد ان أغيّره .

ومع ذلك فقد كنت الحّ عليه بالمقاطعة .

وآخر مناقشة لي معه كانت في الشهر الثاني من عام ١٩٧١ وعندما وجدت إصراره على ما يريد , قلت له : ولكنني سوف لن احضر إلى محلك خشية من هذين الشخصين .

قال : افعل ما تشاء .

هذا ما كان من أمر هذين الرجلين .

وشيء آخر كنت الحّ عليه فيه ,هو انه كان يحمل معه دوماً دفتراً صغيراً . فيه أسماء الدعاة الذين يرتبطون به , ومواقيت لقائه بهم

كنت أقول له : انه لا ينبغي ان تحمل هذا الدفتر معك , وعندما يسألني عن السبب أقول له : افترض ان رجال الأمن اعتقلوك , فماذا تفعل ؟ وسوف يؤدي ذلك إلى اعتقال الكثيرين .

قال : إنهم إذا اعتقلوك , فإنهم سوف يعتقلونني , وهذا جواب ركيك جداً , فكيف عرف أنهم يعتقلونني قبله ؟

وبالفعل حصل ذلك , ففي عصر يوم ١٩٧١/٩/٢٨ جاءه عدد من الجلاوزة واعتقلوه من مكتبه في بغداد , ولم يعلم أي خبر له بعد ذلك مع شيوع قصة القضاء عليه بإلقائه في المواد الكيماوية (التيزاب) بعد حوالي ثلاثة اشهر من اعتقاله . بعدما يئسوا من الحصول على أية معلومات منه .

والذين رأوا أبا عصام في المعتقل ينقلون عنه الأعاجيب في تعذيبه وصموده.

وكان المرحوم يقول لهم : إنكم إنْ تقتلوني فإنما تقضون على بدني , ولكنكم لن تقضوا على روحي , لأنها روح الإسلام , وهي باقية,ودعاتنا سوف يلاحقونكم أينما كنتم ولن يقرّ لكم قرار.

حاولوا كثيراً ان يستحصلوا منه ولو كلمة واحدة , قال لهم , أنا الدعوة وأنا المسؤول الأول فيها , ولست أعطيكم اسماً واحداً , ولن

اكشف لكم عن أي سرّ فيها ولن يخيفني تعذيبكم , وسوف أتحمل ذلك في سبيل الله وسوف ألقاه وأنا راضٍ مطمئن .

انه بحق شهيد الدعوة الأول .

لقد نقل لي احد موظفي الأمن , وكان حاضراً عملية تصفيته قال : ان ناظم كَزار مدير الأمن العام ــ آنذاك ــ بعدما يئس من الحصول على أية معلومات تفيده حول حزب الدعوة , أمر بإلقائه في (التيزاب) فالقي فيه وتعالت ضحكات المجرم ناظم كَزار .

***

وكان للشهيد أبي عصام ولدان , عصام وعمار , وما أسرع ما اعتقلوهما , وبقيت عائلة الشهيد لم تستحصل شهادة بوفاة الأب والأولاد .

وتعرضت العائلة إلى مضايقات كثيرة بسبب عدم حصولهم على شهادة وفاة المرحوم أبي عصام .

فقد أرادت إحدى بناته ان تتزوج , وكان عمرها ١٦ عاماً وهو دون السن القانوني (١٨ عاماً) وحالة كهذه يشترط فيها موافقة الأب وهو غير موجود وليس له وكيل , كما ان عائلته لا تمتلك شهادة الوفاة

ومرة أخرى أرادت العائلة أن تعمّر جدار الدار المائل للإنهدام ولكن (البلدية) طلبت حضور صاحب الملك أو وكيله أو شهادة الوفاة وهكذا ... كانت هناك عدة أمور تقتضي شهادة الوفاة .

وفي عام ١٩٧٩ أعلن صدام عن فتح باب قصره الجمهوري وأعطى أرقام تلفوناته لمن كانت عنده مظلمة , فان (صدام) نفسه يقوم برفعها .

حينذاك جاءتني المرأة المجاهدة (أم عصام) , وسألتني : هل اذهب إلى صدام واطلب منه شهادة بوفاة زوجها؟

قلت لها : اذهبي

قالت : اكتب لي (عريضة) بذلك .

فكتبتها لها , وذهبت .

وبعد أسبوع جاءتني وسألتها ماذا عملت ؟

فنقلت لي هذا السيناريو :

ذهبت إلى قصر صدام : ولكن الجنود الواقفين في الباب الرئيسي منعوها من الدخول . ثم جاء صدام بسيارته , فتبعت سيارته راكضة .

وتبعها الجنود , ولكن (صدام) منعهم من ملاحقتها , فقد كانت تحمل معها (العريضة) لتشعر صدام بطلبها .

دخلت عليه , وأعطته (العريضة) .

قال لها : ومن قال لك ان زوجك معتقل ؟ لعله مسفر إلى إيران

قالت له :

ان زوجي عربي بدوي لا علاقة له بإيران .

ثم انه لو كان مسفراً أما كان له ان يتصل بنا برسالة أو تلفونياً منذ ثمان سنوات .

قال لها : حسناً , ثم أحال (عريضتها إلى وزارة الداخلية) فذهبت إلى الوزارة فأحالوها إلى مديرية الأمن العامة والمديرية العامة أحالتها إلى (إبراهيم شلال) الذي ذكرناه سابقاً وكان اليوم من الأسبوع يوم أربعاء .

قال لها إبراهيم : تعالي يوم السبت .

وجاء يوم السبت وذهبت إليه , وما ان وضعت رجلها على عتبة غرفته , إلاّ وتلقفها بالسباب المقذع الذي يندى له جبين الإنسانية وصرخ بوجهها : اخرجي

***

ومنذ بدأت الإرهاصات بان البعثيين يريدون التعرض لحزب الدعوة الإسلامية , كنت قد تحفظت على نفسي , واتخذت الحيطة والحذر.

وعندما اعتقل أبو عصام : كنت أول من علم بذلك , فرجعت إلى مكتبتي , وكنت احتفظ فيها بكثير من أدبيات حزب الدعوة وكثير من أسماء الدعاة . وعمدت إليها جميعاً , فأخفيت قسماً منها وأخرجت القسم الآخر , وأوصيت أهلي بوصاياي , وبخاصة ولدي الشهيد (رياض) .

فكان يسألني , لماذا هذا الاهتمام وهذه الوصايا ؟

قلت له : لا بأس عليك , على الإنسان ان يوصي دائماً , وفي الحديث لا يبيتنّ أحدكم إلاّ وله وصي .

وكان حدسي مصيباً , فبعد اعتقال أبي عصام بثمانية وعشرين يوماً , أي في ٢٦ /١٠ /١٩٧١ الموافق ليوم الثلاثاء ٦ شهر رمضان المبارك ١٣٩١ وفي الساعة الثانية بعد الظهر , تم اعتقالي من قبل أربعة أشخاص .

وأنا في السيارة معهم , صممت أمراً , هو إنني لن اعترف لهم بشيء مهما بلغ الأمر من التعذيب : حتى إ ذا تعرّضت للموت , وكنت اعتقد أنهم سوف يقضون على حياتي حتماً .

وذهبوا بي إلى قصر النهاية .

وهناك تعرضت لتعذيب لا يصدقه إلا العراقي الذي اكتوى بنار البعث , وعندما هاجرت من العراق عام ١٩٨٠ , الفت كتاباً بما جرى معي ومع غيري مما شاهدته في قصر النهاية وسمّيت الكتاب (صفحات سوداء من بعث العراق) ولكنني نسبته إلى (عبد الحميد العباسي) خوفاً على أهلي الذين كانوا لا يزالون في العراق , خشيةً عليهم من البطش والتنكيل والملاحقات .

وسوف أذكر بعضاً من التعذيب الذي تعرضت له , في موقع أخر من الكتاب .

وقلت وأنا أعاني من التعذيب أبياتاً من الشعر, التي هي ليست شعراً بالمعنى الدقيق من حيث الوزن ولكنها آهات سجين معذب

لا يدري ماذا يصنع وأين ينتهي به المطاف :

الــــهـــي هـــل تـــرى أني أعود فيُجمع شمــلنا ويكــون عــيد
واسمع صوت أطــفالي صغاراً ويملأ قلبـــي الطــفل الولــيـد
وأمـــهمُ ومـــا أهوى ســـواها فاني فـــي الهـــوى لا استزيــد
وأمي لهـــف نفسي هـــل أراها فذاك ـــ وحـــقك الأمل الوحيد
فانــــي يا الـــهـــي في ظـــلام يعـــذبـــني المـــخنّث والبـــليد
فشدّ للـــيدين إلى الــــــوراء بحـــبل إنـــه حبـــــل حـــديـــد
وضـــــرب بالحـــديد بلا اهتمام ايُكـــسَرُ مـــرفقٌ ويـــدقّ جـــيد
فانــــي في ســــبـــيلك لا أبالي وليس يخيفـــني الصلف العـــنيد

وتلطف الله عليّ , فتم الإفراج عني ولم أعترف لهم بشيء .

***

وهذه وثيقة تشهد بذلك .

جاء في الصفحة ٢١ من كتاب

حزب الدعوة الإسلامية

الواقع والحقيقة

بين الماضي والحاضر

إعداد فريق عمل

الذي أصدرته مديرية الأمن العامة

عندما يتكلم عن الضربات التي وجهها النظام إلى حزب الدعوة الإسلامية :

١- <u>الضربات التي وجهت للحزب .</u>

فكان لا بد من أن تتخذ الأجهزة الأمنية إجراءات تعرضية تتمكن من خلالها إيقاف هذا المد المدمر للوطن والمجتمع , وقد اعتمدت هذه الأجهزة أساليب تتناسب وطبيعة نشاط عناصر هذا الحزب وخطورته , كما اتصفت هذه الإجراءات بالدقة من خلال المتابعة المستمرة لنشاطات وتحركات عناصر هذا الحزب وخاصة البارزة منها , وكان من ابرز نتائج الإجراءات هي تحجيم نشاطات هذا الحزب إلى أقصى حد , ويمكن استعراض الضربات التي وجهت إلى تنظيمات حزب الدعوة منذ عام ١٩٧١ ولحد الآن هي :

الضربة الأولى :

١- القبض على عبد الصاحب دخيل مؤسس الحزب والرجل الثاني فيه وذلك بتاريخ ١٩٧١/٩/٢٨ للإعترافات التي أثبتت إدانته ولقي جزاءه العادل .

٢- **القبض على المحامي حسن شبر يوم ١٩٧١/١٠/٢١** [١] **أحد كوادر حزب الدعوة وتم التحقيق معه في حينها ولم يعترف ثم أطلق سراحه بتاريخ ١٩٧٢/١/٣٠ .**

ثم يعود التقرير فيذكر الأشخاص البارزين في الدعوة في الصفحة ٣٠ منه

هـ . حسن إبراهيم محمد شبر / يلقب أبو رياض .

ولد في النجف ١٩٣٤ . درس القانون وأصبح محامي معروف ودرس في الحوزة العلمية في النجف . يعتبر من العناصر البارزة في حزب الدعوة منذ البدايات الأولى وقد لعب دور كبير في إدارة اللجان التي كانت تحت مسؤوليته . أعتقل من قبل الأجهزة الأمنية مرتين **وأطلق سراحه لعدم ثبوت أدلة ضده في ذلك الوقت .** هرب عام ١٩٨٠ إلى سوريا ومن ثم إلى إيران بعد إعدام أبنه رياض لإنتمائه إلى حزب الدعوة لديه مؤلفات ونشريات عديدة فكرية سياسية .

١- الصحيح هو ١٩٧١/١٠/٢٦

وأسرعت في اليوم الثاني من إطلاق سراحي إلى زميلنا في العمل (محمد هادي السبيتي) وشرحت له كل المجريات , وإنهم كانوا يقولون لي إننا جئنا لنقضي على حزب الدعوة .

واعدت على السبيتي مقالتي التي ألقيتها إليه عام ١٩٦٩ وضرورة الإعلان عن تجميد حزب الدعوة لستة اشهر لنحفظ وجودنا وكياننا , ولكنه كان لا يوافق على ذلك .

***

من آثار الهجمة الشرسة على الدعاة

إيجابيات وسلبيات

لقد توفي المرجع السيد محسن الحكيم الذي كان طوداً شامخاً للتحرك الإسلامي , نلوذ به عندما يحمي الوطيس .

وأخذ اسم السيد محمد باقر الصدر يتردد على ألسنة المؤمنين بصورة عامة والدعاة منهم بصورة خاصة فهو الرجل الأبرز الذي يعي الظروف الحاضرة والمستقبلة وخطط البعث التي لا تريد إلا الشر للعباد .

وأصبح حزب البعث وجهاً لوجه أمام السيد الصدر وحزب الدعوة الإسلامية , وبدأ الناس لا يتفاجأون عندما يسمعون أنّ تلك الاعتقالات طالت الدعاة المؤمنين في الحوزة العلمية وفي الدائرة والمجتمع .

وكان سجن قصر النهاية لا يذكر إلا مع الإرهاب الأسطوري ويندر أن يدخله أحد ثم يطلق سراحه.

وإذا كان سجن قصر النهاية هكذا فإن مديريات الأمن في طول البلاد وعرضها كانت كذلك .

وكانت للهجمة الشرسة تلك التي خطط لها الاستعمار ونفذها عملاؤه في العراق على العمل الإسلامي , أثار ايجابية وأخرى سلبية .

وتلك هي سنّة الله في خلقه , فالأنبياء كلهم تعرضوا للاستهزاء والسخرية , وربما القتل والملاحقات .

وكان ذلك يثير فيهم العزم والقوة والاطمئنان في الاستمرار بالرسالة التي كُلّفوا بها , وكان لابد أن يؤدوها مهما وجدوا من معوقات.

ودعاتنا الميامين الذين قدّر لهم أن يعيشوا هذه الفترة من الزمن,زمن البعثيين منذ جاؤوا عام ١٩٦٨ والتي تميزت بوحشية متناهية , لم يحدثنا التاريخ بمثيل لها .

إنّ الهجمة الشرسة تلك أكسبت الدعاة بعض الايجابيات , وان كانت لا تخلومن سلبيات .

فأما الايجابيات :

١- فقد أكسبت الدعاة الشجاعة والإقدام وحب العمل في ذات الله والإصرار على المقاومة .

٢- انتشار اسم الدعوة بين الناس في العراق , بحيث إنّ العمل الحزبي في العراق كان يتقاسمه (حزب البعث) وهو الحزب الحاكم . و(حزب الدعوة الإسلامية) وهو الحزب المعارض . وان كنا لا نستبعد أنّ النظام كان يتهم كل معارض له بأنه من حزب الدعوة .

٣- انتشار اسم الدعوة الإسلامية بين العاملين في سبيل الله وبين المتدينين وبعض العاملين في الحقل السياسي خارج العراق.

٤- زيادة مشاعر العطف على العاملين في سبيل الله .

٥- كسر حدة المشاعر المضادة للدعوة الإسلامية عند بعض المتدينين الذين لا يستسيغون العمل المنظم .

٦- زيادة تأثير الفكر الإسلامي على مجموعة من الناس .

٧- ظهور فوج جديد , بل أفواج جديدة من العاملين في سبيل الله في العالم الإسلامي يشدّ أزر العاملين الآخرين ويوسّع الآمال في عودة الإسلام .

٨- القسوة المبكرة التي مارسها العملاء بحق الدعوة الإسلامية أضافت للعمل الإسلامي تجربة كبيرة يستفيد منها في مسيرته الظافرة بعون الله .

***

أما الآثار السلبية , فكان من أهمها :

١- الخلل في الانضباط الحزبي , ومن مظاهره :ـــ

أ ـــ محاولـــة بعــض الـــدعاة العمـــل باســـتقلالية , منفـــصلاً عن تعاليم الدعوة .

ب ـــ كما حدث أن بعض الدعاة أسسّ خطاً جديداً بقيادتـــه ثـــم اضطر إلى الهجرة , وترك خطه من غير اتصال بالدعوة .

٢- التساقط

فقد تساقط بعض الدعاة أثناء التعـــذيب الفـــضيع الـــذي لا يتحمله إلا الأبرار وأصحاب الهمم العالية.

***

وكل المعتقلين والدعاة خاصة كانوا يتعرضـــون لأنـــواع مـــن التعذيب ما لا يخطر بالحسبان .

فإذا صمد المعّذب (بفتح الذال) ولم يعترف , اســـتعملوا معـــه أساليب خسيسة جداً , كانوا يهددونه بالاعتداء الجنسي عليـــه أو علـــى عائلته , أو يقتلون أطفاله أمامه .

فكان اغلب الدعاة يصمدون على تلك الأهوال , وكانوا يضربون الأمثال في الصبر والشجاعة .

وهم في نفس الوقت كانوا في صمودهم ذلـــك يثيـــرون حنـــق المعذبين (بكسر الذال) فيفقدون توازنهم ويبدأون بالصياح والعربـــدة

أو يطلبون من المعذب (بالفتح) بخضوع ويتلطفون معه , وربما يقبّلون يديه ليحصلوا منه على اعتراف يقدمونه إلى مسؤوليهم , وكأنهم بذلك يريدون وسام تقدير منهم .

في حين كانت بعض الاعترافات ذكية , بدرجة إنها كانت مشوشة ومتناقضة , لا يستفيد منها الجلاوزة .

وكان قسم من الاعترافات على أناس هم شهداء في الأساس , أو أنهم كانوا قد هاجروا من العراق .

إنّ اعتراف الداعية في نظر الدعوة يعتبر معصية كبيرة توجب فسق الداعية حتى يتوب , لأن من أحكام الإسلام حرمة إلحاق الضرر بالغير حتى لو كان ذلك سبباً لدفع الضرر عن النفس .

وعلى كل حال فان ايجابيات الهجمة الشرسة التي تعرض لها الدعاة الميامين كانت اكبر بكثير من السلبيات التي خلّفتها .

***

حزب الدعوة يبعث في دعاته
القوة على تحمل المكاره

إنّ نظام القمع والتجسس في بلاد المسلمين لا يقف عائقاً أمـــام العمل الإسلامي , وان التهيّب من نظام القمع اشد خطراً من النظام نفسه , وعلى الدعاة أن لا تسري عليهم موجة الخوف التي تسري على الناس من جرّاء القمع والتجسس , وعليهم أن يميّزوا بين الحقـــائق والأوهـــام وبين الأعمال والإشاعات بنظرة شاملة وبالاستعاذة بالله رب العـــالمين من تثبيط الشيطان والنفس , وعليهم أن يعلموا أن ليس بإمكـــان نظـــام القمع والتجسس أن يطلع على التحركات إذا كانت مدروسة ومخططـــة وواعية .

إنّ قدرة أنظمة التجسس تبقى محدودة وان الله الآخـــذ بناصـــية الكفار وعملائهم وأجهزتهم يحفظ من يعمل في سبيله .

((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً))

((فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون))

***

وبعد تعرض الدعاة لحملا ت الاعتقال والتعذيب , أصدر حزب الدعوة الإسلامية في عام ١٩٧٣ , منشوراً للدعاة الذين كـــانوا كلهـــم

يتوقعون الاعتقال والتعذيب , يبعث فيهم قوة التحمّل والصبر على المكاره .

وفي المنشور تعليمات في طريقة التعامل مع الظالمين ومع التعذيب , وهو مطوّل , سوف نقتبس منه بعض الفقرات , إذ يقول :

أيها الإخوة :

لقد ترك لنا إخوتنا الذين سبقونا بالإيمان من المسلمين الأوائل تجربة رائدة في الصمود وفي مواجهة المصاعب والعقبات , وفي كيفية تذليلها .

أشرف على تلك التجربة الرسول القائد محمد (ص) مع ملاحظة نقاط الاختلاف في طبيعة المواجهة مع العدو الكافر بين الأمس واليوم والتجربة طبيعية في حياتنا العملية لننضج من خلالها .

ولما كان وجود العقبات طبيعياً على درب العمل , كان المرور بها والابتلاء بها طبيعياً أيضا .

والشيء المهم هو قدرة العاملين على اتخاذ الموقف العملي الصحيح تجاه كل عقبة وفي كل محنة .

ونحن اليوم نقف وجهاً لوجه أمام محنٍ وعقبات شتّى , منها عمليات الاعتقال وما يصاحبها من تعذيب وإرهاب وتقتيل بدرجات مختلفة .

والاعتقال عقبة من طبيعة العمل وطبيعة المجتمع وقواه الظالمة وطبيعة المنطقة بشكل عام , فعلينا إذن مواجهة ذلك .

وقبل الدخول في كشف معالم هذه العقبة نثبت ما يلي :

١-ليست هناك خطوط تفصيلية ثابتة لكل حالة , بل هناك خطوط عامة , فعلى من يُبتلى بالشيء الخاص الاستفادة من الخطوط العامة واستغلال قدرته على تجنّب مخاطر الحالة الخاصة .

٢-يمكن أن تحدد صور الموضوع عن طريقين

أ ــ الخبرة العملية المباشرة , وذلك بالتعرض للاعتقال ومعايشة أحداثه .

ب ــ مراقبة الحركات الأخرى من إسلامية وكافرة وماهية المحن التي تمر بها(وخاصة الاعتقالات) والاستفادة من خبراتها في هذا المجال مع دراسة التوقعات المحتملة لبعض الحالات .

إنّ مطالب الموضوع يمكن تبويبها إلى النقاط التالية :

أولاً :أسباب الاعتقالات والهدف منها :

١-الحصول على المعلومات : وهو أهم الأمور التي تدفع الأعداء إلى الاعتقال , لتفكيك الحركة وتشتيتها , لأن العدو يحسّ بوجود قوة إسلامية معادية له , فعليه أن يعرف كل شيء عنها لكي يستطيع أن يخطط لها تخطيطاً يضمن له القضاء عليها .

٢-تحطيم معنوية العامل : فالإنسان العامل يستطيع مقاومة الكفر ويصّعد من عمله وجهاده بمقدار ما يملك من معنوية

عالية يستمدها من ثقته بالله سبحانه وتعالى , وقد يؤدي تحطيم المعنوية إلى الاعتراف والإدلاء بالمعلومات التي يملكها .

٣- إضعاف الأمل بالنصر : فهم يحاولون ـ خاصة إذا لم يحصلوا على ما يريدون من معلومات ـ أن يستعرضوا عضلاتهم أمامه ويثبّطوا عزمه بالكلام الكثير , ومحاولة إشعار العامل بأنه وجماعته قوم ضعفاء لا يستطيعون الوقوف أمام هذه القوة الكبيرة التي تستطيع أن تقضي عليهم وهم يرومون من وراء كل ذلك بث روح اليأس في نفس العامل وإضعاف أمله بالنصر .

٤- تحطيم معنوية الأمة , التي وضعت ثقتها بالعاملين , وسوف تتحول إلى امة متخاذلة جبانة عند انهيار عاملٍ ما في الاعتقال , بل ان مجرد الاعتقال أحياناً قد يؤدي ببعض النفوس الضعيفة المترددة من الأمة إلى الركون والراحة والهدوء لئلا تلاقي نفس المصير.

٥- محاولة الإسقاط , عندما يتأثر العامل سلبياً بجّو الاعتقال ويحسّ بالوحدة والضعف وتنطلي عليه أقوال الأعداء , يحسّ بعدم جدوى العمل الإسلامي في مقابل هذه القوة الكبيرة من الأعداء , إذ يتصور أن العمل في مثل هذه الظروف لا يؤدي إلى غير التعذيب والتشريد , وبذلك يتحول العامل

المجاهد إلى إنسان خامل يخاف العمل ويتهرب من المسؤولية مما يؤدي إلى سقوطه من مسيرة العمل المباركة وهي أهم الأهداف التي يبتغيها الكفر من وراء الاعتقال .

ولتحقيق هذه الأهداف وغيرها يستعمل الكفر أساليب متعددة قد تتنوع وتختلف من عامل لآخر حسب نظرتهم عنه وتقييمهم له , ولكنها تكاد تتفق جميعاً على الأساليب التالية :

١- الإرهاب :وهو اشد أساليب الإيذاء وأكثرها استعمالاً والمقصود بكلمة الإرهاب هو الحرب النفسية ومحاولة تحطيم أعصاب العامل وبثّ جوّ من الخوف والرعب حوله.

وقد يستعملون للتخويف كلمات أثاروا حولها جواً من الإرهاب (مسبقاً) مثل (إننا سنشدّك بالمروحة , نقلع أظافرك , نشغّل الكاوية ...الخ).وغيرها من الكلمات التي تثير الخوف في نفس الإنسان العامل أكثر من التعذيب نفسه.

وهناك طريقة أخرى , هي إسماع المعتقل تسجيلات الصراخ والبكاء والاستغاثة , وكلها وهمية وكاذبة , الغرض منها ترسيخ قسوة التعذيب وشدته في نفس الإنسان العامل .

وهناك طريقة أخرى أيضا , تستعمل في الإرهاب والمضايقة مثل إسماع أصوات حيوانات وحشية (مسجلة على شريط) بعد منتصف الليل وأثناء النوم ليستيقظ مرعوباً .... الخ .

٢- التعذيب الجسدي , وقد تتنوع أساليب وأنواع هذا التعــذيب واشهرها الضرب واللكم وصب الماء الحــار , وإعطــاء حبوب منبهة تمنع من النوم . وقد يتنوع الضرب وتختلــف الأماكن التي يضرب عليها والآلة التي تستعمل في ذلك ,وقد يتعدّى التعذيب إلى ماهو أشد فأشد , أو تتنــوع الأســاليب وتختلف الأدوات حسبما يوحي إليه الشيطان .

كل ذلك لتحقيق انهيار العامل ليدلي بما عنده من معلومات .

٣- محاولة التشكيك بالكيان وبالعــاملين والــواعين والعلمــاء ويكون التشكيك عادة في شخصياتهم وسلوكهم , ومحاولــة إيجاد منافذ ومثالب للطعن في شخصياتهم , ومحاولة إيهــام العامل بأنها شخصيات مائعة تحاول الصعود على أكتــاف العامل والعاملين الآخرين , وإنها ــ أي تلك الشخصيات ــ تعيش في راحة ونعيم وهو ــ أي العامل ــ يقاســي مــن الحالة التي يعيشها والآلام التي يعاني منها .

٤- إيهام المعتقل بأنهم يعرفون كل شيء عنه وعن العمل وذلك بإعطائه بعض المعلومات البــسيطة الواضــحة أو بعــض الاحتمالات عن العمل التي لا يعرفها حتى هــو ــ لوجــود السرية طبعاً ــ والتأكيد على أنهم كشفوها وقد انتهى كــل شيء , وعليه أن يعترف ويدلي بما عنده مــن معلومــات ليكون بعد قليل بين أهله ويتخلص مما هو فيه .

وقد يخرجون له ملفاً ضخماً كتب عليه مثلاً (سرّي للغاية) ويظهرون له أوراقاً كثيرة يدّعون إنها مملوءة معلومات عنه وعن تحركاته ونشاطه , وهي في الأساس كاذبة ووهمية .

٥- الكذب عليه بأن جميع معارفه من المعتقلين قد اعترفوا وقد اعترفوا عليه أيضا , فعليه أن يدلي بما عنده . وهي محاولة ساذجة لبثّ اليأس في قلبه .

٦- التلوّن في أسلوب التحقيق , فيبدأون معه باللين وبالكلام المتزلّف , بأنه إنسان له مستقبله , وعليه أن لا يتدخل في مثل هذه الأمور , لأنها تحطم مستقبله وتدمّره وكذلك مستقبل عائلته .

والآن عليه أن يتكلم كلمتين أو ثلاث ليردّ على أسئلتهم لكي يخرج وهم يضمنون له راحته ... فإذا لم يفد فيه اللين هدّدوه باستعمال القسوة الشديدة في التعذيب , ثم يبدأون معه بذلك إن لم يستجب لهم .

وبعد كل فصل من التعذيب يحاولون أن يحققوا معه ليروا هل بقي على صموده أم لا ؟

٧- الوحدة وعزل المعتقل في زنزانة انفرادية , الغرض من ذلك جعله يعيش جواً من الوحشة , ليستسلم للتفكير ويتأمل بالكلمات التي قيلت له وهدّدوه بها ويتصور بشاعة التعذيب.

٨- التضييق عليه في الأكل والشرب والتخلّي .

٩- جلب الأهل والأقارب أمام المعتقل ليتذكرّهم ويرى أمامه بكاءهم وقد يطلبون من الأم والأب أن يتوسلوا إليه ليعترف ويتخلص الجميع من هذا البلاء , وقد يُضرب والده أمامه ويهددونه بالاستمرار في الضرب إذا لم يعترف .

***

وهنالك نقاط أساسية يجب أن تبقى في أذهاننا لتكون لنا عوناً في سلوكنا في هذا المجال :

١-بالنسبة للتعذيب ليعلم المعتقل إن هذا التعذيب طبّق على آخرين وصمدوا ولم يعترفوا , فما الفرق بينه وبينهم .

ألم يصمد كثير من أبطال المسلمين قبله كبلال الحبشي وعمار ابن ياسر وأمه وأبيه وميثم التمار الذي قطعت يداه ورجلاه ولسانه وحجر بن عدي وأصحابه وكثير من أبطال الحركة الإسلامية على مرّ العصور ؟

وشيء آخر يجب الالتفات إليه هو أن يستشعر المعتقل أن هذا العذاب هو الطريق للحصول على نعيم دائم وراحة عظمى في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر (وما يُلقاها إلا الذين صبروا) ويقارن بين النار التي يكوى بها الآن وبين التي سوف يردها إن هو أدلى بما عنده من معلومات .

٢-يستطيع المعتقل في الزنزانة الانفرادية أن يتغلب على الوحدة بقراءة القرآن والأدعية التي يحفظها (يا أيها الذين امنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) .

فان قراءة القرآن تعطيه القابلية على الثبات والصمود والاستمرار في طريق النصر مع الاستخفاف بكل ما يلاقي من تعذيب وآلام , لأنه سيبتعد عن أجواء المادة وتزول الغشاوة عن عينيه وقلبه , ويتوضح لديه رضوان الله سبحانه وتعالى إضافة إلى ذلك فان العيش في جوّ القرآن وفي كنفه يبعده عن آلامه وينسيه جروحه ويستشعر الله يفاخر الملائكة (إذ يوحي ربك إلى الملائكة إني معكم فثبّتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) .والنبي العظيم (ص) يقف موقف التشجيع والتأييد له , وهو يدعو له بالتأييد والتسديد والثبات (اللهم إنْ تهلك هذه العصابة لا تعبد)

ثم انه فليتصوّر , موقفه غداً , يشكو أعداء الله إلى الله , حيث يستقبله الملائكة (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) .

أما أعداؤه فسوف يُسحبون في النار على وجوههم (ذوقوا مسّ سقر) من العذاب الذي عذبتموه المؤمنين .

هذا بالنسبة لقراءة القرآن , أما الصلاة فواضح أهميتها ـ والمقصود المستحبة طبعاًـ فهي معراج المؤمن وقرّة عينه واكثر الصلاة تاثيراً هي صلاة الليل , فالروحية التي يتزود بها

المعتقل تكون خير معين له على مواصلة الجهاد (يا أيها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة) .

٣ – قد يتصور المعتقل أنّ الأعداء لديهم الكثير من المعلومات عن العمل بصورة عامة , وعن تحركاته ونشاطاته بصورة خاصة .

ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً , فمعلوماتهم مهما بلغت من قوة لا تستطيع أن تحيط علماً إلاّ بالقضايا البسيطة والواضحة جداً , خاصة إذا كان المعتقل ذكياً حكيماً في تصرفاته ونشاطاته .

وهناك بعض القضايا التي يتصورها واضحة لديهم , فقد برزت حالات كثيرة تؤكد العكس , فعليه أن يخفي عنهم كل شيء,وحتى لو حصلوا على معلومات معينة فانه يستطيع تشكيكهم بها وان يشدّد الإنكار عليها , ويجب أن يعلم المعتقل أن القليل من المعلومات قد تكون حلقة وصل بين مجموعة كبيرة من المعلومات المبعثرة عندهم , مما يؤدي إلى إفادتهم بدرجة كبيرة .

٤- على المعتقل أن يكون قليل الكلام جداً ومختصراً قدر الإمكان في إجاباته أثناء التحقيق , لان الإطالة في الكلام والتفصيل فيه , قد يؤدي إلى خطأ أو اشتباه بسيط من قبله

ويؤدي بالتالي إلى فتح باب جديد من التحقيق والأسئلة المحرجة التي يجابه بها .

٥- بالنسبة للتشكيك ببعض الشخصيات الإسلامية الواعية والعاملة , فليس جديداً على العاملين , فهو أمر مستمر منذ إن بدأ الخط الإلهي على الأرض حتى يومنا هذا , وهدفه واضح وهو زعزعة الثقة بكل العاملين , والله سبحانه وتعالى يحذ ّرنا من التصديق بهم فيقول (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .

والحرب الدفاعية إحدى الحروب المهمة التي يعتمد عليها الكافر في محاولة تشويه الشخصية الإسلامية والتشكيك بها.

***

طرق الوقاية

وقد أُرفق الموضوع السابق بملحق يتعلق بطرق الوقاية التي يجب أن يتبعها الإنسان العامل لئلا يقع فريسة بأيدي المجرمين , حيث يقول :

إن الوقاية من أمراض العمل خير من علاجها , فنؤكد هذا المفهوم في هذا الموضوع ونوصي بما يلي :

١- التفكير المسبق وعدم الارتجال في مسائل العمل .

وذلك بوضع الأمور في مواضعها التي تستحق , وان يحسب لكل صغيرة أو كبيرة حسابها من قبيل : كيفية ارتباط العاملين , ومسألة تنظيم الحلقات ومواعيد وأماكن اللقاء ... وغير ذلك .

فالتخطيط السليم لمسائل العمل يوفر للعاملين كثيراً من الجهد والوقت ويجنّبها كثيراً من المشاكل التي قد تعترض السير .

يضاف إلى ذلك إمكانية استثمار الخبرة السابقة بالتعرف على الجوانب الايجابية والسلبية في تلك المسائل والاستفادة من عوامل النجاح بتصعيد مداها , والتخلص من عوامل الفشل , ومحاولة تلافي الأخطاء وتداركها في المستقبل .

٢- الاتزّان وتجنب الفوضى في العمل :

إن نظرة فاحصة إلى جهود العاملين في دنيا الحركات الاجتماعية التغييرية الناجحة التي ترينا أن الهدوء وعدم

الفوضى يمثل جانباً مهماً يُعدّ في الصدارة من مقومات العمل ونجاحه , إذ يقي العاملين من ملاحقة الأجهزة الحاكمة نتيجة لعدم تحدّيهم إياها بشكل سافر , وتفويت الفرصة عليهم بإمرار العمل خلسة دون إحداث ضجة .

٣- المراقبة :

ونعني بها المراقبة الذاتية من قبل العامل نفسه في مجال تحركه وتصفية حسابه بما قدّمه سابقاً , وما ينوي أن يقدمه لاحقاً , وقطع العهد لله بالسير في طريقه على طول الخط وكذلك مراقبة العاملين والعمل , والإخبار عن مواطن الزلل والهفوة غير المقصودة عند العاملين الآخرين , وتسجيل كل حالة عليها علامة استفهام .

وأخيرا الربط بين الأحداث الماضية والحاضرة , الصغيرة منها والكبيرة , وإلفات النظر إلى التوقعات الممكنة الحدوث في المستقبل .

٤- الاستعداد النفسي :

ونقصد به تهيئة الجو النفسي أمام العاملين لتقبّل الحدث المقبل واخذ الاحتياطيات اللازمة له .

وعلى العامل أن يتوقع التعذيب الجسدي والنفسي ,لأن أعداء الإسلام يتحينون الفرص للوثوب على أبنائه المخلصين وبخاصة الطليعة المؤمنة منهم , فعلينا الاّ نستبعد

عن أذهاننا أمر التعذيب وزجّنا في مواقف الابتلاء إن عاجلاً أو آجلاً .

وتهون أمام العاملين الميامين هذه المواقف المؤلمة عندما تجري مسائل العمل والحركة لوجه الله تعالى في أرواحهم الطاهرة , والتوكل على الله سبحانه وتعالى يتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع الاحتياطات الوقائية .

وسرّ هذا الارتباط يكمن في أن التوكل يكون من ناحية,هو التخطيط لقوله (ص) " اعقل وتوكل " وهو من ناحية أخرى يرتبط ارتباطاً وشيجاً بالاستعداد النفسي , حيث يكسب النفس استعداداً روحياً , ويقرر ضمان الوعد الإلهي , إشارة لقوله سبحانه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

والموضوع طويل كما أسلفنا , فهو يدعو مسبقاً إلى أن يفكر الداعية ويتصور احتمالات الاتهام :

فقد يكون نشاطه قد انكشف من قبل وكلاء الأمن

أو حالة شخص أدلى بمعلومات عن علاقته ونشاطه

أو حالة كبسه ومداهمته في اجتماع عام

ولكل حالة وقاية وعلاج .

وهناك أمور أخرى بهذا الصدد , تدخل كلها في موضوع العلاج والوقاية والوقوع في أيدي الظالمين .

***

الإمــام الخــميني يــهزّ الحــوزة لتعود إلى وعيها وصمودها

وعمّت الحوزة حالة من الهلع والفزع بعد الإساءة التي وجهتها حكومة البعث إلى المرجع السيد محسن الحكيم .

فالسيد الحكيم كان سنداً يلوذ به الناس إذا حميَ الوطيس , إلاّ أنّ البعثيين لم يحترموه ولم يولوه اهتماماً , وكشّروا عن أنيابهم وأبدوا كل نواياهم .

عداء للإسلام ولعلماء المسلمين وللحوزة في النجف التي بقيــت محترمة منذ العهد العباسي , وبالذات في منتــصف القــرن الخــامس الهجري والى الآن . ولكن حكام العراق البعثيين تَحدوهم طائفية مقيتــة وعداء استراتيجي للدين أجاد الاستعمار عندما اختارهم لهذه المهمة .

فالمهمة هذه تحتاج إلى مجموعة لا يؤمنون بالــدين ولا بـــالقيم الإنسانية , وهم بالإضافة إلى ذلك قوم لا يخجلون ولا يقيمــون وزنـــاً للمقاييس والأعراف ولا يحترمون العلم والعلماء .

أمينهم العام ميشيل عفلق كان نصرانياً من أم يهوديــة فأصــبح ملحداً ثم أصبح صدام حسين امينهم العام الذي يجهل الكثيرون معرفــة أبيه .

هذا الهلع والفزع أوجد في الحوزة انكماشاً , فالشخص الذي كانوا يلوذون به أصبح حزب البعث لا يأبه به .

وهنا انبرى الإمام الخميني ــ رحمه الله ــ وحاول أن يبدّد هذا الخوف ويبعث فيهم أمل الحياة .

فالدروس (الخارجية) وهي أعلى درجات المحاضرات التي يُلقيها المجتهد على تلامذته , كان المجتهدون قد درجوا على ان تكون ضمن المألوف من الدروس (عبادات ومعاملات) وضوء وصلاة وصوم وبيع وشراء وما إلى ذلك .

ولكن السيد الخميني ابتكر درساً جديداً لم يطرقه احد من قبله من العلماء . فقد بدأ يدرّس (أدلّة ولاية الفقيه) وهو موضوع سياسي يدخل في صلب حاكمية الإسلام .

كيف يحكم الإسلام ؟ وبأية طريقة ؟

هنالك عدة نظريات , منها ولاية الفقيه التي كان السيد الخميني يؤمن بها شخصياً , وطبّقها بعد ذلك عندما نجحت ثورته في إيران .

والموضوع بحد ذاته يوقد في النفوس فكرة الحكم والسياسة .

وتدريس هذه المادة أحدث في طلاب الحوزة هزة قوية فالشريعة الإسلامية إنما هي للعمل والتطبيق , وليست فقط عبادة بين الإنسان وربه , ووجدوا أنفسهم أنهم كانوا في غفلة فأيقظهم الإمام الخميني .

إنّ هذه المادة (مادة ولاية الفقيه) كانت التفاتة جيدة من الإمام الخميني وتذكي في النفوس الثقة والاطمئنان .

إنّ موضوع (ولاية الفقيه) احد أسس تشكيل الحكومة الإسلامية وهو يستبطن الجهاد ومقارعة الظلم ومعارضة الأنظمة الفاسدة .

وركز الإمام الخميني ــ رحمه الله ــ على ان الدين في الإسلام هو السياسة وان السياسة هي الدين , فالسياسة شأن من شؤون الإسلام كما هو الصوم والصلاة والحج , بل ان السياسة والحكم وإقامة الدولة الإسلامية أساس يتقدم على غيره من الأحكام الإسلامية .

فالقرآن الكريم يقول (الذين ان مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة) فالحكومة الإسلامية إذن لإقامة الصلاة وللتمكين من إجراء الأحكام الشرعية .

بدأ السيد الخميني بتدريس هذه المادة , فكان لدرسه دويّ وحضور كبير , واستثمر حزب الدعوة الإسلامية ذلك , فدخل عدد من منتسبيه إلى حلقة الدرس تلك .

كان منهم الشيخ مهدي الآصفي الذي كان بالإضافة إلى ذلك يشرف على مراجعة الترجمة العربية لمحاضرات السيد الخميني .

وأرسل السيد الشهيد الصدر أفضل تلامذته كالسيد (محمود الهاشمي) والسيد (محمد الصدر) لحضور درس الإمام الخميني , بل انه أوصى بتوزيع ونشر الكراسات للدروس التي يلقيها الإمام الخميني في ولاية الفقيه .

وهي مبادرة مهمة , كان الشهيد الصدر يسعى من اجلها ليجعل هذه المادة الدراسية (ولاية الفقيه) أكثر انتشاراً في الأمة وليس بين طلاب الحوزة في النجف فقط .

فالأمة , بكل طبقاتها , بحاجة دائماً إلى من يبعث فيها الوعي والنشاط ورفع كابوس الخوف الذي تفرضه السلطة عليها .

فكان حديث ولاية الفقيه حديثاً عاماً بين الدعاة والواعين من الأمة , فالأمة التي اعتادت قبل مجيء البعث على التحدث عن الإسلام وحاكمية الإسلام ومن ثم جاء البعث ليعمل جاهداً على استئصال هذه الفكرة من أذهانهم بالخوف والرعب والقتل والحبس والتشريد والتسفير انبرى الإمام الخميني ــ رحمه الله ــ فأحدث فيها هزّة وضعها في مستوى التفكير الذي يجب ان يكون عليه الإنسان المسلم .

وفي خضم تلك الأجواء الصعبة والمضطربة التي كانت تواجه المؤسسة الدينية , بدأ السيد الصدر بإلقاء المحاضرات عن دور أئمة أهل البيت عليهم السلام وتعاملهم مع الأنظمة الجائرة .

بيّن أن الأئمة كلهم كانت لديهم خطة سياسية موحدة , هي تهيئة الأرضية لإقامة حكم عادل , وبذلك يستطيعون ان يحفظوا الإسلام ويصونوا نقاءه .

وخلاصة ما كان يريده السيد الصدر هو تذكير طلاب الحوزة بأن الإنسان يجب عليه أن يعي ويتفهم الظروف التاريخية التي يعيشها ويتصرف طبقاً لها .

إذ توجد طرق عديدة يستطيع المرء فيها ان يحقق هدفه , وقد لا يكون الاصطدام المباشر والمفتوح مع الحكام ـ دائماً بالضرورة ـ لمصلحة الإسلام وقد تكون الأساليب السلمية في مقاومة القهر والاستبداد من أحسن الخيارات السياسية , حيث يتوقع منها إلاّ تؤدي إلى تهديد مباشر للحركة الإسلامية وقاعدتها .

ان الله سبحانه وتعالى صمّم الرسالات السماوية للأنبياء حسب ظروفهم التاريخية , وقد صدرت هذه المحاضرات في كتاب واحد (أهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف) .

كما ألقى السيد الصدر محاضرات أخرى لمعالجة حالة الحرمان (الكبت) السياسي , كان السيد الصدر يركز فيها على قوة إرادة الإنسان المؤمن كأداة وحيدة لاستمرارية الرسالة المحمدية وبناء الإسلام, ونبّه على عدم الانكسار والخنوع بوجه المآسي العنيفة , حيث ان الصعاب المختلفة هي محصلة طبيعية للصراع التاريخي العادل وعلى أي حال فان البقاء الناجح يعتمد بالدرجة الأساس على تفاني الإنسان المؤمن وقدرته على الاستمرار بالرغم من كل الصعاب .

وذكّر اخوته الشيعة بالأكراد في شمال العراق , وكيف يواجهون المصاعب والمحن غاية في القسوة والضراوة , وشدد على مد يد العون إليهم بكل طريقة ووسيلة ممكنة , وان المصاعب والمحن التي يعانيها كل المسلمين يجب ان تعامل كمحنة واحدة يحسّ ويتألم لها الجميع .

***

البعث يرتكب الحماقات
ويسلك سلوكاً أهوج

واصل حزب البعث جهوده في تنفيذ مخططاته الجهنمية التي كان قد رسمها مسبقاً .

فجهاز المرجعية والحركة الإسلامية والمواكب الإسلامية وأشرطة التسجيل الدينية والأضرحة المقدسة والكادر الخدمي فيها والمساجد والعاملون فيها ابتداءً من الإمام وانتهاءً بالبوّاب , والمدارس الدينية وطلابها سواء كانوا عراقيين أو أجانب , والمكتبات الإسلامية العامة والخاصة والمؤلفات التي يؤلفها العلماء ومجالس العزاء الحسيني والاجتماعات واللقاءات وأحاديث الناس , كل ذلك يجب ان يكون تحت السيطرة البعثية .

بل إنهم يتابعون المصلّي في المساجد إذا كان شاباً , لأن المصلي شخص يعرف ربه ويعرف الحلال والحرام , وهذا ما لا يريدونه .

وحزب البعث يريد ان يجعل كل العراقيين بعثيين , وإذا كان الناس يعبدون الله ويميزون بين الحلال والحرام فإنهم من الصعب جداً أن يتقبلوا فكرة حزب البعث التي لا بدّ أن يكون المنتسبون لها أشخاصاً يتبرأون من كل شيء أسمه الدين

واسمه الإسلام [1].

وعملوا بكل قوة أن يجعلوا العراق بعثياً [2].

وسلك البعثيون سلوكاً خاصاً مع المساجد في المناطق الشيعية فالمساجد لدى طائفة الشيعة لا تخضع للأوقاف , وإمام المسجد معّين ــ عادة ــ من قبل المرجع في النجف , ومعنى هذا انه لا يأخذ راتباً من الدولة , وإنما يكتفي بالحقوق الشرعية التي ترد إلى المرجع عن طريقه.

١- اعتقل (ياسر) ابن صديقنا الشهيد السيد (إبراهيم المراياتي) , وحيث كان عمره ستة عشر عاماً أودع في ما يسمى بـ (المدرسة الإصلاحية) وكان أهله يزورونه كل يوم خميس .وسألت والده هل زرت ابنك هذا الأسبوع ؟
قال : إنهم منعوني .
سألته عن السبب , قال: إنهم وضعوا شخصا في مدخل المدرسة , فكان يسأل كل شخص يريد أن يدخل , عن تهمة المعتقل .
فإذا قال له إنه يصلي , منعه .
ثم جاءت امرأة فسألها عن تهمة معتقلها , فقالت له (عيني حرامي) فقال لها : تفضلي , فدخلت مرفوعة الرأس .
وهنا يعلق صاحبي الشهيد السيد (إبراهيم المراياتي) فيقول : لاحظوا رئيس الحرامية صدام كيف يداري الحرامية الصغار.
أما (ياسر) ابن صديقنا المراياتي فقد أضافوا له سنتين فأصبح ثمانية عشر عاماً وحكموا عليه بالإعدام ــ رحمه الله ــ .

٢- في مدينة خانقين عندما كانوا يريدون ان يجعلوا المنطقة عربية وليست كردية كانوا يذهبون إلى المدارس الثانوية ويسألون الطلاب هل أنت كردي أم بعثي فالسؤال فيه خبث واضح , فالشخص العربي مخيّر بين ان يقول انه كردي (وهو ليس كرديا) وبين ان يكون بعثياً .

وإذا كانت المساجد هكذا فالأضرحة المقدسة هـي أولـى أن لا تكون مرتبطة بأوقاف الدولة في رواتب الخدم فيها وإنما يعيشون علـى ما يردهم من نذور وأعطيات وما إلى ذلك .

ولكن البعث تدّخل فيها , وعيّن أئمة مزيفين مـرتبطين بـدوائر الأمن ,عيّنهم أئمة للمساجد يقيمون الصلاة للناس .

ثم يأتي إمام المسجد المعيّن من قبـل المرجـع فيجـد الإمـام الحكومي قد سبقه للاستيلاء على (السجادة) جلس عليها انتظاراً لإقامة الصلاة , ولكيلا يدخل الإمام الأصلي مع إمام الحكومـة فـي مـشادّة وخصام , فانه ينسحب بهدوء , وهكذا ...

أما خدم المراقد المقدسة , فقد بدأ العمل معهم هكذا ...

١- أعطوا العاملين فيها رواتب ليرتبطوا بهم .

٢- طلبوا منهم ان ينتسبوا إلى حزب البعث , ومن يمتنع يفصل من الخدمة .

٣- استولت الدولة على النذورات التي ترد للأضرحة وهي تقدّر بالملايين , ومنع الخدم منها بعدما كانت تعطى لهم حـصة منها.

وهذا مجال خصب سيطر عليه البعثيون .

***

وكان في كثير من مدن العراق مساجد تحت سيطرة حزب الدعوة الإسلامية , الإمام والمصلون , فكانوا يمتنعون عن تغيير الإمام في مساجدهم , أو ان الإمام المعيّن كان يخشى ان يدخل وإياهم في خصام .

فماذا فعلوا لهم ؟

بدأوا يعتقلون أئمة المساجد والمصلين فيها , والتهمة بسيطة لاتحتاج إلى دليل وبرهان , فالرجعية وحزب الدعوة والتبعية الإيرانية وغير ذلك , من الممكن ان تواجه أي إنسان , وهكذا ...

فالمساجد ـ في النتيجة ـ أصبحت بيد الدولة وحققوا بذلك مكسبين :

١- أثرّوا على روح التدين والعمل الإسلامي .

٢- دخل حزب البعث إلى تلك المساجد أو احتلّها ليثقف الناس بثقافة بعثية عفلقية وليست إسلامية محمديّة

ثم التفتوا إلى الحوزة ,وهي أم المشاكل بالنسبة للبعثيين , وإنها لابدّ من تفتيتها ومن ثم القضاء عليها ضمن مسلسل إجرامي حاقد :

١- كان طلاب الحوزة منذ العهد العثماني لا يؤخذون إلى الخدمة العسكرية الإلزامية وإنما يخضعون لامتحان من قِبَل لجنة مشتركة من علماء في الحوزة ومن قاضي الحكومة وضابط التجنيد .

فإذا عرفوا انه يدرس في الحوزة حقاً , فلا يؤخذ .

ثم أصبحت في النجف مدارس شبه رسمية ضمن مؤسسات الحوزة (مدرسة كاشف الغطاء ومدرسة الجزائري ومدرسة التحرير الثقافي ومدرسة منتدى النشر) فكانت الامتحانات أكثر دقة وكان الطلاب أكثر التزاماً بدروسهم .

وبالتالي فإنهم يعاملون كما يعامل طلاب الجامعات , فما داموا في الدراسة فلا يؤخذون للعسكرية .

ولكن البعثيين في العراق وضمن سياستهم الحاقدة بدأوا لا يعترفون بدراسة الحوزة ولا بمدارسها .

ومعنى هذا , لا بدّ أن يخضع طلاب الحوزة للعسكرية وكأنهم أفراد عاديون غير منتسبين للمدارس .

وجرت محاولات كثيرة من المراجع والعلماء وأصحاب المدارس وغيرهم لإعفاء طلاب الحوزة من العسكرية الإلزامية ولكنهم لم يتوصّلوا إلى نتيجة .

وبناءً على ذلك فان الطلاب الذين هم بأعمار ١٨ ــ ٤٠ سنة كانوا يخضعون للعسكرية .

وبدأ النقص يتزايد في طلاب الحوزة .

٣- وطريقة أخرى اتبعها نظام البعث في العراق اتجاه الحوزة فقد بدأوا يسفرون كل طالب غير مرغوب فيه , بحجة انه

من التبعية الإيرانية على نفس الطريقة التي هجّروا فيها غيرهم من المواطنين.

ففي الحوزة طلاب من أصول عربية نشأوا في العراق منذ قرون , ولكن ذلك لم يكن يشفع لهم , فالبعث كان لهم بالمرصاد. وحاول المراجع الكبار (السيد الحكيم والسيد الخوئي والشهيد الصدر) ان يثنوا النظام عن هذا الإجراء ولكنهم كانوا يطرقون باباً مغلقاً .

بل إنّ الأدهى من ذلك هو أن بعض طلاب الحوزة وعلماءها بدأوا يسافرون من تلقاء أنفسهم قبل أن يتعرضوا للإهانة ومصادرة الأموال , فقد كان النظام يأخذهم من داخل المراقد المقدسة ومن المساجد وحلقات التدريس دون ان يدعهم يأخذون عوائلهم وأموالهم ففضلوا أن يسافروا قبل ان يُسَفروا .

فكان بعض المراجع يحرّمون عليهم ذلك , ولكنهم كانوا إذا لم يبادروا بالسفر فان شرطة البعث تداهمهم ليلاً وليس من التسفير مناص.

وكانت وفاة المرجع الحكيم في شدة حملة تسفير طلبة الحوزة في النجف , وأصبحت المرجعية العامة للسيد الخوئي , وحملة التسفير لا تزال قائمة .

وصادف أن أصيب السيد الخوئي بمرض ,ثم تتدهور صحته وكان من المفترض أن يغادر العراق في تلك الفترة إلى لندن رجاء شفائه .

ووجد السيد الشهيد الصدر في مغادرة السيد الخوئي خطراً على مستقبل الجامعة وحركة العلم فيها , فقد يتذرع المتخاذلون بذلك ويمنحهم الفرصة للتراجع أمام السلطات .

ولذلك أسرع السيد الشهيد لزيارة السيد الخوئي في المستشفى وشرح له واقع المدرسة (الحوزة) ومخاطر مغادرته من العراق في هذه الظروف , فاقتنع السيد الخوئي بفكرة السيد الشهيد .

وترامى هذا الخبر إلى مسامع مئات العلماء ففسخ العديد منهم عزمه على مغادرة النجف , وكانت هذه الخطوة حكيمة وموفقة للحيلولة دون تحقيق مآرب السلطات الحاكمة كاملة وعدم تسهيل مهمتها وتشجيعها في المضي على تنفيذ خطتها لعرقلة مسيرة الفكر في هذه الجامعة الخالدة .

٣- ثم توجهوا إلى مدارس الحوزة والتي هي أشبه ما تكون بالأقسام الداخلية , يسكنها الطلاب العزّاب الأجانب. والمدارس تلك موجودة في النجف وكربلاء منذ مئات السنين وتخضع إلى توليات ووقفيات خاصة .
ذهب النظام إلى هذه المدارس واستولى عليها بعد ان أفرغها من طلابها في عمليات التسفير .

٤- وكانت المكتبات في النجف معيناً لا ينضب من المصادر التاريخية والفقهية واللغة والأدب وما إلى ذلك , ولكن البعثيين . أعداء العلم والأدب توجهوا إليها وصادروا كثيراً

منها وفيها من المخطوطات الشيء الكثير وعادوا يذكّروننا بما كان يجري على بغداد أيام هولاكو وبما فعله الأسبان بالكتب العربية الإسلامية بعد سقوط غرناطة .

***

وهنا كان لحزب الدعوة الإسلامية دور رائد , فقد بدأ الحزب كما بدأ السيد الصدر إلى دعوة خريجي الكليات وغيرهم من العراقيين للانضمام إلى الحوزة وملء الفراغات فيها .

فكان فيها طالب الحوزة الحقوقي والطالب المهندس والطالب الاقتصادي والطالب الطبيب , وهكذا ...

ولكن بعثيي العراق تنبهوا إلى ذلك فسلكوا طريقين في هذا المضمار :

الأول ــ بدأوا يضخّون الحوزة بأعداد كبيرة من المنتسبين إلى دوائر الأمن , بعد أن أخضعوهم لدورة كافية للتدريب على(الأتكيت الحوزوي) ولبس العمائم , وبعثوهم إلى النجف , وكأنهم طلاب حوزة حقيقيون , ولكن أكثرهم كانوا مكشوفين لغيرهم .

الثاني ـ إنهم بدأوا باعتقال الطلاب الذين شجعهم حزب الدعوة على الانتساب إلى الحوزة ـ وكما قلنا ـ فان تبرير الاعتقال ما كان أيسر منه , عندما يتهمون الطالب بـ (حزب الدعوة) [1] .

***

١- وكأسلوب مبتذل سلكه البعثيون مع الدعاة في السجون والمعتقلات , هو أنهم كانوا يعرضون لهم صوراً (مدبلجة) لأشخاص يقومون بأعمال منكرة منها اللواطة مثلاً , وينسبونها إلى أشخاص محترمين وكأنهم هم الذين يقومون بهذه الأعمال المهينة .

ما هي حقيقة حكم الشهيد الصدر بتحريم العمل الحزبي على طلاب الحوزة العلمية

قلنا مراراً ان التطورات الإسلامية على الساحة العراقية أثارت الاستعمار , وشعر ان الخطر الإسلامي أصبح يهدّد مصالحه في العراق فيما لو استمرت الأمور تجري على نفس السياق .

فجيء بالبعثيين في انقلاب مشؤوم عام ١٩٦٨.

والبعثيون هم أنفسهم يعرفون قوة الحركة الإسلامية بصورة عامة (المرجعية وحزب الدعوة) ولقد شعروا بذلك أو أشعروا منذ عام ١٩٦٢ عندما كانوا يخططون للقيام بانقلاب على عبد الكريم قاسم .

فأرسلوا ممثلهم إلى الإمام الحكيم في محاولة لضرب حزب الدعوة الإسلامية ليمنع المرجع أولاده والسيد محمد باقر الصدر من الاستمرار في الحزب .

وكان مبعوثهم (حسين الصافي) شخصاً يعيش الحوزة وأجواءها وما يدور فيها , ونظرتها إلى الأفكار الحزبية والتي هي (نقطة الضعف فيها) , فكان يقول للسيد الحكيم ان هناك حزباً انتشر في الحوزة العلمية ولا ينبغي ان يكون ذلك .

ولكن السيد الحكيم لم يعتن (بالصافي) كثيراً , ولقد ذكرنا ذلك فيما سبق بشيء من التفصيل .

وللعلم فان الحوزة لم تكن تعيش الحزبية بعدُ بالمعنى الصحيح وان كان بعض أولاد العلماء ربما ينتمون إلى أحزاب غير إسلامية أما أن ينشأ الحزب من الحوزة وفي وسطها , فهو ما لم يألفوه .

ولذلك فقد كان الحزب في عرف بعض أفراد الحوزة يعني الكفر والضلال .

ويوم انتشر حزب الدعوة في وسط الحوزة وعُرف أن السيد محمد باقر الصدر من المنتسبين إليه , بل من المؤسسين , فان السيد محمد باقر الصدر رحمه الله , عاش وضعاً لم يعشه احد في أجواء الحوزة من التهكم وعدم الاهتمام .

علماً بأن السيد محمد باقر الصدر في بداية نشوئه لم يكن يتمتع بمقبولية في الحوزة التقليدية لعدة أسباب و أهمها

١- نبوغه المبكر, كان يجلب له الحسّاد الكثيرين .

٢- كونه بدأ يدرّس درس (الخارج). وهو صغير السن وهو أمر غير مألوف في عرف الحوزة , فليس من المتعارف عليه ان يتصدى صغار السن لما يتصدى له الكبار .

٣- كان الشهيد الصدر يستعمل أجهزة تسجيل الصوت في إلقاء دروسه وهو غير مألوف أيضاً , بالرغم من ان أجهزة التسجيل تلك كانت تخفى عن الأنظار ولكن خبرها وصل إلى أسماع المعاندين بعد حين .

٤- أكثر أو كل طلاب السيد الصدر كانوا من الطلاب الواعين المثقفين الذين يستمعون إلى الإذاعات ويقرأون الجرائد والمجلات وهو غير مألوف أيضاً , وكل ذلك كان يشكل حالة جديدة طرأت على الحوزة التقليدية التي ترى ان الخروج عن المألوف يحرمها البركة أولاً ثم بالتالي قد يوصلها إلى الضلال والانحراف .

وعلى الرغم من ان الشهيد الصدر استطاع ـ بالتدريج ـ أن يفرض احترامه في الحوزة , ولكنه لم يكن محبوباً في قلوب التقليديين فيها بحيث إنهم كانوا يتمنّون له الوقوع في المزالق وليس أدلّ على ذلك من الحالة التي عاشها التقليديون ضد الشهيد الصدر عندما فرض عليه الحجز في بيته , إذ لم يزره احد من أولئك وكانوا يقولون في قلوبهم وفي ألسنتهم , لماذا دخل الصدر هذه المداخل حتى وصل إلى هذه النتيجة ؟[1] وعلى رغم ان السيد الصدر خرج من قيادة حزب الدعوة الإسلامية عام ١٩٦٢ بطلب من المرجع الحكيم رحمه الله كما أسلفنا , فان تهمة الحزبية بقيت ملازمة له إلى يوم شهادته رضوان الله عليه وحزب البعث يعرف كل تلك الخصوصيات التي تعيشها الحوزة

١- ولكن أولئك الذين كانوا يتمنون له الوقيعة والانزلاق , تعرضوا هم أيضا لملاحقة رجال الأمن في سلطة البعث , فمنهم من أهين في مقامه , ومنهم من دخل السجون وربما استشهدوا أيضا , وتلك هي الدنيا .

فكانوا يثيرون دائماً وبطريقة ذكية ــ بحيث لا يُعلم المصدر الرئيسي لهذه الإثارات ــ إنّ السيد محمد باقر الصدر رجل حزبي.

وسبق أن تحدثنا في ما سبق عن ذلك .

وأشاع البعثيون في صفوفهم وسرّبوا ذلك إلى الشعب أن السيد محمد باقر الصدر يعتبر عدوهم الأول ولا بدّ من تصفيته وبدأوا محاولة تحجيمه في البداية لكيلا يكون لتصفيته اثر كبير في الحوزة والأمة فأشاعوا بين الأوساط الحوزوية والدينية أنّ السيد محمد باقر الصدر رجل حزبي (وهم يعلمون من أين تؤكل الكتف) ولذا فان الحوزة في خطر والدين في خطر والإسلام في خطر .

وقد أراد البعثيون بذلك ان يقلّصوا دور الشهيد الصدر في الحوزة وبالتالي يعملون على ضرب مرجعيته التي بدت تلوح في الأفق بعد وفاة السيد محسن الحكيم .

واشتدت حملة التشويه والتشهير بالسيد الصدر , ولم يصبر البعثيون كثيراً , فاعتقلوه في عام ١٩٧٢ , وصادف ان كان مريضاً ــ آنذاك ــ فلم يتجرأوا على إيداعه السجن , فادخلوه المستشفى وقيدّوه بالسلاسل الحديدية إلى السرير , ومنعوا الجميع من زيارته , وما حاول احد من الحوزة وكبارها أن يزوره , إلا خاله الشيخ مرتضى آل ياسين الذي التفت إلى الشرطة المحيطين بالسيد الصدر وقال لهم (ان صاحبكم لعظيم) كما زاره عدد من تلامذته .

وزاره مدير امن بغداد , وسأله عن رأيه في الأحزاب الإسلامية فأجاب : إننا نؤيدها لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

وتحركت الجماهير , حالما سمعت بنبأ اعتقاله , خصوصاً في الرميثة , مما اضطرت السلطة إلى إطلاق سراحه على أثرها .

وكما اعتقل السيد الصدر , فقد شملت الاعتقالات عدداً كبيراً من العلماء في الحوزة وكذلك الأطباء والمهندسين وطلاب الجامعات وغيرهم من أعضاء حزب الدعوة الإسلامية , وتعرضوا لتعذيب وحشي لا سيما في معتقل الشعبة الخامسة لمديرية الأمن العامة ومعتقل امن الديوانية .

والدعاة المعتقلون قبل عام ١٩٧٣ لم يكونوا يحالون ـ غالباً ـ إلى محكمة الثورة التي كانت مختصة بالنظر فيمن يتهم انه تآمر على حزب البعث وثورتهم ـ وان كانت تلك المحكمة صورية والأحكام التي يصدرها الحاكم كانت تأتيه من لجنة مؤلفة للنظر في أمثال تلك القضايا يرأسها صدام نفسه في القصر الجمهوري ـ

لقد كان الدعاة ـ وكنت منهم ـ يودعون في قصر النهاية أو مديريات الأمن , ولم يكونوا يخضعون للمحاكم .

فالداعية المعتقل يتعرض للتعذيب وربما إلى تعويق بعض الأعضاء وربما إلى الموت أيضاً , وكل ذلك بدون محاكمة , وقد يبقى في المعتقلات عدة سنين .

وأول مجموعة من حزب الدعوة أحيلت إلى المحكمة (محكمة الثورة) هم المجموعة المتهمة بالقيام بأعمال عسكرية ضد حزب البعث كانت في ١٩٧٣/١/٢١ , حيث كانت المحكمة برئاسة عبد الكريم إبراهيم النجار وعضوية العقيد يونس معروف الدوري والعقيد الحقوقي راغب فخري , أما المتهمون فيها فكانوا (عبد الله فضل وجماعته) . وكانت هذه المجموعة تضم عدداً من طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف[١].

***

كل تلك الاثارات والمتابعات والتسفيرات كانت قد شملت أعداداً غفيرة من طلاب الحوزة في النجف , بحجة أنهم ليسوا من أصول عراقية , حتى أصبحت الحوزة وكأنها خالية من الدارسين , بعدما كانت زاهرة بالطلاب من العراق ولبنان والبحرين والخليج وإيران وأفغانستان وباكستان والهند ومن منطقة التبت المتاخمة للصين ومن أماكن أخرى .

ودعت المخلصين في الحوزة إلى أن يفكروا بحفظ ما تبقى من الطلاب , فان اقل عدد يجعل الدراسة في حوزة النجف مستمرة ومتكاملة لابدّ أن لا يقل عن خمسة آلاف طالب , علماً بأن الدراسة الأولية تحتاج إلى خمسة عشر عاماً , ومن بعدها تبدأ دروس التحضير للاجتهاد .

١- سوف نثبت صورة الحكم والإدانة في آخر الكتاب ضمن الوثائق .

في عام ١٩٧٣ , كان للسيد الصدر رأي في انتساب طلاب الحوزة إلى حزب الدعوة الإسلامية , عندما كان يتناقش مع تلاميذه في الخطة التي تحفظ الحوزة من الاعتقال .

وهنا يقول تلميذه السيد كاظم الحائري :

... فقد رسم ــ رضوان الله عليه ــ خطوطاً ثلاثة , ذكر أنّ اثنين منها خطان ثابتان والأخر خط متحرك :

الخط الأول ــ ضرورة الفصل بين جهاز المرجعية الصالحة والعمل الحزبي .

والخط الثاني ــ عدم البأس باشتراك طلاب الحوزة العلمية غير المرتبطين بجهاز المرجعية الصالحة في العمل الحزبي .

وهذان خطان ثابتان

والخط الثالث ــ وهو ما اسماه بالخط المتحرك ــ ان من كان عضواً في جهاز المرجعية الصالحة وهو في نفس الوقت عضو في حزب الدعوة الإسلامية , ويكون انسحابه من الصفوف مؤدياً إلى إرباك الوضع في داخل الحزب يبقى محتفظاً بارتباطه بالحزب إلى حين ما يرى ان انفصاله لا يؤدي إلى مثل هذا الارتباك , فعندئذٍ ينفصل عن الحزب[1].

١- كان ذلك تنظيماً لعمل الطلاب في الحوزة وليس حكماً أو فتوى يجب الالتزام به , وعندما تطورت الأحداث , أصدر فتواه في العمل الحزبي لطلاب الحوزة الذي سنذكره تباعاً .

وفي عام ١٩٧٤ تعرضت الحركة الإسلامية في العراق لحملة ظالمة شرسة للغاية , اعتقل على أثرها المئات من طلائع الدعوة الإسلامية , بدأت من الحوزة العلمية في النجف الأشرف ثم شملت عموم محافظات العراق , وتعرض الجميع لشتى صنوف التعذيب والإرهاب .

وتحولت مديرية امن الديوانية [١].إلى مركز تحقيق كبير للدعاة من قبل المجرم فاضل الزركاني .

كانت محنة كبيرة عندما أصدرت السلطة قراراتها الجائرة بإعدام خمسة من قياديي حزب الدعوة الإسلامية في ١٣/١١/ ١٩٧٤ [٢]. وتم تنفيذ حكم الإعدام في ٥/١٢/١٩٧٤ .

كما أصدرت أحكاماً بالسجن المؤبد وأحكاماً أخرى على مجموعة كانوا مع الشهداء الخمسة في نفس القضية والفترة .

وكان السيد محمود الهاشمي من المعتقلين , وكان من أكثر المعتقلين تعرضاً للتعذيب لاعتقاد المحققين بان الحصول على دليل إدانة السيد الصدر بانتمائه للدعوة سيكون عن طريقه باعتباره من طلابه المقربين (لأنهم كانوا يريدون ان يكون بحوزتهم دليل مادي على انتساب السيد الصدر للدعوة لتجري تصفيته كغيره)

١- كان المجرم فاضل الزركاني مديراً لأمن الديوانية وكان مختصاً بملف حزب الدعوة الإسلامية .

٢- سوف نذكر ذلك مفصلاً في الفصل اللاحق .

إلاّ أن صمود السيد الهاشمي فوّت عليهم الفرصة , كما كان الشيخ عارف البصري يوصي المعتقلين في القاطع الذي أودع فيه ــ وكانوا في معظمهم من طلبة الحوزة العلمية ووكلاء المرجعية ــ كان يوصي بالسيد الصدر ويقول لهم :

ان السيد الصدر أمل الإسلام , وان المساس به يعني القضاء على المرجعية الواعية , وتمكين السلطة الظالمة منه .

ويقول لهم : ان لم تستطيعوا الصمود وأرادت النفس أن تستكين فعليكم بأي منا دون الشهيد الصدر , أي فليعترف بعضكم على بعض ولا تذكروا السيد الصدر أبداً .

وهذا يشبه إلى حدٍ ما , ما فعله شهيد الدعوة الأول عبد الصاحب دخيّل (أبو عصام) الذي تعرض إلى تعذيب شديد , فكان يقول لهم : أنا الدعوة , وكل المعلومات لديّ .

ولن أبوح لكم بسرٍ أبداً فافعلوا ما شئتم ثم القي في حوض التيزاب[١].

١- وكان احد المعتقلين ضمن وجبةالشيخ عارف البصري , أخونا (هادي عبد الحسين شحتور) الذي استشهد بعد ذلك .
كان هادي هذا مرتبطاً بالقيادي (محمد هادي السبيتي) الذي كان آنذاك في لبنان .
وعندما سألوه عن مسؤوله , قال : انه محمد هادي السبيتي , وتلك التفاتة ذكية جداً فهو :
أولا ــ استطاع ان يخفف عن نفسه من عبء التعذيب قليلاً , لأنه اعترف لهم عن مسؤوله .
ثانياً ــ لأنه يعلم ان محمد هادي السبيتي ليس في العراق , فالاعتراف عليه لا يعني شيئاً .
ثالثاً ــ فان السبيتي سوف لا يعود إلى العراق .←

لقد كان النظام يسعى إلى :

١- القضاء على حزب الدعوة الإسلامية .

٢- إفراغ الحوزة من طلابها , وذلك بتسفيرهم إلى خارج العراق بحجة التبعية الإيرانية أو تهمة حزب الدعوة الإسلامية التي تستتبع الاعتقال والتعذيب وربما القتل .

٣- القضاء على السيد محمد باقر الصدر , عندما تتوصل إلى دليل مادي من خلال اعترافات المعتقلين .

كل هذه الأمور كانت أمام مرأى ومسمع السيد الصدر , الذي كان واعياً لما يسعى إليه النظام , فاتخذ قراراً غاية في الذكاء والمناورة لتفويت الفرصة على المجرمين .

حيث أصدر حكماً فقهياً يرتبط بفصل الحوزة العلمية عن العمل الحزبي ليسقط مبرر السلطة في ملاحقة المؤمنين .

→وسألوه : أتعرف عنوان داره

قال : نعم

أخذوه إلى بيته ليلاً وطرقوا الباب , وخرج لهم (مهدي السبيتي) اخو محمد هادي (وكان داعية أيضا ولكن لم يرد ذكر اسمه بعد) وكان هادي شحتور جالساً في السيارة , وقد وجهوا ضوء مصابيحها إلى (مهدي) وسألوا شحتور هل هذا هو محمد هادي ؟

قال : لا (ولم يعرف مهدي من في السيارة)

وسألوا (مهدي) أين أخوك محمد هادي ؟

قال انه خارج العراق

فرجعوا , بعد أن قالوا له إياك أن تخبر أخاك بما حصل

قال : لا افعل

وما أسرع ما أوصل الخبر إلى أخيه أن لا يعود إلى العراق .

وكان الحكم هكذا :

(لا يجوز انتماء طلاب العلوم الدينية إلى الأحزاب الإسلامية لأن وظيفة طالب العلم هو التبليغ والإرشاد على الطريقة المألوفة بين العلماء)

***

وما أن تلقى النظام (حكم السيد الصدر) حتـــى ســـارع إلـــى توظيفه لصالح حملته التي كانت لا تنفك ضد حزب الدعوة الإســـلامية فعرض ذلك على المعتقلين في كل مكان , إلا ان المعتقلين استخفوا بما كانت تروج له السلطة , حتى ان احد الدعاة عندما اعتقـــل فـــي أمـــن البصرة سألوه من تقلد من الفقهاء ؟

قال السيد محمد باقر الصدر

فأخرجوا له رأي السيد الصدر قـــائلين : ان مـــرجعكم يحـــرّم الانتماء إلى حزب الدعوة .

فأجاب بعد ان أطلعوه على الورقة التي قدموها لـــه : ان هـــذا الحكم خاص بالطلبة وليس للكل , بل فيه إذن لنا بالانتماء .

فأصدر الأمن حينها قراراً بجمع النسخ التي قد وزعوهـــا هـــم لأنهم عرفوا أنها لا تؤثر على المؤمنين , بل قد يستفاد منها كما استفاد منها صاحبنا الداعية السجين .

وهناك بعض الملاحظات في الحكم الذي أصدره السيد الصدر :

١- القاريء لهذا الحكم يفهم قبل كل شيء ان الحكم ليس نابعاً من خلل في الأحزاب الإسلامية وانحراف فيها , وإنما هو باعتبار خصوصية في طالب العلم وطلاب الحوزة , لأن السيد الصدر وهو الحريص على عدم انحراف الأمة , كان الأولى به - إذا كانت الأحزاب الإسلامية منحرفة - أن يحذر الأمة منها وليس خصوص طلاب الحوزة , بل ان الأمة تحتاج إلى التحذير أكثر من الحوزة التي تعيش في أحضان المرجعية والدراسات الدينية .

فالحكم كان صادراً من رؤية معينة يمتلكها السيد الشهيد حول عمل طلاب الحوزة وجهاز المرجعية الدينية وإنفكاك المرجعية عن العمل الحزبي لمصلحة إسلامية معينة ولإبعاد نظر السلطة عن أولئك الذين يعملون في جهاز المرجعية لا لأن الانتساب إلى الأحزاب حرام , كما أراد البعض تصوير ذلك وتحقيق مآربهم مستغلين عدم معرفة الناس بظروف الحكم .

٢- ان الحكم الصادر من السيد الصدر , ليس فتوى ـ كما هو الشائع ـ وإنما هو حكم لا يلزم ولا ينفذ بعد وفاته , لأنه يعبّر عن وجهة نظر عقلية , وليس مستنبطاً من الروايات

كما يتصور البعض , وإنما لرؤية معينة رآها السيد الصدر في مرحلة ما , ولذلك فانه غيّر هذا الرأي كما سيأتي .

٣- ان إعلان السيد الصدر هذا الرأي لم يكن قد اتخذه ترويجاً لفكرته ورأيه خصوصاً وان الحكم صدر أيام اعتقالات واسعة في صفوف الحوزة العلمية وقبل إعدام القياديين الخمسة بأيام , فالغرض من الإعلان كان سياسياً .

٤- ان السيد الصدر لم يمارس أي عمل سلبي مع وكلائه الدعاة الحزبيين واستمر بنفس العلاقة الشرعية والعاطفية معهم مما يدل على ان نظرته إلى العمل الحزبي لم تكن نابعة ـ كما يتصور البعض ـ من انحرافات وجدها ثم حكم بالحرمة .

٥- ان الحكم هو غطاء حاول السيد الصدر ان يخفي فيه (الدعوة) والنجف معاً ويصونهما من التصفية الكاملة .

٦- الحكم ينحصر في دائرة العراق ولا يشمل الحوزات العلمية في البلدان الإسلامية الأخرى .

وقد شرح السيد الصدر بعد فترة وجيزة من إصداره للحكم المذكور , إلى احد ممثليه البارزين من أعضاء حزب الدعوة قائلاً :(أنا معكم ولن أتخلف عنكم لحظة واحدة غير أني رأيت في الوقت الحاضر أن الحركة الإسلامية[1].

١- الحركة الإسلامية اصطلاح مقصود به حزب الدعوة الإسلامية .

لا تؤدي دورها المنشود إلا بدعم المرجعية لهـــا , كمـــا لا غنى للمرجعية عن الحركة الإسلامية , فكل منهمـــا يـــدعم الآخر , وأنا أرى من الآن التصدي للمرجعية هو الوظيفـــة الشرعية وهو المطلوب , والمطلوب منكم دعم هذه الفكرة ....أنا معكم والمرجعية لا تستغني عن الحركة , ولا يمكن أن تؤدي رسالتها بدون الحركة ,كما أن الحركة هـــي فـــي حاجة إلى من يسندها ويدافع عنهـــا ولا يمكـــن للمحـــامي والمدافع إلا أن يكونا غير المتهم أو المخاصم .... فاستقلال المرجعية اليوم هو من صالح الحركة الإسلامية , ويجب أن يحصل التنسيق الدقيق بين المرجعية والحركة حتى نفـــوّت الفرصة على هؤلاء الظالمين .... أنا فكرت بعد وفاة السيد الحكيم (رض) بالمرجعية الموجـــودة ضـــعيفة وليـــست بالـــمســـتوى المطلوب , فلو ألقت السلطـــة على الصـــدر (والكلام لا يزال للسيد الصدر) مثلاً ووجهت اليه تهمـــة الانتماء أو تأسيس حزب الدعوة الإسلامية , فلا يمكـــن ان يدافع عن نفسه , والمرجعية (الحالية) كما قلنا غير قادرة على الدفاع عنا أو عن الحركة , فيمكن للحكومة الظالمـــة بواسطة عملائها أن توجه الدعاية ضـــدنا باســـم الفئويـــة والحزبية ومن ثم يُجهز على الحركة ويقضى عليها)

***

وحرصاً من الشهيد الصدر على الوضع العام لحزب الدعوة وحتى لا يفهم موقفه هذا على انه موجّه ضده , ابلغ الدعوة بالأسباب التي دعته إلى اتخاذ هذا القرار , وبعث السيد عبد الكريم القزويني إلى الحج ليلتقي بالشيخ محمد مهدي الآصفي ويبلغه أن هذا الرأي ليس ضد الحزب , بل بداعي حفظ البقية الباقية منهم .

لقد اعتبر الشهيد الصدر هذا الموقف وسيلة دفاعيــة للتغطيــة ولمنع إيجاد مبرر للهجوم على الحوزة العلمية والعلماء المجاهدين الذين يمثلون قوة أساسية في التحرك الإسلامي وسط الأمة .

ولم يكتف الشهيد الصدر بذلك وإنما ابلغني مباشرة عندما زرته في بيته ليلة ٢١ــ١٩٧٩/٥/٢٢ قبل احتجازه بأسبوعين تقريباً بأنه رفع يده عن ذلك الحكم .

وقد ذكر هذا المعنى السيد كاظم الحائري في ترجمته لحياة السيد الشهيد ص١٠٢ إذ يقول :

(أما بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران , فقد عزم الأستاذ الشهيد رحمه الله على تصعيد معارضته لحكومة البعث في العراق ونزوله إلى الميدان بشكل سافر نسبياً , وبهذا لم يبق لمسألة الاهتمام بدرء الخطر البعثي الذي كان احد ملاكات تلك الكلمة (اعني فصل الحوزة العلمية عن العمل الحزبي) فان الحوزة العلمية الواعية ستقع لا محالة وجهاً لوجه أمام السلطة الجائرة و الخطر محدق على أي حال وفي هذا التاريخ جاء السيد الهاشمي حفظه الله إلى إيران واخبرني بأن

السيد الأستاذ بعث على احد الوجوه البارزة آنئذٍ لحزب الدعوة الإسلامية وقال له فيما قال : إنّ كلمتي التي أصدرتها حول انفصال الحوزة عن العمل الحزبي قد انتهى أمدها)

نعم كنت أنا ذلك الشخص الذي قال لي السيد الصدر كلمته بأنه رفع يده عن ذلك الحكم , بعدما نقلت له عتب الدعاة على ما صدر منه.

ومع ذلك فان السيد الصدر عندما كان قد أصدر حكمه بانفصال طلاب الحوزة عن الحزب ــ وفي تلك الظروف الحساسة ــ فان التقليديين كانوا لا يزالون يمارسون حربهم على الشهيد الصدر وحركته الإسلامية المباركة , ولم تؤثر فيهم كل تلك المآسي والمعاناة التي يعاني منها المجاهدون والرساليون في كل أنحاء العراق وكانوا يصوّرون الموقف على انه انتصار المرجعية التقليدية على المرجعية الحركية .

تلك كانت قصة الحكم الذي أصدره الشهيد الصدر , الذي فرح به طرفان :

السلطة التي ظنت أنها سوف تكسب منه كثيراً .

والتقليديون الذين ظنوا أنّ السيد الصدر حدث له انقلاب في أفكاره ولكن خاب الطرفان في ظنهما .

***

إعدام الشيخ عارف البصري وجماعته

عام ١٩٧٤

قلنا في صفحات سابقة ان البعثيين جيء بهم عام ١٩٦٨ لغرض القضاء على الصحوة الإسلامية التي انتشرت في أرجاء العراق وإنهم منذ اليوم الأول من مجيئهم كانوا يخططون للقضاء على حزب الدعوة الإسلامية .

وكان تخطيطهم في البداية يتسم بالتودد للعلماء , ولكن سرعان ما أفصحوا عن نواياهم الخبيثة , حيث اخذوا يثيرون الضباب أمام العلماء والمتدينين واعتقال الدعاة أمثال السيد داوود العطار وعبد الصاحب دخيل (أبو عصام) وحسن شبّر عام ١٩٧١ .

وشكل البعثيون مع الشيوعيين وبعض الأحزاب الأخرى (الجبهة الوطنية والقومية التقدمية) فكان الشيوعيون يساعدون البعثيين كثيراً في الإجهاز على العمل الإسلامي وتحرك الدعاة , وساهموا وإياهم في تلطيخ أيديهم جميعاً بدماء أعضاء حزب الدعوة الإسلامية وأنصارهم في العراق .

وفي عام ١٩٧٤ تم اعتقال مجموعة من الدعاة , وفيهم عدد من العلماء أمثال الشيخ عارف البصري والسيد عماد التبريزي والسيد عز

الدين القبانچي والسيد حسين الشامي والسيد عبد الرحيم الشوكي والشيخ مجيد الصيمري وغيرهم .

وعملية اعتقال العلماء سابقة خطيرة , فهي تعني ان مجرمي العراق أفصحوا تماماً عن نواياهم الخبيثة .

وكان اختيار المجرمين ـ في اعتقال هؤلاء الدعاة ـ اختياراً دقيقاً . فأولئك جميعاً سواء الذين حكم عليهم بالإعدام أو بالسجن , كانوا من العاملين المهمين في الحزب , ومن المؤثرين في أوساط الأمة .

فالشيخ عارف البصري كان أحد علماء بغداد , في منطقة الزوية من الكرادة الشرقية , والسيد عبد الرحيم الشوكي كان عالماً في بغداد أيضا في منطقة بغداد الجديدة , والسيد حسين الشامي كان عالماً في منطقة (جديدة الشط) من ديالى .

وكانت بغداد قبل ذلك وبالذات الكرادة الشرقية مرتعاً للشباب الذي نسي إسلامه وهامَ في الأفكار الضالة الشرقية منها والغربية الذين لم يكتفوا بإعلان أفكارهم , بل كانوا دائماً في موقع الهجوم على الإسلام ودعاته وإثارة الشبهات الخبيثة والمسمومة .

فجاء الشهيد البصري عوناً للثلة الطاهرة المؤمنة فشدّ من ساعدها وضم صوته القوي إلى صوتها وأصبحت الكرادة كل يوم تشهد ندوة جدال وحوار بين أعداء الإسلام ومجاهديه , وبدا واضحاً للجميع ان تلامذة الشهيد البصري هم الفائزون الغالبون في حججهم وبراهينهم

وأدلتهم , لما يتمتعون به من ثقافة إسلامية رصينة وصدق في المفاهيم والمعتقدات .

ونتيجة للحركة الإسلامية المتنامية في هذه المنطقة , تحولت بكاملها إلى مسجد فاعل , فحديث الإسلام في حلقات الشباب في الأزقة والشوارع , وحديث الدين في المدارس وفي كل مكان .

وتحول كل بيت في منطقة الكرادة من بغداد إلى مسجد صغير.

وقد كان الشهيد البصري منبع هذا التحرك الإسلامي البارز على الساحة السياسية في ذلك الوقت .

والشيخ عارف البصري ــ بصورة خاصة ــ كان لولباً مهماً للعمل الإسلامي والتأثير على قطاعات واسعة من الأمة , حتى إن التقارير السرية التي كان يرفعها العملاء للسلطة البعثية , كانت تقول (لو بقي الشيخ عارف فلن يكون للبعثيين قدم في الكرّادة [1]).

كان للشهيد علاقات واسعة ــ يوم كان يدرس في الحوزة ــ مع كثير من الشخصيات الإسلامية العاملة .

وساهم ــ رحمه الله ــ في إحياء كثير من الاحتفالات والندوات الإسلامية والمحاضرات المختلفة .

وكان يرعى طلبة العلوم الدينية , فيقدم لهم المساعدات والمعونات المالية لمواصلة دراساتهم العلمية والتغلب على صعوبات الحياة المادية .

١- إحدى مناطق بغداد المهمة .

وكان احد أعضاء جمعية الصندوق الخيري الإسلامي ومدرساً في كلية أصول الدين في بغداد , حيث كان يدرّس التفسير والفقه وعلوم القرآن والنظام الإسلامي .

كان الشهيد يصلي الظهر في مسجد على ضفاف دجلة ويصلي بقية الفروض في حسينية الزوية التي كان يزدحم المصلون في كل مكان يصلي فيه , للصلاة ولسماع خطبه الفكرية الرائعة .

واستطاع ان يغير كثيراً من الأعراف غير الإسلامية , فقد تحولت ولائم الترف التي يحضرها الأغنياء إلى ولائم تآخي وتحابب بين فئات الأمة , فيجلس الغني إلى جنب الفقير , والمسكين إلى جنب المرفّه , وتوثقت الروابط بين الجيران , ودخل الإسلام إلى كل بيت وشمل الشباب والشيوخ والنساء والأطفال حتى أصبح عدد المصلين والمصليات خلف الشيخ ـ رحمه الله ـ ملفتاً للنظر .

وكان لكل ذكرى احتفال ولكل مناسبة دينية مجلس إحياء , وأصبحت منطقة الكرادة الشرقية من بغداد , بكاملها مسجداً يقرأ فيه الكتاب الإسلامي وتقام فيه الشعائر الإسلامية ويتلى فيه كتاب الله حتى شاع في دوائر الأمن أن الكرادة منطقة رجعية[1].

وكان لإقامته الاحتفال الكبير لتكريم الطلبة المتفوقين في جامعة بغداد وتوزيع الجوائز عليهم صدىً عظيم في دهاليز امن بغداد , حيث اعتبروا هذه الظاهرة من الظواهر التي يسلك فيها رجل الدين مسلكاً

١- إذ يصفون كل تحرك إسلامي بأنه رجعي .

آخر لا يمتّ إلى وظيفته ـ كما يتصورون ـ واعتبروه تدخلاً وتعميقاً لعلاقة العلماء في صفوف الأمة والطلاب بصفة خاصة , وهو ما يقفون أمامه بكل وسيلة .

وأضاف المجرمون إلى سجل الشيخ عارف , انه كان قد انشأ صندوقاً يتولى إعانة الشباب على الزواج , فكان لهذا الصندوق دور كبير في ربط الأغنياء بالأمة وبالإسلام العظيم من خلال تبرعهم بأموالهم في سبيل إعانة المعوزين من الأمة .

كما ساهم مساهمة فعالة في نشاط (جماعة علماء بغداد والكاظمية) وكان من ابرز عناصرها والعاملين فيها .

كما بذل الشهيد البصري ـ رحمه الله ـ جهداً واسعاً في إسناد الحوزة العلمية في النجف ورفدها بالطلبة وحثّ الدعاة الشباب على الالتحاق بصفوفها .

وفي النجف بالذات واجه شهيدنا البصري شريحة لا ترتضي الوعي وتحكيم الإسلام وإيقاظ الأمة من سباتها واستسلمت لعامل اليأس الذي زرعه الكفر ضمن عشرات السنين , وتطبعت بالأعراف الرتيبة التي سادت المجتمع وركنت إلى حياة الدعة والخمول , ولم يكتف البعض بهذا , بل انبرى لمحاربة العاملين المجاهدين وتوجيه التهم والافتراءات عليهم تحت عناوين التدخل في السياسة وترك التقية وإلقاء النفس في التهلكة .

وسنّ الشيخ سنة حسنة , حيث كان قد عوّد أهل منطقة الكرادة على أن يخرجوا على شكل مجموعات كبيرة في نهاية شهر شعبان ونهاية شهر رمضان لغرض الاستهلال وتثبيت أول الشهر , وهو بعمله هذا كان يهدف إلى هدفين :

١- تعويد الأمة على الاشتراك في هذه السنّة .

٢-تحدي السلطة , حيث كان يخرج بالمجاميع إلى منتصف الجسر المعلق في منطقة (الزوية) قرب القصر الجمهوري.

وهذه الشعائر لا يرغب بها النظام , بل انه يحاربها ويحارب كل مظهر من مظاهر الدين .

وبعد أن اختاره المرجع السيد الحكيم ـ رحمه الله ـ وكيلاً عنه في الكرادة الشرقية من بغداد , لم يُنه الشهيد ـ رحمه الله ـ دراسته الحوزوية في النجف , بل كان على اتصال دائم بأساتذته هناك .

واستغل وجوده في بغداد , فدخل أروقة جامعة بغداد كلية الآداب ليكمل دراسته العليا , حيث نال شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية .

استدعي عدة مرات للاستجواب في مديرية الأمن العامة وأخيراً تخلص منه العملاء المجرمون , بعثيو العراق , إذ اعدم هو وصحبه الأبرار في ٢١ ذي القعدة ١٣٩٤ هـ المصادف ١٩٧٤/١٢/٥م .

وسوف نذكر في مكان لاحق , كيف أنّ علماء النجف توسطوا لدى السلطة من اجل إنقاذ أرواح أولئك الميامين .

وكان السيد مرتضى العسكري ــ يومذاك ــ في إيران[1]. واستطاع أن يحرك العلماء والدارسين في حوزة قم وطهران ومشهد من أجل تعطيل دروسهم استنكاراً لما يحصل في العراق ضد العلماء .

فعطلوا دروسهم مرتين , يوم صدر الحكم ضدهم ويوم نفذ الحكم ولكن بعض العلماء في إيران أيام الشاه كان لا يروق لهم ذلك , فقد كانوا يتصورون المعادلة هكذا :

(احمد حسن البكر رئيس جمهورية العراق ضد محمد رضا بهلوي شاه إيران , ومعارضة البكر تساوي تأييد الشاه , وحيث إن الشاه عميل فالقائمون بمعارضة احمد حسن البكر عملاء) .

على أساس أنها (كبرى وصغرى) على قاعدة المناطقة .

***

الشهداء الخمسة الشيخ (عارف وصحبه الأبرار) عاشوا للإسلام وعذبوا لأنهم يدعون للإسلام , وحكم عليهم بالإعدام لأنهم ينتسبون إلى حزب الدعوة الإسلامية الذي يريد تطبيق الإسلام .

إنهم أول مجموعة إسلامية يحكم عليها في العراق بالإعدام , بل هم أول مجموعة تضم خمسة من المفكرين الإسلاميين , فيهم ثلاثة من العلماء .

١- هاجر السيد العسكري من العراق عام ١٩٦٩ , ذهب أولاً إلى لبنان ثم إلى إيران بعدما كانت تبحث عنه السلطة العراقية , وصدر عليه حكم بالإعدام .

وهذه الظاهرة , لا توجد لها سابقة في العراق ــ آنذاك ــ ولا في أية دولة أخرى تدّعي الإسلام .

صحيح إن كل تلك الدول أقدمت على إعدام أعداد كبيرة من الإسلاميين ولكنهم لم يكونوا ضمن مجاميع .

هذه الظاهرة جديرة بالاهتمام , تستحق الدرس والبحث , فلماذا أقدم بعثيو العراق على هذه الفعلة الشنيعة ؟

إن العراق له موقع خاص من بين الدول التي تسكنها الشعوب الإسلامية :

١- فالعراق أكثريته من الشيعة الامامية الذين يؤمنون بتقليد المرجع الذي يقول فيطيعه المقلدون , وهي ظاهرة ترعب العملاء .
٢- العراق محط أنظار المسلمين في كل مكان , لما يحويه من أجساد طاهرة لستة من أئمة أهل البيت عليهم السلام .
٣- فيه المرجعية التاريخية لعموم المسلمين في الدنيا والحوزة العلمية منذ ألف عام .
٤- في العراق حزب إسلامي قوي (حزب الدعوة الإسلامية) استطاع أن ينفذ إلى قلوب الشباب والعلماء .
٥- وإذا استطاع الإسلام أن يحكم في العراق , فانه سوف يؤثر على دول المنطقة بأسرها .

لذلك نجد أن الاستعمار يسرع في عام ١٩٦٨ ليغير حكماً ضعيفاً كان يتولاه عبد الرحمن عارف وليأتي بحكم ضليع في الهمجية والوحشية .

***

في البداية نقل الأبطال (الشيخ عارف البصري ورفاقه) إلى سجن الفضيلية لينتظروا موعد المحاكمة الصورية , وكان مسجوناً معهم اللصوص والعابثون وغيرهم .

فبدأ الشيخ ورفاقه بتغيير الشريحة تلك في السجن من خلال طرح أفكارهم ومبادئهم العظيمة , فلقد تغير أولئك العابثون وكان إخواننا ملاذاً وملجأ للجميع في مشاكلهم وهمومهم .

وفي السجن عقدت الندوات والمحاضرات الإسلامية , واستطاع الدعاة الميامين ــ رحمهم الله ــ أن يغيروا الظروف إلى صالح الإسلام.

واستمرت الفترة في سجن الفضيلية أكثر من شهرين , تحول فيها السجن إلى مسجد وخلية نشطة , فيها الطالب والمعلم والمحاضر وقارئ القرآن والمتعبد والصائم , وكانت مفاهيم القرآن هي المسيطرة .

بعدها نقلوا إلى ما يسمى بـ (محكمة الثورة) فودعهم السجناء وداع التلاميذ لأساتذتهم وبكل إجلال وتقدير .

وتحركت القافلة الرسالية إلى محكمة الثورة الصورية التي تنفذ القرارات الجاهزة المعدّة سلفاً في مجلس قيادة الثورة . وتأجلت المحكمة

مراراً بسبب حضور الجماهير المسلمة التي كانت تملأ الشوارع منذ صباح كل يوم يجدد كموعد للمحاكمة .

وفي المرة الأخيرة عقدت الجلسة ولم تستمر أكثر من عشرين دقيقة لأكثر من عشرين متهماً .

***

لقد جرت محاكمة الأبطال في ما يدعى بمحكمة الثورة برئاسة المجرم (جار الله العلاف) في ١٣/١١/١٩٧٤ .

فقال الحاكم المجرم للشيخ عارف :

انتم متهمون بالانتماء إلى حزب الدعوة الإسلامية ونشر أفكار هدامة ضد الثورة والمساهمة في الإخلال بالأمن .

ـ أنفي أن أكون وأخوتي مخلّين بالأمن أو نشر أفكار هدامة وأؤكد إننا مسلمون ودعاة للإسلام الذي هو رسالة رب العالمين لكل جيل والطريق الذي أختاره الله لإسعاد البشرية , وأتحدّى أن تكون محاكمتنا علنية لكي يطلع الشعب على الحقيقة كما هي .

ـ أنت تقوم في الاحتفالات في بغداد بتوزيع أقلام (الشيفر) على المتفوقين من الطلبة كل عام , فمن أين لك هذه الأموال ؟

ـ أنا ممثل المرجع الديني , وهذه حقوق شرعية وتبرعات من المؤمنين .

التفت الحاكم إلى هيئة المحكمة وقال لهم : كيف يصح هذا الكلام؟ ولماذا لا يتبرع الناس لي ؟

وفي المحكمة قال الشهيد الشيخ إلى أعضاء المحكمة (لو كان إصبعي هذا بعثياً لقطعته)

وبعد دقائق استؤنفت الجلسة , وعند صدور الحكم الظالم بحق الصفوة الطاهرة كان المجرم (جار الله) يتلكأ في قراءة نص الحكم الذي أعدّ سلفاً في ما يسمى بـ (مجلس قيادة الثورة)

وكانت الأحكام تقضي بإعدام كل من الشيخ عارف البصري والسيد عماد التبريزي والسيد عز الدين القبانجي والسيد نوري طعمة والسيد حسين جلوخان . كما كانت هناك أحكام أخرى بالسجن المؤبد على ستة من المجاهدين وعلى ستة آخرين بالسجن لفترات تتراوح بين الست سنوات والعشر سنوات [1] .

ولما صدر الحكم , وقف المجاهد البصري وقفة بطل وهو يرمق هيئة المحكمة بعين السخرية والازدراء , وقال وهو يبتسم :

(بسم الله الرحمن الرحيم الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)

كل العاملين للإسلام محكومون بالإعدام مع وقف التنفيذ إلا إنها آجال .

ونظر إلى رئيس المحكمة بكل هدوء واتزان قائلاً .

أبالموت تهددوننا !! إن الطغاة سيموتون أيضاً وسيجمع الله بيننا وبينكم .

١- سوف نثبت قرار الحكم في الملاحق آخر الكتاب .

ثم نقل الثوار المجاهدون إلى سجن (أبو غريب) للأحكام الثقيلة وهم مكبلون بالحديد .

وكان مسموحاً في ذلك الوقت أن يزار السجناء فكانت الصفوف متراصة لزيارة الشيخ عارف وصحبه الميامين وعندما كان الرقيب يسأل الشخص الزائر عن علاقته بالشيخ عارف , كان الجواب دائماً هو (الدين) وكان هذا مؤشراً واضحاً لارتباط الأمة بقادتها الرساليين والتفاف الجماهير حول علمائهم الأبرار .

وأحسّ النظام بخطورة الموقف فأسرع بتنفيذ حكم الإعدام الظالم.

* * *

وفي سجن(أبو غريب) التقى المجاهدون بشرائح جديدة من السجناء , وكان من ضمنهم السياسيون من شيوعيين وغيرهم من المغرورين بأفكار الشرق والغرب .

فكان الشيخ البصري وجماعته يطرحون الأفكار للبحث والنقاش. وتغيّر كثير من أولئك واعتنقوا الإسلام مبدأ وعقيدة .

ومن المواقف الخالدة للشيخ الشهيد البصري ان جلاوزة النظام كانوا يحاولون كثيراً أن يحصلوا على اعتراف من احد المعتقلين يمسّ المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر ليكون مبرراً لاعتقاله وتصفيته فكان شيخنا البطل عارف البصري يحول دون حصول السلطة على

مآربها الخبيثة , ضارباً للمعتقلين أسمى صورة من التماسك والـصمود في غرف التعذيب .

وكان مما يوصيهم , بان السيد محمد باقر الصدر أمل الإسـلام ورمزه وان المساس به يعني القضاء على المرجعية وتمكـين الـسلطة الجائرة من الإسلام , يقول لهم .

(أن لم تستطيعوا الصمود وأرادت النفس أن تستكين فعليكم بأيّ منا دون السيد الصدر) .

أي اعترفوا بعضكم على بعض ولا تمسوا السيد الصدر بسوء .

***

وفي احد الأيام كان قد زاره عدد كبير مـن الـدعاة , فـدعاهم الشيخ الشهيد قائلاً (لعلهم بعد قليل يفرّقون بيننا نحن الخمسة وبينكم ثم لا نراكم في هذه الدنيا فليودع بعضنا بعضاً من الآن , يـا إخواننـا إن العمل الإسلامي أمانة في أعناقنا جميعاً وهاهي تخرج من عنقي وأعناق أخوتي الأربعة لتستقر في أعناقكم انتم , فيا إخوتنا كونوا أمناء أوفيـاء للعهد ومواصلين لخط الأنبياء والأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ فـي العمل من اجل تحقيق أهدافهم) .

فتعـالت أصوات الجماهير الزائرة بالبكاء , فكـان الشيخ يردد (الملتقى في الجنة الملتقى في الجنة) .

ثم أقام صلاة الظهر , فخشع الجميـــع , الجـــلادون والـــشرطة والزوار وكل السجناء ثم دعا بدعاء الفرج .

وما أن انتهى من دعائه حتى انفجر الجميع بالبكاء .

التفت الشيخ الشهيد إليهم قائلاً :

(لماذا البكاء ؟ ألا تريدون لي الجنة ؟ ألا تريدون لي الشهادة ؟)

فكان الجواب هنيئاً لك , أنت من أهل الجنة .

ثم تحدث بحديث طويل من وراء قضبان الزنزانة بكـــل جـــرأة وشجاعة واتزان لا يهاب ولا يخشى أحداً , يفضح أساليب الطغاة .

والتفت إلى بعض المؤمنين قائلاً .

(إن دماءنا هذه ستدفع مسيرة العمل الإسلامي خمسة عشر عاماً إلى الأمام) .

(بلغوا تحياتي إلى إخوتي الدعاة المجاهـــدين وقولـــوا لهـــم ان الإسلام أمانة في أعناقكم)

***

في ليلة الجمعة ٢١ ذي القعدة ١٣٩٤هـــ قال الشيخ لأحد إخوته قبل تنفيذ حكم الإعدام بساعات .

(كنت بعد الصلاة مستغرقاً في دعائي واســـتغفاري , لا أكـــاد أحسُ بمن حولي فقد عرفت أن الساعة قد دقت , وإنهـــم بـــين لحظـــة

وأخرى سيعدموننا ونلاقي ربنا, فكنت استغفره لي ولإخوتي وأدعوه أن يقبلنا , ففوجئت بضابط السجن يقف أمامي ويدعوني قائلاً :

ـ شيخنا تفضل معي .

فتبادلت النظرات مع إخوتي , فاخبرنا الضابط بان الاستدعاء لأمر بسيط في غرفة مجاورة , دخلت الغرفة فوجدت شخصاً صافحني وعرفني بنفسه ,بأنه موفد القصر الجمهوري , ودعاني إلى الجلوس ثم قال :

ـ أتعرف لمَ جئتك الآن وفي هذه الساعة ؟

ـ كلا

ـ جئتك لأبلغك رغبة مجلس قيادة الثورة بالعفو عنك وعن رفاقك وإطلاق سراحكم فوراً على أن تقبلوا شرطاً .

ـ وما هو هذا الشرط ؟

ـ أن تعلن اسفك على ما عملت في الماضي من على شاشة التلفزيون وتعلن تأييدك لخط الثورة والحزب .

ـ ولماذا لا تسمحون لي أن أبيّن للجماهير ومن شاشة التلفزيون التهمة التي وجهت إلينا وحكمتم علينا من اجلها بالإعدام . لو كانت لكم الشجاعة الكافية لجعلتم محاكمتنا علنية .

ـ يا شيخنا (وأدار يده ونظر إلى ساعته) بعد ساعة ينفذ حكم الإعدام , ولابدّ أن تعلم بان دعوتكم إلى الإسلام خطر على الثورة ,ولم

يبق متسع من الوقت , وأنا أنصحك بتنفيذ شرطنا , فيطلـــق ســـراحكم وتتعاونون معنا , وأنا مكلف بان أسجل مقابلة تلفزيونية معك .

ــ يا هذا إن حكمتم علي بالإعدام لأني أدعو إلى الإسلام , فهو شرف من الله لي , وازيدك وضوحاً , أن الله وفقني لحج بيته الحــرام عام ١٩٧١ , فدعوته وأنا متعلق بأستار الكعبة بأن يرزقنـــي الـــشهادة وها أنذا احصل على الشرف على يد أرذل خلق الله , فلا يمكن التنازل عنها .

إني ارفض أن أبيع ديني لكم , معاذ الله أن أبيع ديني للمجرمين لا اسمح لأحد أن يرفع تاج الشهادة عن رأسي مقابل متاع الدنيا الزائلة

***

وبعد ساعة استدعي الأبطال إلى حبل المشنقة , فتقدم المجاهدون بخطى ثابتة ملؤها الصبر والإيمان , ووجوه مشرقة وقلـــوب مطمئنـــة صابرة محتسبة , لم يرهبهم الموت ولا حبل المشنقة المرعب .

نقلت الجثث الطاهرة من سجن أبي غريب إلى الطـــب العـــدلي وسط تعتيم إعلامي شديد , وتجمع عدد كبير من الناس , اغلـــبهم مـــن طلبة الجامعة , ورفض الطغاة تسليم الجثث خوفـــاً مـــن ردود الفعـــل الجماهيري , ثم دفنت في ساعة متأخرة من الليل بعيـــداً عـــن أعـــين الجماهير وخوفاً من غضبها وسخطها , وطلبوا من عوائل الـــشهداء أن لا يقيموا مجالس العزاء وهددوهم بالقتل إن خالفوا ذلك .

وبعد وصول نبأ الإعدامات إلى السيد الصدر أصيب بحالة شبيهة بالغيبوبة وعطل الدراسة واعتزل الناس لبضعة أيام وكان يردد باستمرار وبألم شديد (عارف ....عارف ...... عارف) .

وهكذا تفعل سلطة البعث في العراق , تعتقل وتعذب وتقتل بالآلاف بل بمئات الآلاف , وتسدل على ذلك ستاراً كثيفاً لئلا ينتشر الخبر في خارج العراق فضلاً عن داخله .

وتتعرض الحركة الإسلامية في العراق إلى تعتيم إعلامي مقصود , ندر أن تعرضت له أية حركة أخرى .

تتجلى هذه الحقيقة في قضية الشهداء الخمسة خاصة . فلقد أريد لقضيتهم أن يضرب حولها طوق من الصمت الحديدي .

وبهذا المنهج الذي اعتاد عليه حكام البعث , كانت تجري المداهمات والاعتقالات والإعدامات دون ذكر أو حتى مجرد إشارة إليها.

فان المداهمات البربرية تتم إلى بيوت , وغالباً ما تكون بعد منتصف الليل , وسط إجراءات استفزازية وتحت غطاء الاستدعاء إلى الشرطة ولمدة خمس دقائق .

أما المحاكمة والتحقيق وحتى الإعدام فهو يجري ضمن تغافل وسائل إعلام النظام وهو ما يخالف القوانين المرعية والمعمول بها في كل بلدان العالم .

والأنكى من ذلك , أن السلطة الدكتاتورية في العراق كانت تتحرك على صعيدين :

الأول : هو الإيحاء إلى الرأي العام الخارجي بأن كل شيء في العراق مستقر وهادئ وعلى ما يرام , وليس من ذكر لأية معارضة وكأن الوضع مستتب للنظام الحاكم ويحظى بتأييد مطلق من قبل الشعب.

يظهر ذلك من خلال حديث الصحافة والإذاعة وبقية وسائل الإعلام عن (إنجازات الثورة وانتصاراتها) المزعومة , وفق خطة مرسومة الهدف , لغسيل أدمغة الجمهور ولتبعيث الإنسان المسلم وإبعاده عن إسلامه وحضارته .

والثاني ــ اتخذ شكل بث إشاعة , كسلاح رهيب موجّه إلى قلب الحركة الإسلامية واتبعت أجهزة الأمن البعثي في هذا المضمار وسائل عدة .

فيوماً تشيع بين الناس أن السلطة ستعفو عن المعتقلين , وربما تعفو ولكنها تعفو عن اللصوص وأمثالهم , ومرة تبث دعاية مفادها ان هؤلاء (الدعاة) متورطون في العمالة لصالح إيران , أو لمجرد ان حزب الدعوة عميل .

وكانوا ربما يروّجون أفكاراً ومواقف باسم الدين ــ وهي ضد الدين ــ والقصد منها الوقوف بوجه الخط الثوري الإسلامي ومحاولة

منهم لشق صف حزب الدعوة الإسلامية لإضعافه وعزله عن جماهير الأمة .

وبخصوص قضية (قبضة الهدى[1]) الشهداء عارف البصري ومجموعته الميامين , فقد كان هناك تعتيم إعلامي واسع على قضيتهم ليس في وسائل إعلام النظام فقط وإنما تعداه إلى جميع وسائل الإعلام العالمي خارج العراق إذ صمتت تلك الأبواق صمتاً يثير الدهشة لدى أي مراقب محايد .

أما ردود الفعل

كان لإصدار حكم الإعدام الجائر على الشهداء الخمسة أصداء ساخنة , غاضبة لدى شعبنا المسلم في العراق الجريح , فقد بذل الشهيد السيد محمد باقر الصدر جهوداً كبيرة في سبيل إنقاذ الأبطال ـ رحمهم الله ـ أوعز إلى الشباب المؤمن بالتوجه إلى المراجع وعرض القضية عليهم من أجل أن يتخذوا الموقف المناسب . باعتبار أن إعدام هؤلاء يشكل انتهاكاً صارخاً لحرمة الإسلام والمسلمين وبالفعل فقد تشكلت وفود جماهيرية تضم المئات من الشباب المسلم في مختلف مدن العراق , واتجهت صوب النجف الأشرف , وكان في مقدمة الذين زارتهم الوفود لهذا الغرض هو الإمام الخميني

١- تعبير أطلق على الشهداء الخمسة (الشيخ عارف البصري وجماعته) فهم خمسة صامدون , لم ينثنوا ولم يتنازلوا لنظام البعث , وهم بالتالي كالقبضة الحديدية .

ـ رحمه الله ـ الذي كان في غاية التأثر وكان يقول : يبدو أنّ هؤلاء ـ البعثيين ـ لا يفهمون لغة الكلام .

وفي لقاء آخر جرى بين وفد آخر والإمام ـ رحمه الله ـ في هذا الخصوص قال :

أرسلت على هؤلاء المجرمين (ويقصد بهم مسؤولي نظام العراق) وقلت لهم أنّ والد الشاه سلك مع علماء الإسلام نفس الأساليب التي تسلكونها الآن فماذا كانت النتيجة , الآن الشعب الإيراني يشتم ذلك الأب اللعين في الشوارع , وسيأتي اليوم الذي يشتمكم فيه الشعب العراقي أيضاً .

كما ابرق الإمام الخميني إلى المسؤولين برقية مطولة يحذرهم من مغبة تنفيذ الإعدام .

أما الشهيد السيد محمد باقر الصدر فقد بعث على عضو ما يسمى بالقيادة القومية لحزب البعث , المدعو زيد حيدر وابلغه استنكاره للحكم الظالم وطالبه بان لا تقدم العصابة الحاكمة على إمضاء هذه الجريمة النكراء .

ولما نفذ الحكم كانت ردود الفعل أقوى واشد .

ففي بغداد , قامت مظاهرة صاخبة أمام مبنى الطب العدلي وكان اغلب المتظاهرين من طلبة الجامعة .

وأدرك زبانية البعث أنّ هذه المظاهرة قد تتسبب في مضاعفات ليست في صالحهم فقرروا تفريقها , الأمر الذي أدى إلى حصول

اصطدام بين المتظاهرين المؤمنين ورجال الأمن المجرمين الذين أطلقوا النار واعتقلوا عدداً من المتظاهرين .

وطوقت المنطقة بأعداد إضافية من رجال الأمن والمخابرات الذين انتشروا بأسلحتهم وسياراتهم .

وقد وزعت في بعض مناطق بغداد نشرات (خطـّية) تعلن استنكار الشعب لهذه الجريمة النكراء وتعاهد شهداء الإسلام على المضي على دربهم حتى النفس الأخير .

وفي باكستان قامت مظاهرة احتجاجية صاخبة توجهت إلى سفارة العراق وسلم المتظاهرون مذكرة احتجاج شديدة اللهجة , وهتفوا بأعلى أصواتهم بسقوط البعث , وبالمجد والخلود للشهداء الأبرار ......

وفي أوربا قامت مظاهرات احتجاج أمام السفارات العراقية وحصلت في الأثناء جملة مصادمات بين المؤمنين ومرتزقة البعث هناك.

وفي الكويت , وزعت صور الشهداء وأقيمت مجالس الفاتحة في بعض مساجدها وألقيت الكلمات في المناسبة .

وفي لبنان كانت هناك مظاهرة ونشرت صور الشهداء , وكان لذلك صدى إعلامي واسع .

كما أقيمت مجالس فاتحة في البحرين .

***

التعذيب الذي جرى للشهداء الخمسة كما يرويه شهود عيان

اعتقل العلامة الشيخ عارف البصري في بغداد , حيث داهمت منزله بعد منتصف الليل قوة من رجال الأمن , وفتشت بيته ومكتبته ونقلته إلى الشعبة الخامسة .

وبقي عدة شهور دون أن يعرف عنه احد شيئاً , ومنعوا أهله وأقاربه من زيارته , حتى نقل الشهيد من بغداد إلى معتقل الديوانية في محافظة القادسية , فقد شوهد هناك من قبل بعض المعتقلين وحدثوا عن صموده وبسالته واعتزازه بإيمانه , وكيف كان يواجه الزبانية بابتسامته الهادئة المعهودة , وكأنه يرثي لحالهم , وكيف لاقى أصناف الإهانات والشتائم البذيئة والركل بالأرجل والأيدي والضرب بالسياط وكوي جسده بالمكواة وتعريضه للجوع والعطش الشديد وحرمانه من النوم وإطفاء السجائر في جسده وحرق لحيته الكريمة .

وكانوا يأمرونه بالوقوف على قدم واحدة تحت طائلة التعذيب فيقف حتى يسقط مغمى عليه من الإعياء .

كانوا يريدون منه :

أن يقرّ لهم بأنه عضو قيادي في حزب الدعوة الإسلامية ويعطيهم أسماء أعضاء الحزب , فكانوا يقدمون أسماء ليشهد عليهم أنهم

من أعضاء الحزب , وان هذا الحزب ديني رجعي استعماري متآمر على الثورة وعلى الشعب .

فكان يجيبهم بأنه مسلم يؤمن بالإسلام ويدعو إليه , وانه بريء من أعوان الكفر والاستعمار .

ويروي شاهد عيان أن الشهيد السعيد رضوان الله عليه , قادوه مرة إلى التعذيب بسيل من الشتائم البذيئة وتناولته أيدي الزبانية ضرباً بالسياط (الكيبلات الكهربائية) حتى أورموا جسده وكسروا عظم إحدى قدميه وهم يطلبون منه الاعتراف بما يريدون منه , وهو يقرأ دعاء :

اللهم كم من عدوٍ انتضى عليّ سيف عداوته وسدّد إليّ صوائب سهامه فنظرت إلى ضعفي عن احتمال الفوادح ووحدتي في كثير ممن ناوأني فايدّتني بقوتك وشددت أزري بنصرتك ... الخ .

وهم يردّون على دعائه بأبشع الشتائم والسباب .

وبعد انتهاء شوط التعذيب أعادوه إلى إخوانه وهو متحامل على آلامه محاولاً أن يرسم على وجهه ابتسامة رضا .

وقد اشتهر الشهيد رحمه الله بأنه كان الأكثر تحملاً بالرغم من أنّ نصيبه من العذاب كان الأشد .

***

وأما الشهيد السيد نوري طعمة فقد اعتقل في بغداد ليلاً , حيث داهمت منزله ثلاث سيارات , ونزل من احدها ضابط وعدد من رجال الأمن , وما أن فتح الشهيد الباب حتى شهر الضابط مسدسه قائلاً :

أنت نوري ؟

قال : نعم

فطلب منه أن يصعد إلى السيارة على عجل دون أن يخبر أحداً أو يعلو له صوت , ولم يسمح له ولا لحظة واحدة لكي يهدّئ من روع زوجته التي أرعبها المشهد , ولم يكن قد مضى على زواجهما شهران .

واقتادوه إلى السيارة , وقال له احدهم : اصعد يا مخرّب أنت لك صلات بالمخربين بالبصرة .

ومضوا به إلى الشعبة الخامسة حيث التعذيب والبطش.

ويروي احد المعتقلين عن الشهيد السيد نوري شدة صموده وتحمله وكيف كان يسقط من التعذيب مغمى عليه .

***

وفي اليوم الثاني القي القبض على السيد حسين جلوخان , حيث حضرت سيارتان من رجال الأمن وتوزعوا على مدخل وزارة الاقتصاد ــ حيث كان موظفاً هناك ــ ونزل منهما ضابطان , واخذوا يدققون النظر في وجوه المغادرين لمبنى الوزارة , حتى بادروا إليه

على الفور طالبين منه الصعود إلى سيارة الجيب , إلى الشعبة الخامسة حيث التعذيب والوحشية .

ولم يعرف شيء عن الشهيد في معتقل بغداد , إلى أن رآه احدهم في معتقل الديوانية , وفور وصوله اقتاده الزبانية إلى غرفة الضابط المجرم فاضل حميدي الذي بادره بالسؤال بنبرة حاقدة عن سبب اعتقاله مع انه يعرفه ويعرف سبب اعتقاله .

فلم يجبه الشهيد .

فأمر زبانيته أن ينزعوا الشهيد ثيابه ويضربوه بالسياط لمدة ساعة كاملة , وانهال عليه الزبانية ضرباً بالكيبلات .

وكرروا على الشهيد أشواط التعذيب المتنوع مرات عديدة , وفي كل مرة كان يقدم لهم درساً رائعاً لصمود المؤمن وبسالته , حتى تساقطت أظافر قدمه وأغمي عليه .

وشدّد المجرمون (فاضل حميدي وعلي الخاقاني وعبد الرحمن " أبو عوف ") من تعذيبهم للسيد حسين وهو مغمى عليه , ولم يفق من إغمائه إلا بعد عدة ساعات وقد أصيب جسده كله بالورم من رأسه إلى قدمه ,كما أصيب بمرض الإسهال , فطلب منهم أن يسمحوا له بالذهاب إلى دورة المياه ولكن المجرمين أبوا ذلك . وطلب منهم أن يداووا جراحه فأبوا أيضاً .

وبعد دقائق جاءه احدهم بقدح من لبن وفتح باب الزنزانة قائلاً :

أعطيك هذا القدح بشرط أن توقع على الاعتراف كما نريد.

فأبى الشهيد , فألقى المجرم قدح اللبن على وجهه واخذ يرفسه برجله حتى أغمي عليه ثانية , وتركه ومضى .

وأما الشهيدان السيد عماد الدين والسيد عز الدين , فلم يكن ما تعرّضا له بأقل مما تعرّض له إخوانهم الآخرون .

فليس من ثقافة حزب البعث ورجال الأمن أن يظفروا بشخص دون أن يتعاملوا معه بوحشية متناهية ويصبوا عليه جام غضبهم .

***

ولقد كتب عدد من الكتّاب كما نظم بعض الشعراء مراثي في الشيخ عارف البصري وجماعته نقتطف منها هذه القصيدة للشاعر السيد جودت القزويني .

في موكب الشهادة

في ذكرى شهيد الإسلام الشيخ عارف البصري

(١)

تمــرُّ ذكــراكَ والأفــكارُ تزدَحمُ هَلْ ضَمّ شمسكَ في ليلِ الردى عَدمُ
تمر ذكراك لا شابت , ولا وهنت كــأنَّ ذكــراكَ فيــنا ليــس تنفطمُ
غر الرجال مضوا لا كفهم حملت مــن الــدنايــا , ولا زلتْ بهمْ قدمُ
عانوا المرارة , ما باتوا على وجلٍ ولا تغــشــت علــى أنوارهم ظُلَمُ
النار تعرف ما قاســوه فــي زمنٍ مكابرٍ طحنــتْ فــي كــفهِ الــقيمُ
تمر ذكراكَ يا تاريــخنا , وعــلى شفاهك الآيُ يُتــلى وهــو منتظمُ

(٢)

يا (عارفَ) الحقِّ ياروحاً سرى فهَدى ويا روىً دفتاه المــجدُ والــكرمُ
أرجعتُ أمسك في مــحراب منــعتهِ إلى غدٍ بمطاف الغــيب يــلتحمُ
فما وجــدتك إلا ومضــةً ســطعتْ تشع كــل اللــيالي حــين تبتسمُ
ما شــامَ مَجــدكَ إلاّ كــفُ مــنتقمٍ علمته للــرزايا كيــف ينــتقــمُ
فــقلْ : تَرآءى إلى الغــادين طيفهُمْ وقلْ : تقاصَر عَزْمٌ , واستبيحَ دمُ
وقلْ مشى الجَمعُ في صحراءَ مقمرة وما بها المرعبان : الجبن والبَرمُ
بــينــي وبــينــك يــومٌ غائمٌ , ويَدٌ وبين أشــلائنا في المبهماتِ فــمُ
هلْ طالَ روحــكَ نــجماً في مخائلهِ كما تطــالُ علينا تلــكم الهــممُ
يا (عارفَ) الحقّ , بحرٌ في مخيلتي لا يســتفيق علــى شطآنه القدمُ

ذكــرت يــومــك جــلاداً وأقــبية
يا نــخلــة جذرها زاكٍ ومحتدمُ
وقــفت كالطــود تــلوي كــلّ نازلةٍ
كأنّ عــزمــك للــطاغين مُلتهمُ
يومُ من الــدهر ذكرى غــيــرُ آفلةٍ
إنْ عاثَ في ذكريات الثائر الهَرِمُ
يومٌ إلى الحشر يمضي كاللظى ، وبهِ
تعودُ ريــانة فــي ثأرها الأمــمُ
إنْ كنت أدركت ماضينا ، وحاضرَنا
فلــم نزل بالنجيع الطهر نصطلمُ

(٣)

يا (عارفاً) ، إنّ هذا العصــرَ أفضعُهُ
عــقلٌ يُباعُ ، وتشرى بعدَهُ التهمُ
تركت كفكَ تذوي ـــ وهــي ملتــهبٌ
مــن الضياءِ وسيفٌ باترٌ ، ودَمُ
هل حَفنةٌ مِــن دما كــفيكَ تنــسفــهُ
لــعلّ ينسفُ هذا الحــقدُ والنِقمُ
قل طلبت مــن الــدنيا نــظــارتها
لمّا تعشق فــيها الجــائعُ النهمُ!
يا راضــع المجدِ ، أنساماً ، ومعجزةً
ما ضــمّ فــعلك في دوامةٍ سقمُ
إني رأيتــكَ صــقراً كــيفما أتجهت
له البــغاثُ قوياً لــيس ينــهزمُ
لم أنسَ وجهكَ ـــ والجــانون مُشرعة
نبالهم ـــ بيقين الحــتفِ يــرتسمُ
حتى جــذبتَ حــبــالَ الموتِ تعقدُها
وفي لهاتك نــجوى يُعــقدُ القسَمُ
فكــانَ رأسُــكَ مــرفوعاً بــهامــتهِ
وفوق رأسِــهمُ تــعلوا لكَ القدمُ
وما ســقــطــتَ صريعاً في مُنازلةٍ
إلا ليسقط فــي المستنقع الصنَمُ
هَلْ أنتَ مُــتّ ؟! قتــيلٌ فــتّ قاتلهُ
فأنتَ حيٌ ، وإنّ المــيتيــنَ هُمُ
خافوك والليلُ داجٍ ، مُرعبٌ ، خَطِرٌ
إذ أسدلتكَ إلى المــلحودةِ الشَمَمُ
وما دروا أنّ أرضــاً أنــتَ ســاكنُها
لــها بكــلّ فــؤادٍ مُخبتٍ ـــ علَمُ

ملامح عن علاقة الحزب بالمرجعية والحوزة العلمية

لم تكن هناك فاصلة بين المرجعية والحوزة العلمية من جهة وبين الخط العام لتحرك حزب الدعوة الإسلامية من جهة أخرى فالأهداف التي كان يسعى إليها الحزب وممارساته الميدانية على الأصعدة الاجتماعية والثقافية والفكرية كانت هي في حقيقتها أهداف المرجعية الواعية وعلماء الدين الحركيين.

كما ان انتماء عدد كبير من العلماء وطلبة الحوزة الدينية وخطباء المنبر الحسيني إلى صفوف الحزب ومنذ بدايات تأسيسه جعل منه ذراعاً للمرجعية واتجاهاً ميدانياً في الأمة , يتحرك وفق رؤى وتصورات المرجعية والعلماء .

وهذه مسألة على قدر كبير من الأهمية , حيث إنها أكسبت الحزب ثقة المرجعية وكبار العلماء الواعين .

وبناء على ذلك فان علاقتنا بالحوزة ثابتة لا تتغير , فهي إحدى المؤسسات الرئيسية التي لا تغيب عن أذهاننا , ونعتبر أن مصالحها جزء من مصالح الدعوة العليا .

وما يؤذي الحوزة يؤذينا وما ينفع الحوزة ينفعنا .

ويأخذ أعداء الإسلام هذا الأمر في اعتبارهم , فعندما حاربوا الدعوة ابتدأوا بالحوزة وعندما إستمرت عمليات مطاردة الدعاة أحاطوا الحوزة بحزام كثيف من الجواسيس .

ان الالتقاء بين الدعاة وأصحاب الهمم في الحوزة واسع باتساع النشاطات التي يمارسونها حتى تكاد تتطابق في بعض الحالات .

وان التفكير في سلامة الحوزة طرح على بساط البحث في أوساط الدعوة منذ بداية التأسيس عندما رأت الدعوة أن الجهات العميلة في العراق وإيران ــ أيام الشاه ــ تعمل وسعها بتخطيط من اسيادهم لضرب الحوزة وإضعافها .

وبدأنا نفكر في كيفية اتقاء الأضرار المحتملة من هذه الهجمة الشرسة وكنا ننقل مخاوفنا إلى المرجعية وزعامات الحوزة لتكون المشاركة في التصدي للمؤامرة بأوسع نطاق .

***

وما يتصور من وجود حالة منافسة لا أساس لذلك مطلقاً , فلا منافسة ولا أثنينية بين الدعوة والحوزة , ولا بين الدعوة وكل الوجودات الإسلامية في الأمة , وليست الدعوة بديلاً عن هذه الوجودات .

فقد ولد حزب الدعوة الإسلامية في أحضان الجامعة العلمية في النجف الأشرف , أسسه وقاده ثلة من العلماء والمفكرين الإسلاميين كان على رأسهم المرجع الشهيد السيد (محمد باقر الصدر) وحظي هذا العمل الإسلامي المنظم برعاية وعناية العلماء والفقهاء البارزين وتعاطفهم معه أمثال المرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم والشيخ مرتضى آل ياسين والشيخ محمد رضا المظفر والسيد إسماعيل الصدر والشيخ محمد أمين زين الدين والسيد مير محمد القزويني في البصرة ـ رحمهم الله جميعاً ـ .

ولدت هذه الحركة الإسلامية المباركة في الوسط العلمائي وتفاعلت معه تفاعلاً حياً , فأغني هذا الحزب بالفقهاء والعلماء الأفاضل المرموقين بمقامهم العلمي , وبطلبة العلوم الدينية الواعين , وبخطباء المنابر بشكل لم يسبق له مثيل في حركة إسلامية منظمة قبله .

وكان هذا العمل هو السبب الأساسي في قدرة حزب الدعوة الإسلامية على النمو والتحرك بشكل استقطب مختلف طبقات الأمة وغار في أعماقها واستطاع ان يواجه التيار المستحكم في أوساط بعض العلماء الذين ينادون بالابتعاد عن السياسة وعن التنظيم السياسي , ولا يرون إمكانية قيام دولة إسلامية قبل ظهور المهدي ـ عليه السلام ـ بل ان بعضهم كان يرى حرمة العمل على تشكيل الدولة الإسلامية قبل الظهور .

ان العلماء وطلبة العلوم الدينية يشكلون أساساً مهماً ورئيسياً من أسس بناء الحزب ويحتلون مواقع مختلفة من بناء الحزب التنظيمي من قياداته ومؤتمراته ولجانه التنظيمية والاقتصادية المختلفة ... وخصوصاً المجالات الفكرية والثقافية في الحزب .

وجاء في نشرة بعنوان (حـول الاسـم والـشكل التنظيمـي) الصادرة عام ١٩٦٠ م , ان الصفة الـشرعية الإلزاميـة للانـضباط التنظيمي في الدعوة تنبع :

١- من العهد الشرعي أو القسَم الذي يقطعه العضو على نفسه .

٢- من توقف تحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة في الحياة على العمل الجماعي المنظم .

٣- من إعمال الفقيه لولايته الشرعية في وجوب إطاعة التنظيم.

***

لقد بني الحزب على صلة وثيقة بالمرجعية الدينية , وبالعلمـاء العاملين .

ولذلك نجد أن الحزب يولي مسألة إعداد العلماء والمتخصصين بدراسة العلوم الإسلامية كل اهتمامه وجهوده , بل تبنى الحزب أكثـر من ذلك كما ورد في نشرات الحـزب وتعليماتـه ونظامـه الـداخلي الحرص على تنمية الحوزة العلمية وارفادها بالطلبة وتشجيع الدعاة على الدراسة والتخصص في العلوم الإسلامية لتحقيق مرحلة الأصالة الفكرية في العلوم والثقافة العامة ومرحلة الاجتهاد في الفقه وعلوم التشريع .

وقد تبنى الحزب أمراً يحث فيه الدعاة على ضرورة الالتحاق بالحوزة العلمية وحث الشباب المثقف المتفتح على الانضمام إلى الحوزات العلمية , ويعرف الجميع هذه الحقيقة .

فقد أنتج هذا الاتجاه جيلاً من الدعاة العلماء الذين يعملون في صفوف الحركة ويتحملون مسؤولية طلائعية في الدعوة والجهاد .

ولم تقف جهود حزب الدعوة الإسلامية عند هذا الحد , بل حثّ عناصره على الالتحاق بكلية الفقه في النجف الأشرف وكلية أصول الدين في بغداد .

فامتلأت الكليتان بالدعاة وبأنصار الدعوة الإسلامية. فتخرج جيل مثقف يجمع بين العلوم الإسلامية وبين الثقافات والاختصاصات الحياتية الأخرى .

وجرى كل ذلك باهتمام وتخطيط من قبل الحزب لإعداد الكوادر المثقفة بالثقافة والعلوم الإسلامية .

وقد أدرك حزب البعث ذلك فعمد إلى السيطرة على هاتين الكليتين لإفراغهما من الدعاة والمثقفين الإسلاميين الآخرين , بل لم يكن قرار تأميم التعليم إلا للسيطرة على هاتين الكليتين وعلى المدارس الإسلامية ذات الاتجاه الرسالي الملتزم .

وكان من نتائج التوجيه الذي أصدره حزب الدعوة الإسلامية إلى دعاته عام ١٩٦٠ ما يلي :

١- فقد شدّ الرحال شباب مثقفون من خريجي الكليات العلمية والخطباء وطلبة المدارس الحكومية , واتجهوا إلى النجف الأشرف ينهلون من العلوم الإسلامية ويسهرون على استيعاب أحكام الشريعة وعلومها , فكان نتيجة ذلك :
الجيل المثقف بالثقافة المعاصرة في الحوزة العلمية والدراسات الإسلامية ... إذ شكل الدعاة حلقة وصلٍ بين المسارين مع حفظ الاصالة والنقاء الإسلاميين ... فاتسع نطاق الانتماء إلى الحوزة العلمية ... وخرج عن دائرته التقليدية التي كانت شبه وراثية تنحصر في عوائل وبيوت ذات تاريخ علمي .

وتلك حقيقة غير خافية على احد ممن عايش الحوزة العلمية في النجف الأشرف وممن تابع أوضاع العراق في هذا الشأن .

٢- نمت نهضة فكرية ووعي سياسي ونشاط ثقافي عصري حرّك الأوساط الطلابية والعلماء والخطباء والشعراء وذوي المواهب في إطار الحوزة العلمية وجعلها تصب في مجرى النهضة والتغيير الإسلامي .

وتأريخ الفكر والأدب والثقافة في العراق شاهد على ذلك فان الدارس للإنتاج الفكري والأدبي الإسلامي في مرحلة ما قبل وجود

حزب الدعوة الإسلامية والمرحلة التالية لوجوده يجد الفارق النوعي الواضح للثقافة والنشاط في هذا الوسط .

كما يمكن من الإطلاع على هوية ذوي الإنتاج الأدبي والثقافي والقائمين بالمشاريع والمؤسسات والنشاطات الأدبية والثقافية الإسلامية أن نعرف حجم الدور الذي اضطلعت به هذه الحركة الرسالية المجاهدة.

***

عوامل الثقة بالدعوة

لعل من أهم الأسباب التي عمقت علاقة العلماء والمراجع بحزب الدعوة الإسلامية ومنح الحزب ثقتهم العالية هو .

١- وضوح شخصيات الدعوة الإسلامية للمراجع والعلماء الذين عايشوها فعرفوا أشخاصها ودعاتها وأفكارها وثقافتها .

٢- تأسيسها من قبل ثلة من العلماء والمفكرين الإسلاميين بالإضافة إلى وجود علماء وطلبة علوم إسلامية بين صفوفها وفي مواقع المسؤولية والتنظيم .

٣- المواقف البطولية والتضحية والإخلاص في الدفاع عن الإسلام وعلمائه ومقدساته .

وقد أدت هذه الثقة وهذا التبني والتفاعل إلى رسوخ حزب الدعوة الإسلامية في أوساط الجماهير وتعميق وجوده وإقبال الشباب المؤمن أفواجاً أفواجاً على تنظيمه .

كما وكان نتيجة لتفاعل حزب الدعوة الإسلامية وتماسكه مع وسط العلماء أن غدا المتابع لحزب الدعوة لا يستطيع الفصل بينه وبين المرجعية والعلماء والوكلاء والمرشدين وطلبة العلوم الإسلامية كما هو واقعه .

وهذا هو سرّ توجيه الضربة المشتركة من قبل الاستعمار وأداته الذليلة حزب البعث وعميل المخابرات الاستعمارية (صدام حسين) إلى مرجعية (الشهيد الصدر) وحزب الدعوة الإسلامية في آن واحد حينما رأى المرجع والعلماء المجاهدين وحزب الدعوة الإسلامية يقفون في خندق واحد ... ولا شيء أدل على ذلك من الهجمة الوحشية ضد علماء العراق الواعين العاملين عام ١٩٧٤ وما بعدها , التي شملت مختلف مناطق العراق , ولم تستثنِ حتى العالم الكبير السيد قاسم شبر الذي قارب التسعين من عمره .

لقد شملت الهجمة الشرسة كل أولئك سواء العاملين منهم في صفوف حزب الدعوة الإسلامية أو الذين يعملون متعاطفين ومتعاملين مع الحزب .

ولكن التهمة التي كانت توجهها أجهزة حزب البعث إليهم جميعاً هي انتماؤهم إلى حزب الدعوة الإسلامية , وعانى الجميع في سبيل العقيدة والمبدأ ألوان الاضطهاد والتعذيب وصدرت على الكثير منهم أحكام الإعدام كما صدرت على البعض الآخر أحكام بالسجن بمدَدٍ مختلفة , في حين اختفى البعض في غياهب السجون , وتمت تصفيتهم دون إعلام ذويهم .

وما دمنا نتحدث عن العلاقة بين حزب الدعوة الإسلامية وبين الفقهاء والعلماء والحوزة العلمية , لابدّ ان نشير إلى قضية هامة , هي أنّ الشهيد الصدر إنسحب من قيادة تنظيم ـ كما ذكرنا ذلك ـ فتفرغ

لشؤون المرجعية وبقي يرفد الحركة بأفكـــاره وتوجيهاتـــه وإرشـــاداته ويحوطها بأبوته الحانية .

وكان الشهيد عبد الصاحب دخيّل (أبو عـــصام) هـــو عـــضو الارتباط بينه وبين قيادة الحركة , واخبر السيد الصدر التنظـــيم بأنـــه سوف يمارس دور المرجعية ومهام الحوزة العلميـــة , وعلـــى الـــدعاة العاملين في صفوف التنظيم ان يمارســـوا دورهـــم الحركـــي ليـــسير العملاقان جنباً إلى جنب ويصبّا في مصب واحد ...

وفعلاً تحقق هذا اللقاء والتمازج في ثلاث نقاط أساسية : ـــ

١- التفاعل مع مرجعية السيد الشهيد واحتلال موقـــع العمـــود الفقري في بنائها , فقد كان العلماء الـــدعاة هـــم الركيـــزة الأساسية لمرجعية الشهيد .... والغالبية من وكلائه كانوا من الدعاة أو ممن يتأثرون بتيار الدعوة . فقد جاء في تقريـــر محفوظ لدينا ان حوالي ثمانين عالماً من علماء حزب الدعوة كانوا وكلاء للسيد الشهيد .....ففي بغداد وحدها كان للشهيد ستة عشر وكيلاً من العلماء الدعاة .

٢- الإرفاد الفكري وتبنّي أفكار الشهيد وتدريسها في حلقـــات الـــحزب مثـــل كتـــاب (اقتـــصادنا وفلـــسفتنا والمدرســـة الإسلامية والأسس المنطقية للاستقراء) .

إضافة إلى التوجيه والإرشاد الشفهي الذي كان يقدمه للحركـــة عن طريق اللقاءات التي تتم بينه وبين المسؤولين في الدعوة .

٣- وقد تجسدت وحدة الموقف ووحدة العمل في ساحة الشرف والجهاد يوم أعلن المرجع الشهيد الصدر موقفه القيادي الرائد .... وكان قبل إعلان موقفه قد تمّ الاتصال والتنسيق بينه وبين الدعوة المباركة , وبينه وبين وكلائه , واغلبهم من الدعاة كما أسلفنا .... فقاد أبناء الأمة في العراق في مواجهة دموية ضد حزب البعث العميل عام ١٩٧٩ حيث كانت أروع فصول التلاحم والجهاد بين المرجعية وحزب الدعوة الإسلامية وجماهير الأمة وعلمائها , حتى سالت دماء أبنائه الدعاة في ساحات الشرف والدفاع عن الإسلام ومقدساته .

وكان كاتب هذه السطور (حسن شبّر) هو الرابط الذي كان يوافي الشهيد الصدر بالمعلومات والاقتراحات التي تصدر عن التنظيم كما ينقل توجهات وتوصيات الشهيد السيد الصدر إلى التنظيم عام ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠ .

وحين تعذر الاتصال المباشر وفرضت الإقامة الجبرية على الشهيد الصدر في بيته , نظم الاتصال بطريقة خاصة , وان كانت من الصعوبة بمكان , ولكنها كانت مستمرة ...

***

محاولات لعزل الدعوة عن المرجعية

بعد أن تأكدت السلطات والدوائر الاستعمارية ان هـذا الكيـان الرسالي قد ولد ونما في أحضان الحوزة العلمية وانـه يحظـى بتأييـد ورعاية المرجعية الدينية , بذلت جهودها وركزت نشاطها لعزل الحركة وقطع الأواصر بينها وبين المرجعية الدينية والحوزة العلمية ومحاولـة الإيهام بان الدعوة تتحرك خارج إطار المرجعية ومواجهتها .

ولكن كان حزب الدعوة الإسلامية كما كانت المرجعية خصوصاً مرجعية الشهيد الصدر على وعي كامل بالتخطيط الخبيث الـذي كـان يسعى إليه البعث .

ولربما كان ذلك يزيد في شدّ الأواصر وبناء الجـسور وتمتـين العلاقات , فالكل أصبح يعي أنهم جميعاً مستهدفون من قبل نظام البعث وأنهم يحاولون أن ينفردوا بمجموعة مجموعة ليتمّ القضاء على الجميع بسهولة .

فكلما كان يسعى البعث لتفريق الشمل , كـان حـزب الـدعوة الإسلامية والمرجعية يزيدون من روابطهم وتفهمهم لما يُراد بهم .

وكان هذا يغيض حزب البعث , فيهجم على الدعوة والمرجعيـة والحوزة العلمية هجوماً عشوائياً شرساً في محاولة لاجتثـاث الجميـع اعتقالاً وتصفية جسدية .

ولكن السلطة كانت تجد نفسها في ارتباك واضطراب عندما تجد أنها لم تستطع ان تقلع الجذور , فكان (صدام) يقول :

ان حزب الدعوة أشبه ما يكون بـ (الثيّل)[1]. كلما قطعته نبت من جديد .

***

١- الثيّل : هو النبت الأخضر الذي يغطي أرضية الحدائق .

صور متعددة عن علاقة
حزب الدعوة الإسلامية بالمرجعية

وقد تجسدت العلاقة العقائدية والميدانية بين حزب الدعوة الإسلامية وبين المرجعية الدينية , ليس في الواقع وحسب , بل حتى في أذهان البعثيين أنفسهم .

فكان المرجع الحكيم يمثل حماية مرجعية للحركة الإسلامية التي كانت متمثلة في الدعوة الإسلامية , فقد دار حديث بين بعض البعثيين القياديين في بداية استيلائهم على الحكم وبين بعض الشخصيات حول المرجعية الدينية والحركة الإسلامية , فكان المسؤول البعثي يؤكد إننا نعرف وجود حركة إسلامية منظمة ... ولكننا لا نستطيع ان نواجهها ونضربها الآن ...

ولما سُئل لماذا لا تستطيعون مواجهتها الآن ؟

قال : مادام السيد الحكيم حياً فليس بوسعنا مواجهتهم ... وكان يقول باللهجة الشعبية (خل يموت هذا وشوف شلون نعلك كل واحد على عمود من أعمدة الكهرباء في الشوارع) .

وكان ذلك واضحاً كل الوضوح من خلال متابعة سير وأحداث المواجهة مع البعثيين .

فقد بدأوا بالهجوم على مرجعية السيد الحكيم وعملوا على إضعافها تمهيداً لضرب الحركة الإسلامية .

وخوفاً من ردة الفعل الشعبي , تعثرت خططهم ضد السيد الحكيم رضوان الله عليه .

واشتد الإرهاب والخطر البعثي وتململت الأمة من وجود هذا الكابوس الأثيم .....

وكان تفكير حزب الدعوة مستمراً في إحداث موقف موحد بين المرجعية وبين الحركة الإسلامية .

وفعلاً فقد تم الاتصال في بداية حزيران ١٩٦٩ بالمرجع السيد محسن الحكيم وبحث معه الموقف , واستقر الرأي على ان يتجه السيد الحكيم إلى بغداد , وتبدأ الحركة الجماهيرية وتنظم الوفود ويكثف التحرك من حول المرجعية ثم المواجهة .

فتوجه المرجع الحكيم إلى بغداد , وبدأ التحرك الشعبي ,وشعرت السلطة بالخطر الجدّي فشنت حملة على المرجعية لإضعاف موقفها وتحجيم دورها .

وحين رأى حزب الدعوة الإسلامية ان الموقف يتسم بالخطورة وان حزب البعث يبيت هجمة شرسة ضد المرجعية الدينية , اتجه وفد على مستوى قيادي من حزب الدعوة في ١٩٦٩/٦/٩ لزيارة السيد الحكيم وبحث الموقف معه , وأعلن عن استعداد حزب الدعوة الإسلامية لتحمل مسؤولية المواجهة والوقوف بوجه السلطة كخط أمامي لحركة

المرجعية وان الحزب بامكانه ان يثير الشعب من الجنوب إلى الوسط , العشائر والأهالي , الطلاب وأهل السوق , حتى إذا كان يقدم مائة شهيد من كوادره بشرط موافقتكم على ذلك .

أما الإمام الحكيم فبعد استماعه لتقرير الحزب , أجابهم بهذا النص (لا لا لا أريد ذلك , ينبغي ان يكون حزبكم مكتوماً , أي سرّياً).

وكان يشير بوضوح إلى خوفه على الحركة من ان تكشف وتضرب , وانه لا يرى الامكانات اللازمة للمواجهة .

أما الوفد فقد كان مؤلفاً من (عبد الصاحب دخيّل ومحمد هادي السبيتي والسيد داوود العطار والسيد فخر الدين الموسوي والسيد حسن شبّر) بحضور السيد مهدي نجل المرجع الحكيم .

ثم حدث أن وجهت السلطة اتهاماً لئيماً إلى الشهيد السيد مهدي نجل السيد الحكيم , وانتقل المرجع بعدها إلى الكوفة واحتجب عن الناس.

وهنا اقترح الحزب ان يصدر منشوراً يوزع على الجماهير يشرح ما جرى من لؤم وحقد وخدمة للاستعمار من قبل حزب البعث ضد المرجعية المتمثلة ــ آنذاك ــ بالإمام الحكيم , ليثير بذلك الشعب العراقي بجميع فئاته .

ولكن (الحزب) اقترح أيضاً أن يوافق السيد الحكيم على هذا المشروع .

إذن من يذهب إلى دار الإمام بالكوفة لأخذ موافقته , والدار محاطة بحراسة أمنية مشددة من قبل النظام .

عندها اقترحت أنا (حسن شبّر) ان أقوم بهذه المهمة , فقد كنت اعرف أزقة الكوفة .

ذهبت إلى الدار من الجهة الخلفية , دخلت وخرجت منها دون ان يشعر احد بذلك من أجهزة الأمن .

وعرضت على نجله السيد محمد باقر الحكيم فكرة المنشور وذهب السيد محمد باقر إلى غرفة أخرى (لعله شاور أباه المرحوم) ثم رجع واخبرني بموافقة والده وأعطاني مائة دينار لطبع وتوزيع المنشور في أرجاء العراق .

طبع المنشور (بآلة الرونيو) وبدأنا بتوزيعه , وكان أول ما وصل المنشور إلى البصرة[1].

١- فاشتعلت المدينة بالتظاهرات ثلاثة أيام متوالية , وكان بين المتظاهرين الآلاف من أبناء العشائر وغيرهم , بحيث اعتبرت مدينة البصرة خارجة عن يد السلطة حتى ان بعض قادة الجيش والشرطة في المنطقة كانوا يتصلون سراً بمن يتوقعون انه من قيادات الانتفاضة لترتيب موقف موحد وإعلان استعدادهم لدعمها فيما لو كان في نية الإسلاميين القيام بثورة شعبية مسلحة للإطاحة بالنظام .
وكانت الجماهير تنتظر موقفاً من وكيل الإمام الحكيم في البصرة لتأخذ الانتفاضة طابعاً آخر , إلا انه أشار عليهم بالهدوء وضبط النفس (لعدم مجيء أوامر من النجف) . وكانت الانتفاضة مرشحة لتجتاح الجنوب والوسط حيث خرجت بالفعل تظاهرات مسلحة كبيرة في مناطق متعددة من العراق الأمر الذي شجع حزب الدعوة الإسلامية في البصرة لطرح فكرة العصيان المدني ←

وقد تنبه حزب الدعوة الإسلامية من بداية تأسيسه إلى الخطة الاستعمارية الخبيثة الرامية إلى فصل العلماء عن الأمة ,وخصوصاً عن الطلائع الرسالية المثقفة وعزلهم عن مجال العمل السياسي .

لذلك كرس حزب الدعوة الإسلامية جانباً كبيراً من نشاطه ومجال عمله لإحباط هذه الخطة الخبيثة .

فقد عمل حزبنا على تأكيد التفاعل التام بين الحركة والعلماء العاملين , وكان العلماء والطلبة العاملون في صفوفه يعملون على اتخاذ الوسائل والأساليب الضرورية لإذابة هذه الاثنينية , وقد جسّدها هذا التفكير عملياً في عدة مجالات , منها إسناده لمرجعية الفقيه الراحل السيد محسن الحكيم في الوسط الجماهيري , ووقف معه ورفع اسمه كعنوان للمواجهة السياسية بوجه الحكام .

وتشهد مئات الخطب والبيانات والاحتفالات والندوات الثقافية التي كان يقيمها الدعاة في أنحاء مختلفة من العراق , وفي المناسبات

←في كل العراق إلا ان الظروف العامة والامكانات وموقف الإمام الحكيم لم تسمح لقيادة حزب الدعوة بالاستجابة للفكرة وتنفيذها .
ثم جاءنا الأمر من الجهة التي استلمنا منها المائة دينار , ان لا ننشر إلا الدعاء المستل من دعاء الافتتاح (اللهم إنا نرغب إليك في دولةٍ كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة ....) .
ولكن حزب الدعوة لم يوزع هذا المنشور لأننا لم نكن ندري هل كان المنع من المرجع نفسه أم من غيره في داره ؟ والمنشور نفسه لم يكن في مستوى الحدث والهجمة التي تعرض لها الإمام الحكيم .

الإسلامية الهامة , وفي تنظيم المسيرات والتظاهرات والوفود إلى المرجعية لإسناد موقفها .

كما وقف حزب الدعوة الإسلامية إلى جانب المرجعية أيام الحكم العارفي بوجه طائفيته المتحجرة والروح العنصرية التي حاول هذا النظام بثها , فاعتقل عدداً من الدعاة على اثر المواجهة وتوزيع المنشورات في محافظة البصرة ومناطق أخرى تندّد بخططه اللئيمة .

وتأكيداً على إيجاد تفاعل حي ومتماسك بين العلماء ووكلاء المراجع وبين جيل الشباب , وجهت الدعوة أمراً إلى دعاتها بالالتفاف حول العلماء وأئمة المساجد الواعين ووضع خطة لتحريك العلماء الذين كانوا لا يزالون لا يهمهم أمر المشاركة في النشاط الإسلامي .

كل ذلك من اجل إيجاد حركة إسلامية تضم كل قادر على العمل والمساهمة ......فكان الدعاة في كل مسجد وحسينية , وحول كل عالم يحضرون الجماعة ويقيمون الدروس والندوات الثقافية .

ولا يُنسى الدور الفعال الذي قام به الدعاة لحمل فتاوى المراجع بكفر الشيوعية وإلحادها , في حين كان حملها وتوزيعها يكلف المرء حياته في تلك الفترة الحرجة من تاريخ العراق .

***

وانتشر في بقاع واسعة من العالم الإسلامي علماء يؤمنون بالعمل الإسلامي وعودة الإسلام إلى الحياة من جديد , وظهر فيهم

أسلوب حديث في التعامل مع الناس لم يؤلف من قبل ولم يُعرف إلا في بطون كتب التاريخ عندما نقرأ تأريخ امتنا المشرق .

***

إنّ حزب الدعوة الإسلامية لا يرى هناك اثنينية بينه وبين مجمل الحوزة , فالدعوة حركة منظمة لإعادة الأمة إلى الإسلام .

والحوزة العلمية وجدت لحمل هم الإسلام والدعوة إليه ومن الطبيعي أن يستجيب للدعوة عدد من أوساط الأمة المختلفة وعدد اكبر من وسط الحوزة .

ان نظرة الدعوة إلى الحوزة العلمية ككل ,أنها امتداد تأريخي لمجموعة الفقهاء والمبلّغين الذين أخذوا الإسلام من مصادره وحافظوا عليه ودعوا الأمة إليه .

والحوزة بوجوداتها المتعددة في المراكز العلمية وفي بلاد المسلمين وجود هام في الأمة , ووسط هام من أوساطها , تتبنى الدعوة المحافظة عليه والنهوض به حتى يصبح كياناً فاعلاً يأخذ موقعه الرائد في حركة تغيير الأمة بالإسلام .

ومن اجل الوصول إلى هذا الهدف , تعمل الدعوة على حماية الحوزة من أعداء الإسلام وتخليصها مما فيها من السلبيات والاستفادة مما فيها من الايجابيات ودفع طاقات جديدة من أبناء الأمة للانضمام إليها .

ان الواجب الكفائي , في ان يكون في الأمة في كل عصر عـــدد كاف لسدّ احتياجاتها من المبلغين والمجتهدين غير متحقق الآن في نظر الدعوة للظروف السيئة التي مرّت بهــا الحــوزة فــي ظــل الحكــام المنحرفين.

فعدد المبلغين والمجتهدين لا يلبّي حاجات الأمة , خاصة بالنظر إلى النقص في نوعياتهم , وستزداد حاجة الأمة إلى المبلغين والمجتهدين بتأثير الدعوة فيها ان شاء الله .

ولذلك تتبنّى باهتمام دفع أصحاب القابليات من أبناء الأمة للدراسة في الحوزات العلمية لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم , وتتبّنى بشكل خاص دفع أصحاب المواهب والإخلاص من طلبة الحوزة وأبناء الأمة لمواصلة دراستهم وبلوغ رتبة الاجتهاد .

***

انتفاضة صفر عام ١٣٩٧ هـ
شباط ١٩٧٧م

المسلمون في العراق اعتادوا ان يزوروا ضريح الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ بمناسبة العشرين من صفر (أربعين يوماً بعد استشهاده) من كل عام ,يردون من جميع المدن في العراق , من أقصاه إلى أقصاه إلى كربلاء ليخرجوا على شكل مواكب تردد الأشعار.

وهي مناسبة دينية يلتقي فيها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة , ثم يعودون إلى أهليهم لينقلوا إلى الآخرين ما رأوه وما سمعوه .

وأبناء النجف والكاظمية وبغداد والحلة والديوانية والمدن التي بينها وحتى بعض أبناء البصرة والناصرية يذهبون إلى كربلاء مشياً على الأقدام على شكل مجاميع تقطع في طريقها اليوم واليومين والأربعة والعشرة ....

ويستعد الساكنون على الطرق المؤدية إلى كربلاء لاستضافة زوار الحسين ـ عليه السلام ـ فيقدمون لهم افخر أنواع الأطعمة , كما يقدمون لهم السكن الجيد والخدمة اللائقة ويتبركون بذلك ويتبارون .

وتاريخ المواكب الحسينية , سواء كانت بالسيارات أو مشياً على الأقدام تأريخ قديم , يقدر بأكثر من مائتي عام .

وذكرنا في الكتاب الأول (مواكب الطلبة) التي نظمها حزب الدعوة الإسلامية عام ١٩٦٦ و١٩٦٧ , وقلنا إنها كانت على مستوى عالٍ من الترتيب والنظام وتعريف الناس بحقيقة ثورة الإمام الحسين ــ عليه السلام ــ .

ولما منعها نظام البعث , قرر الدعاة الانتشار ضمن المواكب الجماهيرية التي تأتي إلى كربلاء من كل مكان بمناسبة الأربعين .

وركزوا اهتمامهم على موكب النجفيين (موكب المشاة) لأنه اكبر المواكب .

واشتركوا في المواكب الأخرى واستطاعوا أن يوجهوا مسيرتها.

ولكن بعثيي العراق عندما جيء بهم للحكم عام ١٩٦٨ وجدوا أن هذه المواكب تخالف استراتيجيتهم , فضيقوا عليها أيما تضييق

وهم لم يفاجئوا الأمة بهذه المضايقة , وإنما تدرجوا فيها واتبعوا أسلوباً تكتيكياً خبيثاً .

فإلى عام ١٩٧٠ كانوا قد تسامحوا قليلاً مع تلك المواكب .

وفي عام ١٩٧١ اشترطوا على أصحاب المواكب عندما يأخذون إجازة من الإدارة الرسمية بالانطلاق , اشترطوا عليهم أن لا يتكلموا في قصائدهم بما يسيء إلى سمعة البعث .

وفي عام ١٩٧٢ وزّعوا على كل موكب مائة دينار وكيساً من الرز هدية من احمد حسن البكر رئيس الجمهورية آنذاك , ولكنهم طلبوا منهم ان يمدحوا الدولة والرئيس .

وابتداءً من عام ١٩٧٤ بدأت السلطة تعتقل بعض أصحاب القصائد بحجة أنهم أساؤوا إلى (الثورة الوطنية) .

ثم أصبحت المواجهة سافرة .

***

وفي عام ١٩٧٧م الموافق ١٣٩٧ هـ استعد النجفيون لهذه المواكب استعداداً عظيماً . وكان حزب الدعوة الإسلامية ـ كما قلنا ـ قد ركّز عليها وانبثّ بين صفوفها .

وكان يوجه رؤساء المواكب على طريقة التحرك وإيهام السلطة.

***

ودعا محافظ النجف (جاسم الركابي) رؤساء المواكب والعاملين فيها إلى اجتماع عام في إدارة المحافظة , وخطب فيهم ومنعهم من هذه الرحلة وحذرهم من مغبة المخالفة .

وقال لهم من جملة ما قال : ان قضاء الوقت في هذه المسيرة يعتبر عملاً سلبياً لا يعطي مردوداً للثورة والوطن .

فتصدى له النجفيون وقالوا له :

(ولماذا لا تعتبرون احتفالكم بمناسبة ٧ نيسان , يوم مولد حزب البعث ولعدة أيام عملاً سلبياً ؟) .

ثم قالوا له : إننا سوف نخرج ونذهب إلى زيارة الحسين ــ عليه السلام ــ على عادتنا ولن يستطيع احد ان يثنينا عن ذلك .

وحدثت مشادة كلامية في هذا الاجتماع .

وفي اليوم المقرر لتحرك المسيرة استعد الجلاوزة لصدّ هذه المسيرة عن الحركة واستعد النجفيون في المقابل وأصرّوا على الذهاب.

وخيّم على النجف ــ يومها ــ جوّ من الإرهاب والحذر وأشاع النجفيون أنهم سوف يبدأون بالمسيرة في يوم كذا بالساعة كذا من مكان كذا ...

واستعد الجلاوزة لصد هذه المظاهرة الجماهيرية في المكان والزمان المقررين .

وكان النجفيون قد أوهموا السلطة في تحديد الزمان والمكان .

بالفعل خرَج ما يقارب الخمسمائة طفل من المكان الذي أعلنوه يرددون أهازيج وشعارات دينية , فاعتقد الجلاوزة ان هؤلاء الأطفال هم طليعة المسيرة . وتوجهوا إليها .

ولكن النجفيين خرجوا من مكان آخر وبجحافل عظيمة بحيث لم يلتفت الجلاوزة إلا والجماهير الزاحفة قد توسطت الشارع العام المؤدي إلى كربلاء فأسقط في أيديهم وانسحبوا إلى الوراء عندما وجدوا أنهم لا يستطيعون ان يثنوهم عن هدفهم , ويخشون منهم ان قاوموهم , أو أنهم ما كانوا يريدون مقاومتهم في داخل المدينة .

وتحركت الجماهير مشياً على الأقدام نحو كربلاء بتنسيق عظيم وتخطيط دقيق وشعارات هادفة .

وحاولت السلطة محاولات عديدة لتثني هذه المسيرة عن وجهتها ولكنها لم تفلح .

وفي اليوم التالي للمسيرة , وبالضبط في ١٧ صفر /١٣٩٧ هـ المصادف لليوم الخامس من شباط /١٩٧٧ م قامت السلطة بقطع الماء والطعام [١].عن المسيرة , وقامت باستنفار قواتها المحلية لتهجم على جموع الناس المؤمنين عندما كانت قد قطعت نصف الطريق في منطقة (خان الحماد) أو ما يسميه النجفيون (خان النص) فتصدت لهم الجموع المؤمنة بالأيدي والحجارة , فأطلقت السلطة عليهم النار وقتلت اثنين من الشباب المتدين يبلغ عمر احدهما أربعة عشر عاماً .

وما أن انتشرت أنباء ذلك في أنحاء العراق حتى عمّ التذمر الشديد والاستنكار الواسع , فيما هرعت أعداد كبيرة من العشائر المجاورة للطريق لنجدة المسيرة الحسينية التي لم يرعبها إطلاق النار وإراقة الدماء , وألهب ذلك الجماهير وتعالى حماسها , فيما ارتفعت الهتافات التي تطالب بسقوط السلطة وتندد بظلمها .

كان من بعض الشعارات :

١- حيث ان الناس المؤمنين والمتعاطفين مع قضية الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ يقدمون لهم الطعام الجاهز ينقلونه لهم بسياراتهم كما ينقلون لهم الماء بالتانكرات , علماً بان طريق السيارات بين النجف وكربلاء طريق صحراوي لا ماء فيه ولا كلأ بطول ٨٥ كيلوا متراً .

يا صدام شيل إيدك (ارفع يدك) جيش وشعب ما يريدك .

بالروح بالدم نفديك يا حسين .

واستمرت المسيرة الثائرة في طريقها إلى كربلاء , فيما انضمت إليها الجموع الغفيرة المناصرة من مختلف المناطق .

وعندما قاربت المسيرة مدينة كربلاء : أرسلت السلطة الغاشمة عدة طائرات على هذه الجموع : فكانت تهبط عليها , على مستوى منخفض جداً فتشتتهم في الصحراء المترامية الأطراف , وترهبهم بما تبعثه من أصوات مرعبة .

ثم بعثت بالدبابات لتسحق من تجد أمامها .

وأخيراً أرسلوا بعض الوحدات العسكرية ,فكان الجنود يقبضون على أبناء الشعب ليضعوهم في سياراتهم وليذهبوا بهم إلى بغداد , ولكن بعض سواق السيارات (الجنود) كانوا يتعاطفون معهم وينزلونهم في الطريق قبل الوصول إلى بغداد .

ومع ذلك كله فقد وصلت مجموعة كبيرة من هذه المسيرة إلى كربلاء وأدّت مراسيمها وقرأت قصائدها وشعاراتها كما كان مخططاً لها .

***

واتخذت السلطة ألعوبة المؤامرة السورية التي أعدت لها مسبقاً وقبيل ظهر اليوم التاسع عشر من صفر , ظهرت مكبرات في سيارات

الشرطة تحذر من مؤامرة سورية , وقاموا بإخراج الناس من الصحن الحسيني الشريف .

وكانت المكبرات تحذر من المندسين (عملاء النظام السوري) الذين يحملون المتفجرات .

وخوفاً من عدم تصديق الناس لهذه الأراجيف , حاولوا ان يقتادوا بعض الزائرين ويطلعوهم على مكان الحادثة وعلى الحقيبة التي وضعت فيها المتفجرات .

وأذاعوا بأنهم قبضوا على شخص سوري الجنسية يدعى (محمد علي نعناع) كان قد وضع حقيبة فيها بعض المتفجرات داخل الصحن الشريف لمرقد الحسين ــ عليه السلام ــ وإنهم كانوا يراقبون هذا الشخص من بعيد منذ ثلاثة أيام , وعندما وضع حقيبته تلك وحاول الانصراف قبضوا عليه وفتحوا الحقيبة ووجدوا فيها متفجرات كان يراد لها ان تنفجر في الصحن أثناء تجمع الزوار في الحرم الشريف .

والطريف في الأمر ان بعض الجلاوزة كانوا قد أشاعوا قبل إعلان الحكومة عن ذلك , ان من المحتمل ان توضع في الصحن الحسيني الشريف قنبلة , فكانوا يحذرون الناس من مغبة المجيء إلى كربلاء .

وهي قضية تافهة جداً تبدو لأول وهلة إنها من نسج جهاز الأمن البعثي , وأنهم كانوا يريدون منها :

١- إخـــافة النـــاس ,وبالتالي ليمتنعوا عن زيارة الإمام الحسين ــ عليه السلام ــ ولكيلا يستمعوا إلى الشعارات التي سوف تنطلق من المظاهرات التي انطلقت من النجف والتي سوف تصل إلى الصحن الشريف .

٢- ان يظهروا للناس ان سبب إخلائهم للصحن الـشريف هــو نتيجة للعمل الذي ينسبونه إلى سوريا .

٣- وهناك مآرب أخرى كان النظام الجائر يتوخاها أيضاً.

***

ولكن السلطة ــ بعد ذلك ــ قبضت على أكثر من ثمانية عــشر ألف وزجّتهم في المعتقلات , ثم حاكمت مجموعة منهم , فحكمت بإعدام البعض وسجن الآخرين .

وبعث السيد (أبو القاسم الخوئي) في ١٩٧٧/٢/٢٢ وفداً إلى (احمد حسن البكر) يستعطفه في إطلاق سراح المعتقلين .

وكان الوفد يتألف من (السيد جمال نجل الإمام الخوئي والشيخ محمد جواد آل راضي والسيد حسين بحر العلوم والسيد مصطفى جمال الدين والسيد عبد الرسول علي خان والسيد محمد تقي الجلالي) .

ووعد البكر هذا الوفد بان مجيئهم سيكون خيراً للجميع , وكأن رئيس الجمهورية أراد ان ينكل بالسيد الخوئي نفسه ويستهين بالوفد حيث صدر بعد يومين أي ١٩٧٧/٢/٢٤ قرار المحكمة بإعدام ثمانية

أشخاص وبالسجن المؤبد لخمسة عشر شخصاً من المشاركين في تلك المسيرة .

وكانت المحكمة التي تألفت لذلك قد شكلت من بعض الـــوزراء كان منهم (حسن العامري , وعزت مصطفى , وفليح حسن الجاســم) وأصدرت أحكامها .

وحصل رد فعل داخل صفوف حزب البعث ,حيث تعرض عدد من أعضاء المحكمة الخاصة (وبالخصوص الحكام الشيعة) الذين أصدروا أحكام الإعدام (ضد المتظاهرين) تعرضوا للفصل من عملهم بسبب ليونتهم وتساهلهم مع عدد من المتهمين [١].

فما كان من صدام إلاّ نكل بهم .

وللعلم فان الشيوعيين وقفوا مع السلطة في مواجهة الانتفاضة ودعت (طريق الشعب) ــ الجريدة الرسمية للحزب الشيوعي ــ إلى دعم السلطة في مواجهة (الرجعية) حتى ان المانشيت المكتوب على الصفحة الأولى في أعدادها في تلك الفترة كان يقول

١- وبالمناسبة ففي حلول عام ١٩٧٧ تضاءلت مشاركة الشيعة بصورة مطرّدة في صنع القرار السياسي ولم يبق في مجلس قيادة الثورة عضو من الـــشيعة وقـــد ابتكر المسؤولون ــ بعد إدراكهم لتفاقم حدة الخلاف والنـــزاع الطـــائفي الـــذي يمارسونه ــ فكرة التوقف عن استخدامهم أسماء عائلاتهم الكاملـــة (ألقـــابهم) لتحاشي ذكر وتوضيح انتماآتهم الطائفية .

(لنقف جميعاً في مواجهة الرجعية) .

وعندما كانت المسيرة قد انطلقت من النجف , وقبل ان تصل إلى كربلاء ,حاولت السلطة ان تحافظ على الحد الأدنى من كرامتها , وذلك بمنع الثوار عن ترديد الشعارات المعادية للبكر وصدام , وان يدخلوا إلى كربلاء بشعارات حسينية فقط , فلجأت إلى السيد (محمد باقر الصدر) وطلبت منه التدخل لحل الأزمة المتفاقمة بإقناع الثوار بالاقتصار على ترديد شعارات حسينية فقط .

فقد ذهب محافظ النجف (جاسم الركابي) إلى السيد الصدر وطلب منه التدخل بإرسال من يطلب من الثوار المنتفضين ان لا يرددوا شعارات معادية للسلطة , ويبلغهم بتراجع السلطة عن قرار منع المسيرة الحسينية , ويطلب منهم الهدوء والاكتفاء بترديد الشعارات الحسينية فقط وانه لن يتعرض احد منهم للاعتقال فيما بعد .

فقال له السيد الشهيد (ومن يضمن سلامة الوفد , الذي ابعثه إليهم فقال الركابي (أنا أضمن سلامة الوفد , ولو حدث غير ذلك فسوف أقدم استقالتي وأحلق شاربي[1].انّ هذا تعهد مني ومن وزير الداخلية عزت الدوري) .

١- في الأعراف العراقية من يحلف بحلق الشارب أو يضع يده على شاربه فـان النكول عن ذلك يعني انه ليس رجلاً .

ولم يكن السيد الصدر يثق بوعود السلطة أبداً إلا انه لاحظ ان المسيرة قد حققت أهدافها , وان السلطة سوف تتخذ أقسى الإجراءات ضد الثوار بعدما تنتهي مناسبة زيارة الأربعين .

فكان من الطبيعي ان يفكر السيد الصدر في محاولات لتخفيف ردّ فعل السلطة تجاه الثوار والسعي لإنقاذهم والاقتصار على عدد محدود من الضحايا وتضييق دائرة الانتقام إلى اقل عدد ممكن .

وبناءً على ذلك فقد أوفد الشهيد الصدر احد تلامذته وهو (السيد محمد باقر الحكيم) إلى المتظاهرين للاكتفاء بما حصل وجعل المسيرة في كربلاء مسيرة هادئة ليحفظوا أرواحهم من انتقام السلطة .

أما المتظاهرون فقد طلبوا من السيد محمد باقر الحكيم ان يشترك معهم في المرحلة الأخيرة من مسيرهم إلى كربلاء , إلا أنه اعتذر لأسباب مرضية .

ثم عرضوا عليه مطاليب المتظاهرين إذا التزموا بمطاليب السلطة , وهي :

١- عدم متابعة السلطة للمشتركين في المسيرة بعد انتهائها .

(وهذا الشرط كان قد ضمنه لهم محافظ النجف في تعهد للسيد الصدر بذلك) .

٢- إطلاق سراح مجموعة من المشتركين في المسيرة والذين اعتقلتهم السلطة , فكان جواب الحكيم : نعم ان المحافظ تعهد بعدم متابعة المتظاهرين .

٣- ان يشاركهم السيد محمد باقر الحكيم نفسه في مسيرتهم إلى كربلاء ولكنه ــ وكما ذكرنا ــ اعتذر بأنه مريض .

٤- وطلبوا منه ان يأتي إليهم صباح يوم ١٨ صفر ليخطب في الجماهير في كربلاء قبل انطلاقها إلى ضريح الإمام الحسين ــ عليه السلام ــ .

فوافق على ذلك واتفق معهم على ان يحضر في الساعة ٨،٢٠ صباحاً ولكنه لم يحضر .

وما دمنا بهذا الصدد فان السيد (مصطفى جمال الدين) يقول : (ان محافظ النجف , طلب منه ان يكلف السيد محمد باقر الحكيم بالذهاب إلى السائرين إلى زيارة الإمام الحسين ــ عليه السلام ــ وان يثنيهم عن ترديد الشعارات المعادية للنظام .

فذهب السيد محمد باقر ــ كما ذكرنا ــ وعندما عاد , اتصل المحافظ بجمال الدين وطلب منه ان يعقد له اجتماعاً مع السيد محمد باقر الحكيم بحضور جمال الدين في (مكتبة الرابطة الادبية) .

يقول جمال الدين (كنت في الرابطة , فجاء المحافظ أولاً , ثم جاء السيد محمد باقر الحكيم , وعندما نزل من سيارته ليدخل بناية الرابطة , كان هناك عدد من أفراد الأمن حيث تلقفوا السيد الحكيم وقبضوا عليه , ثم أرسلوه مخفوراً إلى بغداد .

***

يظهر أن السلطة كانت قد كلفت جمال الدين في البداية ليقنع السيد محمد باقر الحكيم في الذهاب إلى المسيرة من اجل إيقافها أو التقليل من حدة شعاراتها .

ثم طلبت نفس المطلب من السيد الصدر ـ رحمه الله ـ .

ولعل السلطة كانت تعتقد ان حزب الدعوة الإسلامية هو الذي يحرك تلك الجماهير , من خلال الأدلة المتوفرة لديها .

وحاولت ان تثبت هذا الاعتقاد , فلجأت إلى السيد محمد باقر الصدر وطلبت منه ان يبعث إلى المسيرة من يوقفها أو يغيّر من حدة شعاراتها .

فإذا وافق السيد الصدر وحقق ما تريده السلطة , فان ذلك يعني ان السيد الصدر هو الذي حرّك تلك الجماهير , بدليل انه أوقفها أو حدّد من شعاراتها .

ولم ينخدع السيد الصدر بالمواثيق التي تعهّد بها (جاسم الركابي) محافظ النجف , ولا بالقسَم الغليظ في حلق الشارب !

ولكنه حاول ان يقلل من الأخطار والخسائر التي كانت متحققة الوقوع ولم يلتزم المحافظ بعهوده , وفقد رجولته .

ولم يكن المحافظ وحده كذلك , فكل من يعمل مع (صدام) يُفقده صدام رجولته , ويصبح عبداً ذليلاً لا حول له ولا قوة , فاقداً للعواطف الإنسانية .

***

وفي العام الذي تلا هذه الحوادث , أي في عام ١٣٩٨هـ وخشية من ان تحدث كالعام الماضي , فان السلطة البعثية الجائرة سمحت للمواكب بالذهاب إلى كربلاء فردياً وليس ضمن مواكب جماعية وأرسلتِ كل محافظة مجموعة من معاوني الأمن وأفراده لتتبّع حركات المواكب الحسينية , وكان التفتيش شديداً على منافذ بغداد وبقية المدن لتفتيش زوار الحسين ـ عليه السلام ـ .

ولكن الحشود كانت كثيفة في كربلاء , على رغم المضايقات الشديدة على الزوار .

وقد أصدرت مديرية الأمن العامة , التعليمات التالية للسيطرة على الاجتماعات الحاشدة في المحرم وفي أربعين الحسين ـ عليه السلام ـ صدرت قبيل المحرم عام ١٣٩٨ هـ :

١- يسمح بالزيارة الفردية لكافة المواطنين إلى العتبات المقدسة بالطريقة التي يختارها المواطن[١].

١- في العام الماضي عندما منعت السلطات مواكب المشاة , وتحدتها تلك المواكب فإنها هذا العام , سمحت بالذهاب إلى كربلاء بالطريقة التي يختارها المواطن راكبا أو ماشياً , فإنها عاجزة عن ان تمنع الناس من التوجه إلى كربلاء بطريقة المشي , فالناس يتوجهون لزيارة الحسين (ع) من كل مكان , من المدن الكبيرة والصغيرة والقرى والأرياف والتجمعات المحيطة بالطرق المؤدية إلى كربلاء , ووجدت أنها خلال عدة سنوات استعملت جميع السبل لتمنع السير على الأقدام وما استطاعت , علماً بان السير على الأقدام يظهر وكأنه مظاهرة صاخبة متوجهة من عدة منافذ , وكلها تهدف إلى الوصول إلى كربلاء والبعثيون يعز عليهم كثيراً ان يريدوا شيئاً ولا يستطيعون تنفيذه .

دون اللجوء إلى الوسيط [1].

٢- يمنع جمع التبرعات النقدية لإقامة التعازي والمواكب .

٣- يمنع منح الإجازات [2] الاعتيادية خلال عشرة محرم الحرام والأربعين لكافة موظفي الدولة وعمالها .

٤- يبلغ الجهاز الحزبي والإداري بالابتعاد عن المشاركة في هذه الممارسات إلا بتكليف خاص [3] .

٥- يبلغ الجهاز الحزبي والإداري بتركيز التثقيف على المواطنين بالابتعاد عن هذه الممارسات .

٦- يتم عقد اجتماع رجال الأمن في كل محافظة لإفهامهم وإقناعهم بطريقة العمل المقررة في هذه المناسبة , ويكون بحضور اللجنة المكلفة لهذا الغرض وتعتمد خطة القيادة القطرية أساساً للعمل .

١- ويقصدون بدون وسطاء , أي ان كل فرد يذهب لوحده وليس ضمن مواكب مشخصة بالأفراد ووسائل التجمع ومكبّرات الصوت وقراءة الأشعار .

٢- المقصود بذلك ان الدولة سوف لا تعطي موافقتها ــ في تلك الأيام ــ لإجازات التغيب عن الدوام لأي سبب كان لئلا يذهب أولئك إلى كربلاء .

٣- فان الدولة بأجهزتها الأمنية الرادعة تكلف أشخاصاً متعددين لينفذوا مع أولئك الزائرين وليثيروا فيهم المخاوف من الدولة , أو يبثوا فيما بينهم الإشاعات في محاولة لعدم الاتجاه إلى كربلاء أو لتقليل أعدادهم أو لتغيير الأشعار التي سوف تقرأ في تلك المناسبات وتوجيهها توجيها بعثيا , والهدف الأكبر في ذلك هو التعرف على الأشخاص الفاعلين في المواكب ليتم القبض عليهم عند رجوعهم .

٧- يتم التركيز في التثقيف في هذه المناسبة على المبادئ الوطنية والقومية .

٨- يتولى المحافظون التنسيق مع المنظمة الحزبية والأمن لاتخاذ بعض الإجراءات اللازمة في الحالات الطارئة على ان يبلّغ السيد وزير الداخلية أو عضو القيادة القطرية المختص بالإجراءات المتخذة وتحدد نسبة العناصر السيئة بشكل واضح .

٩- يكون المحافظون ومسؤولو التنظيم ومدراء الأمن في اجتماع دائم .

١٠- توجيه الحزبيين والأمنيين والإداريين لرعاية المواطنين وحسن التصرف معهم وعدم الاحتكاك المباشر ويقوموا في مراقبة وتشخيص الظواهر السلبية ورفعها إلى المركز مباشرة لاتخاذ القرار المناسب .

١١- تتولى مديرية الأمن والشرطة تعزيز الأجهزة في كل من محافظتي كربلاء والنجف , وتكون تلك المفارز بإمرة المحافظ وتحت توجيهه .

١٢- في حال استغلال هذه المناسبة من قبل عناصر عميلة ورجعية ومشبوهة وتوجيهها بشكل صريح ضد الحزب والثورة تتخذ ضد تلك العناصر الإجراءات الرادعة , ويتم ذلك بقرارات القيادة ووفق توجيهها .

١٣- إفهام رجال الدين بشكل واضح وصريح بعدم التدخل في الشؤون السياسية , وان الدولة تحترمهم كرجال دين يكرسون حياتهم في الدين والعبادة والبحث الديني , وفي حالة تجاوزهم هذا الإطار فان الدولة ستحاسبهم على ذلك[1].

١٤- التقليل ــ جهد الامكان ــ من الوسطاء الذين يتعامل مع الوسط الديني , والتعاون المباشر مع رجال الدين والشخصيات المؤثرة من قبل المسؤولين الحكوميين والحزبيين كلما تطلب الحاجة ذلك[2].

***

١- عدم التدخل في الشؤون السياسية هو الذي يسعى إليه الحاكمون الذين يحكمون الأمة بغير رضاها والذين يريدون أن يسيطروا على كل شيء .
وهم يعلمون أن الأمة تحترم علماء الإسلام وتنقاد إليهم , يأخذون منهم أحكامهم العبادية وغيرها , فإذا خالفوهم فعلوا محرماً .

٢- (رجال الدين والشخصيات المؤثرة من قبل المسؤولين الحكوميين) هــو مــا يؤسف له أن يكون في الأوساط الدينية من يتعامل مع أجهزة الــسلطة الأمنيــة لقاء جاه زائل ومال رخيص, فيخدمون السلطة الظالمة ويتجسسون على أهــل الدين .
وهم إما أن يكونوا معروفين , وتتقصد الدولة أن تعرّفهم ليسقطوا مــن أعــين الناس , ولتعطي الدولة بذلك دليلاً على أن في وسط أهل العلم من يخدم السلطة وأما أن يبقوا طيّ الكتمان , فينقلب النظام يوماً وتكشفهم الوثائق التي سوف تقع بأيدي الناس , فينالون جزاءهم من حقد المجتمع .

إنّ هذه التعليمات تظهر مدى ما وصل إليه اثر حــزب الــدعوة الإسلامية على الحوزة والمجتمع في التوجيه والتوعية علــى مفــاهيم الإسلام في ثورة الإمام الحسين ــ عليه السلام ــ وبلورة ولاء المسلمين لائمتهم , وتكشف مدى خوف السلطة العميلة من التجمعات الإسلامية .

وبالتالي عن طبيعة السياسة الجائرة التي يطبقها العمــلاء فــي بلادنا فيما يتعلق بعزل الإسلام وعلمائه عن الحياة السياسية وإلــزامهم بتكريس حياتهم في العبادة والبحث الديني فقط .

***

آخر لقاء لي مع الشهيد السيد محمد باقر الصدر كان في مساء يوم ١٩٧٩/٥/٢١

علاقتي بالشهيد الصدر لم تكن علاقة عمل فقط , وإنما هي علاقة معرفة منذ عام ١٩٤٥ , يوم جاء إلى النجف من الكاظمية لغرض الدراسة في الحوزة .

كما كانت لي معه علاقة صداقة حميمة , وبالإضافة إلى ذلك كنت وكيله القانوني بوكالة عامة مطلقة كمحامي , تخولني مراجعة كافة الدوائر الرسمية ,منذ عام ١٩٦٧ وهو العام الذي أعطاني فيه مبلغاً من المال للمضاربة التجارية , حيث كانت بداية بزوغه المرجعي , إذ كان يحاول ان يستثمر الأموال التي ترد إليه[1] .

١- في عام ١٩٦٧ أعطاني الشهيد الصدر مبلغ ألف وخمسمائة دينار للمضاربة التجارية , وكان يطلب مني أن لا يطلع احد على ذلك إلا أبو عصام (عبد الصاحب دخيّل) وبالفعل فقد كنت أمارس المضاربة بأمواله البسيطة هذه وأعطيه ربحها عند راس كل سنة . وعندما تمّ اعتقالي في ٢٦ /١٩٧١/١٠ , كانت تلك الأموال تشغل بالي كثيراً , فعبد الصاحب أدخيل معتقل وأنا معتقل , وربما نستشهد كلانا , والدفاتر التي كنت أسجل فيها هذه المبالغ لم اذكر أنها راجعة إلى السيد الصدر ــ كما طلب هو ذلك ــ إذن ماذا اعمل , وإذا متّ فان أولادي لا يعلمون شيئاً عن الموضوع . ودخلني من ذلك غم كبير , وعندما منّ الله علي بالسلامة وأطلق سراحي , أسرعت إلى السيد الصدر وأرجعت له أمواله , فامتنع في البداية من أخذها , ولكنني ألححت عليه , وقلت له : خذها فإنني أخشى أن اعتقل من جديد .

وكنت في فجر يوم ١٩٧٩/٥/٢١ , قد رجعت تواً إلى بغداد من مهمة حزبية خارج العراق , وقد كنت متعباً , حيث لم أنم في ليلتي تلك.

وعند بزوغ الشمس , جاءني السيد حسين نجل السيد إسماعيل الصدر (صهر السيد الصدر) وقال لي :

إن السيد عمه يحب أن يراك .

قلت له : إنني حاضر للذهاب إليه

قال : متى ؟ فان عمي يريد أن اعلمه بوقت حضورك .

(وعلى رغم تعبي وإرهاقي) قلت له : عصر هذا اليوم إن شاء الله .

ذهبت إلى النجف ـ بسيارتي ـ في نفس اليوم , وأخذت معي زوجتي في محاولة لإخفاء تحركاتي في تلك الأيام العصيبة .

ففي تلك الأيام كانت كل تحركاتي مرصودة , ولم استطع الاختفاء تماماً , أو ترك العمل , بعد أن عزّ العاملون , خصوصاً أولئك الذين يحملون عبء الدعوة كلها .

فكنت عندما التقي بعض اللقاءات الحزبية , آخذ زوجتي معي وكأنني أزورهم زيارة عائلية , حتى عندما التقي طبيباً في عيادته أو في المستشفى , فاقطع لها بطاقة دخول , وتدخل معي ثم تجلس جانباً لأتحدث مع صاحبي وهكذا ...

وفي زيارتي للسيد الصدر , أخذتها معي أيضا , وتركتها في حرم الإمام علي عليه السلام , وقلت لها سوف اذهب إلى السيد الصدر وأعود قبل المغرب إن شاء الله , وكنت أظن أنّ لقائي مع السيد لا يطول.

وعندما ذهبت إلى داره , قال لي (أريد أن اسهر معك هذه الليلة) , وبالفعل كانت تلك الجلسة من جلسات العمل الطويلة التي عوّدنا إياها السيد الجليل , فقد استمرت حتى الفجر .

كانت الثورة الإسلامية في شهورها الأولى حينذاك , بحيث لم يمض على نجاحها أكثر من مائة يوم .

ودارت بيننا أحاديث تخص العمل الحزبي .

وكان يقدم لنا الخطط العملية ويحذرنا من الاستعمار وصنيعته صدام , ولم يكن صدام قد تسنّم منصب الرئاسة بعد , ولكنه رحمه الله كان يتوقع تغييراً في العراق .

قال إنّ الاستعمار سوف يبذل قصارى جهوده في رصد الحركات الإسلامية الفاعلة في المنطقة الإسلامية وفي العراق على وجه الخصوص , وسوف يكون حزب الدعوة الإسلامية هو النقطة المضيئة التي يراقبها الاستعمار ويجمع حولها المعلومات الدقيقة , وإنّ العملاء سوف يسلكون جميع السبل في ضرب كل قوة فاعلة كحزب الدعوة .

ثم ذكر لي ــ رحمه الله ــ كيف أنّ جلاوزة البعث دخلوا بيته في غيابه وبحجة وجود خلل في التأسيسات الكهربائية , ووضعوا جهازاً

دقيقاً في احد الأزرار الكهربائية في الغرفة التي يجلس فيها الشهيد نفسه.

وتكلمت معه في تلك الليلة عن حكمه في عدم جواز انتساب بعض طلاب الحوزة إلى حزب الدعوة .

فقال : إنّ الحكم كان لفترة محددة , وهو الآن تنازل عنه[1] .

***

وعند الفجر أعطاني ــ رحمه الله ــ مقداراً من المال للعمل الحزبي , وكان ذلك ديدنه في كل شهر , ولكنه في هذه المرة دفع لي أكثر مما كان يدفع في الأشهر السابقة , لتغيّر الظروف وزيادة الحاجة

ثم فارقته رحمه الله , وكان ذلك آخر لقاء بيني وبينه , فبعد أيام قليلة جرت حوادث رجب , ثم احتجز في بيته , ولكن الاتصال فيما بيني وبينه كان مستمراً عن طريق صهره السيد حسين .

والواقع أن السيد الشهيد ــ في تلك الفترة ــ لم يكن يتصل بحزب الدعوة إلا عن طريقي أنا فقط , فكان يبعث لنا توجيهاته وإرشاداته واقتراحاته كما كان يستشيرنا أيضا في اتخاذ بعض المواقف.

١- وهو ما يشير إليه السيد كاظم الحائري في مقدمة كتاب (مباحث الألفاظ) عندما يكتب عن الشهيد الصدر ص١٠٢ , إن الشهيد أرسل له رسالة مع السيد محمود الهاشمي يخبره فيها انه التقى احد رموز الدعوة واخبره بتنازله عن ذلك الحكم .

وكان وهو في حالة الاحتجاز يرسل لنـــا المـــساعدات الماليـــة باستمرار , واخبرني الشهيد رحمه الله بواسطة نفس الصلة إن المجـــرم صدام أرسل له بعض جلاوزته يريد منه أن يفتي بحرمـــة الانتـــساب لحزب الدعوة وجواز الانتساب لحزب البعث ليفك عنه الحجز ويزوره بنفسه ويهديه سيارته الخاصة .

ولكن السيد رفض ذلك رفضاً باتاً وطلب مـــن الوســـطاء أن لا يعاودوا عليه الطلب مطلقاً .

***

١٩٧٩

عام مليء بالأحداث

منذ بدايات العام ١٩٧٩ , كان الذين يتصدون لشؤون حزب الدعوة الإسلامية في العراق ثلاثة فقط هم (عبد الأمير المنصوري وهادي عبد الحسين شحتور وأنا) .

أما هادي عبد الحسين , فقد كان زميلي في العمل الإسلامي منذ منتصف الستينات , اعتقل عام ١٩٧٤ مع مجموعة الشيخ عارف البصري وحكم عليه بالسجن خمس سنوات , وأطلق سراحه في عملية العفو عام ١٩٧٩ , ثم اعتقل عام ١٩٨٠ وأعدم .

وهو شخص ذكي جداً , حريص على العمل , سريع الحركة واسع الإطلاع , وله علاقات واسعة مع الإسلاميين السنة , بالإضافة إلى انه جيد في التحليل السياسي .

وأما المنصوري , فسوف اكتب عنه في مكان آخر موضوعاً مستقلاً .

***

كانت اجتماعاتنا كلها في بيتنا في الكاظمية , وفي إحدى الاجتماعات حضر الشهيد محمد صالح فخري الذي كان مهندساً في

دائرة (السكك الحديد) وكان داعية نشيطاً مخلصاً , كان يطبع منشورات الدعوة في مطابع (السكك) .

قال المهندس فخري :

انه كان زميلاً في الدراسة للدكتور إبراهيم يزدي وزير خارجية إيران يوم كانا كلاهما في الخارج , ويستطيع أن يلتقيه ويطلب منه ما ترتأيه الدعوة .

ناقشنا الموضوع بإسهاب ,ثم وافقنا على اللقاء , وطلبنا منه أن يقول (لوزير الخارجية) :

نحن حزب الدعوة الإسلامية , ونريد أن نتحرك في العراق من اجل تغيير الوضع , فما هو نوع التأييد الذي بإمكانكم أن تقدموه لنا؟

مادي ؟

إعلامي ؟

عسكري ؟

أم شيء آخر ؟

***

ذهب الشهيد محمد صالح فخري إلى إيران , إلى سورية أولاً ثم إلى الكويت بجوازه العراقي ــ لغرض الإخفاء ــ وهناك التقى السفير الإيراني (علي شمس أرد كان) وطلب منه أن يمنحه ورقة عبور إلى إيران للقاء وزير الخارجية .

رحب به السفير واتصل بالوزير ومنحه ورقة عبور وسافر إلى إيران والتقى هناك وزير الخارجية الدكتور إبراهيم يزدي وبلغه طلب حزب الدعوة فقال له :

إنّ بإمكانكم أن تلتقوا سفير إيران في بغداد (محمود دعائي) وتطلبوا منه ما تشاءون فسوف يلبي لكم ذلك .

ثم إن الوزير أبلغ الشهيد محمد صالح فخري أمراً آخر لا يزال سراً لم يطلع على كنهه احد .

فقد قال له الوزير :

ذهبت إلى الإمام الخميني وقلت له :

لو ترسل برقية إلى السيد محمد باقر الصدر وتطلب منه عدم الخروج من العراق (وان كان السيد الصدر لم يفكر بالخروج) فان هذه البرقية سوف تحرك الشعب العراقي وسوف يكون تأثيرها جيداً .

***

وعندما كنت (كاتب السطور) في إيران – أيام الهجرة – وفي عام ١٩٩٦ كنت اشترك في فريق رياضي (للقيام بتمارين وليس للمباريات) في إحدى الحدائق العامة وكان الدكتور إبراهيم يزدي في الفريق ذاته .

التقيته وعرّفته نفسي وسألته إن كان يعرف المهندس محمد صالح فخري , أجاب بالإيجاب وسألني عنه .

قلت له :

ان محمد صالح فخري ذكر عنك أنك طلبت من الإمام الخميني ان يبعث برقية إلى السيد الصدر بعدم الخروج من العراق .

قال : نعم

قلت له :

إن السيد الصدر لم تكن لديه نية للخروج من العراق والبرقية ذاتها كان لها مردود سيء للغاية على السيد الصدر نفسه وعلى حزب الدعوة ومجمل القضية الإسلامية العراقية فمن الذي دفعك إلى ذلك ؟ وأوحى إليك أن تطلب من الإمام ؟

قال : تقديري الخاص

ثم قال : ومن تتصور انه أوحى إليّ بذلك ؟

قلت : مهدي الهاشمي[1]. ربما هيأ لك أجواء الحديث .

استغرق بالتفكير وسكت .

***

كان ذلك ما يتعلق بالبرقية

١- مهدي الهاشمي ,شخص معمم ,يعمل في مؤسسات الجمهورية الإسلامية الإيرانية وارتقى إلى مسؤول حركات التحرر في العالم ضمن مؤسسات الحرس الثوري وكان يحمل عداءً شديداً لحزب الدعوة الإسلامية وللسيد الصدر بالذات.وانكشفت عمالته وأعماله الإجرامية فاعدم على عهد الإمام الخميني وسوف نتطرق إليه بصورة مفصلة في الكتاب الثالث إن شاء الله .

أما ما يتعلق بموضوع محمد صالح فخري فقد رجع واخبرنا بمقالة الوزير .

واجتمعنا ثلاثتنا وطرحنا هذا الموضوع للبحث .

ماذا نطلب من السفير الإيراني .

قلنا : إننا في البداية نريد أموالاً لإنجاز بعض مهام المعارضة للنظام نريد ان نشتري أسلحة وأجهزة طباعة وتكثير .

وسيارات لنقل الأسلحة والأفراد .

وبيوتاً لخزن الأسلحة حيث كانت عمليات استئجار البيوت صعبة جداً تحتاج إلى موافقة الشرطة في المنطقة مع تعريف وتأييد مختار المحلة .

كما نريد رواتب للمتفرغين وعوائل الشهداء والمعتقلين .

ونحتاج الأموال أيضا للاتصال بأفراد الأمن والتعاون معنا لإيصال بعض المعلومات إلى المعتقلين من حزب الدعوة أو استلام بعض المعلومات منهم .

وأخيراً نعطي الأموال إلى الإذاعات الخارجية كإذاعة (مونت كارلو) لتذيع أخبارنا أولاً بأول .

إذن الذي نحتاجه كمرحلة أولى هو ثلاثمائة ألف دينار وكانت تساوي ــ آنذاك ــ مليون دولار .

وذهب المهندس فخري إلى السيد دعائي , ووصل إليه بطريقة غاية في الخطورة , وحدثه حول سفره ولقائه بوزير الخارجية واحتياجاتنا .

يقول الشهيد فخري :

إن السيد دعائي ضحك وقال : إنني لا املك إلا ألف وأربعمائة دينار وطابعة ومسدساً في بيت السيد دعائي نفسه في النجف , حينما كان هناك قبل قيام الثورة الإيرانية وان هذه المطبعة كانت تطبع منشورات ورسائل الإمام الخميني .

فرفض الأخ المهندس فخري أن يستلم النقود , ولكننا استلمنا الطابعة والمسدس .

***

انتفاضة رجب ١٣٩٩ هـ حزيران ١٩٧٩ م

بداياتها ونهاياتها

كل الدلائل كانت تشير إلى ان البلد الذي سوف تنشأ فيه دولة إسلامية في الظرف المعاصر , إنما هو العراق , وذلك لتوفر الأسباب التالية:

١- المرجعية الإسلامية التي تركزت في النجف منذ ما يقارب الألف عام , والحوزات العلمية التي يقصدها الطلاب من شتّى بقاع العالم.

وطبيعة المرجعية أن يكون للمجتهد أتباع ومقلدون في كل مكان , ويأتمرون بأمره وينتهون بنهيه .

وليس شرطاً في المجتهد المقلد أن يكون عربياً أو فارسياً أو من أية قومية أخرى , إنما المهم ان تتوفر فيه شروط الأهلية للتقليد .

والمرجعية بصورة عامة لها تأثير مهم في نفوس المقلدين .

وفي التاريخ المعاصر حوادث ومواقف كثيرة تدل على عمق ذلك .

٢- ظاهرة السيد الصدر

في ذيول الحقبة الأخيرة من سيادة الحضارة الغربية ظهر الوعي الإسلامي , بحيث انّ المحتوى الفكري والسياسي والحركي للرسالة الإسلامية ظهر متجسّداً في فكر السيد الشهيد حتى أصبح رمزاً للصراع الحضاري بين الإسلام والكفر ولكونه مرجعاً دينياً توفرت فيه الصفات الشرعية للقيادة , فقد تصدى لتأسيس الحركة الإسلامية في العراق ثم لبناء المرجعية الرشيدة ليستكمل أدوات التحرك الحاسم في الصراع الحضاري.

٣- ظاهرة الوعي الإسلامي

فقد اجتاحت العراق هذه الظاهرة وشملته من أقصاه إلى أقصاه , في الجامعة والمسجد وفي السوق والبيت وفي الدائرة وكل مكان , ولاشك أن لحزب الدعوة الإسلامية شرف إذكاء هذه الظاهرة .

***

ولكن شاء الله أن تكون الدولة الإسلامية المرتقبة في ارض مجاورة للعراق , في إيران بالذات , وكان واضحاً للاستعمار وعملائه (الشاه وحزب البعث وغيرهم) إنّ هذا الرجل المعمم القابع في احد دور النجف الصغيرة (الإمام الخميني) يستطيع أن يحرك الشعب

الإيراني وهو في النجف , وكانت إذ ذاك العلاقات بين إيران والعراق وطيدة .

فبعد اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ , انتهت الحملات الإعلامية بينهما وعادت المياه إلى مجاريها[١] وبدأت العلاقات الودية والزيارات بين الطرفين , وكان على رأسها الزيارة التي قام بها صدام حسين إلى إيران تلبية لدعوة الشاه .

ومن جملة مظاهر الود ان سمحت الحكومة العراقية للإيرانيين بزيارة المراقد المقدسة في العراق , زيارات أسبوعية منظمة وهي وان كانت مكتنفة برجال الأمن العراقي والسافاك الإيراني , إلاّ أنّ الزوار الإيرانيين كانوا يعتبرون زيارتهم ناقصة إن لم يحظوا بزيارة الإمام الخميني .

١- هذه القضية تعطي صورة واضحة عن تعامل العملاء الذين يخضعون لسيد واحد , فالعداء الذي كان بين العراق وإيران , كان يتصوره البسطاء انه لن يكون بعده صلح أبداً , ولا ينسى الشعب العراقي عندما قال احمد حسن البكر قولته المشهورة يوم كان رئيساً للجمهورية (لست عربياً ولا مسلماً ان لم انتقم من الشاه) .
وبعد فترة وجيزة كانت إذاعة مونت كارلو تذيع أخبارها عن محادثات الصلح التي جرت في الجزائر .
قالت : انّ الشاه وصدام بعد ان كانا متنافرين في الأيام الأولى من المؤتمر (مؤتمر أقطاب دول الأوبك) حتى دخلا هذه المرة ويتأبط احدهما الآخر وكأنهما صديقان حميمان , لم يعكّر صفو حياتهما أي شيء .

وبواسطة هؤلاء كانت تصل التعليمات وأشرطة الكاسيت إلى الشعب الإيراني الذي سرعان ما يكثرها وينشرها في عموم البلاد الإيرانية .

وحسب الشاه انه إذا استطاع أن يبعد السيد الخميني من النجف فانه يستطيع أن يتخلص من معارض عنيد ومن شبح الخوف والقلق .

وبحكم علاقة الشاه بالزمرة الحاكمة في العراق , فانه طلب منهم إبعاد السيد الإمام من العراق .

وبدأ البعثيون بالتضييق على الإمام , ففي البداية كانوا يراقبون الداخلين إلى بيته ويضايقونهم , ثم منعوا وصول غير طلبة العلوم إليه .

واستمر هذا المنع حتى شمل طلبة العلم وبقية الناس بحجة المحافظة على حياة السيد الإمام .

وأخيراً خيرّوا الإمام بين أمرين :

بين ان يترك التصدي إلى الشاه

وبين ان يغادر العراق

وكان طبيعياً ان يختار الإمام المغادرة .

***

وقرر الإمام أن يغادر إلى الكويت باعتباره بلداً إسلامياً .

وحين علم السيد الصدر بقرار الإمام , قرر زيارته , على رغم ما يترتب على ذلك من آثار وحساسيات أمنية من ناحية السلطة العميلة حيث كانت قوات الأمن قد طوقت منزل السيد الإمام والشارع والأزقة

المؤدية إليه , وذهب السيد الشهيد إلى منزل الإمام , وكان قد تحدث قبل ذهابه بضرورة زيارة الإمام من قبل العلماء , لأنه بمثابة تأييد ومساندة للإمام في هذا الظرف.

كان السيد الصدر هو المرجع الوحيد الذي وقف هذا الموقف المشرّف في وقت عزّ فيه من يجرؤ على التقرب من الزقاق الذي يقع فيه منزل الإمام , فضلاً عن الدخول إلى بيته .

وكانت زيارة السيد الشهيد للإمام الخميني , مورد السؤال والتحقيق من قبل السلطات يوم اعتقاله .

نعم غادر الإمام الخميني , ووصل إلى الحدود عن طريق البر العراقي في ١٩٧٨/١٠/٦ , ولكن السلطات الكويتية منعته من الدخول.

وفرح الشاه , وتصور انه أغلق النوافذ على السيد الإمام , وانه سوف يذعن للحكومة العراقية ويترك التصدي للشاه .

وعاد الإمام إلى بغداد , وصلى صلاة المغرب والعشاء في حرم الإمامين في الكاظمية .

وكان هناك عدد كبير من الدعاة يصلّون في الحرم ـ كعادتهم ـ وعلموا بوجود الإمام بينهم , وما حصل له من ممانعة في دخوله الكويت , فالتفوا حوله يهتفون ويكبّرون , وكان لولدنا الشهيد رياض مساهمة في ذلك ولم يستطع جلاوزة البعث أن يفرقوهم .

***

وشاء الله ان يفتح للإمام باباً كبيراً ويذهب إلى باريس , وهناك من مقره في (نوفل لو شاتو) استطاع ان يحــرّك الــشعب الإيرانــي ويطيح بالشاه .

وتفاعل الشعب العراقي المسلم مع أنباء الإمام الخميني وبياناتــه وكانوا يطربون لتحرك الشعب الإيراني وتفاعله مع هذه البيانات .

أما السلطة في العراق , فقد أخذت تحسب حساباً لتأييد المسلمين في العراق للثورة الإسلامية الإيرانية , وعملت أول الأمر علــى عــدم إظهار عدائها للثورة الإسلامية , وغَضّت النظر عن بعض مظاهر تأييد الثورة في المساجد والحسينيات والأسواق والشوارع وبعض المناقشات التي كان يوجهها الدعاة والجماهير بصورة عامة إلى البعثيــين وازلام السلطة في المؤسسات والندوات الحزبية حول مــوقفهم مــن الثــورة الإيرانية.

واستثمر الدعاة هذه الأجواء لبعث الأمل في نفوس الأمة بعــودة الإسلام وتوسيع تعاطفها مع الدعوة ولاستكمال هدف المرحلة التغييرية والتهيؤ للمرحلة السياسية .

وعندما حقق الله نصره للشعب الإيراني واندفعت الأمة تعبّر عن فرحتها العميقة , كانت السلطة فــي وادٍ آخــر مــن الخــوف والقلــق الشديدين.

وكان إقدامها على وضع الجيش في إنذار من الدرجة القــصوى تدبيراً احترازياً من تحرك قد تقوم به الأمة .

وبدأت السلطة وأتباعها عن طريق وسائل إعلامهم وأحـــاديثهم يقللون من أهمية الثورة الإيرانية وأخذوا يتعرضون لمن يظهر التأييـــد لها بالإهانة والاعتقال .

***

وهذه صورة تبين وضع السلطة والأمة بعـــد انتـــصار الثـــورة الإسلامية :

ــ كثرت زيارة المسؤولين إلـــى المـــدن والقـــرى والأريـــاف واظهروا الاهتمام بالخدمات العامة .

ــ أمرت السلطة أفراداً من الأمن والشرطة بشراء الأسلحة من الناس في مناطق واسعة , وبدأوا بعملهم بصفة تجار ســـلاح وبأســـعار مرتفعة , حيث بلغ ثمن البندقية عشرة أضعاف في بعض الحالات وذلك خوفاً من المسلحين وبهدف تجريدهم من السلاح خشية من مستقبل قـــد ينذر بالخطر .

ــ ترسل السلطة بين آونة وأخرى على المتدينين مـــن جميـــع الأعمار وتسألهم عن رأيهم في الثورة الإسلامية , وتأثيرها فيمن حولهم على شكل أفراد ومجموعات .

ــ كثفت من مراقبتها المتدينين البارزين , وجعلت أحياناً لكـــل متدين عنصر مخابرات يراقبه , وكذلك لكل مسجد وحسينية أكثر مـــن عنصر من عملائها , وكان بعضهم يعمل خادماً للمـــسجد أو مؤذنـــاً .

وبعضهم يظهرون التدين والعداء للسلطة , وربما يُعتقلون ثم يطلق سراحهم لإتمام دورهم .

ـ زادت السلطة من عطائها للمتعاونيين معها من العلماء والخطباء والوجهاء ورؤساء العشائر .

ـ في ندوة حزبية لأفراد القوة الجوية في بعض المناطق , سأل احدهم المحاضر عن رأي حزب البعث في الثورة الإسلامية فلم يجب فتوسع الكلام بين مؤيد ومعارض مما أدى إلى اعتقال مجموعة من المؤيدين للثورة الإسلامية (ولعل عملية المحاضرة كانت في الأساس لغرض اعتقال المخالفين) .

ومن ناحية الأمة :

ـ فقد تزايد الإقبال على الصلاة , نساء ورجالاً , كباراً وصغاراً بالرغم من إشاعات اعتقال المصلين في المساجد ,وتزايد الاستماع إلى إذاعة الثورة الإسلامية في المعسكرات خاصة بين نواب الضباط والعرفاء والجنود .

ـ تزايد الإقبال على الكتاب الإسلامي بشكل ملحوظ , وانتشر استعمال الأشرطة الدينية , كما وزعت أعداد كبيرة من صور الإمام الخميني .

***

وفي خضم تلك الانتصارات المتلاحقة , أرسل الشهيد الصدر للسيد الإمام رسالة [1]. إلى فرنسا عن طريق التلفون ,وبدأت بعدها اتصالات مكثفة بمكتب السيد الشهيد من جميع وكلائه وطلبته في العراق وخارجه لمتابعة الوضع في إيران ودعم المرجعية القائدة للثورة المتمثلة بمرجعية الإمام الخميني .

ومن يومها ساد الشعب العراقي اعتقاد بأن الثورة في إيران إنما هي ثورة إسلامية وانّ الله ناصرها , وان العراق سوف يكون البلد الثاني المرشح لسيادة الإسلام .

***

١- سوف نثبتها في آخر الكتاب

البعثيون يثيرون الشكوك في الثورة الإسلامية

وتحرك بعثيو العراق وخشوا ان تصل إليهم رياح الخميني الشديدة وأعلنوا في بياناتهم ان السيد الخميني إنما قام بهذه الثورة انتقاماً لولده الذي قتل في النجف من قبل رجال السافاك , وان الشعب الإيراني شعب همجي ينقاد للرجعية السوداء من رجال الدين .

ثم قاموا بالتضييق على الدعاة وبدأوا يزجّون بهم في المعتقلات الرهيبة وفي اشد أنواع التعذيب .

وكانوا يشككون بنجاح الثورة الإسلامية من عدة جوانب :

أ ـ ان علماء الدين غير قادرين على القيام بثورة , وإنما هي عواطف يمتلكها الشعب الإيراني سرعان ما تخمد .

ب ـ ان الإتحاد السوفيتي وبمعاونة الشيوعيين الإيرانيين سوف يسرق الثورة ولن يدع حكماً إسلاميا يقوم في جواره .

جـ ـ ان إيران سوف تتمزق إلى خمس جمهوريات , هي : (أذربيجان وبلوجستان وكردستان وخوزستان وجمهورية الوسط) .

ء ـ ان ركائز الشاه في البلاد قوية جداً وانه سوف يعود كما عاد في أعقاب مصدّق .

هـ ــ ان أمريكا لن تدع إيران التي جعلتها ترسانة حديدية في مقابل الاتحاد السوفيتي , لن تدعها لقمة لأصحاب العمائم .

و ــ ان حرباً عالمية سوف تنشأ في المنطقة بين أطماع أمريكا وأطماع الاتحاد السوفيتي .

إلى آخر ما هنالك من الاحتمالات والتشكيك .

***

وكان كل يوم يمر على إيران ويحقق نصراً للإمام الخميني يزداد بعثيو العراق حنقاً على الدعاة وتضييقاً , وزجّوا بهم في السجون الرهيبة تعذيباً وتقتيلاً .

وحيث عرفوا ان السيد الصدر هو محور العمل الإسلامي في العراق وانه الشخص المؤهل لان يقود شعباً كما قاده الإمام الخميني في إيران . فبدأوا بمراقبة داره والتحرّش بالداخلين والخارجين .

***

ورجع الإمام الخميني إلى إيران بعدما هرب الشاه , وعمّت الأفراح كل أرجاء العالم الإسلامي , ولكن الفرحة في العراق كانت اكبر , فقد وزعت الحلويات في المساجد والبيوت كما وزعت المنشورات والملصقات الجدارية وبوسترات الإمام الخميني , وكان ذلك للدعاة عيداً سعيداً .

وابتهاجاً بهذا الحدث , عطل الشهيد الصدر درسه وقال : (وصلني خبر بسقوط آخر قلعة من قلاع الطاغوت , وقد حقق الله تعالى بذلك آمال الأنبياء والصلحاء على يدي هذا الرجل العظيم السيد الخميني حفظه الله تعالى , وقد تمكن الشعب باليد الخالية ان يجابه قوة استعمارية كبيرة بما لم نره من التاريخ إلاّ ما نقرأه ونسمعه عن المسلمين في الصدر الأول من الإسلام ببدرٍ وأحد , وبهذه المناسبة سوف نعطل هذه الليلة الدرس ولمدة ثلاث ليالٍ أخرى) .

كما عطل درسه صباحاً .

***

مظاهرات في النجف
تأييداً للثورة الإسلامية

وفي الليلة نفسها خرجت مظاهرة في النجف قام بها الدعاة تأييداً وابتهاجاً بالثورة الإسلامية بعد صلاة المغرب من مسجد الخضراء باتجاه شارع الإمام الصادق .

وكان هذا أول تصدي سياسي شعبي وعلني لتأييد الثورة الإسلامية وهو أول مجابهة ساخرة بين حزب الدعوة الإسلامية وبين السلطة البعثية [1].

كان المتظاهرون ـ واغلبهم من الدعاة ـ يرفعون صورة الإمام الخميني وصورة السيد الصدر , وبسبب هذه المظاهرة جرت اعتقالات واسعة للمتظاهرين من طلبة الحوزة وغيرهم .

كما خرجت مظاهرة أخرى من مسجد الخضراء أيضاً بعد الصلاة من أول جمعة تلت انتصارات الثورة .

***

١- ونستطيع ان نعتبره بداية المرحلة السياسية لحزب الدعوة الإسلامية .

وكانت السلطة تتوقع ان تخرج مظاهرة يوم الجمعة , فاستنفرت رجال المخابرات والأمن وأحاطوا بحرم الإمـــام ومـــسجد الخـــضراء بالذات.

وحضر سعدون شاكر وزير الداخلية بنفسه ومدير الأمن العـــام فاضل البراك وأشرفا على هذه الاحتياطات , ثم أغلقوا مسجد الخضراء على المصلين الذين ما إن أتمّوا صلاتهم حتى بدأوا بنداء (الله اكبـــر) ورفعوا صور الإمام والشهيد الصدر , فأطبق عليهم المجرمون ضـــرباً واعتقالاً .

ان خروج هاتين المظاهرتين يعتبر في عرف المحللين السياسيين عملاً سياسياً شجاعاً ,وان السلطة الغاشمة ما كانت تتوقع ان يبلغ تحدي الجماهير لها إلى هذا الحد السافر .

ولذلك نجد ان هذه السلطة الظالمة بدأت تغير أجهزة الأمن فـــي المنطقة الجنوبية والوسطى من العراق وفي النجف بالذات .

وانتشرت الملصقات الجدارية في كثير من مدن العـــراق ,كمـــا ظهرت للعيان كتابات على الحيطان , تأييداً للإمـــام الخمينـــي وللـــسيد الشهيد وابتهاجاً بالنصر الإسلامي العظيم .

إنّ انتصار الثورة وتحقيق الحلم الذي كان يراود المؤمنين مـــن سنين طوال , أعاد الأمل والثقة بالإسلام وبالحركة الإسلامية (حـــزب الدعوة) .

وبدأ عهد جديد , ولفّ الأمة تيار شديد مــن التــدين والالتــزام بالشعائر الإسلامية . واخذ الناس يتساءلون ــ متى نصر الله ؟ لينــزاح عنهم كابوس البعث الرهيب .

وهم متأكدون بأنهم لا يقلون حماســاً وانــدفاعاً للإســلام عــن إخوانهم في إيران , وهم متأكدون أيضاً أنّ الشهيد الصدر باستطاعته أن يقودهم ويسقط بهم طواغيت العراق .

***

الأوضاع ترشح العراق للسـقـوط

كانت الأوضاع ترشح العراق كبلدٍ ثانٍ من الممكن ان يحذو حذو إيران في ثورة إسلامية ناجحة , وان الحزب المرشح لأن يكون له شأن في العراق هو حزب الدعوة الإسلامية , وان القائد المرشح هو (السيد محمد باقر الصدر) .

وكان من المعلوم أنّ العراق إذا سقط فإن عروشاً أخرى سـوف تتهاوى الواحد بعد الآخر .

فصدرت الأوامر بصورة مستعجلة إلى حكام العـراق ليكثفـوا جهودهم في ضرب حزب الدعوة الإسلامية والقضاء عليـه , وكانـت الدراسة تظهر لهم ان الحزب منتشر في أوساط المتدينين المثقفين مـن طلبة الجامعات والمدارس والأساتذة وبـاقي فئـات الـشعب العراقـي إضافة إلى انتشاره في الحوزة وعلمائها وعلى رأسهم الإمام السيد محمد باقر الصدر.

***

وفي الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية زار العراق , في آذار ١٩٧٩ , جورج براون وزير الدولة للشؤون الخارجية (من حزب العمال البريطاني) وعقد اجتماعاً خاصاً مع صدام , ولم يحضره من حاشيته إلا طارق عزيز[١] .

وعندما سافر جورج هذا , عقد صدام اجتماعاً للكادر الحزبي المتقدم من حزب البعث وأعطاهم هذه الملاحظات عن الثورة الإسلامية:

١- انّ السيد الخميني استفاد من النقمة لضرب الشاه وحوّلها إلى صالحه , ولكن ليس هذا تأييداً للخميني.

٢- إنّ سقوط الشاه كان بسبب عدة أخطاء فنية وهي كما يلي :

أ ــ ان الشاه قام بعملية اعتقال عناصر مفكرة في السافاك وفي السلطة لإرضاء المعارضة , وهذه العملية أدّت إلى زحزحة السافاك ولم ترض المعارضة .

١- حسن العلوي رئيس تحرير مجلة (ألف باء) والمسؤول الإعلامي لصدام حسين , تمكن من الهروب إلى خارج العراق في بداية الثمانينات والتقى في سورية في منتصف الثمانينات جمعاً من العراقيين يزيدون على المائة , وألقى فيهم حديثاً مسجلاً أعلن فيه براءته من الزمرة البعثية .
وذكر فيه مجيء جورج براون إلى العراق وعقد اجتماعاً مع صدام وطارق عزيز .
وبعدها عقد صدام اجتماعاً مع الكادر الحزبي , ذكر فيه النقاط المذكورة .

ب ـ ان الشاه تساهل جداً مع المظاهرة الحاسمة التي حدثت في يوم الجمعة والتي كان في مقدمتها جميع القيادات الرأسية , فكان يجب على الشاه أن يصفي القيادات في مقدمة المظاهرة حتى تتشتت , وعند ذاك يحاكم السافاك ويقتلهم بحجة إنهم هم الذين كانوا مسؤولين عن ضرب المظاهرة , وبهذا يتخلص من السافاك ويقضي على القيادات الرأسية كما تصبح المعارضة في عملية اخذ ورد .

ج ـ هروب الشاه وعدم إقامة السلطة واستمرارها في الجزء الحي[١].والجزء الحي هي الأجزاء التي لم تصلها الثورة , كان على الشاه (والكلام لا يزال لصدام) أن يستقر في الأجزاء الحية من إيران ويقيم سلطته هناك , تماماً كما فعل شان كاي شك حينما وقف أمام ٦٥٠ مليون صيني بقيادة (ماو) وأقام له دولة استمرت حتى هذه الساعة .

فلماذا هرب الشاه ؟ ولم يقم له دولة في عربستان أو في أصفهان أو في مناطق محاذية إلى باكستان وحينذاك يُدعم من الدول المجاورة .

١- كانت هذه نصائح صدام , أو بالأحرى انتقادات صدام للشاه , انه هرب ولم يستقر في الأجزاء الحية ...
ولكننا نقول : أما كان الأولى بصدام ان لا يهرب هو في ٢٠٠٣/٤/٩ ويقيم في الأجزاء الحية ويقيم سلطته هناك , في حين يهرب ويختفي في حفرة مع الخنافس والعناكب !وبالمناسبة أيضا , فان صدام كان يقتل من يهرب من ساحة الحرب ويعتبره جباناً أليس هو جباناً وهو القائد العام للقوات المسلحة ؟؟

ء ـ اخطأ الشاه حينما سلم بلداً كاملاً للإمام الخميني , وكان من المفروض ان يدمّر المؤسسات الحيوية , ويشغل الثورة والمعارضة في بناء نفسها , في الوقت الذي هو يقيم سلطته على جزء آخر من إيران .

فتصبح هناك سلطتان , سلطة بيده وسلطة أخرى بيد الثورة وقد ضربت مؤسساتها وانعدمت فيها الحياة تماماً كما حصل في بيروت الشرقية والغربية .

كانت السلطة في العراق تراقب الساحة بخوف وحذر شديدين وكانت تتسمّع للهمس الذي يدور في أوساط الأمة .

وأشاعت ان العراق غير إيران

وليس في العراق شاه ظالم

ولكن السلطة كانت عاجزة تماماً عن إخماد الحماس أو إيقاف الوعي والهيجان الشامل والتأييد المطلق للثورة الإسلامية .

وكان رد فعل السلطة يتميز بالنقاط التالية :

١- تظاهر السلطة بقوة الحزب وتماسك قيادته وقواعده , وقد رافق ذلك ازدياد الضغط على الناس للانتماء إلى البعث بالتهديد والإكراه أحياناً أخرى .

٢- إظهار قوة الدولة وموقعها بين الجماهير داخل العراق وبين الدول العربية , وقد بذلوا الملايين وأعطوا التنازلات من اجل جمع حكام العرب في مؤتمر بغداد , وكانت أجهزة

الإعلام تضخم ذلك بشكل كبير .

٣- محاولة الوحدة مع سورية

٤- التهديد السافر والمقنّع لمن يحاول المساس بأمن العراق كما يعبرون , والتأكيد على انه يتسلم أرضاً بلا سكان ـ كما يقول صدام ـ أمام طلبة الجامعة , وسوف يباد أي تحرك في الحال ...الخ

٥- التظاهر ببعض الشعارات الدينية , وإعطاء بعض المكاسب الآنية , كتوزيع الثلاجات والتلفزيونات على وجهاء القرى والأرياف والقيام ببعض الزيارات لها , طلباً للتقرب من الشعب .

كل هذا حدث بفعل الثورة الإسلامية ونموّ التيار الإسلامي في العراق , حتى إن سكان مدينة الثورة بعد أن زارهم صدام وأمر بتحسين ظروفهم المعاشية , قالوا بعفوية (هذا بفعل الإمام الخميني)

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها , إن من أسباب رد الفعل هذا والخوف لدى السلطة في العراق , هو وجود الحركة الإسلامية النشيطة المتمثلة بحزب الدعوة .

وأصبح الدعاة أثناء الثورة الإسلامية وبعدها عاملاً موجهاً للأمة يفسرون لها الأحداث الجارية على الساحة الإسلامية .

وبرز موقعهم القيادي في التوعية واستثمار الحدث وفي الدفاع عن الثورة وأهدافها ومنطلقاتها سياسياً وشرعياً.

بيان حزب الدعوة الإسلامية
تأييداً لانتفاضة المسلمين في إيران

وكان حزب الدعوة الإسلامية قد أصدر بياناً في تأييد انتفاضة المسلمين في إيران :

وهذا نص البيان :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الهداة الميامين .

تشهد الانتفاضة الجهادية التي يخوضها المسلمون في إيران بقيادة العلماء الأبرار وفي مقدمتهم آية الله السيد روح الله الخميني ضد الشاه ونظام حكمه ومن يقف وراءهم من المستعمرين , تشهد الآن مرحلة متصاعدة من صراع الإسلام .

فقد بدأت الانتفاضة من أوائل هذا العام بالاضرابات والتظاهرات والأعمال الانتقامية المحدودة من أجهزة النظام الكافر , واستمرت بفضل إيمان المسلمين وصمودهم وتضحيتهم طوال هذا العام وتصاعدت حتى بدأت مرحلة الصراع الدموي .

وقد قامت استراتيجية العدو طوال العام بالعمل على خطين معاً :

خط الإرهاب والبطش بالمسلمين

وخط المناورة والمخادعة ومحاولات الترضية والاحتواء ومحاولات شق صف المسلمين وقيادتهم بالدعوة إلى المفاوضة وإعطاء الوعود الكاذبة وبالتغييرات الشكلية في أشخاص النظام العميل .

ولكن فشل كلا الأسلوبين في تحقيق أي من أهدافها فاجأ الدوائر الاستعمارية.

فأعادوا درس خططهم ورموا بثقلهم العسكري في المعركة وسلموا الحكم إلى الجيش , القوة الضاربة التي أعدّوها لحماية مطامعهم ونظام عملائهم , وأحكموا قبضتهم عليه ببنائه الخاص وبجهاز مخابراتهم الواسع في داخله والخبراء العسكريين الأمريكيين في صفوفه

لقد كان في تقدير الكفار ان يخوضوا المعركة بخط سياسي مدني يقوم باللين والمناورة وإجراءات الترضية للمسلمين , ويحتفظوا بالجيش كخط عسكري يقوم بالإرهاب والبطش عند الحاجة .... ولكن فشل حكومة جعفر شريف إمامي وافتضاحها وتساقطها المهين أمام وعي المسلمين وصمودهم اضطرهم إلى تشكيل حكومة عسكرية برئاسة قائد أركان الجيش غلام رضا أزهري .

ان المهمة التي يريدها المستعمرون من الجيش الإيراني مهمة شاقة وصعبة للغاية , فهم يخوضون به خطي المعركة معاً , خط المخادعة والتنازلات وخط البطش وسفك دماء المسلمين .

وانسجاماً مع هذه الاستراتيجية المزدوجة التي لا يستطيعون التخلّي عنها ينتظر ان يصعّدوا من البطش العسكري ومن المناورات والتغييرات السياسية .

إنّ هذه الانتفاضة المباركة التي انطلقت قبل خمسة عشر عاماً هي واحدة من اكبر انتفاضات الشعب المسلم في إيران ضد الكفر والظلم في تأريخه المعاصر .

فقد كانت إيران بقوة تمسّكها بالإسلام والتفاف شعبها حول علمائه الأتقياء المجاهدين ..... واحدة من قلاع الإسلام العصيّة التي أتعبت الغزاة وعملاءهم منذ بداية غزوهم لبلادنا الإسلامية ...

وها هي اليوم تقضّ مضجعهم وتهدد نفوذهم وتحطم نظام عملائهم , وان هذه الانتفاضة العقائدية برهان مبين على ان المسلمين لازالوا يتمسكون بإسلامهم يحملون عقيدته في أعماقهم ونوره في قلوبهم ويحمونه بدمائهم وأرواحهم ....وان الجهود الكافرة الضخمة والمديدة العسكرية والسياسية والفكرية والاقتصادية التي يبذلها الكفار وعملاؤهم لإبعاد المسلمين عن عقيدتهم , لم تؤثر في المسلمين إلاّ تأثيراً سطحياً سرعان ما يتبخّر هباءً منثوراً عندما يتهيأ الظرف .

وان هذه الانتفاضة الرسالية برهان مبين على ان المسلمين لازالوا يرون في نظام الإسلام للحياة , النظام المنقذ من الواقع الفاسد الذي يعيشون فيه والذي يكرّسه وتزيد فيه أنظمة الحكم الكافرة العميلة المفروضة عليهم , وان جهود الكفار وعملائهم في تشويه نظام الإسلام للحياة وتخويف المسلمين منه وتزيين الأنظمة الكافرة , هذه الجهود الضخمة والمديدة لم تؤثر الاّ على حفنة من العملاء الفكريين والسياسيين ذوي التربية والثقافة الغربية المسموح لهم بالعمل السياسي والفكري في بلاد المسلمين والذين تشعر الأمة ويشعرون بانفصالهم عنها ودخالتهم على بنيتها .

ان هذه الانتفاضة الجهادية هي تقدم نوعي في وعي المسلمين على السيطرة الاستعمارية الكافرة بأشكالها العسكرية والاقتصادية والفكرية وتقدم نوعي في تحرك المسلمين ضد الكفر وعملائه لأنها بداية سلوك طريق ذات الشوكة وخوض معركة الإسلام مع أعداء الإسلام وأعدائهم والسير في الطريق الصحيح في اتجاه إقامة حكم الإسلام , حكم الله تعالى على الأرض .

وان هذا التقدم النوعي في تحرك المسلمين بما يتسم من صدق في الإيمان وحيوية وإصرار في الجهاد وتطلع واع إلى هدف الإسلام سيكون له اكبر التأثير على مدى السنين القادمة على مستقبل الإسلام في إيران , وسيكون له تأثير كبير على المسلمين في البلدان الأخرى في دفعهم إلى التحرك في الطريق الصحيح نحو هدف الإسلام .

إننا في حزب الدعوة الإسلامية نرى ان انتفاضة إخواننا في الله تعالى في إيران تمثل هذه الحقائق والمكاسب وغيرها , ونعيشها معركة للإسلام ودعاته مع أعداء الله وأعداء أمته , ونتطلع إلى امتداد نتائجها المباركة وتأثيرها الفعال على الحركة الإسلامية المقدسة في إيران وفي العالم .

وإننا إذ نقوم بإسناد هذه المعركة الإسلامية المقدسة بكل وسعنا ننبه المسلمين جميعاً إلى وجوب إسناد إخوانهم في الله في إيران بكل أنواع المساندة لان معركتهم معركة المسلمين جميعاً , ولن يبرّيء ذمة المسلمين شيء أمام الله تعالى ولن يرضيه عنهم شيء إلا النهوض بمسئولية الإسلام الموضوعة على أعناقهم والسير نحو هدف الإسلام في إقامة نظامه وتخليص أمته من نفوذ الكفر وأنظمته وعملائه .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

حزب الدعوة الإسلامية

ذو القعدة ١٣٩٨/١٩٧٩

***

حادثتان تسبقان برقية الإمام الخميني إلى الشهيد الصدر

في غمرة تلك الأيام التي تتوالى فيها أخبار انتصار الإسلام في إيران , وتكبر فيها شيئاً فشيئاً سمعة الإسلام العظيم , وفي غمرة الغليان الجماهيري في العراق الذي كان لا يزال وكأنه في مرجل ضخم ينتظر أن ينفجر ساعة بعد ساعة , حدثت قضيتان هامتان نذكرهما فيما يلي :

١- قضية المدرسة الثانوية في مدينة الثورة :

فقد جاء مسؤول ما يسمى بالاتحاد الوطني للطلاب , وطلب من التلاميذ ان ينتموا إلى حزب البعث , وكان هناك لا يزال قسم كبير منهم لم ينتموا بعد , فامتنع أولئك عن الانتماء وتسجيل أسمائهم , وألح عليهم المسؤول البعثي بالطلب وألح الطلاب بالرفض .

والطلب والرفض أمران كانا مألوفين , ولكن الأمر الغريب غير المألوف هو ان الممتنعين هنا ـ في هذه المدرسة ـ رفضوا الانتماء إلى حزب البعث لان الإمام الصدر يحرّم عليهم ذلك , فالدعاة الذين كانوا ينتشرون في مدينة الثورة , كانوا قد أشاعوا ان السيد الصدر يحرم الانتماء إلى حزب البعث .

ثم حدث بين الطرفين تبادل بالكلام وشجار , ثم دخل التلاميذ إلى صفوفهم .

أما مسؤول الاتحاد فقد دخل إلى احد الصفوف وطلب الانتماء من جديد , وهدد الممتنعين بالفصل من المدرسة , فما كان من احد الطلاب الملتزمين إلاّ ان قام ووجّه ضربة قوية على وجهه .

وتدخل الآخرون , وانقسم الصف إلى فريقين , ثم اختلّ الدوام في بقية الصفوف , حيث سمعوا بالواقعة , وانقسموا فريقين , وكان الفريق الأكبر هو الذي يؤيد الممتنعين .

أسرع الجلاوزة واتصلوا بشرطة النجدة , فما أسرع ما وصلت إلى ساحة المدرسة وبدأت بالقبض على الطلاب .

ولكن هذا الخبر انتشر في المنطقة المحيطة بالمدرسة انتشار النار في الهشيم , فهرع أهالي الطلاب , وحدث شجار واسع , فلم ير شرطة النجدة بداً من الانسحاب .

ولكن هذه الحادثة بقيت أصداؤها تتوسع وأخذ أهل (مدينة الثورة) يهمسون بها وكأنها تدفعهم إلى مزيد من التصدي لمشاريع الدولة ومخططاتها الإجرامية ,كما انتشرت أخبارها إلى خارج مدينة الثورة .

وخشيت السلطة ان تتخذ هذه الحادثة ذريعة لمواجهة اشمل.

ولغرض امتصاص النقمة من أهالي (مدينة الثورة) قام صدام حسين بزيارة لهذه المدينة في حفل ضخم أقيم من قبل السلطات البعثية

مع تركيز للحراسة وقوات الأمن في المنطقة .

وركز صدام في خطابه على نقطة مهمة بالنسبة للظروف الآنية التي تعيشها (مدينة الثورة) أراد ان يمتص ثورة الشعب ونقمة الجمهور , فكان يقول : (إننا أهملنا مدينة الثورة خلال هذه السنين لكثرة أشغالنا , وابتداء من اليوم سوف نركز النظر على مدينتكم ونهتم بها , وليتمّ تعبيد الشوارع وإمداد خطوط المواصلات ورفع المستوى المعاشي للفرد والعائلة , ثم أنهى كلامه : إننا اكتشفنا في المدينة عيون نفط , وسوف يتم بناء بيوت لكم في مناطق أخرى لأجل الاستفادة من النفط , لكننا الآن سوف نغضّ النظر إلى وقت آخر) .

فقد قال ـ وهو في معرض الترغيب ـ سوف يتم تعبيد الشوارع ورفع المستوى المعاشي للفرد والعائلة .....الخ ظناً منه إنّ هذه الطريقة قد تمتص نقمتهم وتؤلف قلوبهم نحو شخص (صدام) .

أما إذا كان ذلك لا يفيد , فانه سوف ينتقل إلى الأسلوب الثاني وهو ترحيلهم من بيوتهم وهدمها , لان النفط نبع فيها .

ولكن الخدعة لم تنطل على الجماهير ولم يرهبهم التهديد , فقد صرخت الجماهير أمام صدام وهو يخطب فيهم (الخاين شعبه انكَص إيده) أي إننا نقطع يد من يخون شعبه .

وخشي صدام ان تثور الجماهير في فورة عاطفية عارمة فتقطع يده في الحال , ففرّ على وجهه مسرعاً .

وانعكست هذه الواقعة على اغلب أبناء الشعب العراقي وأصبحت حديث المجالس , واخذ الناس في تحليلها ورسم مستقبل التحرك الإسلامي , مما أدى بصدام إلى ان يخطب في وزارة النفط ويقول (ان الجماهير في بعض الأحيان تخطيء بالتعبير عن عواطفها) .

***

٢- مجلس الفاتحة المقام على روح المرحوم السيد علي المبرقع

وشاء الله ان ينتقل إلى رحمة الله في تلك الأيام وفي مدينة الثورة بالذات , أحد الوجوه العشائرية ومن صلحائها والمحترمين فيها , هو السيد على المبرقع .

كان هذا السيد ينتمي إلى عائلة علمية دينية وثورية , وكان أخوه السيد قاسم المبرقع وكيل الشهيد الصدر وله منزلة كبيرة في قلوب الناس .

ومجالس الفاتحة في عرف العشائر تقام لسبعة أيام متوالية بلياليها فكانت هذه الأيام السبعة تشكل موقفاً ثورياً أبرز تحمس الثوريين من أهالي مدينة الثورة حيث كانت تحضر مجلس الفاتحة الألوف من الشباب وهم في طريقهم إلى مجلس الفاتحة أو في المجلس نفسه يهتفون بحياة الإمام الخميني وحياة السيد الصدر ,كما كانت تتصدر المجلس صورة كبيرة للسيد الصدر .

وحضرت مجلس الفاتحة مظاهرة نسائية فخمة , كانت تحمل كل امرأة مصحفاً ويهتفن هتافات موحدة (الله اكبر , لا إله إلاّ الله) .

ثم حلّت مناسبة أربعينية السيد المبرقع , فكان مجلس الفاتحة قد اتخذ بعداً ثورياً اكبر , وكان للدعاة الميامين جهود واسعة في ذلك وحضر مجلس الفاتحة ما يزيد على خمسة وعشرين ألفاً في وقت واحد.

وتعاقب الخطباء مؤكدين على قيادة الإمام الخميني والشهيد الصدر .

وتكلم في المجلس التأبيني , احد دعاتنا الميامين , هو السيد محسن الموسوي (أبو عاصم) بكلمة ثورية ألهبت حماس الجماهير وأوضح لهم ان لا خلاص لهم إلاّ بالإسلام وانّ كل الأنظمة عدا ذلك زائفة لن يجني منها المجتمع سوى الخراب والدمار كما أكّد على قيادة السيد الصدر .

وخطب هناك السيد قاسم المبرقع احد وكلاء السيد الصدر خطبة ثورية هزت ضمائر الناس وأحاسيسهم , وتحدث عن حزب البعث ونقل فتوى السيد الصدر في ذلك , وكان قد ابتدأ كلامه بقوله :

(قل أعوذ برب الفلق ومن شر البعث وعفلق)

وقد اعتقل على اثر هذا المجلس التأبيني كثير من الدعاة في مدينة الثورة .

وكانت هذه الحادثة سبباً لإعدام السيد قاسم المبرقع ونجله السيد محمد شاكر .

وانتشرت أنباء مدينة الثورة وبطولاتها بسرعة إلى كافة المناطق في العراق , فكان الناس يتداولونها بإكبار وتقدير .

برقية الإمام الخميني
إلى السيد محمد باقر الصدر

بعث الإمام الخميني في أوائل رجب من عام ١٣٩٩ المصادف ١٩٧٩/٥/١٩ برقية للشهيد الصدر هذا نصها :

(سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الصدر دامت بركاته علمنا ان سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب بعض الحوادث , إنني لا أرى من الصالح مغادرة مدينة النجف الأشرف مركز العلوم الإسلامية , وإنني قلق من هذا الأمر , آمل ان شاء الله إزالة قلق سماحتكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

روح الله الموسوي الخميني

وقد بُثت البرقية من القسم العربي في إذاعة طهران , وأثارت استغراب السيد الصدر , حيث قال (لقد سمعت إذاعة طهران تذيع برقية من الإمام الخميني يطلب مني فيها عدم مغادرة العراق , وأنا متى أردت مغادرة العراق ؟ ومتى فكرت بذلك ؟ ومن أين علم الإمام بهذا ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون) .

وقد ردّ السيد الصدر على برقية الإمام الخميني في اليوم التالي ببرقية جاء فيها :

(تلقيت برقيتكم الكريمة التي جسدت أبوتكم ورعايتكم الروحية للنجف الأشرف , الذي لا يزال منذ فارقكم يعيش انتصاراتكم العظيمة واني استمدّ من توجيهكم الشريف نفحة روحية , كما اشعر بعمق المسؤولية في الحفاظ على الكيان العلمي للنجف الأشرف) .

***

برقية الإمام الخميني إلى الشهيد الصدر كانت من المفردات الكبيرة التي سجلّها النظام العراقي على السيد الصدر , على أساس إنه كان متفقاً مع السيد الخميني لإحداث إنقلاب في العراق على غرار ما حصل في إيران .

في حين إن السيد الصدر لم يكن يفكر مطلقاً أن يغادر العراق .

فكان يقول مستغرباً (أنا متى أردت مغادرة العراق ؟ ومتى فكرت ؟ ومن أين علم الإمام بهذا ؟) .

كان الشهيد الصدر يدرك خطورة هذه البرقية وماذا سوف تجلب عليه وعلى الجركة الإسلامية وعلى الحالة الإسلامية في العراق من متاعب .

فكان يجد نفسه في مصيبة عظيمة لا بدّ أن يرجع أمره فيها إلى الله فكان يردّد (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

((الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون))

وقد ذكرت قبل عدة صفحات حديثاً لي مع وزير خارجية إيران الأسبق إبراهيم يزدي الذي قال انه هو الذي طلب من الإمام إرسال برقية بهذا المضمون .

وسألته : ألم يهيئ لك (مهدي الهاشمي) الأجواء لتطلب من الإمام ذلك ؟

ولكن إبراهيم يزدي فكّر قليلاً وسكت .

وسوف نكتب في الكتاب الثالث فصلاً خاصاً عن مهدي الهاشمي الذي أساء إساءة بالغة للإسلام وللجمهورية الإسلامية وللمعارضة العراقية ولحزب الدعوة الإسلامية بالخصوص , علماً بأنه تم إعدامه على عهد الإمام الخميني .

***

وفود المدن العراقية
تبايع السيد الصدر على السمع والطاعة

وقد وجد حزب الدعوة الإسلامية في الأجواء التي خلفها تبادل البرقيات بين الزعيمين الدينيين , فرصة لتأكيد زعامة السيد الصدر وقيادته للمواجهة مع السلطة , فأصدر تعاليمه لكافة أفراده باعتبار ان ما يصدر عن السيد الصدر من قرارات وبيانات وتعليمات إنما هي أوامر صادرة عن قيادة التنظيم , يجب الالتزام بها وتنفيذها دون الرجوع إلى التنظيم .

وأصبحت المواجهة مسألة حتمية , فالسلطة لن تتخلى عن قرارها في ضرب الحركة الإسلامية , والحركة لا يمكنها ان تتراجع عن قرار الثورة , لأن الثورة باتت الخيار الوحيد المطروح في الساحة.

فاتخذ الحزب قراراً بعد التشاور مع السيد الصدر بتنظيم وفود شعبية من مختلف المدن العراقية والتوجه إلى مقر السيد الصدر في النجف لمبايعته .

فكانت وفود البيعة تنطلق من مختلف مدن العراق وتنتهي عند منزل السيد الشهيد الصدر في النجف الأشرف حيث تعلن عن ولائها له وانضوائها تحت قيادته .

والواقع إنّ هذه الوفود كانت تظاهرات شعبية منسّقة , يعلن عنها وعن ساعة التحرك ومكان التحرك من الليلة السابقة .

وتحضّر اللافتات والشعارات حيث ينتشر الخبر في المدينة .

ثم يبدأون بالتجمع , وغالباً ما يكون في احد المساجد .

ثم يأمرهم عالم المنطقة (وهو غالباً ما يكون داعيـــة , وكـــيلاً للشهيد الصدر) بالانطلاق .

فيبدأون بالتهليل والتكبير في مسيرة جماهيرية رائعة , إلـــى ان يصلوا إلى السيارات فيعلقون عليها لافتاتهم , وتسير السيارات , وتقطع بهم المدن , وهم كلما مرّوا بالأماكن المزدحمة هتفوا وكبروا .

ثم يصلون إلى النجف , ويبدأون مسيرة رائعة يخترقـــون بهـــا السوق الكبير والصحن الحيدري الشريف رافعين لافتـــاتهم ومكبّـــرين ومهللين .

وفي بيت السيد الشهيد يبدأ عالم المنطقة أولاً بتقبيل يدي الـــسيد الصدر ثم يقدّم له جماعته لينهالوا على يديه مقبلّين , ثم يتكلم خطيـــبهم وقد يكون هناك خطيبان ,شاعر وناثر , يعلنون في ذلك بيعتهم للـــسيد الشهيد وانقيادهم إليه , وإنهم طوع أمره وإرادته .

فيشكرهم السيد ويدعو لهم بالتوفيق وللمسلمين بالنصر والتأييـــد كما يدعو للإمام وللثورة الإسلامية بمزيد من الانتصارات .

ثم يخرج هذا الوفد , ليدخل وفد آخر وصل توّاً إلـــى النجـــف وينتظر دوره في الدخول وهكذا ....

وانتشرت أنباء الوفود وعمّت العراق , وتوسعت دائرتها ,فقد جاءت الوفود من اغلب المناطق , من جنوب العراق ووسطه , وحتى المناطق الريفية , شكلت أيضاً وفوداً بالمناسبة وبايعت السيد الشهيد على السمع والطاعة وبالإضافة إلى ذلك فإنها كانت تطالب بحكومة إسلامية .

وكانت تلك الوفود على قدر كبير من التنظيم وضمّت كوادر الحركة الإسلامية إلى جانب الطبقات المختلفة من المجتمع العراقي وعاش المسلمون في العراق بشائر انتصاراتهم ,كما عاشوا أفراح الانتصارات في إيران .

ويلاحظ في هذه الوفود مشاركة أعداد من أهل (السنة) وتعتبر هذه الظاهرة فريدة في نوعها , فقد أثبتت ان الحواجز النفسية سرعان ما تنهار حينما تتوفر البيئة المناسبة والقيادة الواعية .

وهناك ملاحظة أخرى جديرة بالاهتمام , هي مشاركة المرأة العراقية في تلك الوفود مشاركة فعالة .

وكانت معظم الوفود النسائية تلتقي بشهيدنا الصدر في منزل العائلة إلا وفداً كانت تقوده المجاهدة الشهيدة سلوى البحراني ,فقد التقى هذا الوفد بالسيد الشهيد في ديوانه الخاص بالرجال , وطالبن بالبيعة كما كان يفعل رسول الله (ص) فاحضرن إناءً كبيراً مملوءً بالماء , فوضع السيد الشهيد يده فيه , ثم وضعت كل واحدة منهن يدها فيه وبايعنه على الشهادة .

وألقى السيد الشهيد فيهن كلمة قيّمة , كانت كلها مشاعر وعواطف ودعوة للصبر والجهاد والتمسك بالإسلام ورفض الثقافة الاستعمارية والحضارة الغربية البائسة .

كما كانت دعوة للإقتداء بسيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام .

وسوف ندرج خطاب السيد الشهيد بالنساء في ملحق , آخر الكتاب ان شاء الله .

ان مشاركة المرأة العراقية في عمل اجتماعي سياسي كهذا كان خطوة كبيرة في تلك المرحلة , وتحدياً لكل العقبات التي كانت تحول بينها وبين ممارسة دورها في خدمة الإسلام .

وهذا الأمر أقلق السلطة قلقاً بالغاً , ويكفي دليلاً على ذلك ان السيدة سلوى البحراني , أعدمت بالسم بعد أيام قليلة من أيام البيعة .

***

الشهيد الصدر يأمر بإيقاف عملية الوفود

وبعد تسعة أيام متتالية من وصول الوفود إلى النجف الأشرف أمر السيد الصدر (بعد التشاور مع حزب الدعوة الإسلامية) بإيقافها لان الآلاف التي شاركت في الوفود من مختلف مناطق العراق ومدنه استطاعت التعبير عن موقف الشعب العراقي والتفافه حول المرجعية الدينية ورفضه للسلطة الجائرة .

كما كان هناك حرص على عدم كشف كافة الأوساط الموالية والمؤيدة , إذ أن السلطة كانت تراقب الوفود بدقة وتقتفي آثارها تمهيداً لحملة شرسة شنتها , حيث اعتقلت الآلاف من الشباب بحجة الانتماء إلى حزب الدعوة الإسلامية .

ثم أعلنت السلطة حالة الطوارئ ونزلت قوات الأمن والاستخبارات إلى الشوارع .

وأحست الحركة الإسلامية[1] , إنّ السلطة ربما تعدّ لاعتقال السيد الصدر نفسه , فاتفقت معه على إخراج تظاهرات فيما لو حدث الاعتقال

***

١- الحركة الإسلامية أينما يرد ذكرها فالمقصود هو حزب الدعوة الإسلامية .

اعتقال السيد محمد باقر الصدر
في ١٧ رجب ١٣٩٩هـ = ١٣ حزيران ١٩٧٩م
وبداية المواجهة

في الساعة الخامسة من صباح يوم ١٧ رجب ١٣٩٩ , داهم حوالي مائتين من جلاوزة البعث , بقيادة مدير امن النجف (أبو سعد) دار السيد الصدر وابلغوه بأن المسؤولين في بغداد يريدون الاجتماع به للتشاور معه في أمرٍ ما .

فأجابهم الشهيد الصدر غاضباً : إنّ اقتحام الدار بهذه الصورة وبهذا العدد إنما يعني شيئاً واحداً هو الاعتقال , والاعتقال هذه المرة[1]. يختلف عما سبق فهو للاغتيال .

وهنا انبرت أخته الشهيدة بنت الهدى وهي تخاطب مدير امن النجف ومعاونه وبقية الزمرة المجرمة , قالت لهم :

(بماذا تجيبون رسول الله يوم القيامة ؟ ما ذنب أخي حتى تعتقلوه؟ في هذه الساعة المبكرة من الصباح وهو بعد لم يتناول فطوره؟

إن مجيئكم في هذه الساعة دليل على خوفكم من السيد وخوفكم من الشعب , ماذا وجدتم عند أخي حتى تخافوا منه , ادخلوا فتشوا البيت

١- الشهيد الصدر اعتقل عدة مرات قبل هذا .

, ليس عندنا قنابل ولا دبابات ولا أي سلاح إلا سلاح الإيمان بالله وهذا الذي تخافون منه , إنكم برغم سلاحكم تخافون هذا الشعب الأعزل والاّ فما معنى الاعتقال في هذه الساعة ؟ أليس لان الناس نيام؟ ولكيلا يعلم احد من الشعب ؟ ولكن اعلم يا أبا سعد (مدير الأمن) انّ الناس لن يبقوا نياماً , لابدّ أن يستيقضوا ويعلموا بما تجرأتم عليه) .

فما تكلم احد منهم بشيء , سوى أن أبا سعد قال لها :

(لا تخافي إنّ السيد سوف يعود سالماً)

فأجابته بكل شجاعة :

(إننا لسنا خائفين إنما انتم الجبناء الخائفون)

ثم أرادت ــ رضوان الله عليها ــ أن ترافق أخاها , ولكنهم قالوا إنهم ليست لديهم أوامر باصطحابها , فأصرّت أن يصطحبه احد تلامذته هو الشيخ طالب السنجري , فوافقوا .

***

ثم أخذوا السيد الصدر وذهبوا به إلى بغداد , إلى مديرية الأمن العامة .

أما الشهيدة بنت الهدى , فقد خرجت إلى السوق الكبيـــر وإلـــى الصحن والحرم الشريف وهي تنـــادي (الله أكبـــر ... الله أكبـــر ... الظليمة ... الظليمة ... أيها الناس لقد أعتقل مرجعكم ... لقد هتك دينكم ... لقد اعتقل السيد الصدر) .

وفي الحرم الشريف , حاول احد خدم الروضة الحيدرية , من المتعاونين مع السلطة ان يمنعها من الكلام , فقالت له :

(أنت خادم الروضة ومحسوب على الإمام ,أتمنعني من الكلام؟ يا أعوان الظلمة , سوف يأتي اليوم الذي تنال فيه جزاءك إن شاء الله)

ثم أسرع احد تلامذة السيد الشهيد فاتصل تلفونياً بايران واخبرهم بالحادث ,فأذاعت الإذاعة العربية في طهران في الساعة السادسة والنصف نبأ الاعتقال وانتشر في تمام الدنيا .

***

وبعد ساعات قلائل من اعتقال الإمام الصدر , قررت الحركة الإسلامية كسر جدار الصمت الجماهيري وتنظيم مظاهرات شعبية للاحتجاج .

وخرجت أولى التظاهرات في الساعة العاشرة من صباح يوم ١٧ رجب في النجف الأشرف , تلتها مظاهرات مماثلة في مدن الثورة والكاظمية في بغداد والسماوة والرميثة في محافظة المثنى , والخالص وجيزان الجول وجديدة الشط في محافظة ديالى والنعمانية في محافظة واسط والفهود في محافظة الناصرية , ومدن متعددة من محافظة البصرة .

وقد أبدى المتظاهرون صلابة وصموداً رائعاً , فسقط منهم شهداء وجرحى فيما اعتقلت أجهزة النظام القمعية أعداداً غفيرة منهم .

كما نظمت تظاهرات واسعة في دولة الإمارات العربية المتحدة ولبنان وإيران وبريطانيا وفرنسا .

وقد اضطرت السلطة إلى إطلاق سراح الإمام محمد باقر الصدر في نفس يوم اعتقاله حيث عاد إلى النجف عصراً .

وكانت الانتفاضة انتصاراً باهراً للحركة الإسلامية وجماهيرها ونقطة تحول في جهادها وبداية مرحلة جديدة في المواجهة مع النظام .

***

قلنا أن تلك المظاهرات العارمة أجبرت السلطة على أن تفرج عن السيد الصدر .

وقد ذكر السيد الشهيد لأحد الدعاة من تلاميذه [1]. بعدما حدثه الأخير عن تفاصيل المظاهرات .

١- ولقد سأل هذا التلميذ أستاذه السيد الصدر عما جرى له في هذه الساعات من قبل الجلاوزة .
قال السيد : ركبت مع المجرم (أبو سعد) مدير أمن النجف في سيارته , وذهب بنا إلى مديرية الأمن العامة في بغداد , حيث قابلني مديرها العام المجرم فاضل البراك , وقال لي : أنا أتكلم معك بصراحة :
أنت تحرك الجماهير ضدنا
وتجيئك برقية من الخميني , إذ يطلب منك البقاء في النجف وتبعث إليه بالجواب
كما تبعث برقية إلى أنور السادات تستنكر فيها مشروع كامب ديفيد
وتؤيد الحركة الإسلامية في أفغانستان
وتدعم الثورة الإسلامية في إيران
يقول الشهيد , غضبت من كلامه وقلت له :
إنّ موقفي من الثورة الإسلامية وقيادتها موقف ثابت وانه موقف ديني لا يحق لكم ان تتدخلوا فيه .
ثم حاول المجرم فاضل البراك ان يغير من حديثه أمام السيد الصدر فقال له :
أنا اعتز بكتبك , وقد قرأتها , وأنا فخور بجلوسي أمام رجل علاّمة مثلك , ولكنني في نفس الوقت أقتلك وأبكي عليك , ولو أن أبي ــ وهو عزيز عليّ ــ أراد أن يعمل ضدنا فإنني سوف اقتله بيدي .

فقال الشهيد الصدر : كان لهذه المظاهرات دور مهم في الافراج عني حيث إنني شعرت ــ عندما كنت معــتقلاً ــ بارتبــاكهم وتغيّــر موقفهم بعد تلك المظاهرات مباشرة .

***

لقد سقط خلال أحداث رجب عشرات القتلــى والجرحــى مــن المتظاهرين ومن عناصر الأمن والجيش الشعبي .

كما قامت السلطة بحملة اعتقالات واسعة , شملت ما يقرب من ثمانية آلاف من الإسلاميين , وتم اعتقال كافة وكلاء الشهيد الصدر في جميع المحافظات , وكان عددهم يربو على مائة وكيل , اعتقلوا جميعــاً بما فيهم من لم يشارك في أحداث رجب .

وكان الهدف من وراء تلك الضربة شل جهاز مرجعية الــصدر وجعله عاجزاً عن أي تحرك , وهو ما صرح به مدير الشعبة الخامسة بقوله (وليعلم السيد محمد باقر الصدر انه إذا كانت الظروف لا تسمح فعلاً بإعدامه , فإننا نعرف كيف ننتقم من أنــصاره وأتباعــه ونجعلــه مقصوص الجناحين) .

***

محاكمات عشوائية

أطلق سراح السيد الصدر من الاعتقال , ولكن النظام كـان قـد أعتقل عدة آلاف من الذين شاركوا في الوفود التي بايعت السيد الصدر على السمع والطاعة وفي ثلاث وعشرين محاكمة صورية سرّية جرت في محكمة الثورة[1].برئاسة مسلم هادي الجبوري ـ لـم تتجـاوز كـل محكمة بضع ساعات ـ ابتداءً من ٢٠ حزيران وحتى ٢٧ تموز ١٩٧٩ صدرت الأحكام ضد ألف ومائة منهم على النحو التالي :

١- الحكم بالإعدام شنقاً أو رمياً بالرصاص ضد (٨٦) شخصاً.

٢- الحكم بالسجن المؤبد ضد (٢٠٠) شخص .

٣- الحكم بالسجن لمدد مختلفة ضد (٨١٤) شخصاً .

١- وإذا كانت المحكمة تسمى محكمة الثورة , فهي حقـاً ثـورة علـى القـانون والأعراف الدولية والشرعية وثورة على الحق والعدالة .
فليس في المحكمة تلك محامي دفاع , بل ولا يحق للمتهم أن يدافع عن نفسه فالعالم الكبير السيد قاسم شبّر بلغ تسعين عاماً , جيء به إلى المحكمـة ويـده مكسورة معلقة في رقبته , وعيناه ضعيفتان لا يكاد يبصر بهما , وحُشر مـع عشرين شخصاً في قفص الاتهام . كان لا يستطيع الوقوف , فجيء له بكرسي يجلس عليه .
وجّه إليه الحاكم (مسلم الجبوري) تهمة , قال له : انك تقول لجماعتك خرّبوا جسر النعمانية .
قال : أنا لم اقل ذلك , وإذا كان عندكم شاهد فليأت .
قال له الحاكم : اسكت , انك محكوم بالإعدام .
فقال السيد : يا لها من فرحة , إنها والله الجنة .
ثم قدموه للمشنقة في ١٩٧٩/٧/٢ , ولم يسلموا جثمانه لذويه .

ثم تلتها حملة اعتقالات واسعة أخرى طالت ثلاثة آلاف من الإسلاميين اعدم منهم أربعون شخصاً وشملت الباقين أحكام بين المؤبد والسجن لمدد مختلفة .

وكان من بين الذين اعدموا من علماء الدين والكوادر المتقدمة في حزب الدعوة الإسلامية , وهم عدا السيد قاسم شبّر :

١- الشيخ مهدي السماوي

٢- السيد قاسم المبرقع وكيل السيد الصدر في مدينة الثورة .

٣- الشيخ عبد الجبار البصري وكيل السيد الصدر وإمام جامع حي السلام في بغداد .

٤- الشيخ خزعل السوداني وكيل السيد الصدر في منطقة الكريعات في بغداد .

٥- السيد عز الدين الخطيب وكيل السيد الصدر في مدينة العزيزية في محافظة الكوت .

٦- الشيخ عبد الأمير محسن العماري وكيل السيد الصدر في مدينة العمارة .

٧- الشيخ محمد علي الجابري وكيل السيد الصدر في مدينة الفهود محافظة ذي قار .

٨- السيد عباس الشوكي إمام جامع في مدينة الثورة في بغداد .

٩- السيد نجاح الموسوي إمام جامع العسكريين في الحرية فـــي بغداد .

١٠-السيد عبد الجبار الهاشمي إمام جامع كميل في مدينة النجف

١١-السيد جاسم المبرقع إمام جامع في مدينة الثورة في بغداد.

***

الإمام الصدر يفتي بالمواجهة المسلحة

بعد إطلاق سراحه , أفتى الإمام الصدر بوجوب الكفاح المسلح ضد النظام الحاكم وجوباً كفائياً[1] حيث أكد على ضرورة إسقاط العشيرة الحاكمة بكل الوسائل المشروعة .

وبدأت الدعوة بتسليح نفسها , وشنّ عمليات جهادية ضد أركان النظام وأجهزته القمعية .

كما اتخذ قرار بالإعداد لتظاهرة مسلحة كبرى تنطلق في ٢١ حزيران ١٩٧٩ (٢٥ رجب ١٣٩٩) [2] من مدينة الكاظمية , حيث جرى إبلاغ أعضاء حزب الدعوة الإسلامية في أنحاء مختلفة من العراق بذلك .

١- أي إذا قام به عدد كافٍ , فان الوجوب يسقط عن الآخرين

٢- اختير يوم ٢٥ رجب لأنه يصادف ذكرى وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام الذي قضى في سجون هارون الرشيد المظلمة مسموما .
وبهذه المناسبة فان الكاظمية تزدحم بالزوار من مختلف أنحاء بغداد والمناطق القريبة منها , بأعداد غفيرة .
فحزب الدعوة الإسلامية اقترح هذه المناسبة لازدحام المؤمنين فيها , ويضاف إليهم الدعاة الذين سوف يردون من مناطق متعددة من العراق لتكون المسيرة ضخمة للغاية .

وكانت تقديرات المخططين للمسيرة انه يمكن حشد ١٢ ألف مجاهد في بداية التظاهرة , لتخترق شوارع بغداد , باتجاه القصر الجمهوري , ولتكون بداية المواجهة .

وجرى إبلاغ الدعاة بذلك , وحدّد لهم الزمان والمكان .

وقبل موعد المظاهرة بعدة أيام حصلت مفاجأة , فعطلت المشروع , وألغيت المظاهرة .

فقد أذاعت إذاعة طهران ـ القسم العربي ـ خبر المظاهرة ومكانها وزمانها وتدعو العراقيين للاشتراك فيها لإسقاط النظام البعثي .

وكانت تكرر دعوة الجماهير إلى الاشتراك في المظاهرة بصوت جهوري قوي النبرات , وكأنها تتعمد إثارة السلطة لهذا الحدث .

(سوف اذكر بعد هذا الموضوع ما فعلته إذاعة طهران العربية من استفزازات أساءت كثيراً إلى الجمهورية الإسلامية نفسها)

مما دفع النظام إلى حشد أعداد هائلة من قوات الأمن والمخابرات والمنظمات الحزبية في بغداد , حيث احتلوا شوارع مدينة الكاظمية ومبانيها الرئيسية , خصوصاً المنطقة المحيطة بالصحن الشريف .

وجرى تطويق المنطقة قبل يومين من موعد انطلاق المظاهرة وتمّ اعتقال أعداد كبيرة من الشباب المتدين الذين قدموا من خارج بغداد ولم يصلهم قرار إلغاء المظاهرة .

***

قرار خروج المظاهرة كان قد الغي , ولكن كثيراً من الذين جاؤوا من المحافظات الأخرى لم يصلهم خبر الإلغاء ,كما قلنا لصعوبة الإبلاغ في تلك الأيام . إذ لم يكن مستحسناً استعمال التلفون لأنه مراقب رقابة شديدة ,وإنما عن طريق السفر إلى المناطق التي يراد إبلاغها .

وحصل بعض الإرباك في عملية الإبلاغ , وجرت الأمور هكذا:

ـ في البداية وقبل عدة أيام كافية , حصلت عملية الإبلاغ بالحضور .

ـ تحرك أولئك نحو بغداد , وكان سفرهم إلى بغداد محفوفاً بشيء من المخاطر والرقابة .

ـ أكثر أولئك لم يصلهم خبر الإلغاء , في حين كانوا يسمعون إذاعة طهران مستمرة على حث الجماهير على الحضور , وكان هناك نوع من عدم الوضوح في معرفة العاملين بالإذاعة , وكانوا يتصورونهم من المخلصين .

كل ذلك كان قد أحدث تشويشاً في التظاهر وعدمه .

وألقى احد الحاضرين كلمة حماسية بالمناسبة , حث الجماهير فيها على مواصلة الجهود حتى إسقاط نظام العمالة .

كانوا يهتفون :

(يا صدام شيل إيدك جيش وشعب ما يريدك)

أي ارفع يدك يا صدام , فان الجيش والشعب لا يريدك

(عاش الصدر عاش عاش)

مظاهرة التحدي

خرجت من الصحن الشريف , من باب المراد , إلى ساحة النافورة , وشارع باب المراد .

وارتفعت الهتافات والتحقت بالمتظاهرين جموع غفيرة .

وأسرع جلاوزة صدام لملافاة الأمر .

وجاءت سيارات شرطة النجدة مهرعة , يساعدهم جلاوزة الأمن وأحاطوا بالمتظاهرين , وأطلقوا صيحاتهم :

ارجعوا ... تفرقوا ... والا أطلقنا عليكم النار

ولكن هذا الصراخ أوقد في نفوس المتظاهرين حماسهم وشجاعتهم , فقد اندفعوا مستأسدين في مسيرتهم , يهتفون ويهزجون .

واضطر الجلاوزة إلى التراجع , ثم أطلقوا النيران في الهواء ليرعبوا المتظاهرين .

وحصلت مواجهة بين الطرفين :

هؤلاء بالرشاشات , وأولئك بالأيدي والحجارة .

وكان لولدي الشهيد (رياض) شرف المشاركة في هذه التظاهرة , وقد استطاع بمعاونة احد زملائه أن يسقط احد أفراد الأمن أرضاً ويضربه ضرباً مبرحاً ويأخذ مسدسه .

وتساقط بعض الجرحى والقتلى بين المتظاهرين .

ثم هرعت سيارات النجدة لمساعدة الجلاوزة , وصيّروا المنطقة وكأنها ساحة حرب فعلية , من أزيز الرصاص وانتشار رائحة البارود.

وانقطع التيار الكهربائي جراء إطلاق الرصاص , واستغل المتظاهرون ذلك , وتفرقوا في الأزقة المتفرعة من هناك بعد أن سحبوا قتلاهم وجرحاهم .

وما أن جنّ الليل حتى كانت مدينة الكاظمية مدينة أشباح , محتلة تماماً من قوات النجدة والأمن والجيش الشعبي .

وعمّمت السلطة إنذار (جيم) وهو اشد الإنذارات بين صفوف قواتها تحسباً للطوارئ .

ثم بدأت الاعتقالات في صفوف المتدينين , يداهمون بيوتهم ويتسلقون عليهم الجدران .

وقد اعتقل في هذه المناسبة في الكاظمية وحدها أكثر من ألف شاب متدين .

***

للعلم ,في تلك الفترة , كنت قد سافرت إلى الأردن , للقاء الأخ الشهيد محمد هادي السبيتي (أبو حسن) , قبل قرار إخراج المظاهرة ومن ثم إلغائها , ثم خروجها بالفعل وما رجعت إلا بعد عدة أيام من الحادثة .

***

إذاعة طهران العربية
ودورها في أحداث العراق

إذاعة طهران العربية , كانت في ذلك الوقت تحت سيطرة مهدي الهاشمي , الرجل المشبوه , الذي أعدم على عهد الإمام الخميني رحمه الله .

وسبق لنا أن ذكرنا في موضع آخر أنّ مهدي الهاشمي هذا ,كان قد أعطى الإذاعة لأشخاص ينتسبون إلى مجموعة[1] تحقد على السيد محمد باقر الصدر وعلى حزب الدعوة الإسلامية , حتى إن أحدهم كان قد زوّر نظاماً وادّعى انه النظام الداخلي لحزب الدعوة الإسلامية .

بحيث ان من يقرأ ذلك يتصور ان حزب الدعوة حركة باطنية تدّعي الإسلام وتحرير العراق وتخليصه من نظام البعث ولكنه في واقعه نظام دموي يتخذ النفاق أ ساساً في تعامله .

فيقول في إحدى مواده(إننا ندعو إلى إسناد وتأييد الجمهورية الإسلامية , ولكن الواقع هو كما قلنا في المادة الخامسة) وهكذا...

***

١- نحجم عن تسميتهم الآن , وربما نذكرهم في وقت آخر .

والإذاعة العربية التي كانت بيدهم , كانت ممنوحة لهم من مهدي الهاشمي تذيع أخباراً وتختلق أخباراً كلها إساءة للإسلام والى الجمهورية الإسلامية وإلى العراق والنهضة فيه فالإعلان عن مقولة (تصدير الثورة الإسلامية) في بداية الثورة , كانت من مبتدعات مهدي الهاشمي نفسه , التي أثارت صدام حسين واتخذها ذريعة في شن الحرب الظالمة على إيران .

والمقولة نفسها كانت ذريعة لدول الخليج (الكويت والبحرين والإمارات والسعودية وقطر) إلى ان تصطف مع العراق وتساعده بكل شيء في حربه على إيران وحتى البرقية التي أرسلها الإمام الخميني إلى الشهيد الصدر , كانوا قد أذاعوها من إذاعة طهران لعدة مرات .

ولو كانت تلك البرقية قد وصلت إلى الشهيد الصدر بطريقة اعتيادية فلربما كان نتيجتها أمراً آخر غير الذي أثار في زمرة البعث لؤمهم على الحركة الإسلامية , وعلى السيد الصدر بالذات مما أدى إلى اعتقاله ومن ثم إعدامه .

وإفشاؤهم لخبر المظاهرة التي مر ذكرها قبل قليل , فوت فرصة كبيرة على الحركة الإسلامية وعلى الوضع الإسلامي في العراق.

***

وبالمناسبة فان لدي تقريراً مطولاً كان قد وصل إلينا من حزب الدعوة (داخل العراق) مؤرخ في ١٩٨٠/٦/٢٧ .

(وهو وان كان يتجاوز تاريخه مساحة الكتاب الثاني الذي ينتهي عند شهادة الإمام الصدر , ولكن مناسبته وردت الآن) .

وسوف نكتب عن مهدي الهاشمي فصلاً مطولاً في الكتاب الثالث ان شاء الله , ونبين فيه كيف أساء هذا الشخص إلى الحركة الإسلامية وأعان صدام على بقائه واستمرار جرائمه .

وعلى كل حال فان التقرير الذي لدي , ننقله كما هو :

(الفقرة الثانية :

تأثير الإذاعة العربية في إيران/ تأثير ضار على العاملين , لأنها لم تحتفظ بالسرية المطلوبة في بعض المواقف , مثلاً البيان الصادر من (زعيم تلك الجماعة)[1] حول تأسيس جيش التحرير الإسلامي نتجت عنه اعتقال أكثر من خمسة عشر ألف شاب مسلم عسكري ومدني) .

***

وفي غمرة إعلان الإمام الخميني عن شهادة السيد محمد باقر الصدر وإعلان الحداد في إيران , أعلن راديو طهران العربي أن صدام حسين قد قتل من قبل مجموعة عمار بن ياسر.

وعمّت إيران فرحة متناهية , ووزعوا الحلويات وتحول الناس من الحزن العميق على السيد الصدر إلى الفرحة الكبرى بمقتل صدام .

١- نحتفظ باسمه رعاية لعواطف جماعته .

وأعلنت بغداد كذب الادعاء الذي أذاعته طهران .

ولكن السيد المشار إليه رحمه الله صرح انه يؤكد أن صدام انتقل إلى جهنم , وتناقلت وكالات الأنباء تصريحاته وتصريح بغداد .

***

أما ما يتعلق بجيش التحرير الإسلامي , فان (السيد المشار إليه) رحمه الله , أعلن في تلك الأيام انه أسس هذا الجيش لتحرير العراق وهو معلوم من اسمه .

ولكن كانت نتيجة ذلك أن عمدت السلطة العراقية إلى إعدام الشباب الذين منعهم صدام من التسفير حين سفر ذويهم إلى إيران , كما ذكرنا ذلك سابقاً في موضوع التسفير .

فكان يتخذ من هؤلاء الشباب دروعاً بشرية أمام جيشه عندما شنّ حربه على الجمهورية الإسلامية ,وكذلك قضى على الكثير منهم نتيجة الإعلان عن تشكيل جيش التحرير الإسلامي .

***

نداءات الثورة

وخلال هذه المرحلة , بدأ الإمام الصدر بتوجيه نداءات مسجلة على أشرطة الكاسيت وموجهة إلى الشعب العراقي .

حيث صدر النداء الأول بعد يومين من انتفاضة رجب أي في ١٥ حزيران ١٩٧٩ .

والنداء الثاني في ٥ تموز ١٩٧٩ .

والنداء الثالث في ٨ تموز ١٩٧٩ .

وقد حدد الإمام الصدر في نداءاته المطالب الأساسية التي يسعى لتحقيقها باسم العراقيين جميعاً , حيث أكد على مايلي :

١- إطلاق حرية الشعائر الدينية .

٢- إيقاف حملات الإكراه على الانتساب إلى حزب البعث على كل المستويات .

٣- الإفراج عن المعتقلين بصورة تعسفية وإيقاف الاعتقال الكيفي الذي يجري بصورة منفصلة عن القضاء .

٤- فسح المجال للشعب ليمارس حقه بصورة حقيقية في إدارة شؤون البلاد , وذلك عن طريق إجراء انتخاب حر ينبثق عنه مجلس حر يمثل الأمة تمثيلاً صادقاً .

وسوف ننشر تلك النداءات بالتفصيل في ملحق نهاية الكتاب ان شاء الله

خلفيات انتفاضة رجب

إن انتفاضة رجب أحدثت زلزالاً في صفوف حزب البعث , فلقد كان :

١- يتظاهر دوماً بأنه يسيطر على كل شيء .

٢- وإنّ أحداً لا يستطيع أن يتحرك على خلاف رغبة السلطة فضلاً عن القيام بمظاهرات تشمل مناطق واسعة من العراق إضافة إلى مناداة بالتغيير لصالح الإسلام وشعارات استنكار ضد البعث , ومنشورات وكتابات على الجدران .

ولكن حزب البعث أضحى ضعيفاً , والانتفاخ الذي كان يتظاهر به أصبح واضحاً لدى الجميع انه انتفاخ فارغ ليس فيه محتوى , ومنذ تسلموا حكمهم عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٩ , (احد عشر سنة) كانت كلها إرهاب وإرعاب وحبس وتنكيل وتقتيل , وثقافة بعثية شملت مدارس الأطفال والكبار بل والجامعات , كل ذلك أصبح هراء لم يكن له عمق .

بل إنّ ما حصل كان له تأثيره في داخل مؤسسة الحزب الحاكم نفسه , فقد بدأ الكثير منهم يقوّمون ما قامت به الجماهير وعمق حزب الدعوة الإسلامية فيها , وما قامت به السلطة من وسائل للردع أدّت إلى قتل وجرح الآلاف .

وتعرّض عدد كبير من أعضاء ومسؤولي الدولة والجيش الشعبي وقوى الأمن والمخابرات إلى العزل والاعتقال والإعدام بسبب التعاطف مع الحركة الإسلامية .

وكان في السلطة العليا للحزب خطان :

خط رئيس الجمهورية , احمد حسن البكر وعدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية , كانوا يرون ان معالجة ما حدث في رجب , كان بالامكان احتواؤه وليس بالاصطدام معها , وان تظاهر السلطة بالشعارات الدينية كفيل بسحب البساط من الإسلاميين .

والخط الآخر : هو خط صدام حسين والذين كانوا يلتفون حوله ويتظاهرون بتأييده في كل شيء .

كان هذا الخط يرى أن الاستمرار في استعمال العنف مع التيار الديني هو العلاج الناجح .

وكان من الطبيعي أن يكون التيار الثاني هو الذي تم تطبيقه فالدول الإقليمية كانت غير سعيدة بالذي حصل في إيران ,وكانت تخشى كثيراً ان يحدث ما يشابه ذلك في العراق .

وكانت الدوائر الغربية تشعر بقلق كبير من تطوّر الأوضاع في العراق , فقام وزير الخارجية البريطاني بزيارة لبغداد في ٢ تموز ١٩٧٩ واجتمع بصدام , مؤكداً على ضرورة تسلمه قيادة السلطة في البلاد بدلاً من احمد حسن البكر , وأشار الوزير البريطاني إلى الخطوط العريضة لمواجهة الحركة الإسلامية , وأكد على ضرورة عدم تكرار

الأخطاء التي حصلت في إيران من قبل الشاه .

وبدأ صدام بتنفيذ انقلابه داخل الحزب والدولة , حيث قدّم قائمة بأسماء ثلاثمائة شخصية إسلامية,من بينها السيد محمد باقر الصدر إلى احمد حسن البكر للتوقيع على أمر إعدامها ورفض البكر التوقيع على القائمة .

وفي اليوم التالي طرح صدام القائمة في اجتماع مجلس قيادة الثورة , فرفض بعض الأعضاء , وطالبوا بمزيد من البحث والتأمل .

وبعد جدل عنيف اقترح احدهم استثناء السيد الصدر من القائمة باعتبار أنّ في إعدامه خطراً على حزب البعث في الدول العربية التي لحزب البعث وجود فيها , على أساس ان السيد الصدر عالم يندر مثيله وله وزن كبير في العالم الإسلامي كله .

فرفض صدام ذلك وترك الاجتماع , وهو يتوعد أعضاء المجلس المخالفين بالانتقام منهم .

وفي منتصف نفس الليلة اعتقل جميع القادة المعارضين للخطة وأقيلوا من مناصبهم في ١٢ تموز .

وفي ١٦ تموز ١٩٧٩ ألقى احمد حسن البكر خطاباً من على شاشة تلفزيون بغداد أعلن فيه تنحّيه عن السلطة .

وتسلم صدام رئاسة الجمهورية وجميع مناصب البكر الأخرى .

ثم عرض التلفزيون مقابلة مع محي عبد الحسين الذي كان يشغل منصب أمين سر مجلس قيادة الثورة , حيث اعترف بتورطه مع

مجموعة من قادة حزب البعث في مؤامرة ضد النظام بالاشتراك مع الحكم السوري وتبين فيما بعد أنها خطة نظمها صدام للقضاء على قياديي البعث من جماعة البكر والذين ينافسونه في المواقع الحزبية .

وفي ٨ آب ١٩٧٩ , تم إعدام ٢٢ من كبار قادة حزب البعث والدولة وحكم على عشرات آخرين بالسجن المؤبد وبمدد مختلفة , ومن بين الذين اعدموا :

محمد محجوب ــ وزير التربية والتعليم

محمد عايش ــ وزير الصناعة رئيس اتحاد نقابات العمال

عدنان حسين الحمداني ــ نائب رئيس الوزراء رئيس ديوان رئاسة الجمهورية

غانم عبد الجليل ــ وزير التعليم العالي والبحث العلمي

كما أعدم عبد الخالق السامرائي العضو السابق في القيادتين القومية والقطرية وعضو مجلس قيادة الثورة منذ تموز ١٩٧٣ .

كما وضع تحت الإقامة الجبرية الدكتور منيف الرزاز الأمين العام المساعد للحزب وتمّت تصفيته فيما بعد في ظروف غامضة .

وبعد نجاح صدام في إزاحة جميع المعارضين لسياسته والمنافسين له على الزعامة في الحزب والدولة , شرع في تنفيذ الخطة التي طرحها الوزير البريطاني في تصفية الحركة الإسلامية وقياداتها في العراق .

الدروس والعبر المستخلصة

من حوادث رجب

نستطيع أن نجمل ذلك بما يلي :

١- إن الانتفاضة كانت تعبيراً واضحاً عن تصميم المرجعية والحركة الإسلامية (حزب الدعوة الإسلامية) على التصدي للمجرمين في العراق , كما كانت تعبيراً صادقاً عن تفانيها في الدفاع عن مصالح المسلمين وكرامتهم .

٢- وأكدت الانتفاضة وحدة المرجعية الرشيدة والحركة الإسلامية وانهما في الواقع قوة واحدة وطرف واحد وليستا قوتين وطرفين .

٣- إنّ الانتفاضة أوقعت السلطة المجرمة في تخبطّات وحماقات مما سبب لكثير من منتسبي حزب البعث أن ينتقدوا سياسة الحكومة في طريقة المواجهة مع الأمة .

٤- استطاعت الانتفاضة أن تدق إسفيناً بين الأمة والسلطة فأصبحوا قسمين متميزين , لا يطمئن بعد هذا أي من الفريقين بالأخر ولا يثق به .

٥- برهنت الانتفاضة على عمق تعلق الأمة بمرجعية السيد الصدر , وكذلك بحركتها الإسلامية , فعندما كان حزب الدعوة يطلب من الناس القيام بمظاهرة فسرعان ما كان

الناس يستجيبون .

٦- أعطت الانتفاضة للمرأة العراقية المسلمة دورها الحقيقي في الجهاد من اجل إقامة حكومة العدل الإلهي , وكانت مشاركتها بمثابة انتفاضة لنصف المجتمع .

٧- أظهرت الانتفاضة قدرة الحركة الإسلامية على التحرك السريع والمنسّق في عدة مدن من العراق وبشعارات موحدة كما استطاعت الحركة الإسلامية أن تتحكم بالشعارات بحيث لم يدخل فيها أي صوت نشاز .

٨- ولعل من أهم العبر والدروس هو أن نعلم إنّ أهم الأسباب التي دعت الاستعمار إلى أن يحدث انقلاباً على عبد الرحمن عارف عام ١٩٦٨ والمجيء بالبعثيين هو القضاء على الحركة الإسلامية التي كانت قد تنامت وامتدت إلى قطاعات واسعة من الأمة .

ولقد حاول البعثيون كثيراً أن يقضوا على هذه الحركة (حزب الدعوة الإسلامية) بنفس الطريقة التي قضوا فيها على الأحزاب الأخرى .

ولكنهم وجدوا إنّ الإسلاميين يختلفون عن غيرهم من السياسيين والمنتسبين للأحزاب الأخرى اختلافاً شاسعاً .

فالإسلاميون لا يخيفهم ولا يثنيهم التعذيب النفسي والجسدي وهم كذلك لا تؤثر فيهم المغريات .

نتائج انتفاضة رجب

لقد أفرزت هذه الانتفاضة المظفرة عدة أمور , ما كانت لتحصل لولا هذا التحرك الإسلامي في أوساطنا الراكدة , ويمكن أن نجمل هذه النتائج بما يلي :

١- نزوع واسع نحو التنظيم والتكتل الإسلامي وتكوين المنظمات الفدائية والانتقامية بسبب شراسة الظالمين وحقدهم وأصبح طلب التنظيم والتكتل أمراً ملحّاً لدى الجماهير .
وكانوا يقولون : إنّ أمورنا لا تستقيم إلاّ بالتنظيم , وشمل هذا النزوع كل قطاعات الأمة من العسكريين والمدنيين وحتى كبار السن .

٢- ازدياد الوعي السياسي الإسلامي , بعد هذه الانتفاضة وقبلها بفعل الثورة الإسلامية , واخذ الوعي السياسي الإسلامي ينمو بشكل مطرد حتى إنّ المقولات السابقة التي تدعو إلى فصل الدين عن الدولة , وبُعد الإسلام عن السياسة وعدم تدخل العلماء بالسياسة , وعدم صلاحية الإسلام لإدارة الدولة .... وغيرها , قد اختفت أو اهتزت ولم يعد لها تأثير.

حتى ان مقياساً جديداً للعالِم الحقيقي قد تكّون لدى الأمة وهو العالِم الثائر , العالم السياسي , العالم المجاهد .

٣- محاولة تكوين المنظمات الواجهية وجمعيات لجمع الأموال أو جمع الأسلحة والتدريب عليها .

***

أما تقييمنا لأحداث رجب :

فإنها بالإضافة إلى أنها أجبرت السلطة على إطلاق سراح السيد الصدر فإنها أرعبت السلطة لما شاهدته من زخم ونوعية الوفود واستعدادها للتحرك وإنها رهن إشارة السيد .

ولكن لابدّ من قول كلمة في هذا الخصوص , إنّ التحرك كان جيداً وناجحاً في منظورنا , إلاّ الاستعجال وغياب الأهداف القريبة والبعيدة جعلت بعض الناس يترددون من التحرك .

فالناس لم يكونوا يعرفون ماذا يريد السيد الصدر من هذه الوفود؟ وما هي النهاية ؟

ولم توضع خطط لاحتمالات رد السلطة التي كانت تراقب بحذر شديد .

ولم توضع البدائل للتظاهر أو بعد إخماد التظاهرات .... الخ .

***

وعلى أي حال فبعد اعتقال سماحته , انتشر الخبر بسرعة مذهلة وبنفس السرعة خرجت المظاهرات وهاجت الجماهير المسلمة في عدة مدن .

وقد كان الارتباك والارتجالية باديين على المظاهرات وخاصة مظاهرة النجف , حيث تبدو القلة والعجلة .

ولو كان احتمال اعتقال السيد مدروساً ومخططاً له قبل وقوعه لكان للمظاهرة تأثير أكبر على نفوس الناس وعلى السلطة كذلك .

ثم توالت الأحداث وكثرت الاعتقالات وانتشرت الإشاعات المغرضة والحرب النفسية التي كانت تشنها أجهزة السلطة ويتلقفها الناس البسطاء وبعض المتدينين البسيطين في الفهم السياسي , وكانوا يحاولون تثبيط العزائم : بأننا لم نحصل على شيء سوى الاعتقالات والإرهاب فماذا حصلنا من هذه الأعمال الطائشة , وليس هذا هو الدين!

***

وكانت السلطة تتصرف بحقد وانفعال ظاهرين , واستنفرت كل قواها وأجهزتها , وطوّقت مداخل المدن المقدسة والجوامع المهمة حيث بقيت النجف والكاظمية مطوقتين ما يقرب من شهر , وكأنها تعيش في حالة حرب ليل نهار .

هذا الوضع هو الذي جعل صحف الغرب ومحلليها يكتبون عن ثورة شعبية في العراق , وهذا ما ظهر على لسان مندوب (دير شبيغل) الصحيفة الألمانية , عندما أجرى حواراً مع صدام .

فقال له صدام :

اذهب إلى كربلاء والنجف لترى الثورة الشيعية التـــي تكتبـــون عنها في الغرب .

(وكان هذا بعد فترة من الأحداث)

هكذا تصور الغرب إنّ ثورة إسلامية على وشك الانـــدلاع فـــي العراق , فأصابهم الهلع , وهبّ ساسته لنجدة حكام العـــراق ومحاولـــة إيجاد الحل للمأزق الذي وقعوا فيه .

وهم يعرفون حق المعرفة مدى الإرهاب والظلم والتعسف الذي يمارسه حكام العراق ضد الشعب لكبح ثورته فتوقعـــوا لهـــم مـــصيراً كمصير الشاه .

إنّ الغرب إذا كان قد فقد إيران , وأخرج منها بحراب المسلمين فانه لا يستطيع أن يتحمل صدمة ثانية ويخسر العراق .

وجاء الحل الغربي , فغيّر بعض وجوه السلطة , واعـــدم مـــن عارض هذا التغيير بحجة مؤامرة مزعومـــة , وصـــدر العفـــو العـــام وقررت زيادة الرواتب للجميع والعفو عن الأكراد .

واهتزت قواعد السلطة , ووصل الاهتزاز إلى أعلى رجل فـــي السلطة والحزب , فاعتزل من اعتزل واعدم من اعدم .

فلم تمر على الحكام صدمة كهذه طيلة فترة حكمهم والذين كانوا يتصورون إنهم أقوى دولة وأقوى حزب في المنطقة , ولكن تبين انـــه حزب كارتوني .

فأكثر قواعد الحزب خارت معنوياتها , فأخذت تبحث عن أعذار للتنصل من الحزب واجتماعاته بشتى الأعذار حتى أنهم تحدثوا عن هذه الظاهرة في إحدى نشراتهم الداخلية .

أما الجيش الشعبي فقد حدث فيه التخلخل والتململ , وكان بعض أفراده من يقول للمتدينين (أنا مستعد أن أساعدكم , أنا وســـلاحي) أو يقول :

(إذا طلبوا مني أن أطلق الرصـــاص فـــسوف أوجهـــه نحـــو صدورهم) ... الخ

وكانت السلطة تفهم ذلك وتعي حراجة موقفها ,فأرادت أن تعيـــد الأوضاع إلى حالها بأسرع وقت خوفاً من المضاعفات , بحيـــث إنهـــا طلبت بعد عشرة أيام الكف عن الاعتقال العشوائي ومداهمـــة البيـــوت والتظاهر بالهدوء وعودة الأوضاع إلى وضعها الطبيعي .

كل هذا حدث في صفوف السلطة , وكل هذه الهستريا أصـــابتهم نتيجة هذا التحرك , رغم إننا لم نخطط له , ولم نزجّ بكل طاقاتنا ولكن الله تبارك وتعالى هو الذي (قذف في قلوبهم الرعب , يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الألباب) .

***

نموذج مصغر للتعذيب الذي جرى لسجناء انتفاضة رجب

يروي ذلك احد سجناء حزب الدعوة الإسلامية فيقول :

المكان هو (الشعبة الخامسة أو شعبة مكافحة النشاط الرجعي الديني).

والمقصود بالنشاط الديني هو نشاط الحركة الإسلامية .

والشعبة الخامسة , رواق طويل يقع في الطابق الثالث من احدى بنايات مديرية الأمن العامة .

توجد على جانبي الرواق غرف متقابلة , نجد في داخلها آلات التعذيب الأولية , مثل الكيبلات والصوندات والآلات الكهربائية اللاسعة والعصي الغليظة والسلاسل الحديدية وقناني الغاز الكبيرة[1]. والحبال وقطع قماش قذرة ملطخة بالدماء والأوساخ ... إضافة إلى الآلات الحديدية الأخرى والتي تصفد بها أرجل المعتقلين لإجراء عملية الفلقة .

وهناك القناني الزجاجية للمشروبات الفارغة , مثل قناني الببسي السليمة والمكسورة من الأعلى , تستعمل لاجلاس المعتقل عليها .

١- يربط بها الإنسان المعذّب من جانبيه , فتكون حركته صعبة جداً .

كما وتحوي تلك الغرف : الصوندات (الكيبلات) الكهربائية المستوردة خصيصاً من ألمانيا الغربية وإسرائيل وبريطانيا وأميركا وكذلك مراوح سقفية ليست للتهوية , وإنما لتعليق المعتقل بها وتشغيلها عند التعذيب , فيدور الشخص بدورتها .

رحلة العذاب مع آلات التعذيب قبل ترحيلي من مديرية أمن منطقتي إلى مديرية الأمن العامة , خضعت لأساليب من صور الإرهاب والحرب النفسية , بعدها حان ترحيلي , فعصبوا عيني وبقيتا معصوبتين طيلة الوقت الذي استغرق ساعات طويلة لبعد المسافة بين منطقتي وبغداد ... ناهيك عن إسماعي طيلة الطريق الكلمات البذيئة والشتم الرخيص والسخرية المهينة .

أنزلوني من السيارة الخاصة التي كانت تقلني مع كوكبة خيّرة من إخوتي المؤمنين , واستقبلونا بالركل والدفع بالأيدي والضرب بالكيبلات وأخمص السلاح , ترافقها كلماتهم البذيئة .

وحالما وصلنا , تلقفنا أوباش الأمن ... فمن هذا ضربة على الرأس ومن ذلك ضربة على الرأس أيضا ومن آخر ركلة أو ركلات .

أدخلونا إلى الشعبة الخامسة , فكوّا عصبة العينين ... وإذا بي وسط مجموعة من الرعاع , وقد مسك كل منهم بعصا غليظة أو كيبل كهربائي أو جهاز كهربائي صغير لاسع .

التفوا حولي وتتطاير عيونهم بالشرر والحقد وكأنهم قبضوا على مجرم خطير .

يمر المعتقل ــ خلال ذلك ــ بأنواع التعذيب وعلى مراحــل . نبرز هنا أهم خطوطها :

المرحلة الأولى :

يعلق الشخص بالمروحة السقفية , فتُشغّل , وتظل تدور به حتى الإغماء , ثم ينزلونه ليفيق , وليبدأ الاستجواب من جديد .

فإذا لم يقتنعوا به شدّوا وثاق المعتقل مــن يديــه إلــى الخلــف وطرحوه على ظهره أرضاً , وقيّدوا رجليه (بآلة الفلقة) ورفعوها إلى الأعلى , ثم يبدأ الضرب على باطن القــدمين بــالكيبلات الكهربائيــة وبالعصا ذات الشحنة الكهربائية .

وقد يستغرب القارئ لو قلت إنّ كثيراً من تلك الكيبلات تتقطــع نتيجة للضرب المتكرر والشديد , بحيث يزيلون قــشرة جلــد القــدمين فتسيل الدماء وتتكسر الأظافر , ثم يفكون وثاقه ويطلبون منــه الــسير ماشياً على قدميه وهو في تلك الحالة المزرية , وإذا تلكأ فــي المــشي توجه إليه الضربات من كل جانب .

وحين يتعب الجلادون يقومون بتصفيد أرجل المعتقــل ويديــه بقنينة الغاز ويرمونه على الأرض خارج غرفة التعذيب ويبقى لمدة قد تطول أياماً إلى أن يتوفر لهم الوقت بعد الانتهاء من عمليات التعــذيب مع غيره , فيأتي دوره مرة ثانية , فإذا كان لا يزال على نفس إفادتــه السابقة نقل إلى ما يسمونه بـــ (المعمل) وهو عبارة عن مكان ,مزودة جدرانه بأجهزة خفية تــصدر أصــواتاً مرعبــة لحيوانــات وحــشية

وصراخات عالية مزعجة وفي هذا القبو (المعمل) توجد غرف صغيرة جداً , فيها سرير واحد وسلاسل حديدية وهراوة وكيبل وحبل سميك وتابوت يُلقى المعتقل فيه ويرمى على الأرض .

أول ما يفتح عينيه يرى اثنين من الجلادين في الغرفة (القبو) احدهم قد استلقى على السرير والثاني ممدّد في داخل التابوت وهو عاري الجسد تماماً .

يغلق أحد الجلادين الباب , ليقوم الذي في التابوت ويطلب من المعتقل ان يعترف , والاّ فانه يتعرض لأساليب لا أخلاقية تقشعّر منها وتترفع عن ارتكابها الوحوش , وحينما لا تنفع به هذه الأساليب ينتقلون إلى المرحلة الثانية من مراحل التعذيب الجسدي والحرب النفسية .

المرحلة الثانية :

وفيها ما فيها من أساليب التعذيب التي لم نسمع بها أو نقرأ عنها في عصور الظلام ولا في الصفحات السوداء لتأريخ هتلر وبيغن .

وقد اعترف احد أفراد الأمن العامة بذلك , فقال لأحد المجاهدين: (ويحك لقد استخدمنا معك تجارب السجون الإسرائيلية والألمانية والبريطانية والأمريكية ... إضافة إلى أساليبنا الخاصة ... كل هذا وذاك ولم تعترف بعد ... فماذا نفعل بك) ؟

وحينما يخفقون في انتزاع الاعتراف من المجاهد يهجمون عليه جميعاً قد يبلغ عددهم أكثر من عشرة جلاوزة , يحار المجاهد كيف يصدّ الضربات التي تتوالى عليه , من أمامه وخلفه ومن جانبيه , ولا

يملك سلاحاً غير سلاح (الله اكبر الله اكبر) ولكن المجـرمين عنـدما يجدون هذا قد استغاث بالله , يقولون له ساخرين :

إذا كان هنالك رب , فليأت لإنقاذك من بين أيدينا , ومتـى مـا وجدوا أنّ أساليبهم الخسيسة هذه لا تجدي نفعاً , يـأتي دور المرحلـة اللاحقة :

المرحلة الثالثة :

ينقلون المجاهد فيها إلى الدهاليز الأخرى لبنايات الأمن العامـة ليشاهد زنزانات التعذيب , فلعله يعترف بعدها .

فيبدأون أولاً بتمريره على أحواض التيزاب (حامض النتريك) التي يلقون فيها المؤمن المجاهد , ليُعفى أثره بعد لحظات ,ثم يذهبون به إلى زنزانات أخرى , مُلئت بنوع معين من الحشرات الضارة , فهـذه للعقارب وتلك للحيات وأخرى للقمّل وغيرها للنمل وهكذا ...

بعدها يمررونه على جثث شهداء مـن إخوتـه فـي الله , ثـم يستوقفونه قليلاً أمام احد إخوته المجاهدين ممن انهوا معه كل أسـاليب القهر ويئسوا من الحصول على معلومات منه , ويوجهـون لـه هـذا السؤال :

هل ترى هذا المجرم ؟

ولا ينتظرون منه جواباً , ويستطردون :

إذا لم تعترف فسيكون مصيرك مثل هذا

عندها يضع احدهم مسدسه في رأس ذلك المجاهد البطل ويطلق عليه الرصاص , فيرديه قتيلاً شهيداً محتسباً .

في تلك اللحظات ,من ذلك الموقف يزداد المجاهد البطل إيمانـاً بقضيته وصلابة وشموخاً بعد أن ودّع شهيداً إلى الجنان , فيطلب منهم اللحاق بأخيه الشهيد فوراً ...

الاّ أنهم لا يستجيبون لطلبه , وإنما يرجعونه إلى (ورشة التعذيب) مرة ثانية , ليضعوا على صدره وظهره خشبتين , يقومون بضغطهما بواسطة آلة حديدية (منكَنة)[1], ويستمرون بالضغط إلى أن يتدفق الدم من جوارحه حتى يغمى عليه .

ثم يرفعون الخشبتين عنه وينتظرون حتى يفيق , ليجد نفسه في زنزانة لا يزيد عرضها على (٨٠ سم) وطولها على المترين , نصفها مخصص كمرافق صحية , وهي ليست صحّية بالمرة , تفوح منها رائحة نتنة لا يستطيع الإنسان عليها صبراً .

أما باب الزنزانة فحديدي تضربه الشمس , فيشعّ منه وهج لافح.

يعيش في هذه الزنزانة أربعة من عباد الله , وقد ربطوا بالسلاسل الحديدية , الواحد بعد الآخر , وأشد ما يلاقيه المجاهدون ــ وهم على هذه الحال ــ حينما يريد احدهم قضاء حاجته في (بيت الخلاء) أو إذا شعر احدهم بالحاجة إلى النوم , ولا يتمكن من ذلك لأن الآخرين مشدودون معه سوية .

١- آلة حديدية يستعملها النجار عندما يضغط على الخشبة , لينشرها بالمنشار .

ويبقى المؤمنون في هذه المأساة أسابيع طويلة يطلبونهم للتحقيق بل للتعذيب , إذ لا وجود للتحقيق بمعناه الدقيق في معتقلات صدام .

يستدعون المجاهد ويبدأون معه سلسلة من التهديد والوعيد يرافق ذلك ترغيب بترف الدنيا ونعيمها ومغرياتها ,ظناً منهم إنّ هذه الأساليب تزعزع الأبطال , ولكن هيهات أن يجدوا وهناً وتراخياً من احد .

وعندما يجدون الإصرار والعناد يسلكون أسلوباً آخر , ذلك هو إنهم يفرقون هؤلاء المعتقلين الأربعة الذين كانوا في زنزانة واحدة يفرقونهم الواحد عن الآخر , ويتصورون أنهم يستطيعون في هذا أن يحققوا ما يبتغون .

المرحلة الرابعة :

بعدما يمر المجاهد على أشكال التعذيب والإرهاب , يبدأ المجرمون بالتظاهر بالطيبة والشفقة على المعتقلين وعوائلهم فيعرضون على المجاهد الإفراج العاجل والمال الوفير والبيوت الفخمة والسيارات الفارهة ... إلى آخر الإغراءات الدنيوية لقاء أن يعترف لهم هذا المجاهد بشيء أو يكون وكيلاً لهم بالعمالة .

وعندما تتساقط كل أساليبهم يطلبون من المجاهد إجراء لقاء تلفزيوني للتحدث والإجابة عن أسئلة تبدو أنها بريئة ليست فيها أية خطورة .

وحين تنتهي المقابلة يقومون بتحريف الأجوبة وفقاً لصيغ الدبلجة المتبعة في الأعمال السينمائية , مستبدلين جواب السؤال الأول بالثـــاني وبالعكس وهكذا ...

والغرض من هذا كله هو تثبيت تهمة الانتماء إلى حزب الدعوة الإسلامية على المعتقل .

***

كان هذا صورة مصغّرة لما يجري على المعتقلين في حـــوادث رجب من عام ١٣٩٩ هــ , أما بعدما تجري محاكمتهم , فهناك الــذين حكموا بالإعـــدام , ومنهم من حكم عليهم بالسجن المؤبد , ونقلوا إلـــى سجـــون (أبي غريب) .

والمفروض في هؤلاء إنهم أنهوا فترة التعذيب , ولكن التعـــذيب بقي يلاحق المتدين إلى أن يموت أو يفرج عنه في يوم من الأيام .

ونورد هنا نموذجاً لحياة المجاهدين في سجون أبي غريب بعدما انتقلوا إليها من دوائر الأمن العامة .

يقول احد المجاهدين من حوادث رجب الذي عانى مـــن حيـــاة العذاب في سجون أبي غريب :

ذكرياتي في قسم الأحكام الخاصة من سجن أبي غريب كثيـــرة ولن تنسى , وقسم الأحكام الخاصة هذا , لم يعد لقضاء فتـــرة الـــسجن كبقية سجون الدنيا , وإنما هو شعبة قذرة تابعة لمديرية الأمـــن العامـــة يشرف عليه أفراد من الأمن العامة ذاتها , وتوجد فيـــه آلات التعـــذيب

جنباً إلى جنب زجاجات الخمور بمختلف أنواعها , ولا يمارس الجلادون التعذيب الا وهم مخمورون .

دخل علينا يوماً جلاد وقح وهو مخمور وخاطب احد المجاهدين بأنه إشترى ست قناني (لاكر)[1].ويريد ثمناً من المجاهد ... ويقصد بالثمن هذا , التعذيب .

واخذ يصفع وجه المجاهد ويدحرجه برجله على الأرض , ثم يأمره بالمثول أمامه وبسرعة واقفاً كالجندي في حالة الاستعداد مشترطاً عليه أن لا يتحرك أي حركة حتى رمش العينين .

وكان هذا المجرم يختبره بتقريب إصبعه من عيني المجاهد فإذا رمشت , استعمل الجلاد معه أسلوباً جديداً في التعذيب , هو عملية (البنكة)[2]وهي طريقة جبانة يستخدم الجلاد فيها يديه ورجليه ورأسه في ضرب المجاهد وبحركات سريعة , يتفنّن الصعلوك في أدائها ولا يكف حتى يسقط المجاهد على الأرض مغمياً عليه .

ومن الصور الكثيرة التي ألفناها ... هي أن يتوجه احد الجلادين نحو قاعة السجناء , وعند دخوله يوجب على الجميع الوقوف وقفة رجل واحد , يمر علينا ليضرب هذا بيده وذاك برجله ثم يأمرنا جميعاً بالجلوس , ليدخل جلاد آخر , فيقول لنا : لماذا انتم جالسون ؟

يا أولاد (...)

١- نوع من انواع الخمور في عراق البعث .
٢- أي عملية المروحة .

ثم يهجم علينا بالكيبل الكهربائي كالثور الهائج , فيضربنا بلا تشخيص لمكان الضرب .

وعند قيام الجميع كما طلب, يقول الجلاد الأول : لماذا وقفتم ألم آمركم بالجلوس ؟

اما نحن فنبقى في حيرة , أنقف ؟ أم نجلس ؟

وتستمر الحال هكذا فترة

ثم يتركوننا لنصف ساعة , ليدخل علينا جلاد آخر اسمه (حقي) قصير القامة بدين الجسد , ينفث الحقد من عينيه , وتبدو عليه ملامح الإجرام , يدخل هذا الجلاد لإثارة الإرهاب النفسي وإسماعنا أنواع الشتائم , ثم يخرج ليدخل بعد قليل جلاد آخر ويجمع علب الصفيح التي خزنّا فيها الماء طيلة الليلة الماضية من قطرات الماء التي يجود بها المارّون علينا ويقوم بسكبها على رؤوسنا وهو ساخر , ثم يبدأ بضربنا بعلب الصفيح الفارغة ويخرج .

وما أن نلتقط أنفاسنا حتى يهجم علينا اثنان أو ثلاثة يأمروننا بالانبطاح على البطن ليبدأوا بعملية القفز على رؤوسنا بأحذيتهم بالرغم من علمهم بأن قسماً منا يشكو ألماً في فقراته نتيجة التعذيب في مديرية الأمن العامة , وان قسماً آخر يشكو كسوراً في الكتف أو اليدين أو الرجلين .

***

ومن صور التعذيب الأخرى :

دخول احد الجلادين قاعة السجن بعد منتصف الليل منادياً على المجاهدين واحداً واحداً , قائلاً إليهم وهو يمسك بشفرة الحلاقة استيقظوا سأجري لكم عملية جراحية .

يبدأ الوغد بعمليته الجراحية , وهي عبارة عن تشريط الشفتين والوجنتين وكذلك قطع بعض الأوردة في اليدين بشفرة الحلاقة التي يحملها , ثم يتركنا بلا علاج ويخرج ونبقى نعاني من النزف والآلام .

ومن المواقف التي لا زلت أتذكرها جيداً , يوم حاول المجرم مدير الشعبة الخامسة نوري الفلوجي المعروف باسمه المستعار (فيصل هلال) والمكنّى (أبو صباح) أن يضغط على احد المجاهدين طالباً منه ان ينسب حزب الدعوة الإسلامية وبعض قادته وكذلك الإمام السيد محمد باقر الصدر إلى المخابرات المركزية الأمريكية , وقال للمجاهد : إذا استجبت لذلك فسوف نخفف الحكم عنك .

وإذا صمد المعتقل ولم يعترف , اعتقل أبواه وزوجته وأطفاله ليعذبوا أمامه , والأطفال الأبرياء يصرخون ولا يدرون لماذا هذا الضرب ؟ وهم لم يقترفوا ما يوجب ذلك .

والأم والزوجة والأخوات ربما يتعرضن للاعتداء الجنسي وأمام المعتقل نفسه لكي يدلي باعترافاته .

***

وهذه قصة أخرى رواها احد المجاهدين ممن دخل المعتقل ولكن كتب له أن يخرج منه حياً .

أذكر هذه القصة كما كتبها هو بأسلوبه الساخر بعنوان (وقفة مع الذكريات) :

مكان الحفلة

(زنزانات البعث الرهيبة)

جملة نسمعها دائماً على السنة المضطهدين وهم الأكثرية من الشعب , ولكن قليلاً منا الذي يستطيع أن يتصور ما تعني هذه الجملة بالضبط .

قبل زيارتنا (فندق الأمن العامة) كان في أذهاننا تصور خاص عن السجون والسجّانين والمسجونين , بناء على ما كنا نقرأه عن الأفلام السينمائية السياسية التي تصور السجون في العالم .

أما عندما دُعينا من قبل أصحاب (الكرم العربي الأصيل) لحضور (حفلات التعذيب الساهرة) من بعد منتصف الليل وحتى الصباح في صالات وقاعات (فندق الأمن العامة) المختفية تحت الأرض وسط بغداد تغيّرت نظرتنا تماماً , ووجدنا المستقبلين للتشريفات عند أبواب الفندق , الذين استقبلونا (بالتصفيق الحار) على وجوهنا ــ وهي مشدودة العين ــ وبكلمات الترحيب (البذيئة جداً) .

ومن كرمهم الشديد لم يسمحوا لنا أن نشارك في خدمة أنفسنا , حيث ربطوا أيدينا ببعضها والى الخلف بالكلبجة[1] .

كان هذا أول المطاف , كان الواحد منا يحدّث نفسه ما هذا المكان ؟

هل هو في الدنيا أو في الآخرة ؟

كل شيء يختلف عما يسميه الناس (سجن) اختلافاً كثيراً جداً وفي كل شيء .

الناس (عمال الفندق) هنا وحوش كاسرة , غلبت وحشيتهم وحشية الحيوانات البرية الجائعة , فأيديهم ثقيلة وألسنتهم لا تنطق بما ينطق به بشر هذا الزمان .

أساليبهم الوحشية في (الكرم) غلبوا فيها حتى الشيطان .

الجدران والزنزانات والأبواب ذات طابع (تراثي فني معماري) خاص لا يوصف .

ألوانه جذابة جداً وملفتة للنظر , مدهشة , مخلوطة من (دم المؤمنين ولحم الشهداء) .

الجدران عبارة عن لوحات فنية رائعة , كتب على قسم منها :

(من دخلها فهو مفقود ومن خرج منها فهو مولود)

أما مساحة الزنزانة , فمختلفة و(حسب الطلب) :

١- باصطلاح العراقيين وبعض البلدان العربية الأخرى , تعني القيد الحديدي الذي يقيّد اليدين .

فهناك غرف ذات القياس الصغير (الانفرادية) ومساحتها (ام × ام) = ام^2 : إنها مصممة لشخص واحد , ولكن المضيفين أصحاب مشاعر حساسة , فهم لا يدعون الشخص يعيش لوحده في هذه الغرفة النموذجية , وإنما يحشرون معه واحداً أو اثنين أو أكثر والله اعلم .

وهناك غرف ذات الحجم المتوسط وتكون ـ عادة ـ بمساحة ٢م × ٢ م = ٤م^2 , وهي للطبقة المتوسطة من المجتمع (أصحاب الدخل المحدود) ويصل العدد فيها , وهو ليس ثابتاً إلى ١٨ شخصاً [1] كلهم زوّار محبوبون في هذا الفندق من قبل أصحابه .

الجلوس صعب جداً في هذا الصندوق .

ويتراوح عدد الضيوف (المؤمنون) في الجلوس :

فجماعة تجلس وأخرى تقف , لان المكان لا يسع لجلوس الجميع وكذلك بالنسبة لعملية (النوم الوقوفي) وهو نوع جديد من النوم (مودرن) نوم الإنسان واقفاً حيث يسنده زملاؤه الواقفون .

١- ومن نوادر السجناء ,أنهم في شهر رمضان , كان أحدهم يقرأ لزملائه في كل ليلة دعاء الافتتاح الذي يتضمن هذه الفقرات (... اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا وكثرة عدونا وقلة عددنا وشدة الفتن بنا وتظاهر الزمان علينا ...) .
وصادف أن جيء لهم في اليوم الثاني بسجناء آخرين لا تستوعبهم الزنزانة أبداً , فكان السجناء يضربون قارئ الدعاء , ويقولون له : إن الجلاوزة سمعوا دعاءك الذي تقول فيه (اللهم إنا نشكو إليك قلة عددنا ...) , فأزادوا العدد .

أما النوع الثالث من الغرف , فهو الغرف الكبيرة جداً والتي تسمى بغرف الطواغيت أو السجن العام أو القاعات الكبيرة , فهي بمساحة (٨م × ١٠م) = ٨٠م^{2} ويصل العدد فيها إلى ٢٠٠ شخص .

***

كان هذا بالنسبة لمساحة غرف الفندق , أما بالنسبة (للجو الشاعري) فلا ضوضاء السيارات ولا ضجيج المعامل ولا أصوات المارّة التي تزعج النزلاء وإنما هناك آلات موسيقية في الفندق دائماً ليلاً ونهاراً وهي ذات جزئين :

الجزء الأول (السياط والكابلات الكهربائية والسكاكين الناعمة مع الملح وآلة قلع الأظافر وآلة قطع العين وآلة قلع الأسنان وآلة تكسير الأصابع وآلة ثقب الرجل والعظام ...) إلى آخر ما هنالك من ابتكارات للظالمين .

وأما الجزء الثاني من الآلات الموسيقية فهي (أجساد المحرومين من المؤمنين) وهذا الجزء من الممكن أن تعزف عليه جميع الآلات السابقة .

أما العازفون فهم ذوو اختصاص فني لا يوجد لهم مثيل في التأريخ الحديث أو القديم في التعذيب البطيء بقلع الأظافر أو كسر الأصابع أو الحبس في عمق بالوعة[1] قذرة , حيث يغطى الإنسان إلى

١- البالوعة في اصطلاح العراقيين هي مخزن تجمّع فضلات الإنسان القذرة .

حد انفه أو التعليق من اليدين من الخلف أو وضع جمرة النار على الجسد ... الخ .

آلاف الألحان لا تعد ولا تحصى وكذلك الموسيقى الصاخبة وهي مثلاً (ضرب الإنسان وهو عاري في شدّة البرد ومربوط اليدين والعينين والضرب على جميع أنحاء الجسم بهراوات كهربائية صاعقة تسبب للإنسان ألماً لا يوصف , والفلقة وهو ضرب أسفل القدم ضرباً مبرحاً أو ثقب أعضاء وعظام الجسم ... الخ) .

أما المطربون فهم المؤمنون ذوو الأصوات الشجيّة التي تُسمع القلوب قبل الآذان وهم أهم عنصر في هذا (الفندق) ولولاهم لما بني هذا المكان أصلاً .

وهم عبارة عن أناس درسوا في مدرسة (الشهيد الصدر) وتتلمذوا على يده وفكره (حزب الدعوة الإسلامية) .

أما أصواتهم فهي جميلة ومتغيرة من حال إلى حال , فأحياناً الغناء الهادئ , والذي هو عبارة عن (أنين) مملوء بدعاء أو مناجاة أو شكوى إلى الله , وطلب الصبر منه وأحياناً أخرى صراخ عالٍ (الله اكبر , لا اله إلا الله , الهي أدركني , لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم , إنا لله وإنا إليه راجعون) .

وتستمر حفلات التعذيب هذه حتى الصباح , وأصوات المستضعفين تمزق سكون الليل وتستمر معها حفلات التحقيق وسحب الاعترافات ولا تنقطع , إذ يتناوب على ذلك جلواز بعد جلواز .

نماذج بطولية صامدة
من معتقلي وشهداء حزب الدعوة الإسلامية
على أثر انتفاضة رجب الخالدة

إن نظام البعث في العراق نظام دموي لا مثيل له , ولن تجد في دولةٍ ما يشبه صدام في الإجرام ولم يسجل لنا التأريخ مثيلاً له أبداً .

ومجرمو التأريخ قد تحول بينهم وبين الجرائم خصوصاً ما يتعلق بالإعدام , قد يحول بينهم القانون أو العرف أو كلمة طيبة يسمعها من الضحية أو استغاثة من ذويه , أو آية قرآنية إن كان مسلماً أو تذكير بالآخرة , ولكن صدام لا يحول شيء بينه وبين ضحاياه.

وفي جو محموم وسجون مظلمة كالتي في العراق , يعيش المجاهدون أحلك الأيام ويقاومون إرادة العملاء , ويصمدون كلما أوغل أولئك في حقدهم .

واستطاع الدعاة أن يضربوا الأمثال الشامخة للتأريخ في صبر المسلمين وثباتهم ورفضهم لكل أساليب الكافرين حتى استووا إلى مصاف حجر بن عدي وميثم التمار وسعيد بن جبير , وأضافوا للمسلمين مكرمة أخرى عندما يقاسون بغيرهم من المعتقلين ذوي الميول غير الإسلامية .

فالشيوعيون أنفسهم كانوا ينبهرون عندما يرون الإسلاميين كالجبال الراسية في قوة عقيدتهم وثباتهم على مبدأهم على الرغم من التعذيب الوحشي الذي يتعرضون له[1].

لقد أعطت الدعوة درساً جهادياً بليغاً في الثبات والصبر والمرابطة واثبت الدعاة إلى الله أنهم أقوى من ان تقهر إرادتهم قوة ظالم أو طاغوت .

لقد حطم الدعاة حواجز الخوف والإرهاب باقتحامهم السجون والمشانق واستهانتهم بالموت وزنزانات التعذيب , وصادروا كل أسلحة العدو ووسائل سلطانه وطغيانه ...

فأبو عصام الذي قال كلمة الثبات والثقة بالنفس لمدير أجهزة التجسس والإرهاب المجرم ناظم كَزار :

(الدعوة هنا ـ مشيراً إلى صدره ـ وأتحداك أن تخرجها)

والشيخ عارف البصري الذي سخر من حكم الإعدام وقال :

(تعلقت بأستار الكعبة ودعوت الله أن يرزقني الشهادة)

والشيخ حسين معن الذي قال عنه أخوته في السجن :

١- في عام ١٩٧٤ عندما حكم عدد من الدعاة بالإعدام (الشيخ عارف البصري وأربعة معه) وعلى آخرين بالسجن المؤبد ,كان الدعاة يودع احدهم الآخر ويهنئون المحكومين بالإعدام بالشهادة ورضوان الله في الجنان .

في حين كان بعض الشيوعيين قد حكم عليهم بالسجن , فكان احدهم يسبّ الآخر أقذع السباب لأنه ورّطه بالشيوعية , ثم تجاوز ذلك إلى الضرب بالأيدي .

(لقد كان حسين معن يمثل جبل الصمود)

والسيد حسين جلوخان الداعية الصامد الذي قال بصدق وقد كان عند قوله : (سأواجه البعثيين إلى حد الموت) وقد ختم حياته فعلاً وهو يسطّر آية التحدي بالشهادة .

وعدنان سلمان , الذي كان مثال البطولة والصمود والثبات كان يقول لإخوانه في السجن عندما يأتي دوره , ويستدعى للتعذيب :

(انتظروا سأعذبهم بصمودي وإصراري) ويكون كما قال .

وعندما يعاد من زنزانة التعذيب إلى إخوته في المعتقل وهو في النفس الأخير , يفقد رأس الجريمة والإرهاب فاضل البراك ــ مدير الأمن العام ــ سيطرته على أعصابه أمام هذا الصمود , فيقف بالقرب من الشهيد عدنان , يصرخ بعصبية :

عدنان ــ أنطق , تكلم , ولو بكلمة واحدة .

فيصطدم صوته الجبان بشموخ الجبل الأشم ... فيفقد هذا الجلاد وعيه ويمزّق قميصه وهو لا يدري ما فعل .

وهكذا صارت تلك الأسماء وأمثالها نجوماً لامعة في سماء المجد , وحروفاً مضيئة في سجل الشهادة والفداء الذي ضمّ آلاف الشهداء من الدعاة والمجاهدين من أبناء أمتنا ضد الحكم الجائر .

***

إنّ صراعنا هو صراع ضد قوى الظلم والجاهلية , ولا شك انه يمثل صراع معسكر الإسلام ضد معسكر الجاهلية .

وعلى الدعاة والمجاهدين ان يعوا هذه الحقيقــة وان يــستوعبوا مرحلة الصراع المرير مهما طالت ومهما كانــت التــضحيات غاليــة وعظيمة وان لا يتسّرب إلى نفوسهم الملل واليأس , بل عليهم ان يكونوا كالذين قال عنهم الكتاب الحكيم :

(* الذين إذا قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمــة مــن الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم *) .

***

وسوف نثبت هنا بعض النماذج الصامدة من أولئك الأبطال من المعتقلين والشهداء (كنماذج فقط) وليس على سبيل الحصر , فما دام هنالك ظلم وجور , فهنالك صمود وبطولة .

وصلت أخبارهم , إما من بعضهم الذين كتبت لهم الحياة فنقلــوا ما كان يجري عليهم , أو من الذين عاصروهم .

***

مذكرات سجين في العراق

١٩٧٩/١٢/١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

* ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا *.

أخي أزهر , كلمات اكتبها إليك والموت أمام ناظري وإني عند حسن ظنك وكما كنت دائماً , والذي يستولي على مشاعري هو شعور الإنسان المؤمن الذي يترقب الساعة التي يذوق فيها كأس الشهادة , وإني على انتظار باللحوق بقافلة الشهداء من أبناء أمتنا الذين استرخصوا دماءهم من أجل غسل عار " البعث " عن جبين العراق المسلم الأبي .

في خوالج نفسي هموم وفي قلبي ثلوم وإن صدري قد ضاق ليس مما أعانيه من الآلام التي ألحقت بي نتيجة للتعذيب ولكن من أصوات إخوة وأخوات لي في الإيمان يرزخون تحت سياط الجلادين في الدهليز المظلم الذي نحن فيه .

إن هؤلاء القتلة لا يفرقون بين الصغير والكبير ولا بين الرجل والمرأة في تعاملهم اللاإنساني وتحت ذريعة أخذ الاعتراف والحصول على المعلومات .

السجن الذي أنا فيه الآن هو أحد السجون العسكرية التي أنشئت تحت الأرض .

الجدران بنيت من الكونكريت المسلح والباب حديدي صبغ باللون الأسود والمنافذ في السقف صغيرة تمنع دون التمتع بالهواء الذي لم يحرم منه أي إنسان على وجه الأرض .

لا يمكنك أن تتصور الوسائل المستخدمة في التعذيب , ولكن يمكنني القول بأن أحدث ما اكتشفه الشيطان لهذا الغرض موجود في هذا السجن .

واسأل الله تعالى أن لا يريك مثل هذا اليوم الذي أنا فيه .

إنني مدعو بين الفينة والأخرى ليس إلى كأس من شاي أو كوب من القهوة ولكن إلى الاستنطاق .

العملية هذه تبدأ بإلحاق أذى جسمي أو شن حرب نفسية ضد الإنسان وإني لحد الآن صعقت عشرات مرات كهربائياً وهناك ستة حروق على جسدي .

مراراً وضعت في غرفة ليس فيها هواء ولكنها ملئت بغازات خاصة , قبل موتي فسيولوجياً بسبب عدم استنشاقي الأوكسجين .

يُفتح باب الغرفة تلك وإني أأمر بالخروج , وكل شيء بحساب وإن جنود الشيطان قد أتقنوا استخدام كل هذه الوسائل ضد الصفوة المؤمنة من أبناء شعبنا الشجاع .

إني لا أريد أن اسرد إليك كل الذي عانيته منذ وقوعي بأيـدي هؤلاء الجناة قبل حوالي ثلاثة أشهر ولكن قلبي قد سبقني في كتابة ما ذكرته إليك وهو شيء لا يذكر بين الوسائل المستخدمة في التعذيب هنا والتي أكثرها استوردت من ألمانيا الغربية وأمريكا .

أخي أبو صادق , إن الشيء الذي يؤلمني كثيراً في هذه الأيام هو محاولة لصق تهمة تعاملي مع (الموساد الإسرائيلي) وإني اعتقد أن الذريعة هذه سوف تستخدم لإعدامي وهو جواب جاهز للذي يسأل العصابة الحاكمة عن سبب إفنائي وإني أشهد الله وملائكته المقربين بأني بريء من كل الذي يحاولون أن يلصقوه بي ظلماً وبهتاناً وإن كلماتي هذه أوجهها لأبناء شعبي بأن لا يصدقوا هذه الحفنة المجرمة والتي كل الأحداث تشير على ارتباطاتها المشبوهة بالدوائر الإستعمارية والصهيونية .

إنّ هؤلاء الأذناب يستخدمون كل الوسائل اللامشروعة ويعملون جاهدين لخلق التهم والافتراءات لتشويه سمعة الطيبين من أبناء هذه الأمة الأبية .

إني خدعت بوسائل إعلامهم والوعود الكاذبة التي أعطوها لاستقطاب انتباه الطبقة المثقفة من أبناء الأمة الذين يعيشون في الخارج ورجعت وفي نيتي خدمة وطني وشعبي بعد أن حصلت على شهادة الدكتوراه , ولكن النتيجة كانت هي أن أرى هذا اليوم البغيض .

كلمتي إلى الشرفاء من أبناء الأمة الذين أنهوا دراساتهم في الخارج أو الذين يتابعون تحصيلهم العلمي أن لا يرجعوا إلى الوطن إلا بعد تطهيره من هذه الزمرة المجرمة التي تحكمه اليوم .

إن الوطن اليوم لا يحكمه أبناؤه واكبر دليل على ذلك هو مهزلة المجلس الوطني المزمع إنشاؤه والتفكير بالديمقراطية بعد مضي (١١) عاماً في الحكم .

أخواني ليكن قدومكم الميمون بعد تطهير ترابنا الطاهر من هؤلاء الأرجاس وبعد أن يرفرف علم الإسلام عالياً في سماء العراق .

وكلمة أخيرة أوجهها إلى العمال والفلاحين وكل البسطاء من أبناء الأمة بأن لا ينخدعوا بالرحلات المكوكية للمجرم " صدام " وقيامه بزيارة المشاهد المقدسة من مدينة أبي الأحرار الحسين بن علي ومدينة النجف الشماء مدينة صهر الرسول الكريم إمامنا وسيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

إن الزمرة الحاقدة على الإسلام والمسلمين في الوقت الذي فيه تخدع الشعب برعاية عواطفه الإسلامية ودغدغة تلك العواطف بالتظاهر بالاهتمام بالأماكن المقدسة ودور العبادة , تقوم من الجانب الآخر بقتل علماء الإسلام من أمثال الشيخ البصري والشيخ البدري والشيخ المظفر ومطاردة كل المؤمنين وملأ السجون بالرجال والنساء الذين لا ذنب لهم إلا أن قالوا ربنا الله .

إن محاصرة منزل سماحة الإمام أية الله الصدر ومنع المسلمين من الاغتراف من معين علم هذا الرجل التقي , لـجريمة نكـراء وإن البعث وسوف يقف مسؤولاً أمام التاريخ وأمام هذا الشعب ليدفع حسابه على ذلك .

إن من وسائل الحرب النفسية ضد الأخوة المؤمنين هو سب هذا الإمام وكيل التهم والإفتراءات ضد سماحته والله يشهد أن كـل الـذي نسمعه يتبرأ منه العلامة الصدر .

الله يرد كيد الذين كادوا وينصر المؤمنين وما توفيقي إلا بـالله عليه توكلت وإليه أنيب وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسـلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أبو محمد

بغداد ــ سجن رقم ١

العلوية أم محمد

تسكن مدينة الثورة في بغداد

عمرها لا يتجاوز الثلاثين سنة

بطلة بمعنى الكلمة , على الرغم من أنها مجاهدة عانت من التعذيب ما لا يتصوره العقل .

ولم أكن اعرفها ولكن بلغني ان امرأة معذبة مجاهدة استطاعت ان تفلت من جحيم العراق , فاستمعت إلى قصتها وكأني استمع إلى السندباد البحري عندما يتحدث عن الأهوال التي عاناها في جزر البحر على أيدي عتاة الجن .

فلم أكن أتوقع ان امرأة تستطيع ان تتحمل من الأذى كهذي ,كما لم أكن أتوقع ان امرأة كالعلوية أم محمد تستطيع ان تجاهد كأحسن ما يكون الجهاد إلى ان تقع بأيدي الظالمين فتفلت منهم بأعجوبة .

تقول حفظها الله :

اعتقل زوجها بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران مباشرة وبالضبط في ١٩٧٩/٢/١٥ علماً بأن الثورة انتصرت في ١٩٧٩/٢/١١ وأطلق سراحه بعد أربعة أيام .

ثم اعتقل ثانية في ١٩٧٩/٥/١٥

كان زوجها داعية مجاهداً , وكانت الزوجة تنهج نفس النهج وكان قد أوصاها عندما كان طليقاً ان تواصل عمله وتكمل المسيرة إذا تعرض للاعتقال من قبل أذناب السلطة الجائرة .

وبالفعل , وحالما اعتقل زوجها , بدأت بتنفيذ الوصية وتأدية الأمانة أحسن أداء , وكانت تعرف المجاهدين الذين يعملون معه .

بدأت العمل على ثلاثة محاور :

١- تجمع الأموال وتوزعها على العوائل المنكوبة من عوائل الشهداء والمعتقلين .

٢- تكتب المنشورات وتوزعها بنفسها وبمساعدة زميلاتها المتدينات , في الأضرحة المقدسة , داخل المصاحف الشريفة وكتب الأدعية وأماكن الصلاة وكذلك في أروقة مدارس البنات وداخل الصفوف .

٣- تشتري الأسلحة لتوزعها على المتدينين الذين كانوا يعملون مع الزوج المعتقل , وتنقلها بين بغداد وبقية الأطراف حيثما توجد هناك حاجة , تنقلها بصورة ذكية جداً لا يلتفت إليها المجرمون , وكانت تشتري المسدس بين ٢٣٠ ـ ٢٧٠ ديناراً .

وأحسّ المجاهدون الذين تعمل معهم بالخطر يحدق بهم من جلاوزة النظام , فقرروا ان يهربوا من جحيم العراق ويلتجئوا إلى الجمهورية الإسلامية , ولكن هؤلاء لم يكونوا

متعارفين على بعضهم , فكانت هذه المجاهـدة هـي التـي عرّفت بعضهم على الآخر .

واتفقت معهم ان يحضروا في وقت معين في ساحة النهضة[1] من بغداد وأعطت لكل منهم مسدساً ونقوداً عراقية وإيرانية ثم سلمّت احدهم رسالة وقصيدة نظمتها هـي إلـى الإمـام الخميني , ضمنتها تحياتها وتشرح له وضع العراق الذي آل إليه والإعدامات وحال الأرامل والأيتام .

والقصيدة استنهاض واستصراخ للإمام .

ولكن هؤلاء المجاهدين الخمسة , عندما حـاولوا العبـور إلـى الجمهورية الإسلامية من جهة العمارة , تعرضت لهم دورية عـسكرية عراقية , فتبادلت وإياهم إطلاق النار ونفد عتاد المجاهدين , فقتل منهم اثنان وقبضوا على ثلاثة , كانت الرسالة والقصيدة عند احدهم .

***

وبعد ثلاثة أيام أرجعوهم إلى بغداد , ودخل الجلاوزة دار هـذه العلوية الطاهرة في الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل , وأسـرعت فأخفت نفسها في إحدى الغرف , وسألوا عنها أباها .

فقال لهم : إنّ له ابنتين فقط وكانتا صغيرتين , فاستبعد الجلاوزة ان تكون البطلة من بينهما , وتصوروا أنّ الذي اخبرهما كاذب وذهبا.

١- موقف السيارات لنقل الركاب

وخرجت البطلة من مخبأها وجاءت إلى أبيها تشجّعه : لا تخف يا أبي فليقبضوا عليّ ولأمت ... هذا هو طريقنا ... من أراد دولة إسلامية فلا بدّ ان يجد في طريقها الأهوال ... وبدون هذا لا يكون ... هذا طريق الأنبياء , كن قوياً يا أبي ... كن شجاعاً ... لا تخش شيئاً .

تقول البطلة : وفي الساعة الثانية والنصف من منتصف تلك الليلة عاد الجلاوزة إلى البيت , فأسرعت وألقت بنفسها إلى خارج البيت من الجدار الخلفي , وذهبت إلى دار امرأة كانت تعرفها وكان قد استشهد أحد أولادها على يد الطغمة البعثية , وقضت عندها بقية تلك الليلة وعند الفجر بعد ان أتمّت صلاتها وأحسّت بحركة المارة , ذهبت إلى دار احد المجاهدين الذي كان يتوسط لها ببيع الأسلحة وتصليحها وأخبرته بالواقعة ونصحته بأن يرفع جميع الآثار .

ثم ذهبت إلى عجوز تعرفها وبقيت عندها أسبوعاً وبعدها ذهبت إلى النجف , حيث بقيت هناك ثلاثة أشهر .

وفي النجف علمت بإعتقال أبيها وأخيها , كما علمت إن المجرمين أخذوا يبحثون عنها , وأنهم عمّموا صورتها على مراكز الأمن والشرطة .فأخذت تبحث عن طريقة للالتجاء إلى الجمهورية الإسلامية , ثم وجدت ضالتها .

وعندما توقفت السيارة عند أول نقطة للتفتيش بعد بغداد , قبضوا عليها وهي تعتقد ان (الدليل) هو الذي وشى بها إلى الجلاوزة وقيدّوا يديها بسرعة وذهبوا بها إلى مديرية الأمن العامة .

ولمّا حققوا معها , أظهرت أنها إيرانية [1] وأن أهلهـا جمـيعهم سفروا إلى إيران[2] , ولم يبق لها معيل في العراق , ولذلك فهـي أرادت ان تذهب إلى إيران لتلتحق بهم , ثم أعطتهم إسماً آخر غير إسمها .

***

تقول ان الجلاوزة قبل كل شيء أخذوا عباءتها من رأسها ,وبدأ ثلاثة من الجلاوزة يضربونها بالكيبلات الكهربائية ضرباً مبرحاً , على رأسها وسائر بدنها حتى أغمي عليها .

ثم أفاقت في اليوم التالي وهي في زنزانـة صـغيرة لوحـدها وحاول المحقق ان يحصل منها على بعـض المعلومـات فلـم يقـدر واستعمل جميع الطرق تهديداً وترغيباً ولكن دونما فائدة .

***

وخرج المحقق , ودخل الجلادون وأصعدوها على كرسي وشدّوا يديها إلى الوراء من معصميها وربطوهما بحبل متصل بالسقف , كمـا شدّوا رجليها بحبل أيضا ثم سحبوا الكرسي من تحت رجليها وأصبحت

١- حيث وجدت أنّ عقوبة العبور إلى دولة أخرى لتلتحق بأهلهـا اقـل ضـررا عليها مما لو يعلمون بحقيقة وضعها .

٢- ولم يكونوا كذلك فهي عراقية أصيلة , ولكنها ابتكرت هذا الجواب لتخفف عن نفسها من شدة العقوبة .

معلقة بين السماء والأرض , وبدأ الوحوش[1] بضربها وهي في هذه الحالة فريسة موثقة اليدين والرجلين .

تقول : ثم إنهم أنهوا هذا التعذيب وأرجعوها إلى زنزانتها وهي تحس بيديها قد انخلعتا من الكتفين , وجسمها اسودّ وتورم من أثر الضرب الشديد .

***

وفي اليوم التالي مارسوا معها عملية التعذيب بالفلقة[2] , ثم بدأ ثلاثة من الوحوش بضربها بالكيبلات الكهربائية على رجليها وبطنها ووجهها كأقسى ما يكون الضرب ... حتى أغمي عليها .

١- الوحوش هي الحيوانات المفترسة , وهي أتعس لفظة يوصم بها الإنسان وكأنه حيوان متوحش , ولكن الواقع إنّ صدام وجلاوزته أكثر وحشية من الحيوانات , لان الحيوانات المفترسة إنما تفترس إذا جاعت , فإذا شبعت فليس لها طمع بالفريسة , ولكن صدام وجلاوزته لا يشبعون , يضاف إلى ذلك أنّ الحيوانات لا تفترس أبناء جنسها , فالأسد لا يفترس الأسد وإنما يفترس حيواناً آخر والذئب لا يفترس الذئب وإنما يفترس الشاة ... وهكذا ولكن أشرار البشر يفترسون البشر أنفسهم ولذلك فان وحشيتهم ليس لها مثيل في الحيوانات .

٢- الفلقة : عبارة عن خشبتين طول كل واحدة منهما متر وربع مربوطتين ببعضهما , ثم توضع رجلا المعذب بينهما , ويشدان شداً محكماً ويطرح على الأرض مستلقياً على قفاه , ثم يبدأون بضربه على أسفل قدميه بالعصي الغليظة وبالكيبلات ضرباً مبرحاً حتى تتورم قدماه وتنزفا دماً , ثم يفك هذا الرباط ويؤمر المعتقل بالمشي على رجليه ووضعهما في الماء الحار ليخفّ الورم , كيما يعاد ضربه من جديد .

ثم أفاقت وذهبوا بها إلى المحقق ... وسألها عن واقعها فأصرّت على قولها بأنها من أصل إيراني لا معيل لها .

ولكن المحقق أخذها إلى غرفة كبيرة مملوءة بوسائل التعذيب وقال لها :

اختاري إحدى الأجهزة لنعذبك بها ,فكأن المجرم يريد أن يقدم لها هدية , فيعرض عليها نماذج متعددة , ثم يقول لها خذي ما شئت فلك الخيار والتعيين .

تقول هذه المجاهدة : نظرت فرأيت أجهزة مختلفة , كبيرة وصغيرة , وتحيرت في أمري , أأنتقي بنفسي جهازاً لتعذيبي ... ؟

أعدت النظر في الأجهزة , تماماً كمن يبحث عن وسيلة يريد أن يموت بها , فوجدت جهازاً صغيراً حسبته غير ذي بال ... قلت للوحوش : هذا

قالوا لها : نعم الاختيار ... انك ذكية جداً تحسنين الاختيار وكانت في الجهاز أسلاك كهربائية كثيرة وربطوا هذه الأسلاك في المناطق الحساسة من جسمها , ثم أوصلوا بها الكهرباء , فأحدثت بها رجات متعاقبة , وسببّت لها آلاماً مبرحة , فقدت على أثرها شعورها وغابت عن وعيها .

***

وأفاقت على صياحهم في اليوم التالي وذهبوا بها إلى المحقق وكان إلى جانبه رجلان عملاقان أسودان .

قال لها : انظري إلى هذين الرجلين جيداً , إنهما من أفريقيا وقد استوردناهما ليقوما بعمل خاص , انك إن لم تعترفي , فأن هذين سوف يعتديان على شرفك وكرامتك يوم غد .

اذهبي الآن إلى غرفة النساء ليكون مصيرك مع هذين الرجلين يوم غد , فكري في مصيرك هذه الليلة , فعساك تعترفين وتتخلصين من العذاب .

***

تقول إنهم ذهبوا بها إلى قاعة تحت الأرض , فوجدت فيها ٧٥ امرأة معذبة من النساء المجاهدات , كانت تعرف كثيراً منهن , كنّ زميلاتها في الجهاد , فأخبرتهن بقضيتها سريعاً , فشجعّنها وبعثن فيها روح الصبر في ذات الله .

فكان لقاءً عاطفياً مثيراً , تقول وهناك وجدت لي أختاً في الجهاد معتقلة منذ سنتين ونصف , فكنت أشجعها وتشجعني .

لقد أخذوا أمامها إحدى المجاهدات ليعذبوها , وعندما أرجعوها كانت محطمة من أثر التعذيب وعارية تماماً .

تقول المجاهدة : وفي تلك الليلة , أخذوا تسع مجاهدات لينفذوا بحقهن الإعدام , كان بعضهن يرضعن أطفالاً لهن , فسحبوا منهن الأطفال وذهبوا بالأمهات إلى الإعدام .

وتواصل حديثها فتقول : لم استطع النوم في تلك الليلة , وأقبلتْ على النساء تبثهنّ لوعتها , وأخبرتهن بان المحقق هددها بالاعتداء على عفتها , فقلن لها إنّ المجرمين يفعلون ما يقولون وإنّ كثيراً منهنّ كـن فريسة للوحوش و حملن من السفاح .

فسألتهن عن وسيلة للانتحار , فقلن لها : يا ليتك جلبت لنا حبوب الانتحار (السيانيد) لنموت جميعاً ونتخلص مما يفعلون .

ثم وجدت هذه المجاهدة عند إحداهن سكيناً صغيرة قديمـة , لا تكاد تؤدي وظيفتها , سوى إنها سكين , فأخذتها وضربت بطنها عسى ان تموت .

فنزف منها الدم نزفاً شديداً وشعرت بالراحة واستسلمت للمـوت وطلبت إلى زميلاتها أن يخبرن المسؤولين بحالها لتـدلي لهم بإفادتها : (إنها هي التي انتحرت ولم تتعرض لأذى من قبل المعتقلات) .

وهرع المجرمون ونقلوها فوراً إلى مستشفى داخل أقبية مديرية الأمن العامة وخيطوا بطنها بدون تخدير .

***

وبعد يومين تورم الجرح ورماً شديداً , فنقلوهـا إلـى إحـدى مستشفيات بغداد , فأجريت لها عملية من جديـد , وكـان اثنـان مـن الجلاوزة يلازمانها دوماً , وحذراها إن هي تكلمت بشيء .

قالا لها : قولي انك سقطت من السطح على الحديد .

وكان الطبيب الذي يشرف عليها هندياً , يحسن قليلاً من العربية استطاع بلباقة ان يُخرج الجلاوزة ــ في مرة من المرات ــ ويسألها عن الواقع .

قالت له : إذا كنت إنسانياً حقاً , فأعطني حبة واحدة من (السيانيد) لأخلص من العذاب .

تقول إنّ هذا الطبيب الإنساني قال لها انه سوف ينشر في الهند هذه المأساة , ثم دعا بعض الأطباء ليطلعوا على جرائم الجناة .

***

وعندما أحسّ الجلاوزة بأنهم سوف يفتضحون , أخرجوها من المستشفى فوراً وأعادوها إلى أقبية مديرية الإجرام العامة .

تقول هذه البطلة : إنّ المجرمين بعد هذا كانوا يقولون لها انك الآن لا تتحملين التعذيب , ولكننا سوف نعذب أمامك غيرك .

فكانوا يعذبون أمامها النساء المتدينات والرجال المتدينين , والكل يهتفون بنداء (الله اكبر) .

***

وأخيراً , وعندما يئس المجرمون , ولـم يجـدوا دلـيلاً علـى معارضتها للسلطة , قذفوا بها خلـف الحـدود , إلـى (الجمهوريـة الإسلامية الإيرانية) .

***

إلى هنا تنتهي قصة هذه المجاهدة التي سمعتها منها , ولا شـك إنها شاهدت من التعذيب النفسي والبدني مالم تنقله لي .

هذا هو عراق صدام , دولة العراق التي هي عضو فـي هيئـة الأمم المتحدة , تعذب النساء بالاعتداء على الأعراض وتبقى المرأة في الاعتقال حتى تلد سفاحاً .

***

الشهيد عبد السادة

وهذا نموذج آخر , دوّخ مدير الأمن العام
عذبوه شتى أنواع التعذيب فلم يعترف
وعذبوا أباه وأمه أمامه ولم يعترف
وعذبوا طفله وزوجته كذلك ولم يعترف
ومورس معه التعذيب النفسي بشكل همجي ولكنه بقي صامداً كالجبل الأشم .

لم يعترف لهم بشيء , وضرب مثلاً رائعاً للمسلم الملتزم .

لقد لقي من التعذيب كما لقي زملاء له في الجهاد , آل ياسر وبلال وميثم التمار , وبذلك أضاف مكرمة أخرى لمجاهدي الإسلام اللامعين .

***

عبد السادة مدرس اللغة الإنكليزية في إحدى مدارس النجف متزوج وله من الأطفال خمسة , قائد في النجف الأشرف لمجاميع من الدعاة .

كان رحمه الله مثالاً للداعية الجيد في سلوكه وعمله وتعامله مع إخوانه , زاهداً في الدنيا وبهرجتها , يستقرض الأموال ليصرفها على

المحتاجين من عوائل الشهداء والمعتقلين , متواضعاً شديد التواضع كل همه العمل في سبيل الله .

داهمه في صباح احد الأيام مدير أمن الرصافة (علماً إنّ الشهيد كان يسكن في النجف) ولكن يظهر ان اسمه ورد في بغداد , ولأهميته جاء مدير أمن الرصافة إبراهيم علاوي لاعتقاله بنفسه ومعه ضابطان آخران .

ولدى تفتيش داره وجدوا عنده عدة نشرات لحزب الدعوة الإسلامية كما وجدوا عنده عدة مسدسات .

وفي مديرية امن بغداد تعرّض ــ رحمه الله ــ لأشد أنواع التعذيب , حتى تحول جسمه كله إلى قطعة دم من رأسه إلى قدمه ولكنهم لم يحصلوا منه على شيء , ولم يعترف على احد , وأوهمهم في الجواب عن النشرات والمسدسات .

وجلبوا زوجته وطفله (مرتضى الذي كان عمره سنتين) وعذبوهما أمامه , وعذبوه امامهما , ولكنه كان كالجبل الأشم لم يتزعزع أبداً .

ورفع إبراهيم علاوي (مدير الأمن) ابنه مرتضى وضربه بالأرض , وصرخ الطفل وفقد وعيه , ولكن عبد السادة لم يؤثر فيه هذا النوع من الإجرام ولم يعترف لهم بشيء .

ثم مارس معه العملاء نوعاً آخر من التعذيب عسى ان يعترف

فكانوا في كل ليلة يكسرون احد أصابع يديه , ومرّت عشر ليالٍ وكسروا جميع أصابعه .... ولم يعترف .

وفي امن الرصافة كانوا يقدمون له في غذائه سمكاً مالحاً وكان الوقت صيفاً من عام ١٩٧٩ ,ثم يسمحون لــه بــشرب المــاء البــارد ويشدون ذكره لكيلا يبول .

بقي رحمه الله يعاني من هذا التعذيب ثلاثة أيام .

وجيء بعائلته , وعذبوا أمامه أباه الشيخ الكبير وأخاه وصــهره في محاولة لأخذ الاعتراف منه , ولكن شهيدنا البطل لم يعتــرف لهــم بشيء .

وعندما يئس المجرمون في اخذ الاعتراف منه , حــاولوا معــه محاولة أشد لؤماً وأكثر وحشية ,فقد أحموا له سيخاً من الحديد بالنار ثم أدخلوه في دبره , وساءت صحته ولم يستطع المشي بصورة متوازنة

ولكن شهيدنا بقي صامداً صابراً ,وكان إبراهيم علاوي يقول له (ولك عبد السادة أخلّي قندرتك على راسي إذا تحجــي فــدوة اروحلك) أي (ويلك يا عبد السادة ,أضع حذاءك على رأسي لو تكلمت بشيء , فداك نفسي) .

ولكن عبد السادة أصر على ان يبقى كالجبل الأشم وما أجابهم .

ولما وجدوا ان التعذيب الجسدي لم يؤثر فيــه , انتقلــوا إلــى التعذيب النفسي , فقد أجلسوه علــى كرسي عالٍ , بحيث تكون رجلاه سائبتين لا تصلان إلى الأرض ويداه مشدودتين إلى خلف الكرسي ذاته.

ووضعوا أمام بطنه وصدره لوحة تمنعه من الانحناء إلى الأمام ثم جلس أمامه اثنان من الجلاوزة , كلما يريد ان يغفو يضربانه .

بقي على هذه الحال ثلاثة أيام ,وكانوا يستبدلون الحارسين بغيرهما كلما تعبا , وكانوا يقولون له : احسب من الواحد إلى الخمسين باللغة الإنكليزية ليبقى مستيقضاً . فكان رحمه الله يقرأ القرآن وهو في هذه الحالة .

ونقلوه إلى عدة معتقلات خلال خمسين يوماً , بين أمن الرصافة وأمن بغداد ومديرية الأمن العامة .

وعندما حضر للمحاكمة من قبل المجرم (مسلم الجبوري) كان ضمن ٢١ مجاهداً انتهت محاكمتهم جميعاً بأقل من ساعة , فحكم عليه بالإعدام .

وأوصى احد زملائه بأطفاله وزوجته وطلب منهم ان يسيروا على نهج الإسلام , حتى إذا وجدوا في ذلك المشاق والمتاعب , وكان يحمد الله انه لم يؤذ بسببه أحداً .

وقبل تنفيذ الإعدام جيء بأبيه , فكان يخاطبه من وراء القضبان وطلب من أبيه ان يخلع حذاءه , ثم طلب منه ان يرفع رجله إلى مستوى الشباك , وقبّل عبد السادة قدم أبيه من أسفلها , وطلب من أبيه ان يغفر له ما أصابه بسببه حين ضربوه على رجليه من اجله هو في محاولة لأخذ الاعتراف منه .

وذهب إلى بارئه نقياً طاهراً يشكو المجرمين العتاة .

الشهيد حكمت مجيد

عمره تسعة عشرة عاماً , ولكن المجرمين عندما أعدموه سجلوا في شهادة الوفاة انه ٢١ عاماً , من سكان (مدينة الثورة) .

كان يحضر الحلقات التي تعقد في مساجدها لتـدريس القـرآن والتفسير والأخلاق .

انضم إلى حزب الدعوة الإسلامية وهو في مقتبل العمر . وكان احد أفراد المجموعة القتالية التي قامت بالهجوم علـى مديريـة امـن الرصافة والتي كانت تستهدف قتل الجلاوزة وإطلاق سـراح إخـوتهم المعتقلين هناك .

وجرح على اثر الهجوم مدير أمن الرصافة إبـراهيم عـلاوي وعدد آخر من الجلاوزة .

ورجعت المجموعة إلى قاعدتها عدا واحداً منهم قبـضوا عليـه وتعرض إلى التعذيب المرير , واعترف لهم على بقية مجموعته ,وكان الشهيد حكمت احد أولئك .

ولما اعتقل كانت السلطة تبحث عنه بإلحاح , فقد بلغها جهـاده وتفانيه .

وتعرض لصفوف من التعذيب ولكنه لم يعترف .

وعادوا فاستعملوا معه التعذيب النفسي ولم يعترف , وظل صامداً كالجبل , يسخر منهم ويستهزئ بهم عندما يلحّون عليه بان يعترف , وكان يقول لهم : (موتوا بغيضكم) فلن تحصلوا مني على شيء مطلقاً .

وعلم شيخ المجرمين صدام بهذا الفتى وأراد ان يطلع عليه عن كثب , ليعرف حقيقته التي حيّرت رجال الأمن .

سأله صدام عن قيامه بعملية تفجير مديرية امن الرصافة في بغداد .

فأجابه حكمت بالإيجاب

ثم عاد صدام فسأله :

ـ ولماذا أيها المجرم ؟

ـ أردت بها مواصلة الثورة , واسترجاعاً لحق ووفاءً لشهداء ودحراً لظلم .

ـ انك بارد الأعصاب مما يدل على امتداد تأريخك الإجرامي

ـ علّمنا الإسلام ان نخشى الله ولا سواه

ـ كيف حصلت على هذه المتفجرات ؟

ـ إنها توزع في شوارع العراق , لان كل شارع رفع لافتة الثورة , واعلم إنّ كل طفل مجاهد (قنبلة) يفجرها يوماً تحت أركان دولتكم المتداعية .

***

واضطر جهاز الأمن في الأخير ان يشكل لجنة لمعرفة كنه هذا الفتى وصموده , قوامها من مدير الأمن العام فاضل البـراك ومعاونـه وفاضل الزركّاني المعروف باختصاصه بتعذيب المنتسبين إلى حـزب الدعوة الإسلامية .

وحاولوا بشتى السبل ان يدعوه يعترف لهم , فلم يفلحوا .

ووقفوا مدهوشين أمام هذا الشاب الصغير , يتحمـل صـنوف الأذى والتعذيب ولا يعترف .

سألوه كيف حصلت على القنابل التي فجرت بها مقـر الحـزب وهجمت بها على مديرية الأمن ؟

أجابهم ساخراً , أنها موجودة بكثرة في الدكاكين

وسألوه عن أمنيته في الحياة

قال : انه يريد ان يخرج من الـسجن ليقـوم بعمليـة أخـرى ولترتفع درجته في الجنة .

ثم سألوه وهل انك متزوج ؟

قال إنني خاطب

ومن هي ؟

حورية في الجنة عندما تقتلونني

يئسوا منه , ولم يحصلوا علـى أي شـيء , فأعـدموه ضـمن مجموعة الستة وتسعين شهيداً في ١٩٨٠/٣/١٧

***

الشهيد عبد الأمير المنصوري

قلت في موضوع سابق إننا كنا (أنا والمنصوري وهادي عبد الحسين شحتور) ندير العمل في العراق في بداية العام ١٩٧٩ .

والمنصوري لم أكن اعرفه من قبل .

جاءني عام ١٩٧٩ وعرّفني نفسه إنه من الدعاة القدماء في البصرة .

ولغرض التأكد من هويته , سألت عنه صديقي الدكتور جابر العطا الذي أدخل الدعوة إلى البصرة يوم كان فيها طبيباً بداية الستينات.

فأكد لي الدكتور ان المنصوري داعية قديم .

وبدا لي من خلال العمل ان الشهيد (المهندس محمد هادي السبيتي) الذي كان آنذاك يعمل مديراً لمحطة كهرباء الزرقاء في الأردن , حيث كان هارباً من العراق منذ عام ١٩٧٤ , هو الذي اقترحه للعمل في العراق .

واقترح عليّ المنصوري أن أكون أنا المسؤول في كل شؤون العراق وليس السبيتي (لعله اقترح ذلك لسهولة استلام الأوامر أو لأنه تصور أنني يسهل التأثير عليّ من قبله , فاختارني لذلك) .

رفضت اقتراحه , ولكنه أعاد علي الطلب من جديد .

ذهبت إلى الأخ الدكتور جابر العطا (وكان إذ ذاك في بعقوبة) وطلبت منه ان يكلم المنصوري , فلا يلحّ عليّ بالموضوع , وتم ذلك .

***

والمنصوري شخص حاد الذكاء , متفائل جداً , يخاطر في تحركاته لحد الإعجاز ,فقد كان دائم السفر بين الكويت والعراق لممارسة عمله الإسلامي , وكان جواز سفره قد انتهى مفعوله , ولا يستطيع ان يراجع دائرة الجوازات حيث كان ممنوعاً من السفر .

فكان يجيد المقالب على شرطة الحدود في الكويت والعراق ويتحرك دائماً بجوازه المنتهي .

***

في عام ١٩٧٤ كان في مديرية أمن الديوانية أعداد غفيرة من الدعاة , كان من ضمنهم الشيخ عارف البصري وجماعته , كما كان فيهم أكثر من مائتي معتقل من دعاة البصرة .

وأرسل صدام لجنة خاصة من مكتبه لتشترك في التحقيق .

عندها أراد عبد الأمير المنصوري أن يصل إلى المعتقلين في الديوانية , ليأخذ منهم بعض المعلومات ويعطيهم بعض المعلومات وليعرف أسماء المعتقلين ..

فقام بعملية جريئة جداً , دخل على فاضل الزركاني في مكتبه في مديرية أمن الديوانية , وهو يحمل حقيبة دبلوماسية , منتحلاً صفة ضابط أمن , مبعوثاً من مقر الشعبة الخامسة في بغداد , وقدّم نفسه على

أساس انه مرسل من عبد الله السامرائي للحصول على قوائم بأسماء المعتقلين الذين وردت أسماؤهم في التحقيق ولم يتم القبض عليهم حتى ذلك الحين .

كما طلب منه السماح له بزيارة الزنزانات , ففتحت له , فدخل بعضها والتقى بعض الدعاة وتكلم معهم .

ثم غادر مبنى المديرية بسيارة إلى السماوة كانت تنتظره في الباب .

***

وبعد فترة اتصل فاضل الزركاني بعبد الله السامرائي , فأجابه بأنه لم يرسل له أي شخص إلى الديوانية .

وصلت قوائم الأسماء إلى أيدي من بقي من الدعاة , وعلى ضوئها تم اتخاذ إجراءات الحماية اللازمة للحفاظ على من تبقّى من التنظيم .

وعندما نجحت عمليته هذه في اختراق جدار الأمن , تشجّع على أن يقوم بعملية أكثر خطورة وذات مجازفة أكبر .

سألته مرة : ماذا تفكر ان تعمل ؟

قال : خلال شهرين سوف احتل مديرية الأمن العامة.

ناقشته في الموضوع , ولكنه كان مصرّاً على ما يقول .

***

وأرسل أخونا هادي عبد الحسين شحتور إلى السبيتي في الأردن رسالة يشكو فيها تصرفات المنصوري الانفرادية , وطلب منه ان يذعن لقرار اللجنة الثلاثية , ولكن السبيتي لم يحرك ساكناً .

***

كانت اجتماعاتنا كلها في بيتنا , فكان المنصوري يختلي بولدي الداعية الشهيد (رياض) , فخشيت على ولدي من مجازفات المنصوري .

قلت له : إياك أن تكلف ولدي (رياض) بعمل , فانه شاب ربما يتهوّر , فيقبض عليه , ثم يقبض علينا , ويتأثر العمل كثيراً .

قال المنصوري صحيح , لا افعل .

ولكن عبد الأمير المنصوري أعطى (رياض) حقيبة مملوءة بالمنشورات , وقنابل وأسلحة , وكانت هناك سيارة تابعة للأمن تراقب ذلك , وحصل ما حصل , اعتقل عبدالامير المنصوري كما اعتقل رياض في نفس الوقت ليلة ١٣/١١/١٩٧٩ .

وعذب رياض تعذيباً شديداً وانكر حتى الأخير انه من حزب الدعوة الإسلامية ولا اعلم بالتأكيد هل اعترف أحدهما على الآخر ؟ أو كان اعتقالهما في ليلة واحدة على سبيل الصدفة ؟

وكلاهما ذهبا إلى ربهما شهيدين .

ولكن المعروف أن الشهيد المنصوري عندما عرف انه سوف يتعرض للتعذيب قال لأفراد الأمن انه مستعد أن يتعاون معهم , فوافقوا

على ذلك , وأوضح لهم كثيراً من الأمور , ولكنه كان يشوّش عليهم المعلومات , وكان غرضه من ذلك أمرين :

١- ان يخلص نفسه من التعذيب الذي يستطيع فيه أن يسيطر على معلوماته عن الدعوة .

٢- وان يبرز قوة حزب الدعوة الإسلامية في المعلومات التي كان يقدمها لهم .

٣- أن يغطي على أسماء دعاة بحجة أنهم تركوا العمل أو يقوم بربط دعاة هم معتقلون لتضليل الأمن بمعلومات غير صحيحة .

***

لقد صور له الجلاوزة (١٢ ساعة) أحاديث عن حزب الدعوة وحزب البعث في خلال (١٥ يوماً) استمرت من بداية كانون الثاني ١٩٨٠ ...

وبعد ان يعرض الحديث على صدام يرفضه , فيجبرون المنصوري على إعادة التسجيل .

وينقل الدكتور وليد الحلي الذي كان معتقلاً معه في الزنزانة إنّ سلطات الأمن كانت (تدبلج) أجوبة المنصوري نفسه .

مثلاً سألوا المنصوري عن رأي حزب الدعوة بحزب البعث ؟

أجاب المنصوري بان حزب البعث حزب أسسه ميشيل عفلق بإيعاز من المخابرات الإنكليزية ودوره كان لمصلحة الإنكليز في العراق والمنطقة .

ولكن الذي ظهر بالتلفزة العراقية هو ان الجواب الذي اسند للسؤال المذكور كان جواب سؤال عن رأيه بالإمام محمد باقر الصدر حيث كان المنصوري يمدحه , ولذلك فقد حصلت (دبلجة) غيرت كثيراً من أجوبة المنصوري .

وهنا ننشر بعضاً من الأسئلة التي وجهت إليه والأجوبة عليها :

س١ ــ ما رأيكم بحزب البعث ؟

ج ــ حزب البعث حزب أوجده الإنكليز لعمل شيئين :

أ ــ محاربة الإسلام

ب ــ ضمان مصالح الإنكليز في المنطقة

س٢ ــ ما رأيكم بسياسة حزب البعث ؟

ج ــ سياسة الحزب فاشلة , لا يوجد هناك دستور دائم والاقتصاد متدهور وعدم توفر بعض الحاجيات دليل ذلك .

س٣ ــ ما رأيكم بسياسة الحزب والثورة في إعطاء الملايين إلى الفقراء الإفريقيين ؟

ج ــ تبذير لأموال الشعب .

س٤ ــ ما هو حزب الدعوة العميل ؟

ج ــ حزب إسلامي بني على العقيدة الإسلامية (تأسس الحزب عام ١٩٥٧ واستمر بالنمو إلى يومنا هذا) .

س٥ ــ ما رأيكم بالنظام الفارسي في إيران ؟

ج ــ النظام في إيران , نظام إسلامي وان السيد الخميني مخلص للإسلام .

***

وهناك أسئلة كثيرة , غيّروها ووضعوا جواب سؤالٍ ما جواباً لسؤال آخر .

وعندما سألوه عن موقعه في حزب الدعوة , قال لهم انه عضو صغير في حزب الدعوة .

وسألوه عمن يعرف من قيادة الحزب , شوّش عليهم كثيراً فأعطاهم أسماء ليست لهم علاقة بالقيادة مثل (محمد تقي مشكور وفخري مشكور) .

وأسماء كانوا في الخارج كالسيد مرتضى العسكري والسيد محمود الهاشمي والشيخ مهدي الآصفي .

أطلقوا سراحه وخصّصوا له راتباً شهرياً , ولكنهم سقوه سم الثاليوم فمات بعد أيام قليلة , رحمه الله وأسكنه جناته .

الشهيد الشيخ حسين معن

انه من أولئك الأفذاذ الذين يقل نظيرهم في التأريخ , فقد دخل الحياة خلسة , وخرج منها بعدما أحدث فيها دوياً وصخباً .

لم يتجاوز عمره الخامسة والعشرين عاماً

دخل الحوزة العلمية فتألق فيها , وراهق الاجتهاد وهو ابن ١٨ عاماً .

ولو قدّر له أن يعيش لكان له شأن في الوسط العلمي لا يقل عن مستوى أستاذه الشهيد الصدر .

انتسب إلى حزب الدعوة الإسلامية في مقتبل عمره , وتسلم مسؤوليات كبيرة في الحزب .

ويوم قبض على الكوكبة الأولى من الحزب (الشيخ عارف البصري وجماعته) عام ١٩٧٤ , كان هو مطلوباً للسلطة معهم أيضاً فاختفى عن الأنظار وبقي مختفياً خمس سنوات , ولكنه في خلال تلك الفترة لم يغادر مدينة النجف التي درس فيها واتخذها مسكناً له ولزوجته وطفليه .

انه الشهيد الكبير أبو سجاد (الشيخ حسين معن) .

ولد عام ١٩٥٥ (في مدينة طويريج) التي تبعد عن كربلاء ٢٠ كم , ونزح إلى النجف عام ١٩٦٩ لطلب العلم , ودخل الحوزة

وأسرع في تلقي العلوم ونبغ فيها , وبزّ أقرانه وزملاءه , فكان أصغر تلميذ للشهيد الصدر , ولكنه عندما كان يناقش أستاذه , فكأنما هو زميل له في الدراسة .

كان دؤوباً في عمله الحزبي سواء عندما كان مختفياً أو عندما كان طليقاً , والفترة التي قضاها في الاختفاء لم تؤثر على نشاطه أبداً بل لعله كان فيها أكثر نشاطاً وحركة .

فمنذ يوم دخل مرحلة الاختفاء من عام ١٩٧٤ خلع عمامته ولبس (دشداشة) واشترى دراجة هوائية , كان يتنقل عليها داخل المدينة ويتصل بإخوانه الذين يعمل معهم , ولم يكن يقتصر عمله على النجف فقط , وإنما كان يتنقل بينها وبين بغداد وبقية المدن ضمن عمله الحزبي الذي أنيط به .

وطلبته السلطة , وبقيت خلال خمس سنوات تبحث عنه وتبذل المستحيل , ولكنها كانت تبوء بالفشل دائماً .

فالشيخ حسين معن , كان في النجف , كثير الحركة دائب العمل يراه الجلاوزة ولكنهم لا يعرفونه ولا يصدقون ان العالم الجليل الشيخ حسين معن هو هذا الذي يمتطي الدراجة بدشداشة وكأنه واحد من عامة الناس , ولم يكن بمقدورهم ان يقبضوا عليه , ولكن الصدف السيئة هي التي أوقعته في أيديهم , وهم لا يعلمون إنهم يلقون القبض على الشيخ حسين معن .

فقد قال لهم انه (فاروق محمد) .

وقصة اعتقاله هكذا :

جاء على دراجته كالمعتاد إلى دار الشهيد عبد السادة , الذي مرّ ذكره قبل عدة صفحات , وطرق الباب ليدخل , ولكن الجلاوزة كانوا قد سبقوه لاعتقال عبد السادة , وكعادتهم بقوا في الدار ليقبضوا على كل داخل .

طرق الباب وفاجأه الجلاوزة وألقوا عليه القبض , ولكنه فرّ من بين أيديهم , وتبعوه , واتجه إلى الصحن الشريف وأخذ ينادي بأعلى صوته إنهم جلاوزة الأمن , أما الجلاوزة , فكانوا ينادون انه سارق اقبضوا عليه وأخيراً وقع الأسد في الفخ .

وسيق إلى دائرة امن النجف , وهناك تعرض للاستجواب , قال انه فاروق محمد معلم في البصرة ــ وكانت معه هوية بهذا الاسم ــ جاء إلى النجف لزيارة الإمام , وفي القطار كان إلى جنبه شخص ودارت بينهما أحاديث كما تدور بين المسافرين في طريق طويل وسأله زميله إن كان يعرف أحداً يضيّفه في النجف , فأجابه بالنفي .

فقال له صاحبه ــ إذن اذهب إلى بيت صديق لي (هو هذا البيت الذي كان فيه الجلاوزة) وقال له صاحبه عليك ان تذهب إليه قبل الساعة الرابعة عصراً لأنه يخرج من الدار في هذا الموعد .

وعندما سئل عن الدراجة , قال انه عندما وصل إلى النجف سأل عن عنوان الدار فقيل له إنها في مكان بعيد , وكان إلى جنبه شخص يمتلك دراجة , فاستعارها منه وأودع لديه حقيبة ملابسه وخمسة دنانير

على أمل ان يصل إلى الدار قبل الساعة الرابعة ليخبر مضيّفه بذلك ويعيد بعدها الدراجة إلى صاحبها .

وعندما طرق الباب فوجئ بالجلاوزة وهو لا يعلم بهوية صاحب الدار .

ولكن الجلاوزة لم يصدقوا كلامه , وتعرض (فاروق محمد) إلى تعذيب شديد .

***

وقال له الجلاوزة في مرة من مرات التعذيب : انك ان لم تصدق في اعترافك فسوف نلقيك في سرداب تحت الأرض مملوء بالأفاعي وبالحيوانات آكلة البشر .

ولكن الشيخ صمد كالطود الأشم لا تخيفه الأفاعي ولا الحيوانات المفترسة , وهو لن يعترف لهم بشيء حتى لو تمزق جسمه , فليست الحيوانات المفترسة أشد من أولئك المجرمين وحشية .

وفعلاً ادخلوه السرداب , ولكن الأفاعي التي قالوا عنها كانت أفاعي من المطاط تتحرك وكأنها حقيقية فما تزعزع من مكانه وما ارتعد .

ثم مارس معه الجلاوزة أسلوباً آخر أكثر خسّة ودناءة , فقد انزلوه سرداباً آخر , وقالوا له : ان لم تعترف فسوف يسخّرون احد (الجن) ليأتي إليه ويقطع رأسه بالسيف .

ثم وجهوا الأضواء الساطعة على رجل قالوا انه من الجن , وقد وضعوا القناع على رأسه وأحدثوا في قيافته وحركته بعض التغيير واقترب هذا الرجل (الجني المزعوم) من الشيخ حسين معن وأصدر اصواتاً مزعجة ورفع عليه السيف وضربه على رأسه , ولكن سيف الجني كان من الخشب .

وحسين معن كان صامداً كالجبل الأشم لم يرتعب من جلاوزة الأمن ولا من (الجن) فلم يزد على اعترافه شيئاً .

وحين يئس منه جلاوزة الأمن في النجف , بعثوا به إلى دائرة امن بغداد حيث مارسوا معه اشد أنواع التعذيب بإشراف المجرم العريق (فاضل الزركاني) وكان من جملة ما عُذب به هو طريقة (الفرّوجة)

يؤتى بالمعذب ويوضع على كل من جانبه الأيمن والأيسر كرسي وبينهما عصا ويُشد عليها وهو في حالة القرفصاء , ولكن رأسه إلى الأسفل بحيث يكاد يمسّ الأرض , ورجلاه إلى الأعلى , ثم يتناوب عدد من الجلاوزة على ضرب رجليه بالعصا .

وكان عندما يعود إلى قاعة زملائه المعتقلين يعود طبيعياً ويكتم آلامه , بل انه ربما يرجع ضاحكاً ليزيل آلام إخوانه الذين كانوا على الرغم من آلامهم المضنية , يتألمون لحسين معن لكثرة تعذيبه وشدته .

واستطاع بهذه الروح أن يغير كثيراً من معنويات إخوانه المعتقلين , يتفقدهم واحداً واحداً , ويسألهم عن أحوالهم وأهليهم وزوجاتهم ومواقفهم السياسية .

قال له زملاؤه مرة : إن فلاناً يكاد ان ينهار ويعترف جراء التعذيب الشديد , قال لهم اتركوه , وكانت يدا هذا المعتقل مشدودتين .

جاء إليه الشيخ حسين معن وأمام الدعاة , قال له : أريد أن أساعدك على التيمم , ثم قبل قدميه وطلب منه ان يدعو له .

وأقسم الدعاة هناك ـ عندما رأوا هذا المشهد ـ أنهم سوف يواصلون الصمود مهما كلفهم الأمر .

كان وهو ـ معتقل ـ كثير الصوم , لا يفطر إلاّ على قليل من الأكل حيث كان يوفر الطعام للمعتقلين الدعاة ممن لا يتجاوزون السادسة عشرة .

وكان يأنس عندما يجّن الليل , حيث يقف إلى ربه مصلياً متعبداً وعندما يرفع يديه للقنوت يذوب في ذات الله خاشعاً باكياً .

كان من جملة ما يقول في قنوته :

(اللهم ان كان عمري في سبيلك , فأطِله وإن كان مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك) .

***

بقي مصراً على أنّ اسمه (فاروق محمد) , وحكم عليه في ١٧/١١/١٩٧٩ بالسجن المؤبد بموجب هذا الاسم .

وعندما صدر عليه الحكم , قال لأحد زملائه ـ وهو يوصيه بالدعوة ـ .

(انتم سوف تتحملون الأمانة من بعدنا)

وكانَ من كلماته (إنّ المستميت لا يموت)

ونقلوه إلى سجن أبي غريب وبقي هناك أكثر من شـــهر , ثـــم حصلت المفاجأة في قصة اعتقال (فاروق محمد) .

ذلك إنّ فاضل الزركَاني أحد الجلاوزة الكبار , كان في إحـــدى الليالي يحقق مع احد المعتقلين المؤمنين , فعرض على هذا عدداً مـــن صور المعتقلين , وسأله ان كان يعرفهم , وعرض ضمـــن ما عـــرض صورة (فاروق محمد) وقال له أتعرف من هذا ؟

قال : انه الشيخ حسين معن .

والمفارقة ان السلطة كانت لا تزال تبحث عن الشيخ حسين معن لأنه شخص خطير في عرفهم وهم يعتقدون انه لا يزال مختفياً عنهم .

هذا من جانب , أما هذا المعتقل , فقد كان يعتقد ان الشيخ حسين معن قد استشهد , أو على الأقل انه معتقل لدى الـــسلطة لان موضـــوع اعتقاله مسألة لا شك فيها , عرفها القاصي والداني , أما الذي لم يكـــن يُعرف فهو أنّ الشيخ حسين معن أعطاهم اسماً آخر غير اسمه الحقيقي , ولم يكن يجد هذا المعتقل أي بأس في أن يقول إنّ هـــذه هـــي صـــورة حسين معن .

***

وكان لهذا الخبر وهذا الاكتشاف بالنسبة إلى (فاضل الزركَاني) وقع عظيم وفرحة لا حدّ لها , ذلك ان فاضل الزركَاني يعتبر شخـــصاً

مجرماً من الدرجة الأولى ومتضلعاً في معرفة مـا يتعلـق بـالمؤمنين وحزب الدعوة الإسلامية .

وحيث انه كان يتحرّى وجود حـسين معـن ولا يجـده , ثـم اطـّـلع من خلال الاعتقالات أنّ لحسين معن مركزاً مرموقاً في حزب الدعوة وانه شخص مهم ليس كغيره من المعتقلين , فعندما انكشفت لـه الحقيقة ـ كما قلنا ـ طار لها فرحاً وسروراً , واعتقد انه سوف ينـال بذلك جائزة تقدير من لدن أسياده .

فذهب مسرعاً إلى سجن (أبو غريب) حيث كان (فاروق محمد) محكوماً بالمؤبد هناك .

ذهب إليه , وقال له : قم يا حسين معن , فقد عرفتك الآن .

وأنكر البطل انه حسين معن , وأصرّ على أنه هو فاروق محمد

وجئ له بزوجته وطفله (سجّاد) فأنكرته الزوجة وانكره الطفل الذي لا يتجاوز الخامسة , ورفضوا التقرب منه .

وقال الطفل : إنّ هذا ليس أبي , إنّ أبي يجب ان لا يكون فـي مكان فيه معذبون مجرمون , حتى أجهش الجلاوزة بالبكاء .

ثم لم يجد حسين معن بداً من ان يعترف لهم بأنه هو حسين معن بعد أن وجد الحقائق وجهاً لوجه .

***

كان ــ رحمه الله ــ محاوراً جيداً , قلّ نظيره , وكــان لطيفــاً للغاية , ليس مع المعتقلين المؤمنين فحسب , وإنما حتى مع الجــلاوزة أولئك الذين كانوا يسومونه سوء العذاب .

وانكشف للجلاوزة مقدار عظمة ورفعة هذا الشاب ومدى ســعة عقله , فاستدعوا عدداً من أساتذة الفلسفة والــنفس والاقتــصاد وعلــم الاجتماع , واجتمعوا به ليكتشفوا سرّ عظمته ونبوغه , وتناقش معهــم حتى خشي المجرم فاضل الزركّاني أن يؤثر فيهم فيجعلهم دعاة مؤمنين وأمرهم أن يتركوه .

وقال إلى حسين معن : لو بقيت معهم ساعتين لجعلتهم مؤمنين .

قال حسين معن : لا , إنّ الساعتين كثير , يكفي نصف ساعة .

وحقاً انه كان يكفي نصف ساعة فقط ليغيّــر شخــصاً منحرفــاً فيجعله شخصاً مؤمناً .

***

فقدّم مرة أخرى باسم (حسين معن) إلى ما يــسمى بمحكمــة الثورة , وحكم عليه بالإعدام ــ بعدما كان محكومــاً بالمؤبــد ــوأعدم بالفعل في ١٩٨٠/٣/١٧ ضمن كوكبة من حــزب الــدعوة الإســلامية مؤلفة من ٩٦ بطلاً .

وعندما تقدم إلى المشنقة , ابتسم إلى الجلاد وقال له :

إنك سجين مثلي , أرجو الله أن يفكّ عنك الأســر , ممــا حــدا بالظالمين أن يبكوا عليه جميعاً وهم يقومون بعملية إعدامه .

وأغمض حسين معن عينيه وذهب إلى ربه راضياً مرضياً مـــع الشهداء والصديقين .

ولكن روحه الطاهرة لا زالت باقية ولن ينساه أخوته الدعاة ,فهو لمّا يزل شمعة مضيئة تنير لهم دربهم المليء بالأشواك .

ومازال الشيخ حسين معن ماثلاً أمامهم , يبعث فيهم روح الأمل والعمل وروح التحدّي والكبرياء .

***

ولدي الشهيد رياض

ولد عام ١٩٥٣ في مدينة النجف الأشرف , وهو منذ صغره كان متوقد الذهن , شعلة في الذكاء .

دخل المدرسة الابتدائية في النجف وهو في السنة الخامسة من عمره .

ثم انتقل مع عائلته إلى بغداد عام ١٩٦٠ فأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في مدارس الإمام الجواد الأهلية .

وعندما دخل كلية الهندسة التكنولوجية ,كان قد انتمى إلى حزب الدعوة الإسلامية , فكان نشيطاً فعالاً شجاعاً , يستهزئ بعقلية البعثيين وأساليبهم .

اعتقل عام ١٩٧٦ , ولعدة أيام وذلك لنشاطه الإسلامي ولمناقشته الحادة لاستاذه في درس المجتمع العربي , فقد نبّه هذا أمن الجامعة .

وتم إطلاق سراحه بعد تشبّثات عديدة .

كان بعض دعاتنا يحتاجون في تنقلهم داخل العراق إلى هويات لأنهم كانوا مطاردين , فكان رياض يهيئ لهم الهويات المناسبة من أماكن مختلفة وبالعدد المطلوب , يحصل على ذلك بطريقة ذكية جداً .

وكان بعض الموظفين المتدينين يحتاجون إلى إجازة لعدة أيام

لينفذوا بعض المهام الحزبية , فكان رياض يمنحهم إجازة بعد حصوله على الأوراق المطلوبة من الدوائر المختصة .

أما الذين يريدون أن يسافروا إلى خارج العراق ـ وهم ممنوعون من السفر ـ فكان يهيء لهم كتباً إلى دوائر السفر فيستحصلون جوزات سفر بدون تأخير.

أراد مرة أن يدخل بناية القيادة القطرية ليطّلع عليها وعلى الأشخاص الموجودين هناك , وعلى صالاتها وزواياها لينفذ إحدى العمليات في داخلها في زيارة ثانية .

فدخل مع زوجة ابن الرئيس البكر ـ وكانت زميلته في الدراسة ـ وقابل شبلي العيسمي , وتجوّل في أروقة البناية وحدد فيها بعض الأماكن .

ذهب في إحدى المرات إلى مسبح خاص للحزبيين الكبار في الحبانية ليرصد بعض الأشخاص هناك , دخل وقدم نفسه للحراس بأنه أخو سعدون غيدان وزير المواصلات .

كان يوزع منشورات حزب الدعوة بلباقة متناهية , ففي وقت قصير كان يوزع عدة مئات منها دون أن يحسّ به أحد من أفراد الأمن

وكان مقداماً شجاعاً , لا يهاب الموت ولا يخاف من احد يتصرف وهو واثق من نفسه .

ذهب إلى نقابة المهندسين , وجلس في إحدى الغرف ببرود ورباطة جأش وكأنه الموظف المختص في تلك الغرفة , وأخذ مجموعة

من الهويات التي كان يمنحـــها للأشخاص الذين يتحركـــــون بحريـــة تامة.

نفذ عدة عمليات فدائية في البصرة , قتـــل فيهـــا ثلاثـــة مـــن المجرمين , كما قام بعمليات مماثلة في بغداد .

قاد عملية الهجوم على مديرية أمن الكاظمية , وقتل سبعة مـــن مجرمي الأمن ورجع هـــو وجمـــاعته سالمين , وكانوا يرددون هتافات (الله أكبر والموت للبعثيين) .

وعندما اعتقل الإمام الصدر في رجب ١٣٩٩هـــ كان لـــه دور المحفز لهمم الشباب للاشتراك في المظاهرة الجماهيريـــة فـــي مدينـــة الكاظمية .

في تلك المظاهرة استطاع مع احد زملائه أن يلقي أحد رجـــال الأمن أرضاً ثم يجرده من سلاحه , وتركه مغشياً عليـــه بعـــد ضـــربه بأخمص المسدس .

***

قبض على عبد الأمير المنصوري كما قبض على ولدي رياض قبل الفجر من يوم الثلاثاء بساعتين في ١٣/١١/١٩٧٩ .

إذ دخل دارنا عشرون مسلحاً بالرشاشات , أحتـــلّ قـــسم مـــنهم حديقة الدار ودخل القسم الآخر الدار نفسها .

فتشوا غرفة رياض وجميع الغرف في البيت , وأيقظوا الأطفال الصغار من نومهم وفتشوا غرفتهم وما تحت أسرة نومهم .

ثم اصطحبوه معهم , وكرروا عملية المداهمة والتفتيش ثــلاث مرات في أيام أخرى .

وجاؤوا به إلى البيت بعد خمسة أيام من اعتقاله في عملية تحايل ليقبضوا على صديق له يأتي إلى الدار ــ ويعلم الله لولا ان رياض ابني عاش معي ٢٧ عاماً لما عرفته حين دخل ــ فهذه الأيام الخمسة التـــي قضاها تحت التعذيب , غيّرت منه ملامحه تماماً .

وعندما خلع ملابسه ليبدلها وجدت إنّ بدنه قد أسودّ وتورم مــن رأسه إلى أصابع قدميه .

عندما كان يتكلم معنا , كانت الكلمات تخرج متقطعة خافتة .

سألته هل عذبوك ؟

فكان يجيبني بالنفي لئلا يثير شجوني , ولكن مـــاذا عـــساه ان يخفي عليّ وقد رأيت بأم عيني آثار التعذيب على بدنه .

***

بقي عندنا في البيت ساعتين بعد أن جلس ثلاثة من الجلاوزة في غرفة مجاورة ووقف الآخرون في حديقة الدار .

كان في خلال هاتين الساعتين يختلي بأخواته وإخوانـــه واحـــداً واحداً ويكلمهم بصوت خافت , علمت فيما بعـــد انـــه كـــان يوصـــيهم بالالتزام بخط الإسلام عقيدة وسلوكاً وان لا يخالفوا أبويهم أبداً ,وكانت له أخت في الكلية , فكان يقول لها : إذا طلبوا منك ان تخلعي حجابـــك فلا تفعلي واتركي الكلية .

ثم عانقني يقبلني ويطلب مني العفو والرضا عما صدر منه .

ثم أخذوه وذهبوا .... وذهبوا

***

وفي ليلة ١٩٨٠/٢/٢٨ طُرق علينا الباب ,وإذا بشخص قال انه السجّان الذي يحرس ولدي رياض في سجن (أبو غريب) وأخبرني بحكم الإعدام الذي حُكم به , وأنّ رياض طلب منه أن يأتي إلى دارنا ويخبرني بالحكم .

وكان رياض طلب من السجان أن لا يخبر والدته بذلك لأنها فقدت أباها الشيخ الكبير (آية الله السيد قاسم شبّر) في حالة مماثلة قبل سبعة أشهر .

وقال السجان (ان رياض لم ينفك عن العبادة والصلاة وذكر الله) .

وانه فرح بلقاء ربه ,غير آسف على شيء في الدنيا الآ على فراق أبويه وأشقائه وأحبته , وانه يوصينا للأخذ بثأره حتى يتحقق حكم الإسلام في العراق .

***

وفي يوم ١٩٨٠/٣/١٨ أخبرتنا دائرة الأمن في الكاظمية ـ بصورة رسمية ـ بإعدام ولدنا رياض وسمحوا لنا بأخذه من الطب العدلي , على أن لا نقيم مجلس العزاء للنساء أو الرجال , بل ولا تشييعه أو البكاء عليه أو إخبار الناس .

إنه لا بدّ ان يكون أمراً عادياً كسائر الأيام .

ذهبت إلى الطب العدلي لاستلام الجثة , فكان ضمن كوكبة من ستة وتسعين شاباً من خيرة شباب العراق , بين مهندس وطبيب ومثقف قضى عليهم المجرم صدام يوم ١٧/٣/١٩٨٠ , لا لذنب الا لأنهم قالوا ربنا الله .

كانوا مطرّحين , الواحد فوق الآخر , بحيث لا تتسع ثلاجات الطب العدلي لهؤلاء الشهداء .

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

***

وبالمناسبة فإن ولدنا رياض عندما كان معتقلاً , بذلت جهوداً كبيرة , وأموالاً طائلة , واتصلت بكثير من الأشخاص لعلّي أنقذه من الاعتقال .

وعندما يئست من إطلاق سراحه بدأت أفكر كيف أستطيع أن أرفع عنه حكم الإعدام فيما يسمى بمحكمة الثورة .

وتعرّفت على أحد المحامين الذين تعينهم الحكومة للدفاع عن المتهمين [1] ذلك هو المحامي (عداي الجبوري) .

١- محكمة الثورة كانت تعين محامين للدفاع عن المعتقلين من تلقاء نفسها , في حين أن المفروض في ذلك , أن تستشير المتهم في تعيين محامي له , فإذا عجز تعين هي المحامي . ←

عضو نقابة المحامين عام ١٩٨٠ والذي هو أخ (حامد علوان الجبوري وزير الدولة آنذاك) .

وبذلت له ما يعادل خمسين ألف دولار إن حكم عليه بالإعدام واستطاع أن يخففه إلى السجن المؤبد . وأخذت أراجعه عدة مرات بالإسبوع , فكان يقول إنه لم يحضر لحد الآن .

ثم علمت من السجّان أنّ (رياض) حكم عليه بالإعدام , ذهبت إلى المحامي , وسألته في البداية ماذا يعرف عن (رياض) .

قال إنه لم يحضر لحد الآن قلت له : إنه محكوم بالإعدام فاستغرب وسكت .

← والمحامي الذي تعينه , إنما هو للشكليات فقط , فهو لا يتصل بالمتهم مطلقاً ولا يقرا (الإضبارة التي تخصه فيما يتعلق بلائحة الإدعاء العام والتحقيق الذي جرى للمتهم ...)
وربما لا يحضر المحكمة , وإذا حضر , فسرعان ما يخرج من الباب الثاني ليقال إن الحكومة عينت محامياً .
وكان المحامون يتهافتون على أن يكونوا من المحامين الذين تختارهم المحكمة ليستلم راتبه آخر الشهر أو عطاءه عن كل رأس متهم .

السيد رحيم الياسري

بطل آخر من الأبطال

وجد أفراد الأمن ورقة في ملابس عبد الأمير المنصوري مذكور فيها ان البريد عند السيد رحيم الياسري .

فكان جهاز الأمن يبحث عنه , وأخيراً وقع الأسد في الفخ وساقوه إلى مديرية أمن بغداد , وسألوه عن البريد فأنكر , وبدأ التعذيب

جرّدوه من جميع ملابسه حتى الداخلية , وعلقوه إلى الأعلى ويداه مشدودتان إلى الخلف , وبدأوا يوصلون إلى بدنه الصعقات الكهربائية , فلم يعترف .

ثم أوصلوا أسلاك الكهرباء إلى ذكره ودبره وشفتيه وأذنيه وتحت الإبط ومناطق من اليدين والرأس والقدمين ولكنه صمد ولم يعترف .

استمر التعذيب على هذا المنوال لأربعة أيام وبقي صامداً .

وسمحوا له بالذهاب إلى المرحاض , وأخذ يفكر بطريقة للانتحار الذي هو أفضل من ان يعترف على احد من المؤمنين , فوجد مفرّغة الهواء واستطاع ان يسحب عنها سلك الكهرباء , ولكنه أصيب بصعقة كهربائية قوية رمته إلى الأرض , وأسرع الجلاوزة وأخذوه فوراً إلى التعذيب مرة أخرى .

وحيث انه كان مسؤول البريد في الدعوة ــ آنذاك ــ وحيث أن عبد الأمير المنصوري شكل له علاقة حسنة مع أفراد الأمن , فطلب منهم أن يسمحوا له بالكلام مع السيد رحيم ليعترف .

جاءه عبد الأمير المنصوري وأقنعه بأن يقول انه انضم إلى حزب الدعوة قبل ستة اشهر وكلف بنقل رسالة أعطاها إياه عبد الأمير.

ولم ينفعه ذلك , فقد قضى المجرمون على حياته شانه في ذلك شأن غيره من الدعاة , عباد الله المكرمين .

***

القصص السابقة كانت لضحايا انتفاضة رجب الخالدة .

وسوف نذكر قصتين لبطلتين مجاهدتين ليستا من انتفاضة رجب ولكن ذكرهما يعطي انطباعا واضحا عما تلاقيه نساء العراق الشريفات

المجاهدة سوريا عبد الكاظم عباس

على رغم تعرفي شخصياً وسماعي وإطلاعي على ضحايا سجون صدام , فكنت عندما سمعتها تتحدث , حسبت إنني أعيش في دهاليز مظلمة مع الجن والعفاريت .

" سوريا " من مدينة الخالص عاشت عشر سنوات في سجون صدام , ويكفي هذه السجون تعريفاً أنها سجون صدام .

كانت كل تلك السنين خوفاً ورعباً وتعذيباً , وفي البداية كانت قصتها قد سجلت على قرص CD فنقلناها على الورق , ١٧٢ صفحة اقتطفت منها بعض المفاصل الصغيرة تحاشياً لمسّ كرامة وإنسانية القارئ .

تقول حفظها الله :

كان لها أربعة أخوة شهداء إضافة إلى والدها , وعندما اعتقل أخوها (عامر) كان لا يزال صغيراً , فكانت أمّه لا تنقطع من البكاء عليه حتى أصيبت بجلطة دماغية وماتت .

اعتقل أخوتها وأهلها كلهم , وخشيت على نفسها , وتنقلت من بيت إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى .

وكان أخوتها عام ١٩٨٢ يختفون في بساتين قرية (الجيزاني) فعلمت بهم السلطة , فوجهت إليهم الطائرات رمياً وحرقاً للزروع في

غضون ثلاث ليالي متتابعات , وبعدها جاءت (الشفلات)[1] وساوت البيوت مع الأرض وأعتقلت من تمكنت من اعتقاله .

وأخيراً وقعت (سوريا) في قبضة رجال الأمن , وضعوها في سيارة واتجهت بسرعة خاطفة إلى بغداد , وكانت تجلس إلى جنب باب السيارة , وفكّرت أن تفتح الباب وتلقي بنفسها وتأتي سيارة أخرى فتسحقها وتموت وتتخلص من التعذيب الذي سوف تتعرض إليه ومدت يدها إلى الباب , ولكنه كان مقفلاً .

وشعر رجال الأمن الذين كانوا معها بما تريد , فسألوها :

ماذا ارتكبت من جريمة لتنتحري ؟

وحالما وصلت إلى مديرية الأمن العامة , قيدوا يديها إلى الوراء وعصّبوا عينيها , وهي تمشي وتسمع شتائمهم وتتلقى ضرباتهم بالعصي والكيبلات قبل أن يحققوا معها .

ثم أدخلوها إحدى الزنزانات , وقالوا انها الزنزانة التي كانت تضرب فيها بنت الهدى , وطلبوا منها أسماء الذين كانوا يختفون في بساتين الخالص , ولكنها أنكرت المعرفة بذلك .

فأحضروا توثية[2] وطلبوا منها أن تقرأ الكتابة التي عليها واذا هي (دوه للماله دوه)[3] وتوثية أخرى مكتوب عليها (العصا لمن

١- آليات ضخمة لتهديم البناء .
٢- التوثية باللهجة العراقية هي العصا الغليظة .
٣- بمعنى إن الضرب بها إنما هو دواء لمن لا دواء له .

عصى) , وضربوها ضرباً شديداً على رأسها حتى فقدت بصر أحدى عينيها , إضافة إلى الكلام البذيء جداً الذي كانوا يخاطبونها به .

ثم علقوا يديها المقيدتين , إلى الوراء , إلى (كَنّاره)[1] فبقيت معلقة بين السماء والأرض وقد انخلع كتفاها , ثم بدأوا يضربونها بالأسلاك المكهربة على رأسها ووجهها وسائر بدنها .

وجاؤوا لها بأحد إخوانها[2] كان عمره ١٩ سنة , وكان يشبه قطعة الدم من الضرب والتعذيب , وطلبوا منه أن يكلم أخته لكي تعترف , فكان يتوسل بهم أن يمتنعوا عن تعذيبها ويضعوه في مكانها ولكنهم يهزأون به ويهددونه بالاعتداء على أخته ويصعقونها بالكهرباء وفقدت وعيها .

ثم جعلوها في مكان واسع مع النساء السجينات , وكان أحد أفراد الأمن شخصاً عظيم الجثة , يدخل عليهن في منتصف الليل وهن نائمات ومعه عصا غليظة , فيسحق النساء النائمات بحذائه , فإذا اعترضت واحدة ضربها بالعصا .

***

وكان في السجن أيضاً أختان ١٨ سنة و٩ سنوات , وهذه الطفلة كانت طالبة في المدرسة , وكانت مديرة المدرسة قد سرق منها (ختم) المدرسة الذي تختم به الأوراق الرسمية .

١- الكَنّاره هي الكلاب الحديدي المدبب الذي يستعمله القصاب لتعليق اللحم .
٢- وكان جميع أخوانها في السجن .

فقيل لها إن هذه الطفلة كانت تمشي بالقرب من غرفتها , فجيء بها وبأختها , وتعرضن للتعذيب الشديد بحجة أنهما من حزب الدعوة .

***

وأخذت المجاهدة (سوريا) إلى المحكمة هي ومجموعة أخرى من السجينات وهناك قالوا لهن لا بدّ أن يتوكل عنهن محامي .

فجيء لهن بالمحامي , ولم يسألها ولم يسأل زميلاتها اللاتي كن معها , وكان للغرفة بابان , دخل المحامي من باب وخرج من باب , ثم رفع تقريره الى الادعاء العام بأن مجموعة النسوة اعترفن بأنهن مجرمات , في حين لم يسألهن أبدا .

ونطق الحاكم بالحكم , وحكم (سوريا) بالمؤبد كما حكم غيرها كذلك على أساس إنهن اعترفن بأنهن مجرمات منتسبات إلى حزب الدعوة .

قالت (سوريا) إن المحامي لم يسألني ولم اعترف .

فدفعها شرطي كان حاضرا , دفعها بقوة نحو المنضدة التي يجلس عليها الحاكم نفسه , فأصيبت ببطنها وسالت منها الدماء وانطلق الجلاوزة بالضحك .

***

ثم نقلوا المجاهدة (سوريا) الى سجن الرشاد , وكانت المرافق الصحية داخل السجن , والمراحيض تلك قد فاضت وامتلأت القاعة

بالقذارة , فكانت السجينات يتخذن من هذا المكان مقراً للنوم وعلى هذه القذارة حيث لا يوجد لهن مكان آخر.

وكان كثير من زميلاتها في السجن , محكومات بالإعدام .

وأخذوا امرأة مجاهدة للإعدام وكان معها في السجن أولادها أربعة أطفال وكانت المحكومات بالإعدام يكتبن الأدعية على ملابسهن التي سوف يعدموهنّ فيها , كما كن تودّع إحداهنّ الأخرى وان موعدهن الجنة إن شاء الله .

وكان للسجن في شهر رمضان دويّ كدويّ النحل خصوصاً في ليالي القدر من قراءة القرآن والأدعية وإقامة الصلاة وتعليم التلاوة والأحكام الشرعية .

***

رأت في السجن امرأة مسجونة منذ سبعة عشر عاماً .

ورأت أخرى سجنت لأنها تبرعت بدينار واحد لعائلة معدوم

وكان معها في السجن امرأة ومعها طفلان علماً بأن زوجها محكوم بالإعدام .

وكان في السجن أيضاً امرأة ومعها طفلها , وعندما أخذوها للإعدام , تعلق بها طفلها , فانتزعوه منها وأخذوها .

والكلام طويل وكله مآسي وآلام .

تلك كانت صورة مصغرة لما كان يلاقيه الشعب العراقي على يد الطاغية صدام , الذي كان يدمر البلاد ويحرق الحرث والنسل ولكنه

يسرف في بذل الأموال في الخارج على بعض الرموز التي لها تـــأثير في الإعلام والسياسة .

إن المجاهدة (سوريا) كغيرها من بنـــات الـــشعب الكثيـــرات دخلن السجن وخرجن منه مرفوعات الرأس عزة وشرفاً وكرامة .

***

أم زيد

ضحية جلادي صدام , هي وأبوها وزوجها وطفلها

ام زيد تروي القصة المأساوية التي تعرضت لها , هي وزوجها وطفلها الصغير , ترويها بنفسها , وكانت أديبة جيدة التعبير .

تقول :

ألقي القبض على زوجي في بغداد من قبل جلاوزة صدام وضاع أثره في أقبية الأمن وغرف التعذيب ,ولم نتمكن من معرفة المكان الذي أخذوه اليه .

وبقينا شهوراً لا نعلم عن مصيره شيئاً , أهو حي أم ميت ؟

وأخيراً وبعد سبعة شهور قضاها بين الحياة والموت , وبعد أن مارسوا بحقه أبشع أنواع التعذيب , الذي لا أجد وصفاً له , إلاّ انه تعذيب البعثيين الذي يفوق تعذيب إسرائيل ....

بعد هذه المدة خرج من المعتقل ... وقد تغيّر شكله حتى لم يعرفه المقربون منه .

وقضى أياماً في البيت تحت العلاج من أثر التعذيب , وكان في هذه الفترة قد فقد ذاكرته , ولم يكن يعرف الاّ عدداً محدوداً من معارفه

أما معلوماته فقد ذهبت تماماً , ومضت عدة أسابيع تماثل خلالها للشفاء , واستعاد الكثير من ذاكرته , وبدأ يصلي من قيام بعد أن كان يصلي من جلوس .

وأقترحت عليه ان نخرج لزيارة بعض أقاربنا , من الذين لم تشملهم رقابة الأمن البعثي , وخرجنا لزيارتهم .

وهناك ألحّوا علينا بالمبيت , وتأخر الوقت , وأستجبنا لطلبهم ولم نكن نعرف سبباً لإلحاحهم , ولكننا اكتشفنا في الصباح أنهم قد علموا بزيارة جلاوزة الأمن لبيتنا تلك الليلة وهم يبحثون عن زوجي من جديد , فخافوا أن نعود إلى البيت فيمسكوه .

وبقينا حائرين ماذا نفعل ؟ وفكرنا في الذهاب إلى دار أهلي وللتأكد أرسلنا شخصاً إلى بيت أهلي ليطلّع على القصة هناك , فعاد هذا الشخص يخبرنا إنهم جاؤوا في طلبي ليأخذوني رهينة , ومن خلالي يساومون زوجي ويجبرونه على تسليم نفسه .

ولما لم يجدوني أخذوا أبي الشيخ الهرم رهينة لحين تسليمي وقد ضربوا والدي وأهانوه لأنه رفض ان يدلّهم على المكان الذي يحتمل أن أكون فيه , ثم ساقوه إلى حيث لا نعلم .

ومرّت علينا أيام شداد , ونحن مختفون في بيت أقاربنا وشاءت الأقدار , أن يلحظ أحد ضباط الأمن وجودنا في هذا البيت , ولم يلجأ لسؤال أقاربنا , بل أستدرج أحد أطفالهم وسأله عنا , فأجاب الطفل ببراءة : إنّ هؤلاء ضيوف عندنا ويخافون من الذهاب إلى بيتهم.

وأدرك ضابط الأمن الحقيقة , وبعد ساعات طوّق البيت وأخذونا إلى دائرة الأمن , حيث ذقنا جميعاً وبلا استثناء ألواناً من التعذيب لا يمكن لإنسان ان يصفها .

ولكن الشيء الذي لا بدّ من ذكره هو أنهم كانوا يعذبون طفلي البالغ من العمر سنتين بواسطة أسلاك كهربائية ليجبروني ويجبروا أباه على أن يدلّهم على أسماء وأماكن إختفاء إخوانه المجاهدين .

لقد كنت أشاهد ابني يصرخ كالمجنون من صعقات الكهرباء وهم يطلقون الضحكات كأنهم يشاهدون مسرحية فكاهية .

ثم حدثت الكارثة ... ففي أحدى هذه الصعقات توقف الطفل عن الصراخ واعترتني رعدة , ونظرت في وجهه فإذا به ... فإذا به مات .

لقد مات ولدي الوحيد عن سنتين من العمر ... لقد مات الطفل تحت التعذيب ... ولدي الحبيب قتله زبانية صدام لان أباه عضو في حزب الدعوة الإسلامية .

يا ناس في أي مكان من العالم تحدث مثل هذه الجرائم ؟

***

فقدت وعيي , ولم أعرف ما حدث بعد ذلك ؟

ثم أفقت في إحدى غرف التحقيق .... وبعد قليل جاء ضابط أمن مكلف بالتحقيق معي .

قال : إنّ عفو صدام حسين قد شملك , وأنه تقرر الإفراج عنك لأسباب إنسانية بحتة .

ودخل صعلوك آخر وسلمني شهادة وفاة إبني , وإنه توفي فجأة حسبما جاء في التقرير ــ شهادة الوفاة ــ .

لقد كنت منهارة تماماً , ولم أكن أقوى على الكلام , بل كنت مشلولة التفكير , ولكنني إنتفضت فجأة , وصرخت في وجهه :

وابني , إبني أين هو ؟

قالوا لقد تولينا دفنه , إنّ حكومة الثورة كفتك مهمة الدفن وقامت بذلك نيابة عنك , أليست هذه رحمة وإنسانية من الحزب والثورة؟

وانعقد لساني من الدهشة ومن الصدمة , ولم أعرف ماذا أقول وأخذ الجزع والخوف بمجامع قلبي وأصبحت في شبه إغمائة .

ثم انتبهت على صوت جرس التلفون الذي رفعه ضابط الأمن ليخبرني بإعدام زوجي .

وكانت تلك صاعقة أخرى أوقعتني في غيبوبة كبرى , لم أفق منها إلاّ على حدود إيران .

قلت لهم : ماذا تفعلون ؟ ولست إيرانية

قالوا : انه لم يبق لك أهل في العراق , فاذهبي إلى إيران .

ثم فتّش المجرمون جيبي قبل أن أعبر الحدود , فوجدوا شهادة وفاة إبني , فأخذوها مني .

هذه قصتي :

كنت أماً , فقتلوا ابني أمامي

وكنت زوجة , فقتلوا زوجي

وكنت ابنة لشيخ كبير , فعذبوا والدي ولست أعرف مصيره

ولم يبق إلاّ الله , وهو حسبي .

***

تلك كانت قصتها , تتفطر لها الصخور , ولا تتأثر قلوب جلاوزة صدام الذي درّب جيلاً من الناس على طريقته وأخلاقه .

وتمادى جلاوزته في تعذيب الناس والقسوة على البشرية , وهو أمر طبيعي أن يسلك هؤلاء سلوك سيدهم الذي علمهم السحر .

والأمر المهم الذي لابدّ من ذكره إنّ هذه القصة هي واحدة من آلاف , بل عشرات الآلاف من القصص التي يعاني منها الشعب العراقي , لقد سمعنا ببعضها , ولكن القسم الأوفر لا يصل إلى أسماعنا لان المجرمين دائماً يحاولون أن يسدلوا ستاراً على فضائحهم .

وسنضع في آخر الكتاب ضمن الملاحق , ملحقاً عن التعذيب وأساليبه مع صور تقريبية لذلك .

***

كان الدعاة هم (النخبة) دائماً, حتى في السجون

ولابد أن تتدفق عواطفهم بالشعر والأدب والقصص الساخرة .

وهم في جميع الأحوال لا يغيب عن بالهم أنهم سوف يتعرضون

للتعذيب والملاحقات , لأنهم أناس آمنوا بربهم , واتخذوا طريق ذات الشوكة

مسلكاً لهم , الطريق الذي سلكه المصلحون في التاريخ .

وهنا نثبت آهات شعرية قالها أولئك المعذبون في الأرض .

ومضات من أدب السجون المظلمة
لدعاتنا الميامين

أي جدوى ألاّ نسير على هدى نجواك في صراع الحيـــــاة
أترانا نشذ ّعــن دربك الواعـــي تحثنا خـــطى منـــكرات
إنّ ديناً ترشه شـــفة الله لديـــن يـــسمو عـــلى اللـــهـــوات
روعـــة المـــجد تســـتريح بجنبيه فهلا نـــعيه بعـــد افتئآت
لـــست أرضى إلا بإشراقة القرآن أن تجلو آفاقنا الداجيات
كـــل إشعاعة أنامـــل خير تزرع الخير في شتيت الجهات
هاهـــنا معبر يسيـــر به العدل فلا الحيف باحث عن قنـــاة
وهـــنا موكب المساواة لم يزحف على دربه انحياز السراة
والإخـــاء العـــظيم مزرعة تنبت لو شئت أخـــلد الحسنات
والـــذي يستريح في خيـــمة الظل أيخشى لفح الهجير العاتي

***

وهذه لوحة أخرى :

قد زدتموني بهذا السجن إيمـــانا فابنوا كما شئتم للحرّ جـــدرانا

واسقوا العذاب وبثوا في عيونكم خوفاً ورعباً فعين الله تــرعانا
وابنوا المعاقل للآلاف تملــؤها ولا تقيموا لأمر العدل ميــزانا
ولا يزجرنكم في الله مزدجــر ولا تعيروا لصوت الحــق آذانا
ونكّلوا بدعــاة الله وانتــهكــوا شرائع الدين واستهزوا به شانا
وقدّسوا الباطل الممقوت واتبعوا طاغوتكم وأقيموا منه أوثانــا
وعلقوه على جدرانكم صــوراً وتوّجــوه مــن التدليس تيجانا
وسفهوا كل قول فيه رشدكــمُ يهدي إلى الحق إيضاحاً وتبيانا
ما تحــفرون سوى قبر لأنفسكم وتنسجون له بالظــلم أكفانــــا
كيف السبيل بكم يوم الحساب وقد عنت وجوه البرايا صوب مولانا
والنار قد سعــرت للظالمين لظى وكل خافٍ مــن الأعمال قد بانا
وقــد وقفنا وانتم في مــواجــهة ونحن نرفــع للرحمن شكــوانا
ما كنت أحسب أنّ الظلم في وطني ما زال ينسج للأبــرار قضبانا
حتى دهيــت ومما زاد في ألمي إني لقيت أخي في السجن سجّانا
ورغم حبي وإني كنت أحفظــه من البلاء بظــهري كان طعّانا

***

ولوحة ثالثة :

أبتـــاه مـــاذا قد يخـــط بناني والحبل والجـــلاد ينتظـــراني[1]
هذا الكتاب إليك مـــن زنزانة مقـــرورة صخـــرية الجـــدران
الليل من حولي هـــدوء قاتـــل والذكريـــات تمور في وجداني
ويهدّنـــي ألمي فأنشـــد راحتي فـــي بضع آيات مـــن القـــرآن
والنفس بيـــن جوانـــحي شفافة دبّ الخشـــوع بـــها فهزّ كياني
قد عشت أؤمن بالإله ولم أذق إلا أخـــيراً لـــــذة الإيمـــــان
أنا لست أدري هل ستذكر قصتي أ م سوف يعـــروها دجـــــى النسيان
أو انني سأكـــــون فـــــي تاريـــخنا متـــآمـــراً أو هـــــادم الأوثـــان
كل الذي أدريه أنّ تـــجـــرعي كأس المـــذلة ليـــس في إمكان
لو لم أكن في ثـــورتي متطلباً إلا الضـــياء لأمـــتي لكـــــفاني
أهوى الحياة كـــريمة لا قـــيد لا إرهاب لا اســـتخـــفاف بالإنســـــان
فإذا سقطت سقطت احمل عزتي يغلي دم الأحرار في شـــرياني

***

١- هكذا

قرارات الإعدام والمؤبد لأبطال انتفاضة رجب ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م

بعد انتفاضة رجب بأيام أصدرت (محكمة الثـورة) قـرارات جائرة قضت بإعدام ستة وثمانين مجاهداً , فيهم الشيخ الكبير الذي ناهز التسعين عاماً كالسيد قاسم شبر وفيهم الشاب الذي يقل عـن ١٨ عامـاً فيما حكم على آلاف الرساليين بالسجن المؤبد .

والمحكومون أولئك ٩٠% منهم من حزب الـدعوة الإسـلامية والباقون من المتعاطفين مع حزب الدعوة أو الذين يعتبرون أنفسهم من حزب الدعوة الإسلامية وإن لم ينتظموا .

وأحكام محكمة الثورة موجودة لدينا في وثائق , ولا ندعي إننـا نمتلك كل الوثائق , ولكن لا شك إنّ الذي لدينا هو بعضها ندرجه كمـا يلي :

أولاً :

كتاب محكمة الثورة ق ٢٠٩٠/١ في ١٩٧٩/٦/٣٠

أصدرت حكماً على المتهمين التالية أسماؤهم أدناه في الـدعوة المرقمة ١٣٧٦ ج ١٩٧٩ الخاصة بالقضية المرقمة ١٩٧٩/١٦ الأمن العامة م/٣٢ (كاظمية إعدام)

١- كاظم نجم عبود العزاوي

٢- علاء صادق مهدي الشهرستاني

٣- نجاح حبيب مهدي الموسوي

٤- عبد الجبار عبد علي البصري

ثانياً ـ

كتاب محكمة الثورة ق ٢٠٩٠/١ في ٣٠ /١٩٧٩/٦

أصدرت حكماً على المتهمين التالية أسماؤهم أدناه في الدعوة المرقمة ١٣٧٦ ج ١٩٧٩ الخاصة بالقضية المرقمة ١٩٧٩/١٦ الأمن العامة م/٣٢ (حكم إعدام)

١- حسين ناجي حمودي الهاشمي

ثالثاً ـ

كتاب محكمة الثورة ق ٢٠٩٠/١ في ١٩٧٩/٦/٣٠ القضية المرقمة ١٩٧٩/١٦ في ١٩٧٩/٦/٣٠ القضية المرقمة ١٩٧٩/١٦ الأمن العامة م/٣٢ (مؤبد)

١- هادي عبد إبراهيم

٢- سلامات عباس يوسف

٣- جواد محمد جواد

٤- عبد الكريم رضا محمد

٥- محمد شاهود سراج

٦- حاتم عبد الكريم محمد

٧- محمد على سلمان يوسف

٨- جعفر كاظم عباس

٩- احمد إبراهيم حسن

١٠- شاكر عبد الرحيم

١١- فائقة فائق عبد الكريم

١٢- أكرم مولى أسد عبد الكريم

١٣- ..... مهدي إسماعيل

١٤- كاظم علي ....

١٥- محمد علي حسين حسن

١٦- محمد حسن زاير

١٧- خالد خضير حيدر

(في هذه القائمة امرأتان : سلامات عباس يوسف وفائقة فائق عبد الكريم) .

ومناطق الفراغ في بعض الأسماء يرجع إلى أنّ الأسماء لا تقرأ بصورة جيدة في الوثيقة .

رابعاً ــ

كتاب محكمة الثورة ق ٢٠٩٠/١ في ٣٠ /١٩٧٩/٦

الدعوة المرقمة ١٩٧٩/١٦ الأمن العامة م/٣٢

١- صلاح حسن عبد الشمري

خامساً ـــ

كتاب محكمة الثورة ق ١ /٢٠٩٣ في ١٩٧٩/٦/٣٠

الدعوة المرقمة ١٣٧٧ /ج/١٩٧٩ القضية المرقمة ١٧ /١٩٧٩

الأمن العامة م/٣٢

١- علي محمد رشيد

٢- سعيد جعفر داوود

٣- خالد جاسم حموش

٤- كريم حسين محمد

٥- ماجد حسون مظلوم

٦- مرتضى جعفر عبد العباس

٧- نصير عبد عليوي

٨- باسم محمود ياسين

٩- طالب عبود سلمان

١٠- حسن جواد كاظم

١١- حاتم خميس شريف

سادساً ـــ

كتاب محكمة الثورة ق ٢١١١/١ في ١٩٧٩/٧/٢ الدعوة المرقمة ١٣٧٨/ج/١٩٧٩ المرقمة ٧٩/١٨ الأمن العامة ٣٢ (إعدام)

١- ع هادي محمد محمود (قاعدة الرشيد الجوية)

٢- ن ض علي عبد محمود (قاطع الدفاع الجوي)

٣- ن ض عطا باقر مهدي

٤- ج م ودوود داوود هادي

٥- ن ض جاسم فرهود محمد

٦- ع كاظم جاسم

٧- ج م زامل طعمة شياع

٨- ن ض كريم حسين إسماعيل

٩- ج م زهير جاسم محمد

١٠- ج م عباس عبد علي حسين

١١- ن ض ناظم عباس مسعود

١٢- ن ض عبد الرضا چاسب معارج

١٣- ن ض صالح مهدي غائب

١٤- ع فخري حميد شلاشة

١٥- ج م عبد الهادي حنون

١٦- ج م ميثم حسن كاظم

١٧- ج م سعدي صالح فياض

١٨- ج م احمد شامخ حسن

١٩- ن ع كوثر محمد حسن

٢٠- ن ض هادي نجم عبود

٢١- ن ض علي محمد علي جرير

٢٢- ن ض محي عبود معارج

٢٣- ش أول محمود صائب علي

٢٤- ن ض محمد عزيز محمد[١]

سابعاً ــ

كتاب محكمة الثورة ق ١ /٢٠٦٠ في ١٩٧٩/٦/٢٧

الدعوة المرقمة ١٣٥٤/ج/١٩٧٩ القضية المرقمة ١٩٧٩/١٥

الأمن العامة م/٣٢

١- سلام محمد صالح

٢- مهدي مرهج جواد

٣- ناظم جواد ناظم

٤- علاء هاني رزاق

٥- جمعة يونس نعمة

١- الرموز أعلاه رموز عسكرية تعني ما يلي :
ج م = جندي مكلف
ن ع = نائب عريف
ع = عريف
ن ض = نائب ضابط
ش أول = شرطي أول
ومعنى هذا إن الشعب برمته كان قدِ انتفض بوجه الطغمة الحاكمة العسكريين منهم وغيرهم .

ثامناً ـــ

محكمة الثورة ق ٢٠٩٢/١ في ٧٩/٦/٣٠ الدعوة المرقمة ١٣١٥/ج/١٩٧٩

القضية المرقمة ٧٩/١٤ الأمن العامة ٣٢ محكمة الثورة ق٢٠٩٢/١ في ٧٩/٦/٣٠ الأمن العامة (الحكم بالإعدام في النعمانية)

١- السيد قاسم محمد علي شبر

٢- حيدر جاسم حمودي

٣- محمد جواد شندل

٤- نعيم سلمان داوود

تاسعاً ـــ

كتاب محكمة الثورة ٢٢٣٧/١٥ في ٧٩/٧/٢٥ الدعوة المرقمة ١٤١٤ ج ٧٩ القضية المرقمة ٧٩/٤٠ المخابرات العامة (إعدام)

١- حسين خلف عكاب الأسدي

عاشراً ـــ

كتاب محكمة الثورة ق٢٢٤٠/١ في ١٩٧٩/٧/٢٦ الدعوة المرقمة ١٤٣٩ ج ١٩٧٩ القضية المرقمة١٩٧٩/٨ أمن

١- سليم عكاب علوان

٢- محمد غبيش علوان

٣- محمد حمزة علوان

٤- عباس جواد كاظم

حادي عشر –

محكمة الثورة ق١/٢٢١٦ في ٧٩/٧/١٥ الدعوة المرقمة ١٣٤٦ ج ١٩٧٩ أمن بابل

١- محمود كاظم عبيد

ثاني عشر –

محكمة الثورة ق١/٢٢١٩ في ٧٩/٧/١٦ الدعوة المرقمة ١٤٢٤/ج/١٩٧٩ أوراق تحقيقية

١- ج.م فاضل كاظم حسن

٢- ج.م محمد نجم عبد

٣- ع حسن هادي عباس

٤- ج.م عبد الله عبد الهادي والي

٥- ن.ض صاحب موسى حسن

٦- ن.ض مسافر محمد ناصر

ثالث عشر–

كتاب محكمة الثورة ق ٢١٣٢/١ في ١٩٧٩/٧/٣ الدعوة المرقمة ١٣٧٩ ج ١٩٧٩ القضية المرقمة ٧٩/١٩ الأمن العامة ٣٢

١- عبد الخالق صالح علي

٢- صدر الدين حسن علي الكبنجي

٣- جبار فرج موسى

٤- فاضل مهدي عيسى

٥- خزعل ... السوداني

٦- عباس فاضل صادق

٧- عبد الحسين جابر محمد

٨- فاضل محمد علي حسن

٩- عبد الأمير حسن ماجد الحكيم

١٠- عباس عبد الهادي عبد الأمير

١١- أنور نزار هادي

١٢- علي عبد صالح

١٣- شريف عبد الله خضر

١٤- محمد وحيد سعيد

١٥- علي عبد الكريم جبر

١٦- حسن عداي الساعدي

١٧- باقر أسد الله مصطفى

١٨- محمد ذياب ... علي

١٩- حسن عبد الرسول

٢٠- محمد علي طاهر

٢١- عبد الكريم إبراهيم عبد

٢٢- وليد جميل علي

٢٣- محمود حسن صغير

٢٤- ناطق ناجي كاظم

٢٥- حاتم عبد الكريم عبد الحسن

٢٦- عباس ....

٢٧- محمود هندي فيروز

٢٨- تايه ذرب حاج عجمي

رابع عشر –

محكمة الثورة ق١/٢٠٦٠ في ٧٩/٦/٢٧ الدعوة المرقمة ١٣٥٤/ج/١٩٧٩ القضية المرقمة ٧٩/١٥ الأمن العامة ٣٢ مدينة الثورة

١- محمد حسن قاسم المبرقع

٢- حسن جابر موسى

٣- وصفي فاضل محمد

٤- قاسم محسن فاضل

٥- عبد الرحيم علي الشوكي

٦- علي حسن جليل

٧- كاظم طاهر ياسين

٨- جاسم محمود علي

٩- عبد العظيم ... علي

١٠- كاظم محمد شبيب

١١- حازم راشد عبد علي

١٢- فخري جودة خليل

١٣- بدر عقيل محمود

١٤- عبد المنعم بدر الساعدي

١٥- عبد الكريم ناصر محمد

١٦- صلاح عبودي صالح

١٧- سمير خزعل مشاي

١٨- عبد الأمير عادل حافظ

١٩- عباس عبد الأمير يوسف

٢٠- حاذق شاكر عويد

٢١- شاكر هادي كريدي

٢٢- محسن عبد الله لفتة

٢٣- جاسم محمد إبراهيم

٢٤- عباس ... مطر حسن نور النوري

٢٥- حسين كاظم فنجان

خامس عشر ـ

محكمة الثورة ق ٢٠٦٠/١ في ٧٩/٦/٢٧ الـدعوة المرقمـة ١٣٥٤ ج ٧٩ القضية ٧٩/١٥ الأمن العامة ٣٢ (إعدام مدينة الثورة)

١- السيد قاسم حسن المبرقع

٢- محمد شاكر قاسم حسن المبرقع

٣- حسين نعمة مخيف

٤- جاسم خوير عزيز

٥- حسين عاجل حزام

٦- عباس حسين طاهر الشوكي

٧- صباح حبيب خالد

٨- نجم ... جبر السوداني

٩- علي حسين جبر التميمي

سادس عشر ـ

محكمة الثورة ق ٢٠٦٠/١ في ١٩٧٩/٦/٢٧ الدعوة المرقمـة ١٣٥٤ ج ١٩٧٩ القضية المرقمة ٧٩/١٥ الأمن العامة م ٣٢

١- مرتضى صبري عبود

٢- محمود... عثمان

سابع عشر –

محكمة الثورة ق ١ /٢٠٦٠ في٢٧/٦/١٩٧٩ الدعوة المرقمة ١٣٥٤ ج ٧٩ القضية المرقمة ٧٩/١٥ الأمن العامة

١- كريم كاظم رسن

٢- كريم عبد حسن

٣- عامر كريم محمود

٤- رزاق كاظم صيوان

٥- فاضل جميل سهيل

٦- محمد لطيف

٧- رطن چمراغ داوود

٨- ياسين موزان خضر

ثامن عشر –

كتاب محكمة الثورة رقم ق ٢١٥٥/١ في ٧٩/٧/٥ الدعوة المرقمة ١٣٨٢ ج /٧٩ الخاصة بالقضية ٧٩/٢١ الأمن العامة ٣٢

١- سهراب سلمان حسين

٢- علي گاطع الوزار

٣- محمد علي مسلم محمد علي

٤- محمد علي رضا

٥- وحيد كاظم محمد

٦- عبد الكريم شلال جابر

٧- نجم عبد بلغوث

٨- عبد علي فرحان معارج

٩- حليم عبد علي شريف

١٠- احمد عبد علي احمد

١١- سلام عبد علي زغير

١٢-علي حسن علي متن

١٣- فاضل داخل غرنوب

١٤- عبد الله جودة ياسر

١٥- حسن ناصر هاشم

١٦- خضر فرج خنجر

١٧- أبو سمرة جبار

١٨- عبد الإله نعمة

١٩- علي عبد الرحيم البطاح

٢٠- ......طلب شبيب

٢١- عبد المجيد عدنان جابر

٢٢- حسون عبد الحسين

٢٣- سلام عبود شبيل

تاسع عشر ـ

محكمة الثورة رقم ق ٢١٤٦/١ في ٥ /١٩٧٩/٧ الدعوة المرقمة١٣٨٠ ج ١٩٧٩ الخاصة بالقضية ٧٩/٩٣ أمن بابل

١- عبد الوهاب عبد الكاظم مهدي

٢- ن ع شرطة حسين عبد عبيد

٣- عامر غدار بكر

٤- نعمة اسود علي

٥- علي حسن مدلول

٦- أحمد صالح هاشم

٧- هادي جاسم محمد

٨- سعد كامل بدر

عشرون ـ

محكمة الثورة رقم ق ٢٨١٠/١ في ٧٩/٧/٩ الدعوة المرقمة ١٣٨٣ ج ٧٩ في القضية المرقمة ٧٩/٣٢ الأمن العامة ٣٢

١- قاسم كاظم جاسم العلايس

٢- محمد رضا حنتوش

٣- أكرم مهدي جاسم

٤- أنور فاضل جميل

٥- هاني حميد صالح

٦- مظهر سلمان حسين

٧- جاسم كريم درجم

٨- كاظم جواد كاظم

٩- أنور عباس عبد الله

١٠- باسم عبد الله جواد

١١- عبد الخضر وهيب محمد

١٢- محمد كريم درجم

١٣- نصر إبراهيم رشيد

١٤- إسماعيل علي محمود

١٥- كاظم عزيز محمد

١٦- حسين جواد كاظم

١٧- احمد مهدي صالح

١٨- حميد عارف أحمد

١٩- لؤي مبارك محمد

٢٠- فاضل جميل محمد

٢١- إبراهيم حمودي قنبر

٢٢- كاظم احمد رحيم

٢٣- كريم إبراهيم عباس

٢٤- هادي صاحب احمد

٢٥- رائد حسين علي

٢٦- نزيه محمد حسين

٢٧- صبري مهدي صالح

٢٨- محمد عباس محمود

٢٩- محمد رؤوف محمد

٣٠- حسين علي غالب

٣١- علي يعقوب يوسف

٣٢- محمد عبد الحسين عباس

٣٣- حبيب مهدي عليوي

٣٤- راشد كاظم حسن

٣٥- محمد نصيف جاسم

٣٦- احمد حمود جواد

٣٧- باسم احمد محمد

٣٨- رعد إسماعيل خليل

٣٩- عمار محمد حسن الأديب

٤٠- مازن صالح عبد الرحمن

٤١- كريم رحيم جاسم

٤٢- صباح داوود سلمان

٤٣- إبراهيم جاسم محمد

٤٤- خزعل كاظم خاجي

٤٥- علي سلمان بدر

٤٦- قاسم حسين كريم

٤٧- نزار عبد مهدي

٤٨- إبراهيم صالح مهدي

٤٩- إبراهيم جاسم محمد

٥٠- جواد كاظم إبراهيم

٥١- هاشم محمد علي

٥٢- محمد صلاح عبد الأمير

واحد وعشرون ــ

محكمة الثورة رقم ق٢١٤٦/١ في ٧٩/٧/٥ الدعوة المرقمة ١٣٨١ ج٧٩ الخاصة بالقضية ٧٩/٢٠

الأمن العامة ٣٢ (إعدام ومؤبد)

١- الشيخ مهدي محمد رضا عبد الحسين السماوي

٢- ماجد رزاق حسن

٣- فرج إبراهيم حمادي

٤- عدنان طعمة غازي

٥- سليمان نعيم حسن

٦- محمود شاكر محمود

٧- ....

٨- كريم حالي طاهر

٩- سامي عبد الحسن

١٠- علي عبد الأمير الحسن

١١- كامل هاتف كاظم

١٢- قاسم محمد مهدي

١٣- راضي عبد حسين

١٤- صاحب رحيم محمد

١٥- رزاق مسلم سعد

١٦- عدنان حسن

١٧- علي سعد شاكر

١٨- قاسم حسين علي

اثنان وعشرون ـــ

محكمة الثورة رقم ق ٢١٠٣/١ في ٧٩/٦/٣٠ الدعوة ١٣٧٤ ج ٧٩ الخاصة بالقضية ٧٩/٩١ أمن بابل

١- عبد الأمير خضير كريم

٢- رسول جواد علوان

٣- علاء جواد .... جواد

٤- فاضل عبيد كاظم

٥- محمود عمران حسن

٦- أياد نجم عبود

٧- فائز خليل إبراهيم

***

بعض الملاحظات على هذه القائمة الطويلة من المحكومين :

١- عددهم مائتان وستون محكوماً

٢- إنّ انتفاضة رجب حدثت في ٧٩/٦/١٣ , وأول محاكمة جرت للمتهمين , وصدرت فيها الأحكام كانت في ٧٩/٦/٢٧ أي بعد مرور ١٤ يوماً فقط على القضية ولخمسين متهماً

والمحاكمات السياسية في أية دولة تحترم نفسها , لابدّ ان تمر بالمراحل التالية :

١- قوة الاتهام الموجه إلى الشخص لكي يتم إلقاء القبض عليه .

٢- مرور فترة التحقيق الدقيق مع المتهم .

٣- والمتهم يطلب توكيل أحد محامي الدفاع عنه .

٤- لا بدّ من مرور فترة لكي يدرس المدعي العام وبقية الحكام أوراق التهم بصورة جلية جداً لكيلا يشوب الحكم أي ظلم وتعسف مع ملاحظة أنّ الشك لا بدّ وأن يفسّر لصالح المتهم.

٥- وانه من الصعوبة بمكان أن يكون هناك خمسون متهماً يتشابهون تماماً في كل ظروف الاتهام الموجه إليهم , بحيث يحاكمون في جلسة واحدة وبمادة واحدة .

٦- وبناء على ذلك فإنه يصبح في حكم المستحيل أن تكون فترة الأسبوعين كافية للمرور بهذه الحالات جميعها.

***

كيف انتقل حزب الدعوة الإسلامية إلى المرحلة السياسية

ذكرنا في الكتاب الأول من تأريخ حزب الدعوة أن الحزب قسّم عمله إلى أربع مراحل , كانت المرحلة الثانية هي (السياسية) , ولا يتم الانتقال إليها إلا بعد أن تتوفر مستلزمات الانتقال وهي :

١- تكامل الدعاة فكرياً ونفسياً وميدانياً , وتزودهم بالخبرات والكفاءات الضرورية لخوض غمار المرحلة , فلا تصح المواجهة قبل الإعداد , ولا يصح الانتقال من مرحلة إلى أخرى قبل توفر مستلزماتها .

٢- توفر العدد الكافي من الطلائع القيادية والدعاة المجاهدين بحيث لا تؤثر عمليات العطاء والتضحيات التي تقدمها الحركة على مسيرها ومواصلة المسؤولية الجهادية .

٣- تكامل أجهزة الدعوة وتنظيماتها وقابلياتها بشكل يجعلها قادرة على تحمل الصراع ـ مهما طال ـ وامتصاص السلبيات وردود فعل السلطة .

٤- نمو الوعي الإسلامي والروح الجهادية في أوساط الأمة إلى درجة تجعلها قادرة على المشاركة الفعلية , بحيث تستطيع

إنّ توفر سياجاً يحمي تحرك الإسلاميين , وتتحمل مسؤولية الصراع معهم ..

٥- قدرة الدعوة على كسب نتائج الصراع والهيمنة على الساحة هيمنة تحـول دون قفـز القـوى السياسية أو العسكرية المتربصة في الميدان والتي تحاول أن تركب الموجة مـن غير أن تقدم في عملية الصراع شيئاً , فيكون الإسلاميون وقود الصراع الخاسر , في حين تجني القوى غير الإسلامية ثمار جهودهم وجهاد الأمة معهم .

٦- وجود ظرف سياسي عالمي ومحلي ملائم للتحرك .

***

وعملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى , لاتتم فجأة بحيث تقـرر القيادة ــ مثلاً ــ إنّ المرحلة التالية سوف تكون بتاريخ محدد .

وإنما يتحقق ذلك تدريجاً , من واقعة إلى أخرى ومن حادثة إلى غيرها ومن يوم إلى آخر .

وربما نجد بعض الكتاب يحلو لهم أن يقولوا إنّ حزب السلطة هو الذي جرّ حزب الدعوة إلى أن ينتقل للمرحلة السياسية , أي لينتقـل من المرحلة السرية إلى المرحلة العلنية , ليسهل على النظام أن يوجّـه ضرباته للحركة الإسلامية .

ويتخذ أولئك من عملية إعدام الشيخ عارف البصري وجماعتـه عام ١٩٧٤ شاهداً على ما يقولون .

ولكن الواقع أن عملية الانتقال للمرحلة السياسية كانت قد بـــدت بواكيرها بعد مجيء البعثيين للحكم عام ١٩٦٨ , حيــث كــان حــزب الدعوة الإسلامية يشعر بالخطر والقلق على وضــع العــراق ووضــع المنطقة السياسي والعقيدي بصورة عامة , لما يعرفه الدعاة من التكوين الفكري والنفسي لهذا الحزب ولعناصره الشاذة المنحرفة , ولضلوعه في خدمة المخططات الاستعمارية ومن معاداته لعقيدة الأمة ومصالحها أكثر من غيره من النظم والحكومات الأخرى التي تسلطت على العراق .

فتحرك أحد الشخصيات في قيادة حزب الدعوة الإسلامية وتــم الاتصال بالمرجع الديني الراحل السيد محسن الحكيم أعلى الله مقامــه وأقترح عليه أن يذهب إلى بغداد ويتخذ له مقراً هناك , ويقــوم حــزب الدعوة الإسلامية بتحريك الجمهور والرأي العام والأوساط الطلابية بما يملك من طاقة جماهيرية وتأثير علمائي في مدن العراق وقراه للاتجاه إلى مقر إقامته في بغداد وتتحول إلى احتجاجات ضد السلطة , وتحريك الجماهير تمهيداً لتوفير أجواء سياسية ستسمح بإسقاط هيبة النظام .

وفعلاً تحرك المرجع الديني السيد محسن الحكيم , رحمه الله إلى بغداد في حزيران عام ١٩٦٩ .

غير أنّ سلطات النظام قد تنبهت إلى هذه الخطة , فهاجمت بيت السيد الحكيم وقامت بتفتيشه وتطويق مقر إقامته .

وكان قبل ذلك قد قام وفد من حزب الدعوة الإسلامية بالاتصال بالسيد الحكيم حيث نبّهه إلى أن النظام ينوي القيام بعمل إجرامي ضــد

المرجعية , وان حزب الدعوة قادر على أن يحرك الجماهير ويغلق الأسواق ويخرج مظاهرات صاخبة في كل مكان , وإن حزبنا مستعد في ذلك أن يقدم مائة شهيد من كوادره , بشرط موافقة الإمام الحكيم .

ولكن الإمام الحكيم رفض ذلك وقال (ينبغي أن يبقى هذا الحزب مخفياً) يعني حزب الدعوة الإسلامية , وقد سبق لنا أن ذكرنا ذلك بصورة مفصلة في موضوع علاقة حزب الدعوة بالمرجعية .

وعند وفاته رحمه الله تحوّل تشييع جثمانه إلى تظاهرة سياسية مضادة للنظام شكّل الدعاة طليعة التحرك فيها .

وتمكن النظام بعد حالات المواجهة تلك من استيعاب الموقف وإعداد خطة لاعتقال عناصر حزب الدعوة الإسلامية المتقدمة , بدأت في عام ١٩٧٠ وعام ١٩٧١ عندما اعتقل أبا عصام (صاحب دخيل) واعتقلني من بعده بأقل من شهر .

وتصاعدت الحملة في عام ١٩٧٣ حتى بلغ الإجرام والعدوان ضد الدعاة عام ١٩٧٤ درجة كبيرة .

فاعتقلت المئات منهم , كما اعتقلت العلماء ووكلاء المرجعية الدينية المنضمين في صفوف الدعوة والمتعاطفين معها فمارست الأجهزة الإرهابية ألوان التعذيب والإجرام وقامت بإعدام الشيخ عارف البصري وجماعته .

وتوالت الهجمة الشرسة على حزب الدعوة الإسلامية وتصاعدت حملة الاعتقالات والسجن والتعذيب ومنع النشاطات الإسلامية , بل ومنع تداول الكتاب الإسلامي .

غير أن نشاط حزب الدعوة الإسلامية كان قد تضاعف ــ آنذاك ــ وتوسعت قاعدته في الأوساط المثقفة والجامعية بصورة خاصة , حتى إنّ احد التقارير المركزية كان يفيد عام ١٩٧٨ أنّ عدد المهيئين للانضمام إلى صفوف حزب الدعوة الإسلامية يعادل ضعف العناصر المنضمة , عدا المتعاطفين معه والمؤيدين له , على الرغم من حملة الإعدام والتعذيب والاعتقال والإجراءات التعسفية ضد الدعاة ومن ينتسب إليهم أو يتعاطف معهم ,مما يكشف عمق هذه الحركة في ضمير الأمة ووعيها , وقدرة هذا التيار الإسلامي على التفاعل مع الأمة وتمثيل إرادتها في عملية المواجهة والكفاح ضد الظلم والإرهاب وتجسيد أهدافها الإسلامية .

ولم يكن الدعاة ليحققوا كل ذلك لو لم يكن لدى هذا الحزب الإسلامي ما يتمتع به من أصالة ونقاء تمثلت في خط سيره وتضحياته وشجاعة نادرة تجسدت في مواقفه في السجون وزنزانات التعذيب وعلى أعواد المشانق للذود عن حمى الإسلام ومصالح الأمة وكرامتها .

وكانت انتفاضة رجب معلماً بارزاً من معالم المواجهة السياسية المكشوفة بين النظام الصليبي والجماهير المسلمة التي شكل الدعاة طليعتها بقيادة المرجع الديني السيد محمد باقر الصدر .

فكانت الانطلاقة الأولى في الدخول إلى مرحلة الصراع السياسي.

ونستطيع أن نقول أنّ نقطة الحدود البارزة التي انتقل فيها حزب الدعوة من مرحلة إلى مرحلة , إلى المرحلة السياسية , هي الإثارة القوية التي أحدثتها الثورة الإسلامية في نفوس المسلمين العراقيين خاصة , وفي الدعاة على الأخص .

فالثورة تلك هزت العالم كله .

والسيد الصدر انفتح بكلّه على الثورة وأعلن ابتهاجه بها وعطل دروسه وأصدر البيانات , وأرسل البرقيات للإمام الخميني في فرنسا وإيران .

وكانت الأحداث تتسارع يوماً بعد يوم , بل ساعة بعد ساعة وكلها تحمل أنباءً سارة بالانتصارات .

وحينها أصدر حزب الدعوة الإسلامية منشوراً , كان يحث الجماهير على مباركة الثورة الإسلامية في إيران والتعاطف معها ,كما كان في نفس الوقت يحمل نقداً لاذعاً لنظام البعث .

وكانت الأجواء تلك مناسبة جيدة لانتساب أعداد كبيرة من الشباب المتدين إلى حزب الدعوة , لأنهم أدركوا إن عملاً كبيراً كالثورة لا بدّ أن يتم من خلال حزب منظّم وليس هو إلا حزب الدعوة الإسلامية.

لمعرفة عددهم ومن ثم إمكانية القيام بأدوار بطولية .

فكان عددهم يسمح لهم ببعض الأعمال المناسبة .

ومحاولة أخرى , جرّبها حزب الدعوة الإسلامية لاختبار قوة الدعوة , هو الدخول في انتخابات الطلاب في الكلية الطبية , حيث كانت النتيجة أنّ مرشحي حزب الدعوة هم الأقوى .

***

وقد قطعت الدعوة الإسلامية خلال الفترة السابقة أشواطاً ذات شوكة من العمل الدائب , وتمكنت بفضل الله وتأييده أن تجتاز المرحلة الأولى , فصححت المفاهيم والأفكار , وأحيت الأعراف الإسلامية وأعادت إلى الأمة ثقتها بالله وبقيادتها , وأعادت الأجيال الحائرة من الشباب إلى حضيرة عبودية الله تعالى .

وجاهدت وكافحت المفاهيم والأفكار والأعراف الجاهلية وأبرزت أصالة الفكر الإسلامي وميّزته عن الاتجاهات الفكرية المعاصرة , وفجّرت الطاقات الإسلامية الكامنة داخل الأمة , وطرحت الفكر الإسلامي في شكله المتميز الأصيل على أوسع صعيد اجتماعي وأعادت إلى العبادات الإسلامية محتواها وروحها الحقيقي , وحمّلت الجيل الصاعد من الشباب مواريث الأنبياء ومسؤولية الدعوة إلى الله تعالى ومسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأعادت إلى الأمة ثقتها برسالتها وقوتها , وتضاءلت أمامها قيمة الاستعمار ودوره , وأصبحت قضية حاكمية الإسلام في الحياة حقيقة حققتها الأمة في شطر من عالمنا الإسلامي .

واستشعر الحكم الجائر بخطورة الأمر ونهاية أمره أكثر من أي وقت آخر سيما بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران .

والحمد لله الذي وفقنا لإنجاز هذا الشوط من الطريق الشائك الصعب , وذلل لنا عقباته , ولولا فضله ورحمته وإمداده لم نكد نقطع بعض هذا الطريق .

ورحم الله شهداءنا الذين سبقونا بلقاء الله , وزرعوا في نفوسنا الإخلاص والعزم والإيمان ونسال الله تعالى أن يلحقنا بهم في طريق ذات الشوكة مع مواكب الصادقين (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

***

إسقاط هيبة الحاكم
هو الهدف المرحلي

لقد وجدت الحركة الإسلامية (حزب الدعوة) أنّ الواقع الذي وصلت إليه الساحة العراقية ينسجم مع التنظير الفكري للمرحلة السياسية ومستلزماتها وان أهم الأهداف في هذه المرحلة :

١- إسقاط هيبة الحاكم بكسر طوق الخوف عن الأمة وتجرّؤ الناس على مهاجمة الحاكم واتهامه وشجبه وجرحه ونقده والإجهار بمخالفته والتظاهر بذلك حتى تسقط هيبة الحاكم من أعين الناس .

فإذا سقطت هيبة الحاكم وتجرّأ الناس عليه فلن تستطيع بعد ذلك أجهزة القمع التي تحمي سلطان الطاغية أن تحميه.

بل ينعكس الأمر رأساً على عقب , فيتحول الخوف والرعب من الأمة إلى نفوس الجلاوزة الذين يحمون الطاغية والى نفس الطاغية فيسلب عنهم النوم والراحة والاستقرار , ولا يفارقهم القلق والاضطراب.

وفي هذه الحالة يكون الخوف والرعب في نفوس هؤلاء أشد وأقسى منه في نفس الأمة , لأنه من الخوف الحقيقي وليس وهماً كما كان الأمر في الحالة الأولى .

ونشاهد نحن نظير هذه الحالة في التاريخ , وفي حياتنا المعاصرة .

فقد كان طاغية إيران محمد رضا بهلوي يحمي نفسه وسلطانه بأجهزة أمنية وقمعية وبوليسية وجاسوسية فوق حدود التصور , وأقام دعائم سلطانه على هذه الأجهزة .

واستطاعت هذه الأجهزة أن تملأ نفوس الناس رعباً وخوفاً خلال أكثر من ربع قرن ... ثم رأينا كيف سقطت هيبته وسلطانه وتساقطت الحصون التي كان يتصور أنها تحميه من أمر الله , بعدما انكسر طوق الخوف عن الناس , ثم كيف انقلبت الآية وأنقلب الرعب إلى نفسه ونفوس جلاوزته وضاقت بهم الأرض بما رحبت .

٢- الإعلان عن فضائح الطاغية (صدام) وجلاوزته والكشف عن سرقاتهم وفضائحهم وإجرامهم وعمالتهم للأجانب وتورطهم في دماء المسلمين .

إنّ الطغاة يحاولون أن يستعملوا غطاءً إعلامياً زاهياً يخدع السذج من الناس , وتحت هذا القناع الاشتراكي الثوري الديمقراطي نجد وجوهاً بشعة مجرمة وأيدي ملطخة بدماء الأبرياء وخططاً ومؤامرات خبيثة , وأعمالاً شيطانية لئيمة , وإجراماً لا حدّ له .

ومهمة الدعاة في هذه المرحلة الكشف عن الوجه الحقيقي لهؤلاء العملاء من جند الشيطان وتعريتهم أمام الأمة وأمام العالم اجمع وإلقاء

الأقنعة (الإنسانية والثورية والدينية المزيفة) عن هذه الوجوه الممسوخة حتى تعرفهم الأمة ويعرفهم عامة الناس بحقيقتهم وواقعهم .

***

لقد انتقلت الحركة الإسلامية (حزب الدعوة) إلى المرحلة السياسية وكانت في كل خطواتها منسجمة مع الشهيد الصدر , الذي بدأ بعدة خطوات للإعداد لثورة إسلامية في العراق , كان أبرزها :

١- أفتى بحرمة الانتساب إلى حزب البعث والتعاون معه تحت أي عنوان , ولو كان انتماءً شكلياً .

٢- أفتى بحرمة دخول الطالبات إلى الجامعات بدون الالتزام الكامل بالحجاب الإسلامي .

٣- أصدر حكماً شرعياً بحرمة الصلاة خلف رجال النظام المتلبسين بزي علماء الدين .

٤- استنفر تلامذته وممثليه ووكلاءه , ووزعهم على مدن العراق , وفرّغ بعضهم للتنقل بين المناطق المختلفة .

***

إنّ هدف إسقاط هيبة الحاكم والإعلان عن فضائحه , مهمة المرحلة التي مرّت بها الدعوة المباركة .

وعلى الدعاة أن يبتكروا الأساليب والوسائل المناسبة لتحقيق ذلك الهدف السامي ,كما يجب عليهم أن يلتزموا دائماً بالحكمة والتعقل مستعينين بالله عزّ وجل .

والوسائل التي تحقق الهدف هي :

١- بعث روح البطولة والشجاعة والفداء في الأمة , وتربية الجيل الصاعد على الاستهانة بالحياة الدنيا في سبيل الله وإحياء ذكر الشهداء وسنة الشهادة في الإسلام والحديث عن دور الشهيد وقيمته وأثره في بناء التاريخ وقيمته عند الله تعالى .فقد حلت الحياة الدنيا للمسلمين في فترة الاسترخاء وطاب لهم متاع الحياة الدنيا , وعلينا أن نبعث في الأمة من جديد حالة التخلف من الدنيا ومتاعها , ونبعث فيها الشوق إلى لقاء الله والشهادة .

٢- نشر صور شهداء الدعوة الإسلامية في عصرنا وأسمائهم وتراجمهم والإشادة بذكرهم واتخاذهم قدوة وأسوة للآخرين

٣- إشاعة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى في المجالس العامة والخاصة في طلب النصر من الله تعالى , وإشاعة أدعية الفرج المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام , بعد صلوات الجماعة وفي المجالس الحسينية ومجالس الوعظ وفي المناسبات الاجتماعية العامة , وتوجيه المؤمنين إلى الإلحاح

في الدعاء والشكوى إلى الله مما تلاقيه هذه الأمة من ظلم وعذاب .

٤- إشاعة كتابة الشعارات على الجدران في الولاء للقيادة وشجب الظالمين ، وهي نافعة إلى حدٍ كبير في كسر طوق الخوف وتجرّئ الأمة على التصدي للظالمين .

٥- التشهير بالطاغوت والجلاوزة الذين يدافعون عنه في كل مناسبة بكتابة البيانات بخط اليد أو بالطابعة وتكثيرها وتوزيعها باليد أو إلصاقها على الجدران والأبواب أو إلقائها في الشوارع والطرقات أو إرسالها إلى الناس من خلال عناوينهم البريدية , ويمكن أن يتم كل ذلك على صعيد واسع وبصورة سرية للغاية لا تتمكن معها السلطة من الاهتداء إلى مصادرها .

٦- تشجيع التجمعات في المناسبات الإسلامية المختلفة وإعطاؤها صفة الاحتجاج والمعارضة السياسية واستثمارها في استنكار أعمال الطغمة الحاكمة وتوعية الأمة لما لهذه الاجتماعات من ثواب وفضل عند الله عز وجل .

وعلى سبيل المثال نذكر بعض التجمعات الإسلامية التي يجب التأكيد عليها :

أ- صلاة الجماعة اليومية

ب-إحياء صلاة العيدين وصلاة الجمعة .

ج- تقديم العزاء لذوي الشهداء وزيارة قبور الشهداء .

وفي هذه الاجتماعات ينبغي :

أ- إعطاء الاجتماع صفة تحدي السلطة والمعارضة السياسية .

ب- توعية الناس بالجانب العبادي في هذه الاجتماعات .

ج- دعوة الناس إليها على صعيد واسع بالمشافهة والملصقات الجدارية والإعلانات .

ء- الإصرار على إقامة هذه التجمعات وتحدي قرارات السلطة بتحديد ومنع إقامتها .

٧- إرعاب الطغمة الحاكمة والجلاوزة الذين ينفذون أوامرها بمختلف الوسائل التي تنشر الرعب والخوف في قلوبهم .

٨- حماية عوائل الشهداء والمسجونين والمهاجرين والمختفين والعوائل المتمزقة وإمدادها بالمال وحفظها من الضياع .

إنّ الداعية حينما يقاد إلى السجن أو يهاجر أو يقدم للشهادة لا يفكر في نفسه , فقد أعدّ نفسه من قبل , لمثل هذا اليوم العسير ووضع أقدامه على هذا الطريق الشائك الصعب ولكن أمور عائلته تشغل باله واهتمامه .

فالفقر وفقدان رعاية الزوج والأب يعرّض العائلة لكثير من المشاكل وللضياع والانحراف أحياناً .

ولذلك على الدعاة وعلى كافة المؤمنين أن يقتطعوا كل كماليات معيشتهم ويوفروا ذلك لعوائل المؤمنين الشهداء والمسجونين والمهاجرين والمختفين والضائعين ويمنحوهم من رعايتهم وعواطفهم الشيء الكثير حتى لا يشعروا بحرمان أو ضياع أو فقدان للرعاية .

وينبغي أن يعم هذا الشعور كافة المؤمنين من داخل الحزب وخارجه , وتعم الرعاية كافة عوائل المؤمنين سواء منهم عوائل الدعاة أو غيرهم من المؤمنين .

***

الوسائل التي تحقق الهدف
من خارج العراق

إنّ الساحة الحقيقية للجهاد هي في داخل العراق حيث يواجه الناس طغيان البعث وشراسته بصدورهم ونحورهم ودمائهم وأبنائهم وهم الذين يسقطون النظام الكافر , ولكن ذلك لا يعني الانتقاص من قيمة العمل في الخارج .

وكان دور المؤمنين في الخارج هو دعم إخوانهم المجاهدين في الداخل وإسناد قضيتهم وحملها إلى العالم الإسلامي وتوعية الرأي العام الإسلامي لما يجري في العراق وإفشال مخططات البعث في الإعلام الخارجي وكشف الأقنعة عن وجوههم .

وفيما يلي بعض النقاط التي يمكن الانطلاق منها في عملنا خارج العراق :

١- توعية الرأي العام الإسلامي والعالمي بما يجري داخل الساحة العراقية , وما يقوم به حزب البعث من ظلم واضطهاد للشعب المسلم الممتحن وذلك :

أ- نشر البيانات وتوزيعها على أوسع صعيد ممكن من المؤسسات والشخصيات داخل العالم الإسلامي وخارجه .

ب- إصدار النشرات الدورية وتوزيعها بصورة متوازنة في مختلف البلاد وفي داخل العالم الإسلامي وخارجه , ولا بد ان تحتوي على أرقام دقيقة عن أحداث العراق .

ج- حث الشخصيات الإسلامية والعالمية للعمل بكل ما استطاعوا لإيقاف النزيف الدموي داخل العراق .

ء- خروج المظاهرات في مناسبات مختلفة وفي البلاد المختلفة داخل العالم الإسلامي وخارجه .

هـ - الاتصال مع وكالات الأنباء وإيصال أخبار العراق إليها أولاً بأول بصورة دقيقة .

و- المشاركة في المؤتمرات لبيان ظلامة صوت الشعب العراقي المسلم المضطهد والانتهاكات الواسعة لحقوق الإنسان .

ز- إصدار مجلات إسلامية سياسية تتولى شرح القضية العراقية بأبعادها المختلفة .

ح- إنشاء محطة إرسال لشرح القضية العراقية وتوعية الأمة بما يجري في داخل الساحة .

ط- مقابلة الشخصيات الإسلامية من علماء وسياسيين ووجهاء في مختلف أطراف العالم الإسلامي وطرح قضية الشعب العراقي المسلم عليهم ومطالبتهم بالقيام بمسؤولياتهم الشرعية تجاه محنة الإسلام في العراق .

ي- استثمار المنبر الحسيني في إيران وباكستان والهند ولبنان وسورية والأقطار الإسلامية الأخرى لشرح قضية الإسلام في العراق .

ك- تكوين صلات مع المنظمات الدولية كمنظمة حقوق الإنسان لإطلاعها على ما يجري في العراق .

٢- رصد أخبار العراق بصورة دقيقة ومستمرة لإطلاع الأمة ووكالات الأنباء بصورة دائمة على ما يجري في العراق .

٣- التصدي لأجهزة الإعلام البعثية وإفشال أعمالهم التضليلية.

٤- إرعاب البعثيين في الخارج من خلال كشف الأعمال التجسسية والإجرامية ومخططاتهم للنيل من العراقيين المعارضين للنظام .

***

إنّ الدعاة في المرحلة السياسية الحساسة والدقيقة والمصيرية من حياة الأمة , عليهم أن يعيشوا بكل وجودهم محنة الإسلام في العراق ويواصلوا العمل من دون ملل لإسقاط النظام الكافر .

والدعاة عليهم أن لا يمهلوا العدو , فالعدو يشعر بضخامة القوة التي تهدد وجوده , ويعلم انه على شفا حفرة من الهلاك , وسوف يقسو علينا بكل ما تحمل القسوة من معنى , وأي تفريط في العمل يمكن أن يضاعف الخسائر ــ لا سمح الله ــ وعليه يجب أن يستمر العمل من

كل ناحية , ولا نعطي العدو مهلة للتفكير , ولا بدّ أنْ نوالي عليه الضربات والخسائر من الداخل والخارج , ونبتكر كل يوم أسلوباً جديداً في ضرب العدو , وفي كل خطوة من خطوات العمل نستشعر معيّة الله تعالى وإمداده لنا ونستعين به عز وجل .

وفي هذه المرحلة (السياسية) تتعرض الدعوة الإسلامية لمضايقات كثيرة وتعامل شرس من قبل الطغمة الحاكمة , وسوف تقدم على أعمال متناهية في الشراسة.

فالحكومات كلما تكون أقرب إلى الاستقرار والقوة يكون تعاملها مع معارضيها السياسيين أقرب إلى المرونة وكلما تكون أبعد من الاستقرار والقوة وأقرب إلى الخطر يكون تعاملها أكثر خشونة وشراسة.

ولذلك فلا بدّ من رعاية هذه الملاحظات :

١- فلا نكشف عن هويتنا الحزبية سواء في الداخل أو في الخارج إلاّ بالقدر الذي تتطلبه ضرورة العمل . والحزب يكشف عن اسمه واتجاهه الفكري والسياسي ولا يجوز أن يكشف عن تنظيمه وأفراده , ولا يجوز للأفراد أن يتسامحوا في هذه القضية الحياتية .

٢- يجب أن تقترن تحركاتنا السياسية بهدوء واضح وضبط للأعصاب , فلا يطلع على فعالياتنا السياسية احد ممن لا حاجة في معرفته . وعلينا أن نخفي أعمالنا وكل المستندات

والأوراق والنشرات المتعلقة بالعمل عن كل احد , حتى عن أفراد أسرتنا وأقرب الناس إلينا.

٣- الأحياء الشعبية المكتضة لا تصلح لحالات الاختفاء , فالناس في هذه الأحياء يتطفلون عادة على كل شيء ويتدخلون فيما لا يعنيهم , والأحياء المترفة أو المتوسطة أصلح للاختفـــاء من غيرها .

٤- مكاتب الدعوة في الخارج معرضة للعدوان من قبل الأمـــن والسفارات العراقية .

فينبغي اخذ كافة الاحتياطات لضمان أمـــن هـــذه المكاتـــب وإخفائها أو تغطيتها بغطاء يخفي واقعها الحركـــي , كمـــا ينبغي أن لا يعطي الإخوة العاملون في الخارج عنـــاوينهم حتى للأصدقاء .

٥- فرز الخطوط التنفيذية عن خطوط التخطيط والقياديين فرزاً كاملاً , فمعظم الاعتقالات في القياديين والخطوط التي تعنى بالتخطيط تتم من ناحية الخطوط التنفيذية .

٦- يجب أن نوفر لأنفسنا الحماية من داخل الأمة , إننا من هذه الأمة وفي خدمة قضيتها الكبرى (الإسلام) نـــدافع عنهـــا ونتجرّد عن كل مصالحنا من أجل حمايتها وحماية رسالتها

وعقيدتها ومن أجل إقامة حدود الله تعالى وأحكامه فيها ومن أجل سعادتها في الدنيا والآخرة .

ومن الطبيعي أن تخدمنا الأمة في قضيتنا ورسالتنا وتدافع عنا وتحمينا .

ونحن في هذه الفترة لن نستغني عن حماية الأمة وتبنيها لنا واحتضانها لحزبنا وأفرادنا ومؤسساتنا , ولن تنجح حركتنا إلا عندما تعطينا الأمة ثقتها ونمنحها ثقتنا , وعند ذلك نستطيع ان ننطلق من قاعدة مُحكمة متينة , وبدونها نضع أقدامنا على أرض رخوة هشّة.

فإذا كسبنا ثقة الأمة فسوف تحمينا وتحمي تنظيمنا , وتحمي عوائلنا من التشرد والضياع , وتلبّي مطالبنا كلما اقتضت مصلحة العمل أمراً من الإضراب عن العمل أو الخروج للمظاهرات أو إغلاق المحلات أو غير ذلك , ويوفر لنا ذلك عنصراً من عناصر الحماية والأمن لا يمكن توفره بغير ذلك .

***

ولعل اكبر تحدٍ قام به حزب الدعوة ضد الطغمة الحاكمة في العراق هو المظاهرات الصاخبة التي كانت تعم العراق .

ووفود البيعة التي كانت ــ في واقعها ــ تعبيراً عن سخط الجماهير على الحاكم وتأييداً للسيد الصدر كزعيم من الممكن ان يقود الأمة في ثورة عارمة كالتي حدثت في إيران , وقد أتينا على ذلك سابقاً

يضاف إلى ما سبق , الأعمال الجهادية التي دوخت السلطة ويشهد على ذلك البيانات الصادرة من السلطة التي سوف نذكرها في موقعها إن شاء الله .

إنّ دعاتنا الميامين كانوا يتحلون بانضباط عالٍ والتزام لتعاليم الحزب , وحيث إنهم مؤمنون فإنهم كانوا يحسبون كل حركة منهم ويقيسونها بمقياس الإسلام والمرحلة .

ففي المرحلة السياسية التي تدرّجنا فيها وانتقلنا إليها بصورة رسمية عام ١٩٧٩ , كانت حالة التدين ظاهرة بارزة يتحلّى بها الدعاة وغيرهم ممن تأثر بالدعاة , وعلى رغم المضايقات الشديدة التي كانوا يتعرضون لها , فإنهم كانوا يملأون المساجد والمراقد المقدسة في الصلاة والزيارة .

وعلاقات الناس فيما بينهم وتعاملهم أصبح تعاملاً إسلاميا ينبع من فلسفة تحكيم الإسلام وتطبيقه .

وظاهرة الحجاب أصبحت ظاهرة متميزة , والدولة وان كانت لا تمنع الحجاب , ولكنها في تصرفاتها كانت تشجع على خلاف ذلك .

وحتى التجمعات التي يعقدها الجاهلون , في الأعراس والمناسبات المماثلة التي كانت تعقد للأغاني والأمور الأخرى , أصبح الناس يستنكرونها.

وبدأ الناس يدركون ضرورة الالتزام بإخراج الحقوق الشرعية من فائض أموالهم , التاجر والموظف والعامل , الرجل والمرأة

ويبحثون عن مستحقيها من عوائل الشهداء والمسجونين , يوصلونها إليهم بكل سرية , فان الدولة كانت تطبق عقوبة الإعدام على من يقدم المساعدات لأولئك بتهمة إنهم يموّلون الحركات المعارضة .

وكان يردنا من هذه الحقوق الشيء الكثير , للعمل الإسلامي بصورة عامة ولأولئك المحتاجين , وعلى رأس أولئك المتبرعين كان الشهيد السيد محمد باقر الصدر , فقد كانت تبرعاته تكاد لا تنقطع .

والهجرة التي حصلت من العراق إلى بقاع العالم بسبب الاضطهاد والملاحقات , على رغم مرارتها فإنها كانت مفتاح خير على الإسلام والعراق وعلى المهاجر نفسه .

فالمهاجر تخلص من السجون والتعذيب والإعدام , هو وعائلته ومن يتعلق به لحد الدرجة الرابعة .

إضافة إلى أن المهاجر استطاع أن يتفرغ ـ في بلاد الهجرة ـ لتثقيف نفسه وإكمال دراسته , لأنه كان ممنوعاً من ذلك داخل العراق .

فالدراسة والبعثة الدراسية كانت مخصصة للبعثيين , واستطاع المهاجر أن يبعث إلى بقايا عائلته في العراق المساعدات المالية المستمرة .

واستطاع أولئك أيضا أن يؤثروا على كثير من الأجانب فيصبحوا مسلمين .

***

ودعاتنا الميامين بالذات استطاعوا أن ينقلوا إلى هناك الصورة الحقيقية عما يجري في العراق من مآسٍ وويلات ينـدى لها جبين الإنسانية .

وكان الحزب يصدر هناك المنشورات والبيانات ويقيم الاحتفالات والندوات والمهرجانات والمظاهرات والاعتصامات , حتى غدت السفارات العراقية تخشى من وجود الدعوة التي كانت تملأ الدنيا ابتداءً من أقصى منطقة في الشرق (نيوزيلندة) إلى أقصى بلاد الغرب في كندا , ومن أقصى شمال الكرة الأرضية في فنلندة إلى أستراليا .

فقد ملأوا العالم كله , وجوداً ونشرات وبيانات ومظاهرات واعتصامات ومؤتمرات عالمية يدعى إليها العراقيون جميعاً وكذلك الحركات والمؤسسات الأجنبية الأخرى .

وفي أحاديث التلفزة والإذاعة وإصدار الكتب التي تفضح جرائم صدام والسلطة الظالمة .

وسوف نتعرض لذلك بالتفصيل في موقع آخر إن شاء الله تعالى.

***

وكلما كانت تشتد الأزمة الخانقة على الدعاة , كانوا يزدادون مقاومة وانتشاراً وفضحاً للنظام الجائر .

وشاء الله أن تنطلق الثورة الإسلامية العملاقة في إيران ــ في تلك الأيام ــ بقيادة قائدها الإمام الخميني في الوقت الذي كانت الدعوة الإسلامية قد بدأت تجتاز المرحلة التغييرية ــ مرحلة البناء والتكوين ــ

وتتقدم نحو مرحلة الصراع السياسي ... فكان هذا التزامن له أبلغ الأثر في تحريك الجو السياسي وضرب أسوار الإرهاب والدكتاتورية المتمثلة في حكومة البعث الصليبي الحاقد .

وقد أحست دوائر الاستكبار العالمي أن وضعاً جديداً قد نشأ في المنطقة , وأن عميلها العجوز أحمد حسن البكر لم يعد قادراً على تنفيذ المخطط الدموي الرهيب الذي أعد في دوائر الاستخبارات الدولية ... بالإضافة إلى الصراع بين الخطين المتنازعين ... خط احمد حسن البكر وخط صدام حسين , فاعتمدت المخابرات الأجنبية على شخصية صدام حسين الذي عرف بالتسكع بالشوارع وأعمال الشقاوات والإجرام فسلمت السلطة إلى صدام حسين .

إنّ حزب الدعوة الإسلامية وان كان يسمى حزب (النخبة) لأن أعضاءه نخبة عركتهم الأحداث وتثقفوا ثقافة إسلامية عالية ولكن الحزب في الواقع هو للأمة , كل الأمة في العراق وفي كل مكان حيث يوجد الإنسان المسلم .

يعمل في وسط الأمة ليرتقي بها إلى مستوى الشعور بمسؤوليتها تجاه الإسلام الذي ينهشه كل الذين يخشون من قوة الإسلام ويطمعون في خيرات بلاد المسلمين ومياهه ومضائقه .

ويوم انتقل الحزب إلى المرحلة السياسية فانه يعتبر نفسه قد نجح في قطعه شوطاً كان مليئاً بالأشواك .

***

حزب الدعوة الإسلامية يوجه خطاباً للأمة بمناسبة الانتقال إلى المرحلة السياسية , كان نصه كما يلي :

حديث الدعوة إلى جميع الناس في الإقليم العراقي

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الدعاة الميامين :

ونحن في رحاب المرحلة السياسية , وقد بدأنا نخوض الصراع السياسي مع عملاء الاستعمار وأسيادهم , لا بدّ أن نخاطب الأمة من الشعب العراقي بجميع فئاته , وندعوهم إلى العمل معنا لتقويض الحكم الظالم العميل , ونطرح أمامهم منهاج عملنا , ليكون منهاجاً سياسياً مرحلياً يلتقي معنا المناهضون للسلطة على جميع نقاطه أو بعضها .

وهذا الحديث نداء عام أعدّته الدعوة , وهي تطلب منكم أن تقرأوه باهتمام وتقدموا ما لديكم من إضافات وملاحظات حتى تكتمل صيغته , وتنشره الدعوة على الأمة بالطريقة المناسبة والله ولي التوفيق.

(والعصر إنّ الإنسانَ لفي خُسر إلا الذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

أيها الاخوة المؤمنون

أيها الدعاة إلى الله

يا أمتنا الإسلامية : عرباً وأكراداً وتركماناً وأعراقاً أخرى

أيها المنتظمون في الأحزاب السياسية والنقابات والمنظمات

يا أهل الكتاب من نصارى العراق : عرباً وكلدانيين وآشوريين وأرمن وأقليات أخرى .

أيها العراقيون جميعاً

نحدثكم جميعاً باسم الدعوة الإسلامية

حديث الإيمان والحب والإخلاص

حديث الرعاية والسياسة

إنّ الحياة السياسية في العراق , هبطت إلى درجة لا تصدق فقد أشاع المتحكمون الإرهاب إلى أن أوصلوه إلى جميع الأوساط , وأصبح الإنسان لا يأمن , ولا يجد الاستقرار النفسي ,سواء أكان قريباً من السلطة أم بعيداً عنها , وسواء أكان في الوظيفة الحكومية أم في العمل الحر , وسواء أكان طالباً أو متخرجاً , وسواء أكان يريد العمل في السياسة أو يبتعد عنها , وسواء أكان رجلاً أو امرأة .

ولأول مرة في العراق يسري الإرهاب بنطاق واسع ليصل إلى العائلات في بيوتها , ويصل إلى النساء المصونات والأطفال الأبرياء لتتوسع أجهزة القمع البوليسية في انتهاك حرمات النساء الطاهرات لقهر وسحق الرجال .

ولم يصل أي بلد في العالم إلى ما وصل إليه هؤلاء الأشرار

الذين يتحكمون بمصائر الناس في العراق إلا في واحد أو اثنين من البلاد في العالم , كما حدث في غينيا ـ بيساو وكما حدث في نيكاراغوا ولذلك فلا بدّ أن يتداول العراقيون في أمورهم ويتناصحوا وأن يحدّث بعضهم بعضاً .

نحن نبتدئ الحوار ونقدم نداءً عاماً , وسيكون حديثنا إليكم حديثاً ذا شجون ... فيه الحزن والألم والهموم وفيه الأمل والعمل .

فيه مبادئ أولية عملية يمكن أن يتفق أكثر العراقيين عليها في هذه المرحلة من حياة أمتنا .

نحدثكم حديثاً مفعماً بالحزن , نشارك فيه أحزان أرامل وأيتام وأهل وأصدقاء الذين ذهبوا ضحية الظلم والاضطهاد والطغيان والوحشية ـ وما أكثرهم ـ الحزن على الذين ذهبوا ويذهبون ضحية التعذيب الوحشي في أقبية الاستخبارات والأمن والمخابرات والأجهزة الإرهابية الخاصة بدون محاكمة ولا تهمة معلنة .

الحزن على الذين ذهبوا ويذهبون ضحية الغدر والاغتيال في الشوارع في رابعة النهار .

والحزن على الذين أتاهم ويأتيهم رصاص الغدر وهم آمنون في بيوتهم .

الحزن على الذين أعدموا ويعدمون نتيجة لأحكام جائرة في محاكم ظالمة , يحكم فيها أشباه الرجال الذين يؤمرون فيطيعون بذلة ما

بعدها ذلة وبضمير ميت لا حياة فيه , يحكمون على كرام الناس بـتهم باطلة وملفقة .

الحزن على الذين يصلون إلى الموت في كل يوم أكثر من مرة تحت أيدي المتفننين بالتعذيب المتلذذين بمنظر آلام الناس .

إنّ الطغمة الشريرة الحاكمة في العراق تذكرنا بأصحاب الأخدود:

(قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود* وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد *) .

حديثنا إليكم مفعم بالألم , لما آلت أليه أوضاعنا الحضارية حيث تعيش أمتنا على هامش الحياة وهي سادرة منساقة وراء السراب الحضاري الخادع .

يعتلي منابرنا الإعلامية العملاء التكريتيون المنبهرون ببريق المظاهر الفكرية والمادية .

والراكضون وراءها ولا يصلون إلا إلى السهل الساقط الذي لا يحتاج الوصول إليه إلى جهد وعمل .

ويتسلط علينا العملاء السياسيون , يلعبون بمصائرنا ويهدرون حقوق الإنسان الممتنع عن الانسياق مع قطيع المنساقين , بل يهدرون كرامته وحياته لأتفه الأسباب , ويبددون أموالنا بأتفه الطرق وأحطها .

ويلعب ساسة الدول الكبرى ببلادنا ويقسمونها ويستولون على

خيراتنا , ويسلطون علينا من لا يرحمنا من اليهود والعملاء .

وإنّ عذاب الإنسان في فلسطين والسافاك ومخابرات الحكام في البلاد العربية أوضح شاهد على ما يقوم به المستعمرون في بلادنا على أيدي حلفائهم اليهود وأتباعهم الحكام .

وأصبح الكثير من أبناء امتنا ينساق وراء العمـلاء الفكـريين والعملاء السياسيين ويقلد حياة المستعمرين تقليد القردة دون تفكير .

ويركض وراء السلع والطراز والإعلان ركض الـضائع فـي صحراء الحياة .

حديثنا إليكم حديث مفعم بالهم لما آلت إليه أحوال الأمة وحديث الهموم يتطاول ويتسع ليغطي سـاحة الحيـاة الـسياسية والاقتـصادية والاجتماعية , ولا بدّ من الاقتصار على نقاط محدودة حتى لا يتـشعب الحديث .

لقد تفرقت أمتنا وتمزقت وتوغلت في ذلك أكثر مما يطمح إليـه المستعمر الكافر , والفرقة بين فئات الأمة واضحة , والفجـوة بيـنهم واسعة , والسلطات تعمل حسب الخطط التـي وضـعها المـستعمرون الخطط التي تعتمد على فكرة (فرّق تسد) .

لقد أهدرت ثرواتنا العامة , فأخذ المـستعمرون حـصة الأسـد وسرق الحكام بعضها وبذّروها ــ بلا حياء ــ للمتملقين والأنصار

يعطي النظام لمجلة واحدة مليوني دينار ...

هل من سفه أكثر من ذلك؟[1].

تكلف أجهزة التبريد للقيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي : مليون ونصف المليون من الدينار (ونرجو الانتباه إلى "صفة الاشتراكي") . ويعيش المتسلطون في مجموعة قصور فيها من الترف ما يعتبر ترفاً خرافياً نسبة إلى ما يعيش الناس فيه في العراق .

والمصانع ــ نتيجة سوء التدبير ــ تتحول بالإدارة الفاسدة إلى حديد صدئ , والمردود الاقتصادي سلبي دائماً , وتتكلف خزانة الدولة بذلك الكثير الكثير .

والأرض الزراعية تستغل نصف استغلال .

والإنتاج عليه مظاهر الانحطاط .

والسلع والمواد الاستهلاكية تتلاعب بها الدولة لإلهاء الناس .

أصبحنا نعيش في خدعة كبيرة , وكذبة واسعة , فيما تعطينا الدولة من إعلام كاذب ومفسد للذوق والكرامة .

فلا صوت إلا للانتهازيين وضعاف النفوس ومن لا كرامة لهم ولا نسمع كلمة حق ولا توجيه جاد وسليم .

إن الفساد والإفساد الخلقي وإشاعة الفاحشة ونشر الميوعة والتربية الفاسدة للكبار والصغار والنساء والرجال , أمر أصبح كالإعلام نراه ونسمعه ليل نهار .

وحديثنا إليكم مفعم بالأمل كذلك

١- عندما كان الدينار العراقي يساوي٣,٢٧ دولار .

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) .

(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) .

إنّ أملنا بالله كبير بأن يفرغ علينا صبراً ويثبت أقدامنا وينصرنا على القوم الكافرين .

أملنا بالله كبير بأن ينصرنا في عملنا

أملنا كبير في يقظة امتنا وإحساسها بالظلم والثأر للكرامة التي يهدرها المتحكمون وحديثنا إليكم حديث العمل المثمر .

نعمل لحفظ حقوق الإنسان وكرامته وحياته وفق الأطر التي حددها الله تعالى في شريعته , ونعمل لتنمية اقتصادية زراعية وصناعية متقدمة .

ونعمل للحصول على التعليم والعلاج والعمل الشريف .

ونعمل لإيقاف الرشاوى والسرقات وعرقلة الأعمال وإيقاف الأعمال الطفيلية واحتكار المناصب الهامة .

ونعمل لوحدة الكلمة وعدم التفريق وتكافؤ الفرص للجميع .

أيها العراقيون : وقبل التوغل بالتفصيل , نعرّف أنفسنا بوضوح وإيجاز لإزاحة الغشاوة عن عيون الذين سمعوا الإشاعات الكاذبة أو

أخذوا صورة مشوهة عن العمل الإسلامي نتيجة لتربية الاستعمار ونعطي معلومات صحيحة للذين لم يعرفوا دعوتنا من أبناء الأمة .

إنّ دعوتنا الإسلامية : دعوة إلى الله ... إلى إتباع كتاب الله عز وجل ... والسنة الشريفة , وإعطاء العقل الإنساني الذي هو أعظم هبة من الله لمخلوقاته مجاله الأوسع كما بينه الله في كتابه .

ندعو لنبذ الفرقة المذهبية والعنصرية وكل ما يتصل بالتعصب الذميم في جميع المجالات ومع جميع الناس .

ندعو للعمل الجاد والتعاون المثمر والحياة الفاضلة .

نحارب الظلم والجور , وندعو إلى العدل والإنصاف .

نكافح الفقر والجهل والمرض , وندعو إلى بيت المال الذي يسدّد حاجة المحتاجين من مأكل وملبس ومسكن وعلاج محققاً بذلك التكافل والتوازن الاجتماعيين .

لقد سارت دعوتنا المباركة هذه في طريق ذات الشوكة بتحرك إسلامي شعبي مرحلي جاد , وقد لاقت العنت منذ نشأتها الأولى فلأنها تتحرك في محيط راكد أحسّ بها المعارضون ولأنها تعمل لمكافحة الوجود الاستعماري من جذوره حاربها العملاء , ولأن الحكم البوليسي والفردي يسود العراق فانه خنق كل صوت وحركة .

وتحرك العملاء ... وكان البيان الأول في ١٧ تموز عام ١٩٦٨ ومحاولات النظام لاحتواء العمل الإسلامي , فلم يتمكنوا من ذلك.

وحاولت الأجهزة خنق العمل الإسلامي بالاضطهاد والتشريد وبالاعتقال والتعذيب والقتل .

حاول المستعمرون تفتيت الحوزة العلمية في النجف الأشرف وقاموا بحملة بشعة لإخراج المسلمين بتهمة أنّ لهم أصلاً إيرانياً , وقد استفاد من هذه الحملة شاه إيران لتغطية مساوئه البشعة .

وقام العملاء بمضايقة المرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم رحمه الله , وواصل الحكم البوليسي أعماله البربرية لتصفية الحوزة العلمية بعد وفاة آية الله السيد الحكيم , وبلغت هذه الأحكام أحطّ درجاتها من الوحشية والوقاحة والدناءة باعتقال آية الله العظمى المرجع الإسلامي الكبير السيد محمد باقر الصدر وعدد كبير من علماء الأمة المخلصين .

اغتالت الأجهزة العميلة أبا عصام (صاحب دخيل) بالتعذيب الوحشي , والشهيد السعيد رجل مؤمن عامل لم يكل ولم يمل من العمل , مناظر لبق ومنظّر وقائد حزبي فذ .

وأعدمت السلطة العميلة الشيخ عارف البصري العالم العامل الحزبي التقي الصابر والمخطط النبيه والمتواضع الصادق والصلب السائر على طريق ذات الشوكة بإصرار ومعه السيدان حسين جلوخان ونوري طعمة معاونا الشهيد أبي عصام في نشاطاته والسيد عز الدين القبانچي والسيد عماد التبريزي اللذان مزجا النشاط الدراسي بالنشاط

العملي واستقاما برفعة وشموخ في الجهاد دون وجل ولا تردد في بيئة تحصى فيها خطوات المتحرك .

وأعدمت السلطات العميلة مجموعة طاهرة من الشباب النجفي : الطالقاني والإيرواني وأبو كَلل ورفاقهم , كما حصدت رشاشات الجيش والشرطة عشرات من الشباب اليافع الغضّ والرجال والنساء , وضمت المعتقلات المئات منهم , وذلك في انتفاضة أربعين الإمام الحسين عليه السلام سنة ١٣٩٧هـ الموافقة سنة ١٩٧٧م .

وقتلت السلطات العميلة بتعذيب لا يوصف عبد الأمير مشكور من أبطال العمل الجامعي في العراق بعد ثلاث ساعات من اعتقاله بعد انتفاضة رجب ١٣٩٩ حزيران عام ١٩٧٩. وحكمت بالإعدام على مجموعة كبيرة من العلماء المجاهدين من جميع أنحاء العراق وأعدمت أكثر من ٥٠٠ رجل من خيرة رجال العراق , منهم :

العالم الكبير السيد قاسم شبّر الذي ناهز التسعين .

والعلامة الشيخ مهدي السماوي عالم منطقة السماوة

والعلامة السيد قاسم المبرقع من علماء بغداد في منطقة الثورة الرجل الذي عذبوه وهو في الثمانين .

والعلامة الشيخ عبد الجبار البصري من علماء بغداد في منطقة السلام .

والعلامة الشيخ محمد علي الجابري من علماء الناصرية في منطقة الفهود .

والعلامة السيد عباس الشوكي من علماء بغداد في منطقة الثورة

والعلامة الشيخ خزعل السوداني من علماء بغداد في منطقة الكريعات .

والعلامة السيد عبد الجبار الموسوي إمام وخطيب مسجد كميل في النجف الأشرف .

والمهندس المؤمن السيد علاء الشهرستاني من أبناء كربلاء .

والرجل الغيور السيد عمران من أهالي السماوة .

وبقية الشهداء

واعتقلت عشرات الآلاف من الشباب , وشملت الاعتقالات حتى النساء ونفذت حكم الإعدام في بطلتين كريمتين من (مدينة الثورة) وتبع ذلك إعدام مجموعات مجاهدة أخرى , كان منها مجموعة من الشباب الجامعي والمتخرج , وكلهم في معنويات عالية من الإيمان والعمل ومنهم :

١- عبد الأمير صادق

٢- كاظم عبد الله

٣- السيد فالح الحلو

٤- احمد عبد الزهرة

٥- محمد غضبان العسكري

٦- صباح حبيب الشوكي

٧- أزهر الطيار

٨- حسين عاجل

٩- عبد السادة عبد الله

وهذا غيض من فيض

إنّ هذا الطريق قد اختاره الدعاة اختياراً قربةً إلى الله تعالى قدموا فيه الضحايا وهم في مرحلتهم العملية الأولى , فقد قتل العملاء أبطال الدعوة للقضاء على التحرك الإسلامي الذي يخيف المستعمرين وأذنابهم , وأرادوا شيئاً وأراد الله شيئاً آخر , فازدهر العمل الإسلامي بضياء نور الشهداء , وتعاظم تصميم الدعاة على العمل في سبيل الله .

وها هي الدعوة الإسلامية تتقدم خطوات إلى الأمام , وتدخل حلبة الصراع السياسي في ظرف يصعب أن يكون له مثيل .

ومن اجل وحدة الكلمة في هذا الظرف البالغ الخطورة الذي يعيشه إقليمنا العراقي , نخاطب كل المجموعات البشرية والسياسية في العراق , ونقدم نقاطاً يمكن أن يكون كثير منها نقاط التقاء بيننا وبين المجموعات السياسية للعمل جميعاً في الصراع مع عملاء الاستعمار المتحكمين في رقاب الناس .

***

أيها الدعاة إلى الله :

حديثنا معكم حديث الله للمؤمنين , فاسمعوا لعلكم ترحمون (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرح فقد

مسّ القوم قرح مثله * وتلك الأيام نداولها بين الناس * وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) .

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون * وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين * وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً * ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسيجزي الله الشاكرين) .

(وكأيٍّ من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) .

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين * بل الله مولاكم وهو خير الناصرين * سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً * ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) .

أيها العاملون في سبيل الله يا علماء المسلمين :

في النجف والرمادي وكربلاء والموصل والاعظمية وباب الشيخ ومدينة الثورة والكرخ والرصافة والبصرة والناصرية وسوق الشيوخ وسامراء وكركوك واربيل والسليمانية والديوانية والسماوة وتكريت وكبيس وهيت والفلوجة وخانقين والنعمانية والكوت والعمارة وبعقوبة والخالص ... وجميع مدن العراق .

أيها المسلمون : المنتظمون في مختلف الأحزاب والتنظيمات : (الإخوان المسلمون) (التحريريون) و (الشباب المسلم) و (الحركة الإسلامية) و (شباب محمد) و (الشبان المسلمون) و (أنصار السنة) :

يا كل العاملين في سبيل الله :

(يا أيها الذين آمنوا : اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون) .

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) .

إنّ الصراع السياسي والفكري مع عملاء الاستعمار احد مهمات العاملين في سبيل الله بل هو من أفضل العبادات :

(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) .

وان التعاون في هذا السبيل بين المسلمين هو طاعة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم :

(وتعاونوا على البر والتقوى)

لا مجال إذن للوقوف موقف المتفرج في ساحة الصراع

(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده , فإن لم يستطع فبلسانه ,فإن لم يستطع فبقلبه , وذلك اضعف الإيمان) .

سيلجأ المستعمرون واذنابهم لتفريق المسلمين بإثارة الخلافات المذهبية والعصبيات العرقية , فكونوا على حذر من هذه اللعبة الاستعمارية الخبيثة التي يلجأ إليها المستعمرون بقاعدة (فرق تسد) .

فلا ينخدع احد بألاعيب الاستعمار الكافر .

وسيحاول العملاء أن لا تسري النقمة الشعبية إلى جميع المدن والقصبات , وعلينا أن نتحد ونعمل سوية لتوسيع رقعة الصراع بيننا وبين العملاء المتسلطين , وعلى جميع المسلمين أن يخططوا للدخول في حلبة الصراع , فإن الله لا يرضى من المسلمين أن يتقاعسوا عن نصرة دينه :

(يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * إنّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) .

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) .

***

أيتها الحركات والفصائل القائمة على أساس القومية والوطنية من عرب وأكراد وتركمان وأقليات أخرى :

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

أيها الاخوة العراقيون :

نناديكم بالصدق الإسلامي البسيط وبالإخلاص الكامل لله تعالى وبالالتزام بمصلحة الإقليم العراقي وساكنيه .

نخاطبكم من موقع النضال ضد الحكم البعثي والتحكم الفردي .

من موقع النضال ضد الدكتاتورية والغرور والصلف .

من موقع النضال ضد الاستعمار والتبعية والارتباطات المشبوهة

نخاطبكم ونحن ملتزمون بمبدأنا الإسلامي , منه نستمد أفكارنا وعلى أسسه نعمل , ومن منطلقاته ننطلق , وعلى أصوله نهتدي وبقواعده نلتزم وبميزانه نزن الأمور .

نقول لكم بصراحة : إننا نستنبط من واقع الحياة السياسية إنكم انطلقتم في العمل السياسي من منطلق التحسس بآلام الأمة والعمل ضد الاستعمار الرابض بكلكله على صدر أمتنا , إن جذوركم الإسلامية هي التي دفعتكم إلى هذا المعترك في الأعم الأغلب من أفراد تنظيماتكم .

وإن المنضوين تحت لواء مختلف الأحزاب , دخلوا هذه الأحزاب للتخلص من الأوضاع السياسية برفع اللواء ضد الآلام التي تعيشها الأمة , فالتجأتم بعفوية إلى ما تعتقدون إنه يؤدي إلى ضرب مصالح الاستعمار ... ولذا فإننا نعتقد إن مقاصدكم أساساً هي مقاصد إنسانية نبيلة ذات جذور إسلامية فطرية صافية , وإننا نعتمد على النقاء الفطري الذي يتصف به أبناء أمتنا ونثق بأنكم ستجيبون نداءنا هذا الذي ندعوكم فيه للالتقاء في ساحة الصراع السياسي مع عملاء الاستعمار الحكام الظالمين في عراقنا الحبيب .

***

أيها الأخوة الأكراد في أرض العراق وخارج العراق

أيتها الحركات والمنظمات الكردية :

نخاطبكم بإسم الإسلام الذي يحمل حزب الدعوة الإسلامية مهمة إعادته إلى الحياة السياسية والاجتماعية ... لدى المسلمين .

يا من وقفتم ضد الحكام العملاء الذين امتهنوا سياسات التفرقة بين العراقيين على أساس عنصري أو عرقي .

نخاطبكم ونذكركم بمواقف علماء الحوزة العلمية في العراق ... فلا يمكن لأحد أن ينسى فتوى المرجع المغفور له السيد محسن الحكيم لأفراد الجيش العراقي بحرمة مقاتلة أخوتهم الأكراد في حرب الشمال الدامية .

ونحن نعتقد إن الحل الإسلامي هو الحل الطبيعي لكل قضاياكم وقضايا سائر القوميات على أساس معاملة القوميات بمستوى واحد ضمن إطار الإسلام إذ يرفض الإسلام التعصب العرقي والإذلال القومي كما يرفض تجزئة البلاد وتقطيعها إلى أوصال .

إن مواقف وأعمال الحكومات العميلة لم تزد الموضوع إلا تعقيداً لأنهم أرادوا أن يعالجوا القضايا معالجات كاذبة تمسّ القشرة ولا تعالج الجوهر , والنظام الإرهابي الحاكم أوضح مثل على التعامل العرقي الجاهلي والتصرف العشائري الحاقد .

إنكم تذكرون ولا شك النقض الصارخ لاتفاقية آذار وتذكرون اتفاقية صدام المشبوهة في الجزائر مع شاه إيران المخلوع وتذكرون حملات الإبادة الجماعية ضد الأكراد وحرق القرى الكردية بساكنيها وتهجير عشرات الآلاف إلى مناطق أخرى كما تذكرون تسليط العملاء تحت شعار الحكم الذاتي أو ما يسمى بـ (الجبهة الوطنية) .

إننا ندعوكم إلى العمل المشترك ضد النظام البوليسي العشائري لإسقاطه وإنقاذ الإنسان في العراق من الظلم والقهر والابادة والمعاملة العرفية والعشائرية التي يترفّع عنها الإسلام .

أيها الشيوعيون ... أيها الماركسيون

إن نظرتكم إلى الإسلام تعتمد على فكر جماعة من المفكرين الأوربيين الذين نشأوا في محيط ديني نصراني مؤيد لأوضاع الظلم السائدة في أوربا , في محيط يعادي الإسلام .

فقد تبنّى هؤلاء المفكرون أفكاراً معادية للدين بصورة عامة وأخذتم هذه النظرة أخذاً مسلّماً به فأخطأتم من ناحية فكرية , ثم إن قواكم السياسية ربما كانت تتعامل مع الإسلام من خلال تعاملها مع عملاء الاستعمار من حكام المسلمين , فكانت تصم الإسلام بالعمالة والإسلام بريء من سلوك هؤلاء الحكام , فأخطأتم من ناحية سياسية كذلك .

إن الإسلام يأمرنا بجهاد الكفار وكافة القوى التي تخدم الاستعمار , ويأمرنا بمكافحة الطغاة أينما كانوا .

وإذا أردتم أن تصلوا إلى حقائق معرفة الإسلام فإنه يجب عليكم أن تعودوا إلى أصول الإسلام : كتاب الله القرآن والسنة الشريفة لتجدوا الأفكار الكاملة للسياسة الإسلامية , ونحن نعلم أن الدعوة الإسلامية لا تنخدع بالشعارات التي ترفعها القوى الرأسمالية أحياناً فتغري بها السذج

ونعتقد أن جمهور الشيوعيين لم يعملوا مع الشيوعية لإلحادها ولا لفكرها المعادي للإسلام , وإنما عملوا معها لاعتقادهم إنهم يعملون ضد الاستعمار ويعملون ضد الظلم الاقتصادي الواقع على بلاد المسلمين .

ولذا فان مقومات الدوافع لهذا العمل هي من الفكر الإسلامي المتأصل في النفوس لمكافحة الظلم والتسلط والهيمنة .

ونعلن لكم كذلك إن الدعوة الإسلامية ترفض الإلحاد رفضاً تاماً لأنه في نظر الإسلام ليس بعد الشرك والإلحاد ذنب , ونحن لا نخلط بين الأمرين , وليس من واجبنا التفتيش عمن هو ملحد ومن هو ليس كذلك لان هذا الأمر من اختصاص رب العالمين , وما علينا إلا الظاهر.

والظاهر لدينا إن جمهور الشيوعيين في منطقتنا دخلوا الشيوعية ليس بدافع فكري وعقائدي , وإنما بدافع الأوضاع المعاشة ولذا فإننا ندعوكم وندعو جميع المواطنين للعمل على مصارعة الظالمين المتحكمين في رقابنا.

أيها العراقيون الحزبيون

إنّ (سوموزا) العراق قد تجاوز أي مشاعر إنسانية في التعامل مع الأحزاب والمنظمات , فان أوامر الإبادة لمن لا يوافقه في أعماله البربرية تجري عن لسانه كما يجري العواء من كلب مكلوب بدون أي تخلف , وقد انقلب أو انمسخ إلى حيوان متعطش للدماء .وعليه فلا أمل لأي تنظيم من تنظيماتكم في أن يعمل في الساحة السياسية بكرامة واحترام إلا في مجال الصراع مع هذا الإنسان المنحط إلى درك الحيوانية .

فالشهيد عبد الأمير مشكور مثلاً قد أعتقله الجـلادون وقطعـوه وقتلوه خلال ثلاث ساعات فقط من اعتقاله , كـل ذلـك لا لـشيء إلا لنشاطه الإسلامي .

وإن لهذا المثل أشباهاً تبلغ الألوف وسيسجل التأريخ صفحات سوداء لعهد يتحكم فيه صدام , فهل بعد هذه الأعمال التي تصدر من شرير كهذا أن يأمن أحد أن يعيش معه إلا من خلال التبعية والذل أو من خلال الصراع والكرامة .

فتشوا عن نقاط الالتقاء معنا من خلال هذه الأفكار المطروحة في هذا النداء ولنعمل على إسقاط هذا النظام الظالم .

إن حق الإنسان المهدور ينادي كل من له كرامة ليعمل ضد انتهاك هذا الحق المعترف به من الجميع .

غوصوا في أعماق ذواتكم سوف ترون إن الفطـرة الإنـسانية تدعو إلى رفض الظلم والحكم التعسفي ... وهل في عالم اليوم , أظلـم مما نعيش فيه من مظالم ؟ إن إسرائيل .... لا تعامل العرب كما يعامل النظام الحاكم أي إنسان في العراق , انه يتعامل مع جميـع الحـزبيين تعامل السيد المطلق ... وقد شرّع لهذه المظالم شريعة , وهذا مـا لـم يفعله إنسان قبله إلا أن يكون إنساناً انحطّ إلى درك الحيوانية .

***

أيها العراقيون من أعضاء الأحزاب وأنصارهم

هناك آفاق عملية كثيرة يمكنكم أن تتقبلوها كلها أو أن تتقبلوا بعضها:

١- نريدكم أن تتفهموا مواقفنا جيداً فإننا نعاهدكم :

ـ أن نكون ضد الظلم دائماً

ـ وأن نكون ضد التبعية دائماً

ـ وأن نكون ضد الاستعمار دائماً

ـ وأن نكون مع العدالة دائماً

ـ وأن نكون مع الفقراء لإزالة فقرهم

ـ وأن نكون مع ازدهار العراق وتقدمه ورفعة شأنه

٢- نريد أن لا تعارضوا كفاحنا الشعبي ضد المظالم التي تقع علينا جميعاً , وضد الظالمين , وأن لا تعينوا الظالم ونحن في صراعنا , فلا تفتحوا عيون الحاكم وجواسيسه على نشاطاتنا وأشخاصنا.

ولا تتبرعوا بالمعلومات عنا لأجهزة القمع البوليسية .

نريد منكم أن لا تعطوا عنا معلومات وعن أعمالنا الكفاحية ما استطعتم لتضليل أجهزة التجسس والقمع .

٣-ونطلب منكم أن تتعاونوا معنا في الأعمال التي تتفق مع أهدافكم وتتحملوا تبعية الأعمال التي ستقع علينا وعليكم نتيجة ذلك .

انشروا المفاهيم التي نطرحها وترون صدقها

لا تبخلوا علينا في نشر أعمالنا التي ترونهـا صـالحة , فـي نشراتكم الحزبية .

شاركونا في تعبئة الجماهير من خلال الشعارات والمفاهيم التي تطرحونها .

شاركونا في تحريك الجماهير عندما يقتـضي العمـل الحركـة الكفاحية

***

أيها المهاجرون من العراق , أيها المخرجون من دياركم .

أيها الفارّون بدينكم وكرامتكم .

أيها الطلاب ورجال الأعمال العراقيون في الخارج .

إن المظالم من الطغمة الفاسدة , الحاكمة في العراق والتي تحمل قلوبكم آلامها وتصلكم ــ وانتم بعيدون ــ بعض شرورها تستدعي منكم ان تعملوا ما في طاقتكم لتكونوا طرفاً في الصراع السياسي القائم بين الحاكم والشعب في العراق , ولا خيار لكم إلا مناصرة شعبكم .

كوّنوا لجان مساندة لنصرة الشعب العراقي في محنته .

اجمعوا التبرعات لعوائل الشهداء والمعتقلين .

أصدروا النشرات السياسية لنشر الأخبار الداخلية .

افضحوا المظالم التي تقع على الإنسان في العراق .

افضحوا الارتباطات المشبوهة التي يرتبط بها حكام العراق مع المستعمرين .

اكشفوا السرقات الضخمة والأمـــوال المهربـــة إلـــى البنـــوك الرأسمالية في أوربا .

اكشفوا الصفقات المشبوهة التي يقوم بها الحكـــام وسماســـرتهم وشراء العقارات في أوربا .

استنكروا جميع الأعمال والتصرفات الشاذة التي يقوم بها الحكم الفردي الظالم في العراق .

ارفعوا أصواتكم ولا يأخذكم الخوف , وانتبهوا واحـــذروا مـــن الأجهزة البوليسية المرتبطة بالسفارات العراقية في الخارج .

أيها العراقيون خارج العراق

إنّ عليكم واجباً يقتضيه الإصلاح لبلادكم ودينكم فلا تقصروا

(وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

***

أيها النقابيون وأصحاب الجمعيات والتنظيمات المهنية

أيها العمال والفلاحون والأطباء والصيادلة والمهندسون

أيها الزراعيون والكيمـــاويون والجيولوجيـــون والاقتـــصاديون والحقوقيون .

أيها المعلمون والطلاب

نحن وإياكم وكل الشعب العراقي بجميع فئاته نعيش في جو من الإرهاب والتجسس , وقد تحولت حياة الإنسان إلى حياة ترقب وحذر دائم أو توتر وخوف من أجهزة السلطة والانتهازيين .

نحن نعلم وإياكم إن جميع التنظيمات النقابية الحالية قد فرضت فرضاً ولم يجر أي انتخاب نزيه في أي منها على جميع المستويات وفي جميع المجالات .

ونحن نعلم وإياكم إن جميع النشاطات النقابية ممنوعة إلا من خلال الأشخاص الذين باعوا أنفسهم للسلطة بثمن بخس دراهم معدودة وانتصبوا على منصات القيادات النقابية وما هم إلا أجراء للشيطان .

إن التنظيم النقابي على هذه الصورة إنما هو تنظيم قمعي وجزء من القمع البوليسي وسياسة التحكم والتسلط الذي ابتلي به شعبنا.

إن سَوق النقابيين إلى المسيرات السياسية كما تساق الأغنام هو امتهان للكرامة الإنسانية .

وان ارتباط القادة النقابيين لا يتجه إلى مصلحة النقابيين , بل يدور في فلك النظام والمتسلطين عليه , في إطار استخدام هذه المجموعات البشرية لخدمة المتسلطين على النظام .

إنّ هذه الأوضاع لا تتغير إذا بقي النقابيون والمهندسون سلبيين في مواقفهم , يسيرون بعكس إتجاه مصالحهم الحقيقية .

إن تغيير الأوضاع لا يتم بالسكوت عن الحق والرضا بالمظالم والأعمال الشائنة .

ولذا فإننا ندعو جميع النقابيين إلى التأمل والتفكير في أوضاع نقاباتهم وأوضاع البلاد بكل جدّية وإخلاص , وندعو إلى إعادة النظر في جميع أوضاعنا بشجاعة وإقدام .

إن واجب العمل النقابي ان يفتش عن مصالح النقابيين ومصالح المهنة وبذلك يكون الاتجاه نحو مصلحة الأمة .

إنّ ارتقاء المهارات المهنية بجميع أصنافها العملية والنظرية وتحقيق مصالح النقابيين لا يتحققان ما دامت النقابات على أوضاعها الحاضرة .

على النقابيين ان لا يخضعوا لتوجيهات السلطة في الانتخابات النقابية .

على النقابيين ان يعملوا لمصلحة المهنة بعيداً عن التزلف للنظام بكتابة الأبحاث المختلفة حول أوضاع المهنة .

وترجمة ما يمت إلى المهنة بصلة من أبحاث مكتوبة باللغات الأخرى وإصدار مجلات مهنية موضوعية .

وتنظيم ندوات ومؤتمرات مهنية .

والاتصال بأصحاب المهن المتشابهة في البلدان الأخرى

والاتصال بأصحاب المهن الأخرى داخل البلد لتقوية العمل المهني .

على النقابيين ان يعملوا لمصلحة المهنيين بعيداً عن التزلف للنظام بفتح صناديق للإعانات المالية للمرضى والمحتاجين من أصحاب المهنة

والعمل على توفير السكن والعلاج .

وإنشاء جمعيات تعاونية استهلاكية للمهنيين .

والعمل على إيجاد مراكز تدريب ودورات تثقيفية للمهنيين .

أيها النقابيون : إن جزءً عظيماً من الكفاح السياسي لتغيير الأوضاع السياسية الظالمة إلى أوضاع سياسية تتيح لكم العمل النقابي الشريف يقع على عاتقكم .

تعاونوا أيها النقابيون ما استطعتم مع طلائع الكفاح السياسي الذي تخوضه أمتنا للتخلص من العبودية التي يفرضها علينا النظام الحالي .

(وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

***

أيتها الأقليات الدينية : يا نصارى العراق ويا صابئة العراق .

إننا نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين , ومنهم الأنبياء والمرسلون الذين تعتقدون بهم وتؤمنون .

(قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)

نناديكم نداءً مفعماً بالإيمان والإخلاص والتكريم .

ونطلب منكم ان لا تنفروا من دعوتنا الإسلامية ومن إلتزامنا الكامل بالإسلام .

إن الحياة الكريمة لا ننالها جميعاً تحت الحكم الفردي القائم , ولا أي حكم مشابه له .

إن الحياة الكريمة لنا ولكم مضمونة في ظلال أحكام الإسلام وسيتاح لكم العيش في ظلال أحكام دينكم عندما يتاح للإسلام أن يعود إلى الحياة .

إن الإسلام يحفظ ويصون للإنسان حياته وصحته وماله وعرضه وأسرته ودينه وكرامته وعقله كأفضل ما يحفظ ذلك نظام .

وإن أهل الكتاب لم يعيشوا أبداً في بلادنا في ظل الأمان كما عاشوا أيام الدولة الإسلامية التي تطبق أحكام الله .

***

أيها البعثيون السائرون مع الظالمين عن غير وعي ولا إدراك لما تجنيه أيديكم من أعمال جائرة بصورة مباشرة في حق هذا الإقليم .

عودوا إلى نفوسكم وتأملوا أوضاعكم وستصلون إلى حالة من الندم على ما أنتم عليه إن كنتم صادقين .

سائلوا أنفسكم :

من أوصل قيادتكم إلى السلطة ؟ هل التنظيم الحزبي الذي أوصل هذا النظام إلى الحكم في ١٧ تموز ؟ هل الشعب أوصله إلى ذلك ؟

والجواب واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار (لا الحزب ولا الشعب الذي أوصله إلى الحكم , بل اللعبة الدولية والمخابرات الأجنبية) .

سائلوا أنفسكم : أين الأسماء الحزبية اللامعة في تاريخ حزب البعث ؟ كلها اختفت عن الوجود بالقتل , أو عن المسرح السياسي بالإبعاد أو السجن أو الفصل , سائلوا أنفسكم : لماذا كل هذا ؟

وسوف تجدون الجواب واضحاً بين صفوفكم , وسوف تجدون ذلك وراء كل التحركات الحزبية التي أنتجت المذابح الجماعية في قياداتكم وكوادركم ذات التفكير الحزبي , لا الولاء الشخصي .

سائلوا أنفسكم : أين الوحدة التي يسعى لها الحزب ؟ لا حظوا أن الحزب وصل إلى الحكم في قطرين متجاورين وبدلاً من أن يتحد القطران انشقّ الحزب إلى حزبين .

ولا حظوا أنكم تعيشون في أجواء الشعارات وأجواء الإعلام الوحدوي الكاذب واستعرضوا ذلك من خلال الأحداث فسوف لا تجدون إلا الخداع .

سائلوا أنفسكم : أين الحرية في هذا الجو البوليسي الخانق الذي تمارسه السلطة في البلاد وانتم تتعاونون معها في ذلك , والذي تعيشون فيه انتم كما يعيش فيه الشعب العراقي الصابر

سائلوا أنفسكم : أين الاشتراكية في هذا الجو المترف الذي يعيش فيه الحكام من قادتكم وأقربائهم وأنسبائهم ولا يصل إليكم إلا الفتات ... وانظروا إلى أنفسكم : كيف تتراكضون على هذا الفتات ؟

إن كثيراً منكم قد تورط بأعمال التجسس على الناس , وان بعضكم تورط بأعمال القتل , تنفذون بذلك أوامر قيادتكم التي لا ترضي الله ورسوله ولا المؤمنين ولا أحداً من الناس يملك العقل الصحيح .

إن التجسس والقتل اللذين تورط بعضكم فيهما من الأعمال المشينة .

يقول تعالى (ولا تجسّسوا , ولا يغتب بعضكم بعضاً , أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) .

ويقول تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) .

فتشوا أيها البعثيون عن جذور الفكر الذي تدّعون حمله وتسيرون على نهجه ويردّده الإعلام ليل نهار , ويتشدّق به قادتكم ... سوف ترونه نابعاً من الفكر الاستعماري , نقله إليكم العملاء الفكريون ميشيل عفلق وأمثاله ليفرّقوا المسلمين ويبعدوهم عن إسلامهم .

إسمعوا قوله تعالى :

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) .

(قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير , يوم تجد كل نفس

ما عملت من خير محضراً , وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) .

(ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد)

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنـــوبكم والله غفور رحيم) .

(قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فإن الله لا يحب الكافرين)

أيها البعثيون : لا تتمادوا في تأييد الطغاة وابتعدوا عن فعل كل شائن تقومون به ولا تتقبلوا أكاذيب النظام وخداعه , وحاســبوه علـــى السرقات وأعمال الترف التي ترونها رأي العين , وأنتم تطّلعون عليهـــا قبل غيركم , ولا تكونوا للظالم عوناً على الشرفاء من أبناء أمتكم , فإن الظالمين لا يقدرون على ظلمهم بدونكم .

دققوا في ارتباطات الحكام المشبوهة بالمستعمرين , فـــإنكم لـــم تنضمّوا إلى حزب البعث لتكونوا مساقين إلى مستنقع العمالة أو لتكونوا مخدّرين بالفكر الاستعماري فتكونوا من الذين خـــتم الله علـــى قلـــوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم .

وأخيراً لا تكونوا أعواناً على الدعوة الإسلامية , فـــإن موقـــف النظام القائم من الدعوة الإسلامية كموقف فرعون من الدعوة إلى الله .

(إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين)

(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) .

***

يا جماهير أمتنا :

أيها الغراقيون بجميع إنتماءآتكم واتجاهاتكم الفكرية :

إنّ الأوضاع السياسية لم تعد أوضاعاً تخضع للمنطق الإنساني السليم , ولا حتى للمنطق الإنساني المتخلف , فقد أبتلي العراق وأهله بأعمال تحولت إلى أحط من منطق الحيوان , فإن الولوغ بدماء الناس وأعراضهم وكراماتهم , والتعذيب الوحشي الذي تمارسه الوحوش البشرية في السجون والمعتقلات والزنزانات والأقبية الخاصة , واحتكار العمل السياسي وسلب أبسط حقوق الإنسان الذي انحدر في العراق إلى حد لم يصل إليه في أي شعب من الشعوب إلا ما تذكر بعض أخبار الرئيس المخلوع سوموزا في نيكاراغوا ورئيس غينيا بيساو السابق الذي طلب من الناس ـ كما تنقل الصحف ـ أن يعبدوه من دون الله .

وان سياسة التبعيث التي يتبعها النظام ما هي إلا صورة لما تناقلته الصحف عن رئيس غينيا بيساو السابق , لان التحزب في صورته السابقة هو طاعة الحاكم والسير في ركابه بكل ذلة وعبودية .

إنّ الأعمال المشينة التي يقوم بها الحكم الفردي في العراق تكاد لا تحصى من كثرتها , وإنّ أكثر ما يحز في النفس منها أن يلعب النظام بورقة التفريق بين المسلمين , فقد قام العتلّ الزنيم خير الله طلفاح

المقنع بقناع العروبة والإسلام بالاتصال ببعض علماء المسلمين وطلب منهم أن يقفوا ضد التحرك الإسلامي بحجة أن هؤلاء يريدون التحكم ويريد بذلك أن يثير فتنة مذهبية بين السنة والشيعة في العراق ومن رحمة الله أنه لم ينجح في لعبته القذرة .

إنّ تفريق المسلمين وضرب الحركة الإسلامية ببعض علماء المسلمين بإستعمال سلاح التفرقة المذهبية إنما هو ضلال مبين , ولا يقوم بذلك إلا عميل نذل .

وإننا نقول لإخواننا العلماء

(ولا تطع كل حلاف مهين همّاز مشّاء بنميم)

ونقول لهم :(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) أي إلى الإسلام الذي يمنع من الدعوة إليه هذا المعتدي الأثيم .

ما نعمل في مثل هذه الأوضاع البالغة السوء ؟

هل ينفع الحوار مع السلطة ؟ أم أن كل حوار يعتبره النظام ضد الثورة وضد الحزب ؟

هل ينفع طرح تصورات سياسية واقتصادية واجتماعية ؟ أم أنّ ذلك احتكاراً لا يجوز الاقتراب نحوه ؟

هل يمكننا التفكير بحاضر العراق ومستقبله ؟ أم أنّ ذلك من الحقوق المقدسة للحاكم المتفرد التي لا يجوز التفكير في الانتقاص منها بالمشاركة الحرة ؟

ما العمل وكل الأبواب مغلقة ؟

إنّ طريق الصراع السياسي لغرض الوجود السياسي للإنسان في العراق هو الطريق الوحيد في هذه المرحلة من حياة امتنا

وإنّ من مستويات هذا الكفاح والصراع الذي ستخوضه أمتنا وجود التفاهم المرحلي وذلك :

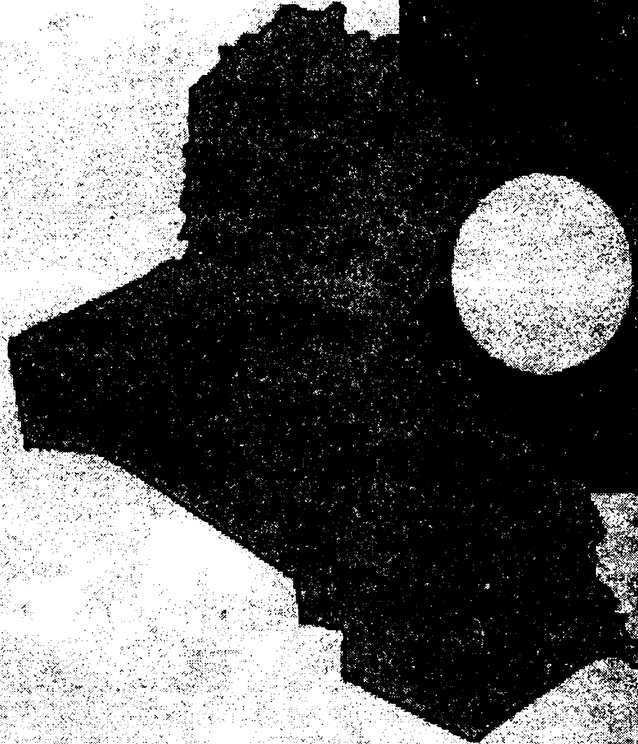
ــ لأن وجود أهداف مرحلية واضحة ضروري لتعمل كل الأحزاب والمنظمات السياسية على تحقيقها .

ــ لكي تعرف الجماهير أن كفاحها مرتبط بتحقيق مطالب معينة فلا تنخدع بالأقوال دون الأفعال , وحتى لا يرافق الكفاح السياسي غموض فكري يستغله الاستعمار من خلال اللعبة الدولية .

***

وفيما يلي بيان التفاهم لحزبنا المجاهد الذي طرحه كتصور مرحلي يصلح ــ فيما نعتقد ــ لأن يكون محور تفاهم مشترك لكافة الحركات والأحزاب السياسية وجماهير الأمة .

بيان التفاهم الصادر من حزب الدعوة الاسلامية الى الأمة في العراق



نص بيان التفاهم الصادر من حزب الدعوة الإسلامية إلى الأمة في العراق

١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠م

الآفاق السياسية

(١)

أودع الله تعالى في الإنسان العقل المدرك والوجدان الاجتماعي والإرادة الحرة في دائرة الأعمال التي يسيطر عليها , واستخلفه في الأرض ليعمرها, وأرسل إليه ما ينير له الحياة من أفكار وتعليمات.

وكل من يعطل أو يكبت هذه الامكانات الإنسانية أو يمنعها من أن تسير في طريق الهدى الذي وضعت فيه , فإنما هو معارض للفطرة الاجتماعية التي فطر الله الناس عليها , ومعيق لقدرات الإنسان الإبداعية أن تنطلق لخدمة الناس والمجتمع ... وهذا المنع والتعطيل والكبت هو من الظلم الفاضح , وعلينا أن نرفضه ونعمل لتقويضه .

(٢)

أمر الله تعالى المسلمين أن يكونوا سياسيين في حياتهم ووضع لهم عبر النصوص الإسلامية من الكتاب والسنة وسيرة القادة أسس العمل الاجتماعي السياسي وأصوله ومنطلق تصوراته ومرتكزاته وقواعده وآفاقه وموازينه ولا يجوز لأي حاكم في بلد إسلامي أن يمنع المسلمين عن العمل السياسي , ومن يفعل ذلك ... فليس من الله في شيء , وهو يحكم بغير ما أنزل الله سبحانه .

وعلى المسلمين أن يعملوا لتغيير هذا الوضع لأنه من أعظم المنكرات .

(٣)

العمل السياسي في العراق محتكر لفئة قليلة من الناس من دون غيرها... وما الجبهة الوطنية التي لفقها النظام لتغطية إحتكاره للعمل السياسي إلا خدعة يحاول أن يخدع بها الأمة ... فالأحزاب والفئات الداخلة في هذه الجبهة لا يسمح لها أن تتحرك إلا ضمن إطار تحدده السلطة بكل سيطرة , وإن سيف التجسس مسلط تسليطاً كاملاً على الفئات داخل الجبهة , حتى أن الملاحظ السياسي كان يرى بأم عينه أنّ أجهزة الأمن لا تسمح بتعليق لافتة للحزب الشيوعي ــ العضو الرئيس في هذه الجبهة ــ حتى لو كانت هذه اللافتة تحمل شعاراً تتبناه الجبهة ويرى كيف ان السجون والمعتقلات تضم فيما تضم الحزبيين المنضمين

إلى الجبهة , لأنهم أظهروا بعض النشاط السياسي على الساحة العراقية ويرى الملاحظ السياسي كيف إن الاغتيالات لم تتوقف في أي وقت من الأوقات للسياسيين ومن ضمنهم العاملون في صفوف الجبهة الوطنية .

وإذا تجاوزنا الجبهة الوطنية وتوغلنا أكثر فسنرى أن شعار الحزب القائد هو خدعة أخرى يمارسها المتسلطون , ويرى المراقب السياسي أن حزب البعث ليس إلا واجهة من واجهات السلطة وليس له من الأمر شيء , فليس هناك حزب بالمعنى الصحيح وإنما هناك متسلط تحيطه زبانية يحملون الولاء الكامل له , والحزب قطيع يساق بأوامر المتسلط كما يساق قطيع الماشية , وكل من يعارض هذا الأسلوب من العمل يطرد من الحزب إذا لم يسجن أو يقتل .

وبالتالي فسوف نرى أنّ العمل السياسي لشخص واحد أو بضعة أشخاص أمر مستهجن ولا يطبق إلا في البلاد المتخلفة ولا يطبقه إلا رجل عميل فرضته القوة الاستعمارية على البلاد لتنفيذ أغراضها وتحقيق أهدافها أو رجل مصاب بعاهة نفسية يتصور من خلالها بأنه رجل متميز له حق التصرف في رقاب الناس .

والعمل السياسي في العراق يبدو للخارج وللناظرين إلى الأشياء والأحداث نظرة سطحية انه حكر على حزب البعث العربي الاشتراكي إلا انه كما بينا حكر على المتسلط على حزب البعث , لا بصفته الحزبية بل بصفة العمالة للاستعمار , وهذا المتسلط يسمح لمن يحمل الولاء الكامل له بالعمل السياسي ويمنع ذلك عن غيرهم .

ولو كان العمل السياسي لحزب البعث كما هو في الظاهر لما تهاوت قياداته في فترات متوالية وبصورة جمعية , ولما تساقطت رؤوس أكثرهم تمسكاً بالعمل الحزبي .

ولو فرضنا جدلاً إنّ حزب البعث هو الذي يحتكر العمل السياسي , فبأي حق يفعل ذلك ؟ وما هو فضل الحزب على العراق ؟

يلاحظ المتتبع السياسي إن حزب البعث العربي الاشتراكي تكاثر أعضاؤه بصورة غير طبيعية عندما انتمى إليه كثير من الناس وزمرة كبيرة من الضباط خوفاً من الشيوعية أيام عبد الكريم قاسم , ونظراً لارتباط بعضهم بالاستعمار توصل إلى الحكم , وكلنا يعلم إنّ انقلاب ١٧ تموز ما هو إلا حلقة من حلقات التآمر الاستعماري على العراق لإبقائه تحت النفوذ , ولم يكن حزب البعث إلا واجهة لهذا التآمر وما هذا الاحتكار للعمل السياسي السائد في العراق إلا لاستمرار التآمر على الإنسان والأرض والثروة .

ومن مظاهر احتكار العمل السياسي في العراق , الأمور التالية:

ا ــ التشريعات التي تمنع العمل السياسي

ب ــ سياسة التبعيث

ج ــ الحكم البوليسي المتعدد الأجهزة

ء ــ اعتقال السياسيين والتعذيب الوحشي

هـ ــ الاغتيالات السياسية

و ــ المحاكمات الصورية والإعدامات

ز ــ التصفيات المستمرة داخل حزب البعث

ح ــ احتكار الصحافة

ط ــ احتكار وسائل الأعلام

ي ــ احتكار التنظيم النقابي والمهني

ك ــ احتكار مناهج التربية في مستويات التعليم المختلفة

ل ــ احتكار المراكز العليا للدولة

م ــ احتكار بعض المؤسسات العلمية

ن ــ احتكار المراكز الحساسة للدولة

س ــ احتكار الوظائف العسكرية

ع ــ التسلط الفردي داخل الحزب

ف ــ التسلط الفردي داخل مجلس قيادة الثورة

ص ــ التسلط الفردي داخل الوزارة

إنّ العمل السياسي ليس منحة يتفضل بها الحاكم ويهبها للشعب وإنما هو حق من حقوق الإنسان الإلهية , لا يجوز المساس بها , لان السياسة هي رعاية الناس ضمن إطار معين ومتفق عليه .

والإنسان الممنوع من ممارسه حق العمل السياسي والمحاسبة السياسية إنما يعامل معاملة الحيوان , ومن يقوم بذلك فإنما ينزل بظلمه من درك التعامل الإنساني إلى الدرك الحيواني .

(٤)

السياسة التشريعية في هذا العهد تدور مدار احتكار العمل السياسي وضرب كل المؤسسات الاعتبارية والتاريخية الموجودة في العراق والتي لا تنضوي تحت لواء السلطة .

وقد سنت السلطة العميلة قوانين جائرة متعددة تحتوي على أقسى أنواع الأحكام , وقد لا يكون لها مثيل إلا في بعض البلدان النادرة في أمريكا اللاتينية حيث تتحكم الشركات الرأسمالية الاحتكارية فيها.

ومن يتتبع هذه القوانين في جريدة الوقائع العراقية يجد العجب العجاب , ولا بدّ للمتتبع لهذه المرحلة من حياة العراق السياسية ان يضع الدراسات الخاصة عن هذه التشريعات التي يمكن أن ينطبق عليها وصف شريعة الغاب .

وأول الأمور التي ينبغي التفكير فيها لإعادة حقوق الإنسان في العراق هو إلغاء هذه القوانين الصادرة بتوجيه عقلية إجرامية مستهترة بحقوق الإنسان .

إن هذه التشريعات القانونية المنحطة لم تسن إلا لتغطية جرائم النظام التي يمارسها المجرمون على مدار الأيام , حتى إنّ صدام يتبجح وبكل غباء وغطرسة في احد المؤتمرات الصحفية بان الإعدامات التي تجري بصورة المذابح الجماعية إنما هي تطبيق للقوانين ! وبكل غباء يطلب من الصحفي الأجنبي أن يشكره على تطبيق القانون لا أن ينتقده.

وسيسجل التاريخ صفحات سوداء عن الفترة التي تسلط بها هؤلاء الأشرار المجرمون على رقاب العباد في العراق , ولن ننجو من هذا الوضع المنحط إلا بزوال هذه الطغمة وتطبيق أحكام الإسلام .

(٥)

لا يمكن للعمل السياسي في العراق أن يأخذ مجراه الطبيعي المعتاد ولا يمكن للعراقي أن ينطلق في خدمة شعبه في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري والتعليمي والإعلامي .... الخ ما دامت أوضاع التجسس الواسعة والمتعددة لها اليد الطولى في العراق ولا تعلو عليها يد إلاّ يد المتسلط الأوحد عليها ,فلم يمر عهد في العراق حتى في العهد الاستعماري المباشر , ولا يوجد في أي بلد ظالم وحتى في إسرائيل هذا التعدد في أجهزة التجسس ... ففي العراق جهاز للأمن وجهاز للاستخبارات وجهاز الجيش الشعبي وجهاز الحزب وأجهزة خاصة أخرى ... كلها تعمل في سلك التجسس المقيت .

وقد شاع العمل التجسسي حتى شمل القيادات الحزبية ليحصي أنفاسها ويضبط تحركاتها لكي لا تخرج أو لا تفكر أن تخرج عن تعليمات المتسلط على النظام .

فكيف بالآخرين ؟

ولذلك فلا بد لهذا النداء العام للتفاهم أن يحتوي على إعطاء هذا الموضوع أهمية خاصة , ويؤكد على العمل على إلغاء هذه الأجهزة المتعددة للتجسس والتي تعمل على مطاردة السياسيين والمفكرين ومن

لا يصفق للسلطة , وإبدال هذه الأجهزة بجهاز يعمل لمراقبة التحركات الاستعمارية التي تريد شراً بالبلاد وتعمل ليل نهار لإبقاء العراق تحت النفوذ الاستعماري .

(٦)

يقوم النظام بتسلطه على الموظفين وارتباطهم المعاشي براتب الدولة بإجبار قطاع كبير منهم على أن ينتمي إلى حزب البعث ليكون سيف القانون الحزبي مسلطاً على رقابهم .

أي ظلم هذا الذي يمارسه النظام يا ترى ؟

هل يعتقد القائمون على النظام إن هذا الأسلوب في إجبار الناس على دخول الحزب سيهيئ لهم تأييداً وولاء ؟ فإذا كان هذا هو تفكيرهم فان ذلك يدل على الغباء , أو هل يظنون إن هذا الأسلوب سيمنع الناس من الثورة على الظلم ؟ فان كان هذا هو ظنهم فإنهم يجهلون التاريخ ويجهلون مجرياته , ويعيشون في أجواء احتقار الإنسان واحتقار الأمة.

هل إنّ إذلال الناس هو من تطبيقات شعار الحرية ؟ أم من تطبيقات الاعتزاز بالأمة العربية ؟

وهلا يأخذ النظام العبرة من تجربة مثيله , أي النظام الشاهنشاهي الذي أراد أن يدخل الشعب الإيراني في حزب البعث الإيراني (رستاخيز) ففشل فشلاً ذريعاً .

إننا نعتقد إنها وسيلة لجأ إليها النظام ليحتفظ بقواعده المنهــارة ولكنها وسيلة غبية لا تنفعه في تحقيق مآربه .

(٧)

تمتلئ المواقف والمعتقلات والسجون في العــراق بالــسياسيين والحزبيين من جميع الانتماءات , حتى إن النظام في رجب ١٣٩٩ هــ عندما تحرك المسلمون للتعبير عن وجهة نظرهم , اعتقل الناس بالجملة من الشوارع , وكان ينقلهم بسيارات الجيش الكبيرة , وكذلك فعل الحكام في شهر صفر سنة ١٣٩٧ هــ , حيث اعتقل النظام في كلتا المناسبتين آلاف الناس وقتل برصاص الحقد عشرات الشباب الناهض وان عمليات المراقبة والمطاردة وترويع الناس في بيوتهم والاعتقال والتوقيــف دون محاكمة , والتحقيق المصحوب بتعذيب وحشي والمحاكمات الــصورية أصبحت هي العمل الرئيسي للدولة حتى أنّ السلطة في التعديل الوزاري الأخير خصصت وزارة خاصة لذلك .

كل ذلك إضافة إلى أن هذه العمليات هي الوظيفة الرئيسية لرجل الدولة الأول حتى إنه يتبجح في مؤتمر للقضاة والمحــامين بأنــه هــو شخصياً يأمر بذلك وليس هذا الفعل من أعمال الأجهزة البوليسية .

إنّ هناك من يطالب :

أ- بإلغاء سياسة إلقاء القبض التعسفي التي تقوم بهـا أجهـزة الأمن والمخابرات .

ب-بإطلاق سراح جميع الموقوفين والمحتجزين السياسيين بدون محاكمة .

ج ـ بإطلاق سراح جميع السجناء السياسيين وإعـادة حقـوقهم المهدورة .

ء ـ بإعادة اعتبار جميع المظلومين الذين نفذ بهم الإعدام ظلماً وعدواناً , ونشر كل ما يمت إلى هذه المحاكم المهزلـة لتبـين للناس المظالم التي وقعت على كرام الناس .

هـ ـ بفسح مجال العمل السياسي والتنظيم الحزبي والمهني .

و ـ بإيجاد محكمة عليا لتكون ملاذاً يلتجئ إليها الذين تقع عليهم مظالم السلطة الحاكمة .

ز ـ بسن قوانين رادعة لكل احتكار للعمل السياسي في العراق

ح ـ بسن قوانين لمحاسبة الحكام على أعمال الظلم السياسي

والواقع إنّ كل هذه المظالم مرتبطة عضوياً بنوعية النظام الحاكم ولا يمكن رفعها إلا بنفي هذا النظام وقبره .

(٨)

اضطهاد الشعب وإبعاده عن المشاركة السياسية هـي القاعـدة الأساسية المتبعة في العراق . وقد اشتدت هذه الـصفة عنـدما تبنت السلطات الشعارات الفارغة في الحرية والأمـة الخالـدة

وكأن شعار الأمة الخالدة يعني الأمة التي تداس كرامتها وتمنع من ممارسة أبسط حقوقها وتذل إذلالاً شديداً .

إنّ هذه الأوضاع لا يجوز أن تدوم , ولا بدّ لامتنا أن تنهض وتأخذ مكانتها بين الأمم , وهذا لا يحدث ما دامت هذه القاعدة السياسية الشاذة هي المتبعة , ولذلك لا بدّ من إطلاق حرية المشاركة السياسية للأمة في جميع المجالات وذلك يتم عبر :

أ ـ إطلاق حرية التنظيم السياسي لخدمة الأمة والمجتمع في الأطر المشروعة .

ب ـ تنظيم انتخابات لوكلاء الشعب أو لنواب الأمة للقيام بعرض المشاكل التي ترزح تحتها الأمة , وللمشاركة في رسم السياسات المختلفة للبلاد ومحاسبة السلطة على أعمالها .

ج ـ فسح المجال لتشكيل مجامع علمية حرة لمختلف فروع المعرفة الاختصاصية العليا تكون مراجع للناس ترجع إليها وتطور الوجود الفكري والمادي للأمة في طريق الارتقاء والنهوض , مثل مجمع العلوم الإسلامية , مجمع العلوم اللغوية مجمع العلوم الهندسية والصناعات , مجمع العلوم الطبية مجمع العلوم الزراعية , مجمع العلوم الطبيعية , مجمع الطوائف الدينية غير الإسلامية ..... الخ .

ء ـ إفساح المجال لإصدار الصحافة التي تخدم مصلحة الأمة وعقيدتها , وإلغاء الاحتكار في كل صوره وأشكاله :

ـ الصحافة الاختصاصية العلمية

ـ الصحافة السياسية الأسبوعية .

ـ الصحافة اليومية

هـ ـ تنظيم انتخابات حرة لمجالس البلديات في كل محلة ومدينة كبرى وفي كل بلد وقرية , وإعطاء هذه المجالس البلدية صلاحية واسعة في الخدمات المختلفة , والاتجاه نحو اللامركزية في مجال الخدمات .

و ـ تنظيم انتخابات حرة لمجالس النقابات والجمعيات المهنية المختلفة بعيداً عن جميع الضغوط مهما كان نوعها .

ز ـ إفساح المجال لجميع الطاقات لاستعمال وسائل الإعلام وإخضاعها لخدمة مصالح الأمة العليا والأهداف المشروعة , لا لخدمة الحاكم والحزب كما هي عليه الآن .

ولكن كل هذا لا يمكن تصور حصوله بصورة صحيحة إلا إذا قضينا على النظام القبائلي الحاكم في العراق .

الآفاق الاقتصادية

وسنقتصر على بحث أمور من الآفاق الاقتصادية :

- سياسة الإنفاق

- المواد الأولية وخاصة النفط

- التنمية الزراعية

- التنمية الصناعية

- التجارة الداخلية والخارجية

سياسة الإنفاق

ليس للإنفاق لدى المتسلطين على العراق سياسة , وإنما هي تـصرفات فردية تسلطية لا تراعي إلا المصالح الخاصة , ولذلك فإننا نرى العجب ونحن نستعرض بعض مظاهر الإنفاق الذي يتصرف بها النظام .

ـ فالمشاريع تستباح للطفيليين ليجمعوا الأرباح الخيالية ويغرقوا بالمفاسد نتيجة الإنفاق المترف , فالأموال يحصل عليها الطفيليون مـن أقرباء السلطان وزبانيته بدون أي جهد وينفقونها بصورة مزرية . .

ـ المخصصات السرية وصلاحيات الإنفاق للحاكم المنفرد التي لا يحدها قانون أدّت إلى الإسراف في الترف حتى غدت حياة الـبعض تغرق بالترف والتفاهة إلى الأذنين .

وأصبح منظر البعض منهم أشبه بأوضـاع الممثلـين والـسفلة العالميين الذين ينشغلون عن اللباب بالمظهر والحياة التافهة .

ـ تخصص أموال ضخمة جداً لأجهزة التجسس كمخصـصات القائمين بالأعمال المشينة بحق المواطنين من مظـالم بـشعة وشـراء معّدات الكترونية غالية الثمن لأغراض التجسس والتعذيب .

ـ تنفق الدولة على الأعمال الدعائية أموالاً طائلـة فتـصرف الملايين على الصحافة المأجورة , وتصرف الملايين على المـؤتمرات التي يقصد بها خدمة النظام والحاكم المفرد , لا لأي خدمة موضوعية .

ـ تنفق الدولة أموالاً طائلة على مشاريع لا قيمة لها ولا مردود لها لعامة الشعب , كالأموال الهائلة التي صرفت على تكريت وعلى المجمعات السكنية في الكرادة والأماكن الأخرى التي يقصدها المتسلطون على الناس والعاملون معهم من المرتزقة الذين يستخدمونهم في مجالات تثبيت النظام الزائف .

ـ امتلأت البنوك الرأسمالية في أوربا من أموال الأمة المسروقة حتى إن البعض تضخم رصيده إلى مئات الملايين من الدنانير[1].

وكذلك تملك مجموعة كبيرة من المنتفعين من هذا العهد الاشتراكي مجموعة كبيرة من القصور والعقارات في مدن أوربا المختلفة , وخاصة في بريطانيا وفرنسا , حتى إن السرقات الكبرى بلغت في هذا العهد ما لم تبلغه في أي عهد من العهود السابقة التي مرت على العراق .

تنفق الدولة أموالاً طائلة على المرتزقة في لبنان وغيره بأسماء مختلفة , وعمل هؤلاء المرتزقة خدمة أغراض المتسلطين في بغداد والقيام ببعض الأعمال الاستعراضية التافهة , والقيام ببعض الأعمال الإجرامية .

والاغتيالات التي تقوم بها السلطة العراقية أصبحت مفضوحة ومكشوفة للجميع .

١- لا ننسى إنّ الدينار العراقي في عام ١٩٨٠ كان يساوي ٣,٢٧ من الدولار .

إنّ سياسة الإنفاق يجب أن تتجه لمصلحة الأمة وأن تشمل الأمور التالية :

١- تأمين خدمات الحد الأدنى لحياة الإنسان حياة كريمة .

٢- يجب توفير المأكل والملبس والمسكن والتعليم والعلاج لكل الأفراد بلا استثناء , وذلك بتوفير العمل لكل فرد قادر على العمل , وعلى الدولة أن تنفق على من لا يقدر أن يكفي نفسه وعائلته .

ويكون ذلك من خلال مجالس البلديات الذين يمكنهم معرفة حقائق الأوضاع الاقتصادية لكل العوائل في المناطق التي يعملون بها .

٣- تامين الأمن الغذائي للبلاد بالتنمية الزراعية التي تغني البلاد عن الاعتماد على الدول الاستعمارية في الحصول على المواد الغذائية الرئيسية .

٤- الخلاص من التبعية العسكرية بإنشاء صناعات عسكرية بالاتفاق مع الدول المحررة من الاستعمار , لكي لا تعتمد البلاد في تسليحها على شراء معّدات تتحول بسرعة إلى مواد معدنية عاطلة بمجرد أن يمتنع البلد المصدّر عن تزويدنا بقطع الغيار وما شاكل .

٥- الإنفاق على التنمية الصناعية والدخول الحقيقي في عالم الصناعة الذي يتجه إلى تحويل المواد الخام إلى السلع التي تحتاجها سواء أكانت إنتاج طابوق أو صناعة سيارة .

٦- إعمار البلاد بالطرق والجسور والمطارات والسكك والموانئ والسدود وقنوات الري والآبار الارتوازية والنباتات الاقتصادية الصحراوية والغابات وشبكات الكهرباء وغيرها .

المواد الأولية وخاصة النفط

السياسة النفطية تحددها الأمور التالية :

ـ السعي للإكتفاء الذاتي من ناحية علمية وعملية لعمليات استكشاف النفط واستخراجه وتسويقه وتصنيعه .

استخراج النفط تحدده حاجة البلاد إلى الأموال من البيع , والى السلع من التصنيع والابتعاد عن السياسة الحالية التي تتبع حاجة السوق الرأسمالية لهذه المادة الثمينة وشَرَه النظام للحصول على الأموال وصرفها ضمن إطار المصلحة الخاصة له .

ـ استعمال النفط كأداة سياسية لضرب النفوذ الاستعماري في العالم الإسلامي , وأداة للحصول على أسرار الصناعة التي تحتاجها في التنمية الصناعية .

ــ الاتجاه نحو تحويل المواد الخام إلى سلع وتسويقها , فمــثلاً نسوّق النفط الأبيض وبنزين السيارات وبنزين الطائرات والنفط الأسود بدلاً من تصدير النفط الخام .

ــ الاتجاه نحو التعمق بصناعة البتروكيمياويات والحصول على أسرار هذه الصناعات بايجاد مراكز علمية متدربة وفعالة .

وبالنسبة للمواد الأولية الأخرى :

ــ إيجاد صناعات لاستغلال الرمــال العراقيــة الغنيــة بمــادة السيلكون التقنية , مثل صناعة الزجــاج ذي الــسماكة والزجــاج ذي النوعية النقية والزجاج المقاوم للحرارة والأنواع الأخرى من الزجــاج الذي يدخل في الصناعات المختلفة , إضافة إلى صناعة السلع الزجاجية التجارية الشائعة الاستعمال والصناعات الأخرى التي تعتمد على هــذه المادة .

ــ إيجاد صناعات لتصنيع مواد الفوسفات الخام

ــ التوسع بصناعة الأسمدة التي تعتمد على الفوسفات والكبريت

***

تنمية الثروة الحيوانية

ـ تعزيز أسطول صيد الأسماك من أعالي البحار , ومحاولة منافسة الدول المتخصصة لهذا المجال .

ـ تعزيز مخازن حفظ لحوم الأسماك وغيرها من اللحوم .

ـ إيجاد بحيرات اصطناعية في المنخفضات الصحراوية لأغراض تربية الأسماك وتحسين المناخ .

ـ تحسين أنواع السمك بتربية أنواع جديدة منه في نهري دجلة والفرات وشط العرب ونهر ديالى والزاب ... الخ .

ـ الاهتمام بالمراعي وخاصة في الأراضي الصحراوية .

ـ تحسين نوعية الجاموس والأبقار والأغنام والماعز , ونشر المزارع الحيوانية الحديثة في جميع أنحاء العراق , وتشجيع القطاع الخاص في هذا الاتجاه .

ـ إيجاد مزارع واسعة لإنتاج لحم الدجاج وبيض الدجاج للوصول إلى الاكتفاء الذاتي وتشجيع القطاع الخاص في هذا الاتجاه .

ـ حماية الحيوانات الصحراوية الاقتصادية مثل الغزال من عبث الصيد لتكثيرها وتنظيم الاستفادة منها واستيراد الحيوانات الاقتصادية التي انقرضت بالصيد .

ـ إيجاد صناعات غذائية للحيوانات والطيور بأسعار تشجيعية لتربية الحيوانات .

ـ تشجيع الفلاحين لتربية الحيوانات والطيور بتسهيل الحصول على الغذاء لها والعناية في مكافحة أمراضها بالمجان من قبل الدولة .

نشر المرشدين وأطباء البيطرة في أنحاء العراق لحفظ الثـــروة الحيوانية وتكثيرها .

ـ ايجاد صناعات تعتمد على الثروة الحيوانية كصناعة الجلـــود والنسيج التي تعتمد على شعر الحيوانات وجلودها وصناعة حفظ اللحوم وتعليبها وتعليب العسل ونسج الحرير الطبيعي .

***

التنمية الزراعية

ـ تعميم الوعي في مدارس الأرياف وإدخال الثقافة الزراعيـــة كمواد أساسية فيها .

ـ إيجاد مراكز علمية زراعيـــة لدراســـة التربـــة والنباتـــات الصحراوية وتحسين الإنتاج الزراعي الإقليمي بجميـــع فروعـــه مـــن الناحية الكمية والنوعية .

ـ حفر قنوات الري القديمة وحفر قنوات جديدة لتمتد إلى أقصى حد ممكن , وحفر آبار ارتوازية في البوادي , وبناء سدود للسيطرة على مياه الأنهار ومياه الأمطار , وإيجاد قنوات للبزل في المناطق الزراعية المنبسطة كثيرة الملوحة .

ـ إيجاد دائرة خاصة لكري الأنهار والعناية بمجاريها لأغراض الري والملاحة النهرية .

ـ تصنيف الأراضي إلى أرض مروية بالسقي النهري ومروية بالمطر ومروية بالآبار الارتوازية , وأراضي صحراوية , ووضع تعليمات عملية وعلمية لكيفية استعمال المياه وتوزيع الزراعة لتتلاءم مع الظرف الموضوعي لكل صنف من الأراضي , ونشر هذه التعليمات بواسطة الإذاعة والتلفزيون والمدارس الريفية , والسينما المتنقلة والصحافة العامة والصحافة المتخصصة والمرشدين الزراعيين وأئمة المساجد ... ذلك حسب الحاجة إليها في حينها .

ـ يكون هدف التنمية الزراعية هو الاكتفاء الذاتي في إنتاج المواد الغذائية الرئيسية للاستهلاك , وعدم الاعتماد على استيرادها من الخارج , ومن ثم يمكن توسيع الإنتاج لنجدة الأقطار المجاورة من هذه المواد الأساسية ... الأقرب فالأقرب وحسب الحاجة والعلاقات والمصلحة .

ـ الاهتمام بتطوير زراعة النخيل والعناية به ومكافحة أمراضه وتحسين إنتاجه وتصنيع ثماره وإيجاد صناعات تعتمد على هذه الشجرة المباركة كصناعة عجين الورق من سعف النخيل وتطوير الصناعات المحلية التي تعتمد على شجرة النخل .

ـ تطوير الأشجار الاقتصادية وخاصة الأشجار المثمرة كتحسين زراعة الزيتون بالاستعانة بخبراء في هذه الأشجار من أسبانيا أو تونس

أو فلسطين أو لبنان , وتشجير جبال كردستان بأشجار الفستق والكستناء والجوز والبندق وغيرها , كذلك بالغابات لغرض الاستفادة من خشبها وتخصيص أراضي واسعة في الوسط والجنوب لزراعة الغابات وخاصة على أطراف البادية .

ـ تشجيع الزراعة الاقتصادية في الحدائق داخل المدن .

ـ تطوير زراعة الحبوب وخاصة الرز والقمح والشعير والحبوب الرئيسية المتعارفة في العراق وتحسين نوعيتها وكمية إنتاجها

ـ تطوير زراعة الخضروات حسب الطرق المتقدمة في العالم اليوم .

ـ إلغاء سيطرة الدولة المطلقة على تسويق الإنتاج الزراعي واستبدالها بجمعيات تعاونية حقيقية تنبثق من الإرادة الحرة للفلاحين وتبقى الدولة كمرجع لرفع الظلم عن الفلاحين عند حدوثه .

ـ إيجاد صناعات تعتمد على الثروة الزراعية كحفظ الفواكه والحبوب والخضراوات والصناعات الغذائية الأخرى وصناعة القنب والورق .

ـ دراسة التقاليد والعادات المتوارثة في عالم الزراعة وما يتعلق بها وتطويرها للاستفادة منها .

***

التنمية الصناعية

ـ كسر الحاجز اللغوي بين الناس وبين العلوم الصناعية المختلفة بإيجاد مجمع متخصص متفرغ لترجمة جميع العلوم إلى اللغة العربية ومتابعة هذا العمل بصورة دائمة .

ـ إيجاد مراكز تدريب دائمة ومؤقتة , تعمل بصورة مستقلة وتابعة للمؤسسات الصناعية المختلفة .

ـ تنظيم دورات تدريب فنية وتنظيمية بصورة دائمة لمختلف قطاعات الصناعة .

ـ تطوير الاتجاه الصناعي من استهلاك المكائن المستوردة من الخارج إلى صناعة المكائن , ولذلك لا بدّ من الاتجاه إلى الصناعة الثقيلة , والى إيجاد مجامع علمية صناعية أختصاصية للتصميم والدراسات والإشراف والفحوصات لمختلف الفروع الصناعية للحاق بالركب الصناعي المتقدم .

ـ لا بدّ من التفتيش عن بلاد إسلامية نتعاون معها لإيجاد سوق واسع يكفي لاستيعاب الصناعة الثقيلة .

ـ العناية بالصناعات الاستهلاكية لهدف الاكتفاء الذاتي وبمردود اقتصادي ملائم .

ــ الاهتمام بصناعة التعدين , ومسح العراق لاكتشاف ما في باطن الأرض من معادن .

ــ الامتناع ما أمكن عن تصدير المواد الخام ومحاولة تصنيعها نصف تصنيع أو تصنيعاً كاملاً للتصدير .

ــ إيجاد مجامع صناعية بتروكيمياوية , والحصول على أسرار هذه الصناعة لعلاقتها بحفظ ثروات البلاد من المواد الخام المتوفرة فيها وهذا ما أكدنا عليه لدى حديثنا عن تصنيع النفط .

ــ تطوير المواصلات البرية والنهرية والبحرية والجوية بمختلف أشكالها لتسهيل نقل المواد والبضائع والسلع المختلفة .

ــ تعميم الكهرباء على كافة مناطق البلاد ووضع خطة صناعية لصناعة الأجهزة المنتجة للكهرباء وما يتعلق بها من نقل وتوزيع كصناعة الحبال النحاسية والألمنيوم لنقل الكهرباء وصناعة الأبراج وصناعة مولدات الديزل , والمراجل والتوربينات والمحركات والمحولات وقاطعات الدورة الكهربائية وما إلى ذلك , وبالتدريج وضمن خطط مفصّلة .

ــ إيجاد مدينة للصناعات الميكانيكية أو مجمع لها تكون للصناعات الميكانيكية الثقيلة وتكون مقراً للدراسات الهندسية وللمجمع العلمي الهندسي الميكانيكي .

ــ إيجاد مدينة للصناعات الكهربائية والالكترونية , وتكون نواة للصناعات الكهربائية الثقيلة ومقراً للدراسات الهندسية الكهربائية ومقراً للمجمع العلمي في هذا المجال .

ــ استعمال بيع المواد الاستراتيجية لدينا وسيلة للحصول على أسرار العلوم والصناعات .

ــ استدعاء الاختصاصيين للمساهمة في بناء المدن والمجمعات الصناعية .

ــ تطوير الصناعات الغذائية بما يتلاءم مع الإنتاج الزراعي وتوسيعه ما أمكن للأمن الغذائي للعراق والمناطق المحتاجة من الأقاليم المجاورة .

***

التجارة الداخلية والخارجية

بفعل السياسة التي ينتهجها حكم الطغمة الفاسدة في بغداد , صار احتكار السلطة للتجارة الداخلية والخارجية في العراق جزءً من السياسة العامة للسلطة الحاكمة , وما استتبع ذلك من فرض الضرائب الفاحشة والرسوم الكمركية العالية على المواد الغذائية والسلع , الأمر الذي أدى إلى ان يدفع المواطن ثمناً باهضاً , حيث أرهقه الغلاء الفاحش وأثقل كاهله غياب المواد الغذائية وتدهور السوق المحلية بشكل عام .

ورغم قناعاتنا أن هذه المعاناة التي يتعرض المواطن العراقي لها ولا يمكن التخلص منها إلا بسقوط هذا النظام , فإن سياسة التجارة

الداخليـــة والخـــارجية للعـــراق ينبـــغي أن تـــــرتكز علـــــى مـــــا يــــلي:

١- تحرير التجارة من احتكار السلطة وفسح المجـــال للتجـــارة الحرة والمؤسسات التجارية الأهلية أن تمارس دورها بمـــا يحقق مصلحة الشعب .

٢- مراقبة الأسواق ومعاقبـــة المتلاعبـــين بالأســـعار والـــسلع والحيلولة دون الاحتكار .

٣- خفض الضرائب الكمركية وإعفاء السلع الضرورية منها .

٤- دعم بعض المواد الغذائية وتحمل قسط من ثمنها , كـــاللحوم والرز والحليب والأدوية وغيرها .

٥- البحث عن الأسواق لتصريف الإنتاج المحلي ســـواء كـــان محصولاً زراعياً أم أنتاجا صناعياً .

آفاق السياسة الداخلية

ينبغي أن تحترم أجهزة الدولة الإنسان وتحفظ كرامته وتحـــافظ على حياته وأمواله ودينه , ولا يجوز أن تبقى الدولة على هذا النمط من معاملة الإنسان التي تصل إلى أدنى حد من الانحطاط بالتعذيب والقتـــل والمحاكمات الصورية التي تصل إلى حد إيقاف معاملات الناس , إلا أن تكون بالواسطة أو الرشوة , والتي تصل إلى التفريق بين الناس للانتماء

المذهبي والعرقي , ولذلك ينبغي أن تتكافأ الفرص , كما ينبغي أن تعمل الدولة على التخلص من آثار السياسة الإنكليزية التي وضعوها للعراق لغرض التفريق بين الناس , والتي لا تزال متبعة إلى الآن يتوارثها السياسيون وكبار الموظفين خلفاً عن سلف وكأنها أعراف مقدسة , وما هي إلا سموم سياسية واجتماعية وضعها المستعمرون في بلادنا .

ـ على الدولة أن تبسّط المعاملات التي يحتاجها الناس في مراجعاتهم مع الدولة , فلا يعقل مثلاً أن ينتظر الناس سنين طويلة لحل مشاكل بسيطة يمكن أن تحل ببساطة وبوقت قصير , ولذلك فلا بدّ أن تتبع الدولة سياسة اللامركزية وإعطاء الصلاحيات للموظفين المختصين لوضع الحلول وإنهاء المعاملات , وإيجاد مكتب للشكايات على المقصرين ووضع عقوبات رادعة للمرتشين .

ـ إعادة دراسة وضع مختلف دوائر الوزارات والمؤسسات المختلفة لغرض التبسيط وتحسين أداء الأعمال وزيادة الإنتاج .

ـ تحويل أجهزة الشرطة إلى مكافحة الجرائم الاجتماعية والخلقية والاقتصادية والعادات المضرة كالقمار والخمر والحشيشة .

ـ إن المفهوم العام السائد لدى الناس عن الشرطة إنها جهاز للقمع والظلم والرشوة , وهذا المفهوم ينطبق على الواقع , وهو نتيجة مباشرة للسياسة الخاطئة التي يمارسها المستعمرون لهذا الجهاز وسار عليه , والتي لا تزال مطبقة إلى الآن وبشكل يزداد سوءً يوماً بعد يوم .

إن الشيء الرئيسي الذي ينمو في العراق هو الحكم البوليسي والسجون التي تحول العراق إلى سجن كبير يتحكم فيه الجلادون حتى رئيس الدولة هو المشرف المباشر على هذه الأجهزة وهو عمله الرئيسي .

إن تعدد أجهزة التجسس في العراق بلغت حداً لم يبلغه بلد من البلدان , وقد سنّت السلطة سنّة سيئة في هذا المجال أثرّت على بعض الأحزاب الأخرى حتى أن الحزب الشيوعي كان يقوم بالتجسس على نشاطات الدعوة الإسلامية ويبلغها للأجهزة التجسسية للسلطة في فترة شهر العسل التي كان يعيشها الحزب الشيوعي مع السلطة العميلة بعد توقيع المعاهدة العراقية السوفيتية .

ويجب أن يتجه التنظيم الداخلي نحو اللامركزية وتيسير الخدمات التعليمية والصحية وغيرها للجميع من خلال التنظيم اللامركزي وذلك بتكوين مجالس خدمات لكل عدد من المجموعات السكنية , ولكل مجموعة سكنية فيها (٥٠٠) عائلة أو أقل مجلس خدمات يسمى مجلس قروي أو بلدي , وتكون صلاحية هذا المجلس إنشاء المستوصفات والمدارس والطرق والنظافة ... وما إلى ذلك وتكون واسطة بين الدولة وبين الناس لتيسير أمور جميع الناس داخل حدود الدولة .

ويمكن أن يتألف المجلس من الاختصاصيين على قدر الامكان ويمكن أن يكون الأعضاء غير متفرغين إلا عضواً واحداً بمثابة رئيس لهذا المجلس .

آفاق السياسة التعليمية

على الدولة أن تفكر باستمرار بتحسين المستوى الثقافي والفكري والسلوكي للجهاز التعليمي في جميع المستويات :

أ ــ عقد مؤتمرات لبحث أمور التعليم .

ب ــ إعطاء صلاحية التصرف في منهاج التدريس وتطبيقاته ضمن حدود معينة بقصد تحسين البرامج وتطويرها .

ج ــ تنظيم دورات تدريب وتعليم دائمة لكل الهيئات التعليمية وبجميع مستوياتها .

ء ــ إصدار مجلات تعليمية متخصصة لمتابعة تقدم الأبحاث والنظريات وما يستجد من أمور في جميع مجالات التعليم .

تقسيم التعليم إلى مستويات

أ ــ المستوى الابتدائي الذي يدخله كل الأفراد , يتعلمون القراءة والكتابة ومبادئ الحساب ومبادئ لغة أجنبية وكيفية التفكير المنظم والأسس الإصلاحية السامية التي نأخذها من الإسلام , ويدخل فيه كذلك بعض الدروس الملائمة كالعلوم الزراعية في الريف أو الرياضة المفيدة كالسباحة والرماية وما إلى ذلك .

ب ــ مستوى التعليم المهني :

مدارس مهنية لمختلف الاختصاصات الزراعية والصناعية والخدمات الأخرى التي تحتاجها الدولة كالتمريض , وتكون مدة هذه المدارس أربع أو خمس سنوات لكسب المهارات بصورة جيدة .

ج ــ التعليم الأكاديمي الأولي وهي المرحلة الثانوية للتخصصات المختلفة مثل الرياضيات والعلوم الطبية والاختصاصات الإسلامية .

وتقتصر الدراسة في السنتين الأخيرتين من هذه المرحلة على ثلاث دروس فقط إضافة إلى اللغة العربية ولغة أجنبية يختارها التلميذ كمقدمة لدخول الجامعة .

ء ــ التعليم الجامعي الأولي لتكملة السنتين الأخيرتين من المرحلة الثانوية .

هـ ــ التعليم الجامعي العالي :

وتكون الدراسة فيه حرة بإشراف أستاذ , ويطلب من الطالب كتابة أبحاث وتكون درجة كل بحث بمثابة (دبلوم) ويمكن أن يلقب الحائز على الدرجة الثالثة التي توازي الدكتوراه بالمجتهد في ذلك الاختصاص .

ــ تترجم جميع العلوم إلى اللغة العربية كما فعل المأمون بالنسبة إلى عصره وستكون الترجمة على نطاق واسع تضم جميع الدراسات بمختلف اختصاصاتها ومستوياتها باللغة العربية .

ويوضع جهاز متخصص لهذا العمل الكبير والاهتمام بالتربية الإسلامية وتعميق الصلة بالله تعالى في جميع مراحل الدراسة , بحيث يكون ذلك هو الإطار الفكري العام للطلاب .

آفاق السياسة العسكرية

ــ تغيير التعامل الاستعلائي الذي يتعامل فيه الضباط مع الجنود بحجة الانضباط العسكري , وهي أسس طارئة على مجتمعنا جلبها المستعمرون ضمن أفكار وتشريعات كثيرة زرعوها في بلادنا ولم نتخلص منها بعد .

ــ إبعاد مؤسسات الجيش عن التفرقة المذهبية والعنصرية التي أوجدها المستعمرون والتي تحولت إلى عرف تتقيد بها المؤسسة العسكرية .

ــ عدم إستعمال الجيش كمؤسسة لخدمة الحاكم واستعماله فقط لحفظ البلاد والدفاع عنها :

أ ــ تحويل مؤسسة المخابرات إلى مؤسسة تخدم أهداف البلاد ومصالحها العليا كمراقبة أعمال المستعمرين لا مراقبة أحرار البلاد .

ب ــ عدم إستعمال الجيش لضرب الشعب كما حدث في أربعين الحسين (ع) سنة ١٩٧٧ م .

ج ــ الاستفادة من المؤسسة العسكرية في التنمية الاقتصادية والصناعية والزراعية لإعمار الصحاري وتحويل مصانع الأسلحة

لإنتاج السلع الصناعية الإنتاجية عند الحاجة .

ــ السير نحو الحصول على مختلف المهارات العسكرية بأرقى ما توصل إليه الإنسان من فنون عسكرية , والتدريب على مختلف الأسلحة ووضع الخطط العسكرية لحماية البلاد والمدن ومقاومة الأعداء في كل الظروف والاحتمالات .

ــ السير نحو تصنيع الأسلحة ابتداءً من الأسس الصناعية حتى إنتاج قطع الأسلحة على اختلافها لتصل إلى هدف الاكتفاء الذاتي بقدر الامكان .

آفاق السياسة الخارجية

يجب بناء السياسة الخارجية على أسس إسلامية متينة تعبر عن وحدة الأمة الإسلامية والتزامها بتشريعها الشامل وهذا يتطلب فعلاً :

ــ اعتماد السياسة الخارجية على متطلبات السياسة الداخلية ومصالح البلاد في كل الأمور , وإلغاء التبعية السياسية والفكرية والاقتصادية والعسكرية وغيرها للاستعمار .

ــ إيجاد علاقة متينة مع القوى المحررة من الاستعمار في العالم الإسلامي وبقية الدول المستضعفة , وخاصة مع الشعب الفلسطيني والثورة الإسلامية في إيران .

وعلى الدولة أن تلغي المنظمات التي أوجدتها باسم فلسطين لخدمة أغراض سياسية محلية .

وأن تفسح مجال التدريب الحقيقي للفلسطينيين وتقديم المساعدات الحقيقية لأغراض تحرير فلسطين في المجال العسكري والسياسي الدولي والمحلي والإعلامي ... الخ .

ـ تقوية منظمة أوبك وتحويلها إلى مدافعة حقيقية عن مصالحنا النفطية .

ـ تحويل العلاقات المائعة بين الأقاليم الإسلامية إلى علاقات جادة , وإزالة القيود على تنقل الأفراد والسلع المصنعة محلياً ورؤوس الأموال والكتب والمجلات بصرف النظر عن علاقات الحكومات لأن ذلك يؤثر على وحدة المنطقة التي مزقها الاستعمار .

هذه بعض الآفاق التي نتصورها لغدٍ أفضل , ولكننا نعلم ـ كما أكدنا مراراً ـ إنها لا يمكن أن تنزل إلى واقع التطبيق إلا بعد زوال العقبات , وأهمها هذا النظام الطاغي في العراق , والا بعد العمل على تطبيق نهج الإسلام ذلك المنهج الذي يحقق كل ما تصبو إليه الإنسانية من سعادة ورقي ... والحمد لله رب العالمين

١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م

حزب الدعوة الإسلامية

مقترحات حزب الدعوة الإسلامية

في تشكيل الدولة التي ينشدها

بسم الله الرحمن الرحيم

حزب الدعوة الإسلامية يعتقد انه بجهاده وجهـوده وبعـون الله سبحانه وتعالى , سوف يصل يوماً ما إلى إقامة الدولة الإسلامية التـي يسعى إليها ويبذل في سبيلها كل غالٍ ونفـيس مـن أرواح المـؤمنين والمؤمنات , إضافة إلى التعذيب والملاحقات التي طالـت لـيس فقـط المنتمين فعلاً لحزب الدعوة الإسلامية وإنما حتى الذين كانوا في الحزب وتركوه لسبب من الأسباب .

وغدا العراق ليس فيه معارضة فاعلة إلا حزب الدعوة , وأصبح حزب الدعوة يقضّ مضاجع صدام وزمـرة البعـث , فأينمـا يولـون وجوههم يرون أثراً واضحاً للحزب من خلال الروح الإسـلامية التـي بدأت تتوسع وتشمل كثيراً من مجالات الحياة .

والعراق بلدٌ مسلم في فطرته , يحب الإسلام ونشأ عليه , والأمة العراقية أمة مسلمة تحكمها أعراف وقواعد وآداب إسلامية يقل نظيرها في الدول الأخرى .

ولكن الحكام الظالمين منذ عهـود سـاحقة ــ لغـرض إحكـام سيطرتهم على الناس ــ عملوا على إشاعة التحلل الخلقي والفساد فـي كل ناحية ــ .

وقدرّ لحزب الدعوة الإسلامية أن يذكي في نفـوس العـراقيين بالذات الروح الإسلامية , فأصبحوا يشعرون بـالعزة والمنعـة , وإن الإسلام دين لا يكتمل إلا عندما يحكم .

ولذلك فإن خشية الظالمين كانت قوية بمقدار قوة الزلزال الـــذي أحدثه حزب الدعوة في الأمة .

واستباقاً للزمن فإن حزب الدعوة الإسلامية هيأ في عام ١٩٧٩ تصورات شاملة للدولة التي ينشدها وهي مطولة مطوّلة , سوف نقتطف منها بعض الموارد .

رجال الدولة

ينبغي أن تتوفر في رجال الدولة الذين يرسمون سياستها أو ينفذونها الصفات التالية :

١- التدين ونعني به الالتزام بالالتزامات الشرعية كاملة والبعد عن التأثر بمؤثرات الحضارة الغربية المعاصرة .

٢- الإخلاص للدولة والبعد عن أي ارتباط أو ميل لدولة أخرى.

٣- الفهم الإسلامي لاتجاهات الدولة , وفهم القوانين االمتبناة من قبل الدولة .

٤- يفكر دائماً بأن لا يعتمد على الدول الأخرى .

٥- يفهم بوضوح تعقيدات الحياة التي خلفها لنا الاستعمار .

٦- يحمل هموم الأمة العراقية .

٧- لا يستعلي على أي من الناس , ويعمل على إزالة آثار الفجوة السابقة التي كانت تفصل الحاكم عن المحكوم .

٨- يدرس الأوضاع على الطبيعة ويتعمق في فهم المشاكل التي تصادف عمليات الإصلاح والتغيير المطلوبة .

٩- أن يكون صاحب ذهنية وعقلية منظمة .

١٠- أن يكون ذا نشاط جم ومتابعة للأعمال .

١١- يتعاون بشكل كامل مع الزملاء ومع المساعدين ويتدارس أمور الدولة في مجال عمله مع الاختصاصيين .

١٢- يتمكن من اتخاذ القرار المناسب بعد الدراسة .

١٣- يبتعد عن التعقيد في تسيير الأمور .

١٤- يهتم بمصالح الناس وخاصة المحتاجين .

١٥- يفتش عن الطرق التي تنمو بها المصالح الاقتصادية في البلاد .

١٦- يعمل على تنمية الوعي العام في البلاد .

١٧- يعمل على تماسك الأمة داخل الدولة .

١٨- لا يقف مواقف ردود الفعل , وإذا شاهد ظاهرة غير صحيحة أو غير صحية يبادر إلى اخذ موقف ايجابي مدروس وواسع ونشيط

١٩- لا ينبغي أن تتجمع القيادات في مكان ضيق فتطفو الخلافات , بل ينبغي توزيع المسؤوليات وينطلق الجميع للعمل .

***

الأقليات العرقية

١- الإسلام هو الجامع لجميع قوميات المسلمين ولا مجال للتفكير القومي والاضطهاد القومي , ولا مجال لفكرة الأقلية والأكثرية بمعناها الحقيقي بين المسلمين .

وليعلم الأكراد وغيرهم أن قضيتهم انحلت من جذورها والإسلام هو الحل الحقيقي لجميع قضايا ومشاكل المسلمين وعليهم أن يعوا هذه الحقيقة .

وليعِ الأكراد أن تفكيرهم بعد اليوم يتجه إلى تحرير البلاد الإسلامية ومنها الأقاليم الكردية .

ينبغي أن يتبين الأكراد وغيرهم أحكام الله تعالى وأنّ عليهم أن يقبلوا بها ومن أحكام الله تعالى جمع المسلمين لا تفريقهم وأن يكونوا يداً على سواهم .

هذه الحقائق الإسلامية وغيرها ينبغي أن يخاطب بها الأكراد وتركز في أذهانهم من قبل علمائهم ومتدينيهم , بالإذاعة باللغة الكردية ولهجاتها المتعددة .

٢- وينبغي إصدار مجلة كردية سياسية تفضح الارتباطات الاستعمارية ومحاولاتها وتظهر حقيقة الأوضاع الكردية وما تهدف إليه السياسة الإسلامية.

٣- وينبغي المبادرة إلى إنشاء حزب إسلامي كردي في المنطقة الكردية .

٤- وينبغي اختيار بعض العلماء والمفكرين الإسلاميين من الأكراد لفتح جامعة إسلامية في المنطقة الكردية على غرار الأزهر .

٥- كما ينبغي المبادرة بالإصلاحات والخدمات الاجتماعية في المنطقة الكردية كالخدمات الصحية والاهتمام بالفقراء والمحتاجين وإنشاء مراكز إرشاد زراعية وحيوانية ... الخ وينبغي إعطاء صلاحيات واسعة للمسؤولين في المناطق لتنفيذ هذه الإصلاحات .

وكذلك ينبغي حثّ القوميات على التآخي الإسلامي وإشاعة التزاوج بين القوميات .

***

نقاط تميز الدولة الإسلامية عن غيرها

ينبغي أن تكون الدولة :

١- مركزاً للإشعاع الفكري في الإعلام وتخريج علماء المسلمين وإنشاء الصلات الفكرية والعملية بهم .

٢- مركزاً للمجاهدين في سبيل الله وتحميهم من الاضطهاد .

٣- نموذجاً لحيوية الإسلام وأثره في المجتمع .

٤- نموذجاً للحضارة الإسلامية والعدالة الإسلامية في القضاء على الفقر والبطالة , وفي الإبداع في المجالات الحياتية المتعددة , وفي مناقشة الحضارات الأخرى وفي المجالات العسكرية .

٥- نموذجاً للنمو الاقتصادي .

٦- قوة سياسية مهابة , وقوة عسكرية يخشى منها .

٧- لا يكون هيكلها وأجهزتها تقليدية روتينية , بل تتلاءم مع حيوية الإسلام وأصالة التعاون بين الراعي والرعية .

٨- الكيان الإسلامي بأجمعه وبمفرداته متعلق بالله سبحانه بالعبودية وتتصرف الدولة في الداخل والخارج من هذا المنطلق .

٩- الشريعة الإسلامية من أوضح الشرائع ويجب أن تكون كذلك لجميع المسلمين , وعلى العلماء أن يشمّروا عن ساعد الجد ويوضحوا الشريعة توضيحاً كاملاً , لكي يرتبط المؤمنـــون بالحكم الشرعي عن بينة ولكي يرتقي ذهن عامة الناس في وعيهم للإسلام .

١٠- الدولة المؤلفة من السلطة الإسلامية والرعية الإســـلامية والأرض الإسلامية تقتــضي الانـــدماج الكلـــي بالتعـــاليم الإسلامية , ومن مظاهر ذلك الحب والولاء المتبادل بـــين الحاكم والرعية والأرض جميعاً ومن مظـــاهره المحاســـبة اليقظة بالموازين الشرعية .

***

الوضع الداخلي

يحاول المستعمرون التشويش داخل الدولة لكي يتعبوها ويخضعوها بشكلٍ ما لبعض نفوذهم .

كما يحاولون التشويش الخارجي على الدولة ليضعفوا صورتها في أذهان المسلمين والعالم ويمنعوا تأثيرها على بقية أقاليم العالم الإسلامي .

وسوف تستمر هذه المحاولات حتى ييأسوا .

وتقع مسؤولية معالجة هذا التشويش على الحكومة وعلى حزب الدعوة الإسلامية بما يلي :

١- كشف الأعمال والأقوال والأفكار التي يحاول الاستعمار بثها في الداخل .

٢- التوعية الإسلامية والسياسية لجميع الناس بواسطة المذياع والتلفاز والمسجد والمنبر والمدرسة والجامعة والمنشور والجريدة والمجلة والمسرح والسينما ... الخ بعيداً عن الأساليب المملة التي يستعملها حكام البلاد الإسلامية .

٣- وعي السلطة وأجهزتها , ورصد التحركات لأعضاء السفارات والفئات والأفراد والمشبوهين .

٤- وعي السفارات في الخارج ورصد كل ما يقال عن الدولة وعن العالم الإسلامي بصورة عامة .

٥- الانتباه إلى الأحزاب التي تتعامل مع الفكر الليبرالي الغربي والفكر الراديكالي الماركسي لأنهم يمكن أن يتعاملوا مع المستعمرين .

٦- تحديد مواقف واضحة من المسائل المطروحة أو التي ستطرح فيما بعد , ويمكن أن تكون مدخلاً للتشويش , مثل الموقف من الأقليات الدينية .

٧- الاهتمام بمناطق الحدود ومنع التسلل والتهريب على أن لا يصيب المسلمين الأذى , سواء كانوا مسلمي الدولة أو غيرها .

* * *

انطلاقة المسلم

كما ينبغي لحزب الدعوة الإسلامية أن يأخذ على عاتقه تحقيق انطلاقة المسلم بما يلي :

أولا ـ تثبيت العقيدة , وإيقاظ الجذوة الإيمانية , وإشاعة الممارسات الإسلامية , وإشاعة الثقافة الإسلامية , وتقديم التربية الإسلامية من جذورها الأساسية , وإشاعة التوعية والثقافة السياسية .

ثانياً ـ تحقيق العلاج الإسلامي لأمراض المجتمع ومعيقات النشاط والإنتاج وهي :

البطالة , المرض , الجهل , ضعف الدين , العادات السيئة مثل (الكسل , المشاكسة , قتل الوقت واللهو , النوم الكثير , التواكل التدخين , الاستعلاء , الترف , الخمر والقمار والزنا والسرقة الأعمال الطفيلية , القلق , عدم الثقة بالنفس , الظلم ,التردد ... وأمثالها الفقر العاهات , نقص المهارات , عدم تنظيم العمل , التفكك الاجتماعي الفجوة بين السلطة والناس , انعزال القيادة عن الأمة , عدم تكافؤ الفرص , الوساطة والمحسوبية , العصبيات العرقية والإقليمية والحساسيات المذهبية وأمثالها .

ثالثاً – ينبغي أن ينشط جميع المتدينين أقصى أنواع النشاط فذلك جهاد في سبيل الله , وأن يفتح مجال العمل أمامهم جميعاً:

التنظيمات الطلابية والتنظيمات النسائية وتنظيمات أصحاب المهن .

وان ينشط الحزب في إعداد وصايا مبوبة ومرقمة من القرآن والسنة وأقوال الفقهاء والحكماء من المسلمين , تنشر بشكل مدروس ومؤثر في :

كتيبات , بطاقات مناسبات , طوابع , ملصقات جدارية شعارات جدارية , لوحات جرائد حائط , صور كاريكاتورية , صور وأقوال على القمصان والملابس وأمثالها .

رابعاً – ينبغي إظهار صوت المرأة المسلمة ونشاطها في تولية بعض النساء المسلمات المختصات مناصب كبيرة في بعض الوزارات كالصحة والإعلام والتربية .

وتسليط الضوء على النشاطات النسائية الإسلامية , وعلى النساء البارزات ذوات الفضل والخدمات في المجتمع .

وتشجيع المهارات المختلفة للنساء كمدارس تعليم الخياطة والحياكة والتمريض وتدبير المنزل والزراعة في الريف ورعاية الأطفال المعاقين ورعاية العجزة وإصدار مجلة نسائية راقية .

***

انطلاقة الإسلام

كما ينبغي تحقيق انطلاقة الإسلام وذلك بما يلي :

أولاً ـ إنّ العلاقات بين الناس في المجتمع هي التي تحدد معالم المجتمع , ومع أن الإسلام غائب عن الحياة بصورة كبيرة في بلادنا إلا أن المشاهد يجد فروقاً واضحة بين مدينة إسلامية ومدينة بوذية ومسيحية .

وعلينا أن نعيد العلاقات الإسلامية السامية لتبدو الحضارة الإسلامية للناس بوضوح تام .

ثانياً ـ إعادة نظام الجماعة , وعلينا أن نعيد إلى المسلمين روح النظام لينتظموا في مختلف المجالات المهنية والاجتماعية في تجمعات , لدفع المجتمع نحو الإسلام ولزيادة الإنتاج ولزيادة الخدمات التي توفر الحياة الكريمة وأن ترتبط هذه التجمعات فيما بينها بتنسيق متكامل وتتبادل الخبرات .

ثالثاً ـ ينبغي وضع الاطروحات الشرعية المبلورة لجميع العلاقات بين الناس في الإسلام , التماسك الأسري , صلة الرحم رعاية الجار , المؤمنون كالبنيان المرصوص , الإنفاق والتعامل مع المحتاجين , التعامل مع المحسنين , دور الأسرة في معالجة المنحرفين من الشباب والشابات , دور الدولة والأغنياء ولجان المساجد والجمعيات في رعاية

الفقراء والمحتاجين , دور الأوقاف ومجالاتها الاقتصادية الواسعة التي تتسع باتساع احتياجات المجتمع الإسلامي في مختلف العصور .

رابعاً ـــ رفع شأن العلم والعمل , وتحديد الاختصاصات العلمية التي تحتاجها الدولة وتوجيه القادرين للاتجاه إليها .

خامساً ـــ تنظيم العمل في المصانع بما يكفل حاجة الأجير وراحته .

سادساً ـــ الأحزاب في الإسلام تسعى إلى تطبيق الالتزام بالإسلام وتتنافس بالتمسك بالعقائد الصحيحة والأحكام المبلورة .

***

الحوزة

ينبغي تطوير الحوزة وتعزيزها بوضع خطتين أساسيتين :

خطة للدراسة

وخطة للعمل

وهذه بعض النقاط لهاتين الخطتين :

١- إعداد إحصائية للعلماء والطلبة من حيث العدد , والانتشار الجغرافي , والاختصاصات , لغرض سد الفراغ في مجال التبليغ , بحيث يكون لكل ٥٠٠ عائلة (من عامة الناس) واعظ أو فقيه .

٢- يقبل الطالب في الحوزات بموجب تزكية وامتحان لقابليته .

٣- تحدّد السنوات أو المواد اللازمة التي لا بدّ منها لجميع طلبة الحوزات .

٤- بعد المرحلة التحضيرية , يتجه الطالب حسب رغبته وقابليته إلى احد الفروع التالية :

ـ فرع التبليغ (علماء المناطق)

ـ فرع الخطابة والوعظ

ـ فرع الاختصاص في الفقه والأصول (الاتجاه إلى الاجتهاد أو إلى تدريس الفقه والأصول في الحوزة) .

ـ فرع الكتابة والتأليف

ـ فروع الاختصاصات الأخرى

٥- تنشأ في (مدينة النجف وسامراء وبغداد) عشرات القاعات مجهزة بالمقاعد والمنابر ومكبرات الصوت , وتخصص لمختلف العلوم الإسلامية يلقي فيها المدرسون دروسهم في أوقات معينة ويسجل فيها الملتزمون بالحضور .

٦- تعقد دورات فصلية لعلماء المناطق تبحث فيها أمور المسلمين ويتبادل المجتمعون الخبرات الفقهية والعملية من خلال أبحاث مكتوبة ومناقشات .

٧- تعقد دورات فصلية للقضاة , تبحث فيها أمور القضاء ويتبادل فيها المجتمعون الخبرات الفقهية والعملية من خلال أبحاث مكتوبة ومناقشات .

٨- ينتشر جميع الطلبة القادرين في موسمي شهر رمضان ومحرم لتغطية كل البلاد للوعظ والإرشاد وفق خطة شاملة

٩- تتكون عدة لجان لإمداد الإذاعة والإعلام بمواد متنوعة ودعوة علماء ومفكرين من العالم الإسلامي لهذا الغرض وغيره .

١٠- إصدار مجلات أبحاث إسلامية فصلية , مثلاً :

مجلة فقهية للأبحاث الفقهية في المواضيع المختلفة , خاصة المطروحة على الساحة العملية وتهتم بالفقه المقارن

مجلة أصول الفقه

مجلة علوم القرآن

مجلة علوم الحديث

مجلة البحوث والدراسات الإسلامية الاجتماعية والتاريخية والثقافية , ويمكن أن تكون مجلة واحدة ضخمة ذات أبواب مختلفة .

ويشارك في الكتابة كل القادرين من مدرسي الحوزات وأساتذة الجامعات , والكتاب والعلماء في العالم الإسلامي .

وتصدر المجلات أو المجلة في البداية باللغة العربية وبعد ذلك تصدر باللغات الأخرى .

***

الجيش

١- ينبغي تخفيض عدد الجيش النظامي إلى أقل عدد ممكن ووضع خطة مستقبلية لدمج الجيش الشعبي به وجعلها مؤسسة واحدة .

٢- توضع خطة لتعبئة وإعداد الجيش النظامي والشعبي إعداداً عقائدياً بمفاهيم الإسلام وأحكام الإسلام , ودروس من الفروسية والبطولة والاستشهاد , من سيرة النبي والأئمة عليهم السلام , والمجاهدين المسلمين رضوان الله عليهم ينفذها العلماء والمؤمنون الواعون .

٣- توضع خطة لربط الجيش النظامي والشعبي بالشعب ربطاً حقيقياً متفاعلاً يقوم بموجبها الجيش بتدريب كل القادرين ليكونوا على استعداد تام للقيام بالعمليات العسكرية الداخلية والخارجية .

٤- ينتظم جميع المسلمين في مجموعات عسكرية يتكامل بعضها بالبعض الآخر لتلبية نداء الجهاد في الوقت الذي تقرره الدولة .

٥- يكون السلاح في متناول يد أفراد التنظيمات العسكرية بدون تأخير بالشكل الذي يناسب وضعية السلاح ووضعية المواطنين .

٦- تنظم المخابرات العسكرية بشكل جيد , ويختار أعضاؤها من المتدينين الجيدين أصحاب الكفاءة , ونقصد بها رصد الأعمال والتحركات العسكرية في الدولة وفي العالم خاصة تلك التي لها علاقة بأمن الدولة .

٧- ينبغي أن يكون دور العلماء في الجيش دوراً أساسيا وأن يكون لكل مجموعة من تشكيلات الجيش المختلفة أو لكل مركز , عالم أو أكثر يقومون بالتثقيف العقائدي والسياسي ويقومون بحل المشاكل والقضاء بين أفراده .

٨- ينبغي العناية الخاصة بقطع الغيار والصيانة , بتوفير احتياطي كبير من قطع غيار للطائرات والآليات والزوارق والبواخر وحصر الاستعمال في حدود الضرورة , على أساس توقع إيقاف الإمداد بالقطع من كل الدول .

٩- ينبغي الاهتمام الكامل بالصناعة العسكرية ووضع خطة لذلك والبدء بتصنيع الذخيرة وقطع الغيار والأسلحة الخفيفة من الآن .

***

صورة الجيش الإسلامي

ينبغي أن توضع خطة للوصول بالجيش إلى صورة الجيش الإسلامي .

ففي الإسلام يتكون الجيش من جميع المسلمين القادرين ,أما الجيش المتفرغ فيكون لثلاث مهمات :

لحفظ الأسلحة

وحفظ الثغور

وتدريب المسلمين

وينبغي أن يقسم الجيش الإسلامي بتقسيم جغرافي إلى المناطق الحدودية ثم التي تليها .

وتقسيم اختصاصات القوة الجوية والقوة البحرية , المشاة المدرعات مثلاً , وتقسيم بحسب الأعمار , من سن ١٨ ــ ٢٥ ومن ٢٥ ــ ٤٠ ومن ٤٠ ــ ٦٠ وما فوق الستين ... مثلاً .

وحينما تدعو الحاجة يُستدعى المسلمون في منطقة معينة واختصاص معين ومن سنة معينة مثلاً فيلتحقون بمراكزهم .

وينبغي الاهتمام بالحدود وإنشاء قرى ومراكز زراعية أو تجارية يسكنها المسلمون المرابطون أهل الثغور .

***

التنمية الاقتصادية

ونقصد بها النمو الصناعي والنمو الزراعي والنمو الحيواني :

١- لم يتقدم المسلمون في المجال المادي , بسبب السيطرة الاستعمارية على مقدراتهم وحياتهم من جهة , وبسبب رفضهم الاندماج في حياة الكفر التي كانت تصاحب الدعوة إلى الحداثة من جهة أخرى .

والآن ينبغي توجيه الناس للحصول على جميع المهارات التي تحتاج إليها البلاد في النمو الاقتصادي كواجب كفائي لسد الحاجة , ولتكون الدولة قوية ولتعد نفسها للمهمات الكبرى التي كلفها بها الله سبحانه وتعالى .

وسيكون الإسلام دافعاً لهم لتحقيق ذلك , وسيكون المسجد منطلقاً للتوعية والنمو الاقتصادي في أنحاء الدولة .

٢- ينبغي أن يدرك الفقهاء بعض الحقائق في مواضيع التنمية الاقتصادية وما يتعلق بها من مواضيع علمية طبيعية ليكونوا عوناً في تسريع النمو الاقتصادي بالتعاون مع المؤمنين الاختصاصيين من مهندسين وأطباء واقتصاديين ومفكرين اجتماعيين ومفكرين سياسيين لتكون البلاد كتلة واحدة

منطلقة في سبيل الله تعالى سداً لحاجة المسلمين وإعداداً للقوة التي أمر الله بها سبحانه .

٣- ينبغي الاستفادة من الكتب التي تساعد على إنهاض البلاد مادياً ككتب مالك بن نبي .

٤- ينبغي توفير المعلومات والتعليمات العملية التي لها علاقة بالصناعة والزراعة وتربية الحيوانات , باللغات المحلية كما يحتاج الأمر إلى ترجمة واسعة للعلوم .

٥- تقوم الدولة بتوعية المسلمين على أهمية التنمية الاقتصادية في حاضرهم ومستقبلهم .

٦- يسمح للأفراد والهيئات بامتلاك المصانع وتأسيسها ضمن نطاق الشرع .

٧- تؤسس الدولة مراكز علمية وتقوم بإعداد دراسات متكاملة وتصاميم عن الصناعات التي يحتاجها المسلمون , وتقدمها إلى من يرغب من الميسورين أو المجموعات بتأسيس مصانع .

٨- توجه الدولة الميسورين من المسلمين لوقف أموالهم على الأعمال الصناعية ذات النفع الجاري للمسلمين كإنشاء مصنع مواد بناء يباع إنتاجه بسعر الكلفة للمشاريع الوقفية وإنشاء مصنع للسلاح يباع للدولة بسعر الكلفة لاستعماله في

الجهاد وحفظ ثغور المسلمين وإنشاء مصنع تحلية مياه البحر للزراعة .

٩- تؤسس المجموعات الصناعية المتشابهة مراكز تدريب للعاملين على مختلف مستوياتهم .

١٠- توزع الصناعات على المساحات الجغرافية لكي لايكون التركيز الصناعي في منطقة دون أخرى , وكذلك على مناطق تيسر المواد الأولية .

١١- ترسم الدولة السياسة الصناعية لمدد محددة , وتؤسس أولا الصناعات لخدمة الأغراض الرئيسية العليا في البلاد .

١٢- تؤخذ بنظر الاعتبار الناحية الأمنية من العدو المحتمل عند تأسيس الصناعة كإخفاء المناطق الصناعية المهمة .

١٣-تهتم الدولة بتوفير أقوات المواطنين الذين هم داخل حدود الدولة .

١٤- تهتم الدولة بتوسيع رقعة الأرض المزروعة .

١٥- تعمل الدولة لتطبيق استعمال أحدث ما توصل إليه الإنسان في قضايا الزراعة .

١٦-تستعمل المساجد في المناطق الريفية لنشر الوعي الزراعي

١٧-تنشئ الدولة (المركز العلمي للأبحاث الزراعية) ويتكون على سبيل المثال من الأقسام التالية :

أ ــ أبحاث التربة واستصلاح الأراضي والزراعة المكثفة كتعدد المواسم والخيم البلاستيكية .

ب ــ أبحاث النباتات الصحراوية والطبية والاقتصادية .

ج ــ أبحاث الاشجار المثمرة وأشجار الغابات ومصدات الرياح

ء ــ أبحاث المياه والري والثروة المائية والسدود والآبار الارتوازية , وأساليب الإرواء الحديثة للمناطق القليلة المياه وتحلية مياه البحر .

هـ ــ مكننة الزراعة وفتح مراكز تدريب على استعمال الآلات الزراعية والمحافظة عليها , ومراكز الصيانة لها .

و ــ الصناعة الغذائية للثمار والحبوب ــ التعليب والتجفيف ــ

ز ــ ترجمة العلوم الزراعية الأمريكية واليابانية وترجمة الأبحاث من المجلات العلمية الزراعية .

١٨- تهتم الدولة بتعميم المدارس الزراعية على جميع المناطق الزراعية .

١٩- تهتم الدولة بالثروة الحيوانية إلى جانب الثروة الزراعية وتعمل لاستخدام أحدث ما توصل إليه الإنسان في قضايا هذه الثروة .

٢٠- تهتم الدولة بتعميم الوعي البيطري وإقامة مراكز الطب البيطري في المناطق والأرياف .

***

حول العلاقات والعمل في المصانع

عناصر العمل الصناعي هي : الإنسان , المكائن والآلات , المواد الخام المواد المنتجة .

أ ـ الإنسان

ـ الإنسان في المصنع راع ورعية

ـ ينبغي الاهتمام بكفاية العمال الذين لا تكفي رواتبهم لإعالة عائلاتهم .

ـ ينبغي الاهتمام بتوزيع المسؤوليات وتنظيم الأعمال وتوقيتها .

ـ التدريب المستمر والمتطور للمستويات المختلفة , ويكون لكل مجموعة متشابهة من المعامل مركز للتدريب .

ـ تتألف للعمل لجان : للتدريب والسلامة الصناعية ورعاية المحتاجين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , وتشجيع الابتكارات والإبداع وزيادة الإنتاج وتحسينه .

ب ـ المكائن :

ـ المكائن سواء كانت ملكاً خاصاً أو ملكاً للدولة , فهي جزء من الثروة العامة وينبغي المحافظة عليها .

ـ تشغل الماكنة حسب تعليمات الشركة الصانعة .

ـ تترجم تعليمات الصيانة ويدرب العمال على أعمال الصيانة .

ج ــ المواد الأولية :

ــ تقدر كميات المواد الأولية التي يحتاجها العمل وتحفظ بشكل بعيد عن التلف والضياع .

ء ــ المواد المنتجة :

يحفظ المخزون بشكل مناسب وينقل إلى الأسواق في الأوقــات المناسبة .

***

الحوافز الإيمانية في النهضة الاقتصادية

ينبغي شق طريق جديد للنهضة المادية تختلف عن الطريق الرأسمالي والطريق الاشتراكي في الحوافز والأهداف .

ففي البلاد الشيوعية يهدر الوقت بشكل كبير ويقل الإنتاج لقلة الحوافز , وفي القطاعات الحيوية في البلاد الرأسمالية يزداد الإنتاج ولكن الحوافز تكون مادية والعلاقات مادية تسحق إنسانية الإنسان ويهدر الوقت ويقل الإنتاج أيضاً في كثير من القطاعات في البلاد الرأسمالية عندما تقل الحوافز , ويتحول الإنسان في العالم الرأسمالي والعالم الشيوعي إلى قطعة من قطع الإنتاج دون الالتفات إلى إنسانيته .

ولكن طريقنا في النمو الاقتصادي يختلف عن ذلك جذرياً , لأن أساس نهضتنا الاقتصادية الإيمان بالله وبالجزاء والثواب والعقاب في اليوم الآخر , فيكون النهوض المادي معتمداً على السمو الروحي في الدافع والهدف للفرد والجماعة وليس على الركض وراء المادة كما هي الحال في الحضارة المادية المعاصرة .

وعندما يكون بذل الجهد لتحصيل العلوم أو لزيادة الإنتاج وتحسينه بدافع إطاعة أمر الله سبحانه وتعالى فهو يختلف كثيراً من

ناحية أثره على الجسم وعلى النفس عن الجهد الذي يبذل في سبيل أي هدف آخر بعيد غير الهدف الإيماني .

والحوافز الإيمانية في نهضتنا الاقتصادية هي :

ـ الوجوب الكفائي بأمر رب العالمين سبحانه للحصول على جميع المهارات التي يحتاجها المسلمون لأنه لا يجوز أن يكون المسلمون في اقتصادهم عالة على الكفار , أو محكومين لهم في شؤون اقتصادهم .

ـ وجوب العمل لإعداد القوة لإرهاب أعداء الله يتطلب جهوداً صناعية وزراعية واقتصادية مختلفة متعددة ومهارات معقدة والحصول عليها هو جهاد في سبيل الله تعالى وهو الوسيلة الفعالة للقيام بالجهاد .

ـ الحوافز المادية في عالم الإسلام والإيمان تأتي بعد الحوافز الإيمانية بسبب العقيدة وبسبب أن الدولة ترعى شؤون الغذاء والمسكن والملبس والتعليم والتطبيب وبسبب أن القطاع الخاص ينمو في ظل الأحكام الإسلامية حيث لا استغلال ولا ظلم بل تعاون وتكافل وتحابب .

***

المراكز العلمية لمختلف العلوم

١- ينبغي إنشاء مراكز علمية لمختلف العلوم للسير في طريق التفوق المادي على الأعداء امتثالاً لأمر الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

فينشأ مركز للأطباء والصيادلة ومركز للمهندسين الميكانيكيين والكهربائيين والكيماويين والمدنيين والزراعيين والبتروكيمياويين ومهندسي الطيران والري وإعمار الصحاري والاقتصاديين ومركز لإدارة الأعمال والمحاسبة وعلم النفس ... الخ .

٢- تكون الجامعات هي مقر هذه المراكز , ويتم التنسيق بين الجامعات المختلفة .

٣- مهمة هذه المراكز تطوير البلاد اقتصادياً ومن جميع النواحي وإيجاد قفزة صناعية وصحية ... الخ في البلاد تضاهي ما عند الشرق والغرب الماديين ... وذلك بتهيئة أجواء البحث العلمي المعمق لشتى الشؤون ولتكوين علماء كبار في جميع العلوم , يقومون بأعمال الابتكار والاختراع ومضاهاة الدول المتطورة وإشاعة المعرفة العلمية بين الناس

٤- توفر المادة الأساسية للعلوم لجميع الناس , وذلك بإزالة حاجز اللغة بين المسلمين والعلوم , فتترجم العلوم الأساسية

التي تدرس في الجامعات العالمية , وتترجم الأبحاث المهمة لمختلف فروع العلوم والصناعات وتنشر في كتب ومجلات متخصصة وتتداول بشكل مبسط وميسر لمن يريد الإطـلاع عليها من عامة المسلمين .

وقد تحتاج الترجمة من اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية إلى العربية , إلى لجان دائمة , لأن الأبحاث والتقدم المادي لدى الدول المتقدمة مستمر , حتى نتفوق عليهم بمعونة الله تعالى .

٥- المحاكات في الصناعة والزراعة هي أول خطوات النهضة الصناعية والزراعية كما تحاكي اليابان الدول الصناعية الأخرى بكفاءة عالية .

والخطوة الثانية تعديل وتطوير الأمور والأشياء الفنية بإدخال التحسينات المتعددة .

والخطوة الثالثة هي الابتكار والاختراع , أي صناعة أشياء وإيجاد أعمال لم تكن موجودة من قبل .

ومن الممكن السير في الخطوات الثلاث في آن واحد , فنقوم بالمحاكاة في المستوى المتقدم للصناعات , ونقوم بالتحسينات والاختراع في المستويات العادية .

ومن المعلوم أن المستوى الصناعي للبلاد الإسلامية هو مستوى استهلاك الأدوات والأجهزة التي تشتريها من الغرب ولا تقوم إلا بأعمال بدائية جداً .

٦- ينبغي وضع قواعد التفكير الإسلامي من القرآن الكريم والحديث الشريف وإشاعة أسلوب التفكير الإسلامي في العمل والإبداع والإدارة والدوافع والأهداف لإعداد القوة المادية العصرية .

٧- الحوافز الإيمانية هي الأساس في إنجاح هذه المراكز .

٨- توجه نداءات من العلماء ومن حزب الدعوة الإسلامية والحكومة لدفع أهل الاختصاص في مجال المراكز العلمية .

٩- المسجد احد أهم الأماكن المؤثرة في بناء الإنسان الجديد وينبغي أن يحضّ أئمة المساجد المسلمين على بذل الجهود لاستيعاب المهارات والعلوم والبحث العلمي وأن يخوضوا في سبيل ذلك كل صعب .

١٠- بالإضافة إلى ميزانية الدولة المخصصة لهذه المراكز يُهتم بإيجاد أوقاف خاصة لها وتبرعات من المسلمين .

١١-يمكن وضع خطط تفصيلية لمشروع المراكز وينطلق من انطلاقة الإنسان المسلم , الإنسان الجديد في هذا العالم المادي

إذاعة صوت الإسلام

١- تبث من عدة محطات باللغات العالمية المهمة , وخاصة التي يتكلم بها المسلمون , وخاصة العربية والفارسية والكردية والتركية والأردية والبلوشية.

٢- يشرف عليها ويعمل فيها نخبة من المفكرين الإسلاميين من الدعاة في العالم الإسلامي , ولا بأس أن يشمل ذلك كل أقطار المسلمين .

٣- تكون المواد الأساسية واحدة في كل الموجات , وقد يكون مركز التحرير الأساسي في العاصمة .

٤- تتكون المواد التي تبث في صوت الإسلام من خمسة أقسام :

أ ـ القسم الفكري ـ الإيديولوجي ـ فكر إسلامي , فكر سياسي إسلامي .

ب ـ قسم الأخبار لتوضيح النشاطات الداخلية , وتوجيه الطاقات في الخارج .

ج ـ قسم التوجيه الإسلامي والسياسي والتنظيمي .

ء ـ القسم التعليمي ـ ينظم دورات دراسية في : التفسير والفقه والحديث والسيرة وأصول الفقه واللغات والعلوم الثقافية الأخرى العامة , والزراعة والمهارات المختلفة .

هـ ــ قسم المنوعات ــ البرامج المتنوعة من أحاديث مختــارة وتمثيليات مسلسلة ومقابلات وأحاديث وقصص للأطفال والكبار وركن المرأة المسلمة .

٥- يتضمن البرنامج اليومي :

تحليلاً سياسياً للوضع في العالم الإسلامي

أقوال الصحف في العالم الإسلامي

العالم الإسلامي في صحافة الغرب

قراءة في كتاب إسلامي

أسئلة وفتاوى شرعية

من الأدب الإسلامي

نشرة أخبار كل ساعتين

نشرتا أخبار مفصّلتين صباحية ومسائية

٦- نشرة الأخبار :

تتضمن الأخبار السياسية المتعلقة بالدولة خاصة , العلاقات الخارجية أخبار العالم الإسلامي .

أخبار الصراعات الدولية

الأخبار السياسية الهامة في العالم .

يراعى عدم التكرار في نشرات الأخبار ما عدا النــشرتين المفصلتين .

٧- يركز بعد كل نشرة أخبار على موضوع من المواضيع المهمة مثل :

أخبار الصناعة في الداخل والابتكارات والأعمال ذات النبوغ .

أخبار الزراعة في الداخل وإعمار الأراضي وإبداع الاختصاصيين .

أخبار الحوزات العلمية والكتب والمحاضرات والدروس المهمة , والاتصالات الخارجية للحوزة والندوات والمناقشات.

أخبار الجامعات كذلك

أخبار تقدم العلوم في العالم بقصد التوعية العلمية في الداخل ودفع المسلمين إلى التسابق مع العالم المتقدم صناعياً .

أخبار السوق التجاري

أخبار النشاطات الإسلامية

أخبار النشاطات الاجتماعية

أخبارعن مجلس الوزراء والوزارات

أخبارعن أعمال أجهزة الدولة

٨- ينبغي أن تهتم الإذاعة بالحديث عن الناس لا عن القيادات فقط , نتحدث مثلاً :

ـ عن الحركة في المجتمع وعن الجمود الاجتماعي في العهد السابق .

ـ حث مجتمعات المسلمين خارج الدولة على الحيوية والعمل .

ـ عن الجهود التي تبذل للتغلب على الصعوبات في مختلف مرافق المجتمع الإسلامي للوصول إلى قمة القوة في هذا العالم الذي يخضع للقوة .

ـ عن العبادة والقربة إلى الله تعالى في هذه الأعمال .

ـ عن التغيير في جوانب المجتمع وما أنجزناه وما ينبغي أن ننجزه .

٩- ينبغي أن تشترك الإذاعة في كل وكالات الأنباء العالمية وأن تغطي أخبار الحوزات العلمية والاجتماعية والسياسية وأخبار الجامعات وأخبار حزب الدعوة الإسلامية والأحزاب الإسلامية الأخرى والصناعات والأسواق والإنتاج الزراعي ومراكز الأبحاث العلمية والجمعيات .

١٠- ينبغي التركيز على نقد الحضارات المادية وإعطاء صور واقعية عنها .

١١- ينبغي إتقان فن عرض القصص المصورة للأطفال والفنون الأخرى اللازمة للإذاعة وإرسال أختصاصيين إلى الخارج إذا لزم الأمر للحصول على أصول الفن لتحقيق إبداع جديد .

١٢- هذه المقترحات تصلح للتلفزيون أيضاً .

***

السياسة الخارجية

١- جميع الدول المستضعفة ــ العالم الثالث ــ والقوى السياسية فيها , واقعة بشكل أو آخر تحت تأثير الدول الكبرى وداخلة ضمن دائرة اللعبة السياسية الدولية .

ولا يخرج عن دائرة هذه اللعبة إلا الدولة الإسلامية المباركة والحركات الإسلامية الأصيلة غير المرتبطة وغير الخاضعة لمفاهيم العمل السياسي السائد في العالم .

وسوف تكون الدولة الإسلامية هي القوة الجديدة على وجه الأرض التي تنشأ بإرادة الله تعالى من خارج اللعبة الدولية وستبقى خارج هذه اللعبة , تقابل كل تلك القوى وتنافسها إن شاء الله تؤثر ولا تتأثر , تقود ولا تنقاد ولا تنجر من قبل أحد بقول أو عمل إلى الوقوع في شرك اللعبة الدولية أو إلى الخضوع لمفاهيمها ومقاييسها السياسية .

ولذلك فهي تتعامل مع الدول والقوى على أساس إنها الدولة الإلهية تتعامل مع الدول والقوى الأخرى , وينبغي أن يكون هذا الأصل في التعامل ثابتاً وظاهراً في جميع العلاقات والاتصالات والمواقف الخارجية والتصريحات .

٢- إنشاء صلات وثيقة مع جميع الأحزاب الإسلامية في جميع أقطار المسلمين بهدف أن تكون في كل مكان كالحزب الواحد أو حزباً واحداً .

٣- إصدار تقارير سياسية شهرية وإرسالها إلى جميع الأحزاب الإسلامية السياسية والى جميع المراكز الإسلامية والى جميع وسائل الإعلام في العالم الإسلامي .

٤- إيصال الفكر الإسلامي والفكر السياسي المنشور في الداخل إلى الخارج عن طريق إذاعة صوت الإسلام والصحف أو الكتب .

٥- عقد مؤتمر سنوي للمفكرين والسياسيين في العالم الإسلامي.

٦- تقوم السفارات بالاتصالات بالمراكز الفكرية والصحفية والسياسية لشرح وجهات نظر الدولة في الأمور .

٧- استعمال منبر الأمم المتحدة لإيصال صوت الإسلام إلى العالم .

٨- اختيار مندوبين عن الأحزاب الإسلامية وبعض المفكرين والعلماء المتدينين من المذاهب الإسلامية المختلفة من جميع أقاليم المسلمين واستقدامهم إلى العراق للتدريس في الجامعات والعمل في الإذاعة والصحف وغيرها , وتتألف منهم جماعة في العالم يتابعون النشاطات الإسلامية ويمدّونها

بما تحتاج , ويقومون بدراسات تفيد الدعوة الإسلامية ويوجهون برامج إلى أقاليم العالم الإسلامي بلغاتها ويعملون لإزالة العصبيات العرقية والحساسيات المذهبية بين المسلمين .

٩- توثيق الصلة مع الجامعات والمعاهد العلمية والمجامع العلمية في العالم الإسلامي , بإرسال البعوث وقبول البعوث وقبول وتبادل الزيارات والكتب والدراسات ... الخ .

تقسم وزارة الخارجية إلى الأقسام التالية :

أ ــ دائرة شؤون العالم الإسلامي

ب ــ دائرة شؤون الدول الأوربية الغربية

ج ــ دائرة شؤون الاتحاد السوفيتي وتوابعه

ء ــ دائرة شؤون الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية

هـ ــ دائرة شؤون الصين واليابان والدول الآسيوية في الشرق .

و ــ دائرة شؤون البلدان الأفريقية

ز ــ دائرة شؤون البلدان العربية .

ح ــ دائرة شؤون فلسطين .

ط ــ دائرة شؤون الأقليات الإسلامية .

ي ــ دائرة شؤون الدول الحدودية .

ك ــ دائرة شؤون الدعوة الإسلامية في العالم .

القضية الفلسطينية

١- العالم الإسلامي كله واقع تحت السيطرة الاستعمارية إلا أن فلسطين اختيرت كنقطة في قلب العالم الإسلامي لفصل أجزائه .

ويتعاون في ذلك القوى الاستعمارية العالمية والحزب اليهودي النشيط والمتغلغل في مراكز القوى في العالم .

ولذلك فان القضية الفلسطينية من أصعب واخطر القضايا التي تواجه الدولة الإسلامية .

إن العرب بصورة عامة والفلسطينيين بصورة خاصة كانوا أكثر اهتماماً من غيرهم بالقضية الفلسطينية , وذلك لعلاقتها المباشرة بالفلسطينيين وللروابط المتعددة التي تربط فلسطين بالبلاد العربية .

٢- العرب والفلسطينيون كانوا ينطلقون بالكلام أكثر من انطلاقهم بالعمل , وذلك لأن حكام العرب مرتبطون بالمستعمرين الذين أوجدوا المشكلة .

ولذلك فان المحرك الحقيقي للأوضاع كانت جبهة الأعداء التي تتحرك بتخطيط مدبّر وبقوة لصيانة مصالح المستعمرين .

وكان العرب والفلسطينيون يستسلمون بعد أن يقوموا بأعمال كردّ فعل مؤقت للفعل الغربي ـ اليهودي .

ولكن هذا التمرد بقي محدود الحركة ومحاصراً من قبل الحكام .

٣- وينبغي أن تتحرك الدولة الإسلامية نحو القضية من منطلق قيادي غير متأثر بالأوضاع التي تحيط بالقيادة الفلسطينية .

وينبغي نقل أسلوب العمل من الأسلوب الكلامي والدعائي إلى الفعل الصامت ضد المصالح الصهيونية ومن يؤيدها.

٤- يتعاون مع الدولة الكريمة الفلسطينيون الذين يرتضون الاديولوجية الإسلامية ويلتزمون بها .

وهؤلاء يمكنهم أن يسخّروا الفلسطينيين الآخرين الذين يقبلون بالقيام بالأعمال المطلوبة للوقوف أمام الخطط الصهيونية .

ويتعاون كذلك الملتزمون بالإسلام من العرب وغيرهم ضمن خطط متعددة الجوانب وتحت إشراف الدولة وجهازها المتخصص للأعمال المماثلة .

٥- ينبغي فتح معسكرات تدريب على جميع أنواع الأسلحة للعاملين في مجال تحرير فلسطين .

***

مقترحات ثقافية للدولة الإسلامية المنشودة

إنّ التصورات السابقة كانت تشمل قطاعات واسعة من الدولة الإسلامية المنشودة , ولكن حزب الدعوة الإسلامية قدّم تصورات أخرى في عام ١٩٨٠ , تخص المجال الثقافي فقط .

الملامح الأساسية للثقافة الإسلامية

في رأينا إنها صفات أربعة , قد تتداخل , ولكنها تتمايز عن بعضها خاصة في الواقع العملي , كما إنها تشكل الصفات الرئيسية للثقافة الإسلامية التي تتفرع عنها الصفات الأخرى أو تتصل بها إتصالاً وثيقا .

الصفة الأولى : الثقافة الإسلامية ثقافة أصيلة .

(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم , وأنزلنا إليكم نوراً مبينا) .

(ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء , وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) .

ونقصد بالأصالة : وجود ثقافة إسلامية شاملة , فالقاعدة الفكرية في الإسلام أي : النظرة العقيدية إلى الكون والحياة والإنسان .

والنظام الاجتماعي في الإسلام أي الأحكام لكافة جوانب حياة الناس , الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

كل ذلك انزله الله تعالى على رسوله (ص) , وهو موجود في مصادر الإسلام , القرآن الكريم والسنة المطهرة , وفي إستنباط الفقهاء والمفكرين .

إن وجود ثقافة شاملة في الإسلام من الواضحات التي يعترف بها القريب والبعيد والتي تكفي لمشاهدتها النظرة الفاحصة في مصادر الإسلام ونشوء أمته ومسيرتها .

والتشكيك في وجود هذه الثقافة الشاملة مصدره الجهل وعدم الإطلاع أو الجهالة والمكابرة .

ونقصد بالأصالة :

استقلالية الثقافة الإسلامية , فهي غير مقتبسة من ثقافات أخرى لا بمعنى التركيب من تلك الثقافات ولا بمعنى التطوير لها , وهي غير مقلدة وغير متأثرة ... الخ .

إنها الاستقلالية الكاملة في الشخصية التي تنسجم ولا تتنافى مع كون شخصية هذه الثقافة تمثل في اعتقادنا وفي واقعها المستوى المتكامل لثقافة الرسالة الإلهية عبر الحياة البشرية .

والاستقلالية التي تنسجم ولا تتنافى مع تفاعل الثقافة الإسلامية وانفتاحها على الثقافات الأخرى انفتاحاً وتفاعلاً إيجابياً يجعلها تستوعب نتاج العقل البشري وحصيلة التجربة البشرية ..... الخ .

تهضمها ضمن خطوطها وشخصيتها المتميزة , وتستوعب تطور الذهن البشري والحياة الاجتماعية وتطور تعامل الإنسان مع الطبيعة استيعاباً تضمنه طبيعتها المرنة الحركية ضمن نظرية الإسلام في الثابت والمتحرك في حياة الإنسان على هذا الكوكب .

***

الصفة الثانية : الثقافة الإسلامية ثقافة حضارية عالمية

(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً)

(وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ)

ونقصد بالحضارية : إنّ الثقافة الإسلامية تدعو وتنشيء لوناً كاملاً من الحياة البشرية في شخصية الإنسان والعلاقات والسياسة والاقتصاد والعمران .

وبقطع النظر عن التفاوت في مفهوم الحضارة والمدنية لدى علماء الاجتماع فان آفاق الثقافة الإسلامية في نظرتها وفعلها في الحياة والإنسان والأجيال هي هذه الحياة الواسعة العالية في المقومات والشمول .

ونقصد بالعالمية : إنّ الثقافة الإسلامية ثقافة إنسانية أممية لا يتحدد حقلها بشعب ولا زمانها بجيل ولا مكانها برقعة أو إقليم .

ونقصد بها : إن الثقافة الإسلامية ذات طبيعة امتدادية لأنها ثقافة فعل وتغيير , ثقافة دعوة إلى بناء إنسان وحياة جديدين متجددين , فهي لذلك ثقافة ثورية دائماً وفي موقع الفعل وليس رد الفعل , وفي موقع

التصحيح لا الدفاع عن الخطأ , وفي موقع الحيوية والاستيعاب وليس الجمود والتقوقع .

***

الصفة الثالثة : الثقافة الإسلامية ثقافة إيمانية ربانية

(إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض * ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) .

ونقصد بالربانية أو الإيمانية : أن الثقافة الإسلامية تفهم المادة والأمور فهماً عقيدياً معنوياً كاملاً , وترفض الفهم المادي المحدود للمادة كما ترفض الفهم المعنوي الناقص , الفهم العلماني للإسلام .

إنّ هذا الفهم الإسلامي للكون والحياة والإنسان , أو الفهم المعنوي الذي يعبر عنه بالفهم الميتافيزيقي , وقد يعبر عنه بالفهم الروحاني , مع إن هذا التعبير (الروحانية) ورد في نصوص الإسلام بمعنى آخر ولم يرد في هذا المجال .

هذا الفهم الذي هو اتساع في حركة الفكر في الأسباب نحو السبب الأعلى عز وجل , وفي النتائج المستقبلية منها والبعيدة ... ينتج في الإنسان إرتقاء في تولد الأفكار والمشاعر يتحول إلى حالة في الشخصية , وظواهر في الأمة , ولون جديد للحياة البشرية .

وإن هذا الفهم في الثقافة الإسلامية قسم من الواقع الموضوعي للمادة وليس جزءً محمّلاً عليها تحميلاً , أو مسحة شعورية تصبغ بها المادة صبغاً , كما انه فهم ينسجم ويتأكد في حركة الحياة وينحرف في العزلة والاتجاهات الصوفية المتخلفة عن واقع الحياة التائهة في مسارب الخيال .

* * *

الصفة الرابعة : الثقافة الإسلامية ثقافة جماهيرية

(ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر)

فهي ليست صعبة الفهم ولا التناول ولا مقتصرة على فئة من الناس , مع تبنيها الكامل للاختصاص (مبدأ وجود أهل الخبرة والرجوع إليهم) .

فلو نظرنا إلى كمية الثقافة التي يحصل عليها المسلم الاعتيادي سواءً في نظرية الإسلام عن المجتمع أو فيما تحقق في حياة المسلمين لوجدنا أن صفة (ثقافة أوسع الجماهير) لا تنطبق على ثقافة كالثقافة الإسلامية) , والسبب في ذلك :

أ ـ إنها تخامر فطرة النفس البشرية وتلبّي تساؤلاتها وحاجاتها العملية .

ب ـ إنها ميّسرة المفاهيم والأحكام .

ج ـ إنّ الوسائل التي يعتمدها الإسلام في إيصالها إلى أوسع الجماهير مبتكرة وميدانية ومن أمثلتها :

ـ المسلم لا يقلد في أصول الدين

ـ المسلم يؤدي فريضة الصلاة والطهارة اليومية

ـ المسلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ـ المسلمون يؤدون صلاة الجمعة والجماعة

ـ المسلم يتعلم الأحكام التي يحتاجها في عمله ومحيطه

ـ المسلم يقرأ القرآن

ـ المسلم يمتنع عن المحرمات التي تستقطب الذهن وتصرف عن التفكير .

ـ المسلم يتوكل على الله ويشغل ذهنه بما يراد منه لا بما يراد به ... إلى آخر الأمور الاعتقادية والعلمية والتربوية التي تجعل المجتمع المسلم يفكر أكثر من غيره ويحصل على الثقافة أكثر من غيره , كما تجعله يتهيأ للاختصاصات الثقافية المختلفة ويبدع في تحصيلها وإغنائها .

***

الاتجاهات الثقافية في البلاد الإسلامية

فيما يلي تعداد لأهم الاتجاهات الثقافية في أوساط شعوبنا الإسلامية المعاصرة وإشارة إلى بعض الأسباب والظواهر لهذه الاتجاهات :

١- الاتجاه الثقافي التبعي :

المقلد للثقافة الغربية , ونقصد بالثقافة الغربية هنا , ما يشمل ثقافة البلدان الشيوعية والاشتراكية , لأنها لون حقيقي من الثقافة الغربية , سواء في نشأتها وتوجهها .

وأما أسباب وجود هذه الثقافة في أبناء المسلمين فهي :

أ ـ إنغلاب الأمة الإسلامية للمد الاستعماري الغربي بعد فترة الانحطاط والركود الثقافي الذي أصابها , ومن طبيعة المغلوب تقليد الغالب .

ب ـ إنقطاع الجيل المسلم عن مصادر ثقافته وإعراضه عنها بفعل التربية الاستعمارية الغربية المقصودة .

ج ـ إنبهار الجيل المسلم بالتقدم المادي الغربي , خاصة عندما تكونت شخصيتهم الثقافية في أجواء غربية .

٢- الاتجاه الثقافي التركيبي :

الذي يأخذ قسماً كثيراً أو قليلاً من الإسلام , وقسماً من الثقافة الغربية , وأصحاب هذا الاتجاه أنواع :

ـ فمنهم من يجهل أصالة الثقافة الإسلامية وشمولها , لأنه اطلع على جزء منها كما اطلع على الثقافة الغربية وأعجب بقسم كبير منها , فهو يتجه إلى التوفيق بين ما عرف وما أعجب به .

ـ ومنهم من يعرفون أصالة الثقافة الإسلامية وشمولها ولكنهم مصابون بالضعف أمام مفاهيم ومد الثقافة الغربية فهم يتجهون إلى الأخذ منها أو بها بدل رفضها ومواجهتها .

ـ ومنهم من يتجهون إلى حل المسألة الثقافية حلاً سياسياً فيطرحون التوفيق بين الثقافتين كحل سياسي ... للتوفيق بين أصحاب الثقافتين على الساحة الإسلامية , وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وسواء كان أصحاب هذا الاتجاه التركيبي توفيقيين بسبب الجهل وعدم الإطلاع , أو توفيقيين بسبب الضعف والانهزام أو توفيقيين بسبب تناولهم للمسألة الثقافية تناولاً سياسياً لا فكرياً , فإنهم يبقون بعيدين عن إستيعاب المشكلة ومعالجتها.

ـ ومنهم المتآمرون على الثقافة الإسلامية الذين يطرحون الحل السياسي التوفيقي بين الاتجاهين لإرضاء أصحاب

الثقافة الإسلامية والمسلمين بالحد الأدنى كمرحلة في صراعهم مع الثقافة الإسلامية .

٣- الاتجاه السياسي أو العلماني في فهم الثقافة الإسلامية .

وقد يبدو أصحاب هذا الاتجاه من أصحاب الاتجاه التركيبي المتقدم , ولكنهم يختلفون عنهم , فهم في الغالب مخلصون للثقافة الإسلامية والأمة الإسلامية , ولكنهم لسبب وآخر يأخذون الثقافة الإسلامية قريباً من الطريقة التي يأخذ بها الماديون الثقافة الشيوعية أو الرأسمالية , فتنقصهم صفة الربانية ـ الإيمانية في عدة جوانب من الثقافة الإسلامية لأنهم لايستوعبونها أو لا يعيرونها اهتمامهم .

وهم في الغالب أصحاب مستويات ذهنية متقدمة في فهم الجانب السياسي والاقتصادي وفي إدراك الخطوط الحضارية من الإسلام .

وأسباب هذا الفهم الناقص للثقافة الإسلامية هي في الغالب :

ـ التأثر بالجانب الحسي المادي من الحياة والثقافة الغربية

ـ استقطاب الفكر الاقتصادي والسياسي لأذهانهم .

ـ ردة الفعل من بعض أنواع الفهم المعنوي ـ الروحاني الخاطيء , خاصة الأنواع المختلفة والقصيرة النظر .

٤- الاتجاه الثقافي الإسلامي (الأصيل) الجامد :

ويكثر أصحاب الفهم للثقافة الإسلامية في المجتمعات

المتدينة التقليدية ومن يتأثر بهم من جماهير الأمة, ومن أبرز مظاهرهم:

الحرفية السلفية , والجمود الذهني , والتقوقع .

وأسباب هذا الاتجاه هي في الغالب :

ـ حالة الركود والتخلف السياسي والفكري التي أصابت المسلمين منذ عهود الانحطاط .

ـ ردة الفعل السلبية من الثقافة الغربية , والتخوف على الإسلام والمسلمين من أي خطوة نحو التفاعل والتطور .

ـ حالة التخلف الذهني لدى بعض كبار أصحاب هذا الاتجاه والتي تصل إلى حد البدائية الذهنية .

ـ رواسب الأفكار الصوفية المنحرفة والأعراف والتقاليد الخاطئة .

وإنما وصفنا هذا الاتجاه بالأصالة وصفاً متحفظاً , لأنه يقوم على اعتقاد الأصالة ولأن فيه جوانب أصيلة , ولأنه قريب عملياً من الثقافة الإسلامية الأصيلة .

٥- الاتجاه الثقافي الأصيل .

الذي يتصف بالصفات الأربع المتقدمة الأصالة والحضارية والربانية والتيسير , وهذه هي الثقافة الإسلامية التي تقع على عاتق حزب الدعوة الإسلامية والأحزاب الإسلامية الأخرى وجميع العلماء الواعين رسم معالمها ومعالجة المشاكل التي تعترضها ووضع الخطط العملية لتحقيقها .

ملاحظات ومقترحات

١- مجالات الثورة الثقافية :

المجالات التي تشملها الثورة الثقافية هي :

ـ المدارس : مرحلة ما قبل الجامعة , المرحلة الجامعية الاختصاص .

ـ الحوزات العلمية

ـ المساجد والحسينيات والنوادي الثقافية

ـ الإذاعة والتلفزيون

ـ السينما والمسرح وكافة الوسائل المسموعة والمرئية كالفيديو والكاسيت .

ـ الكتاب المنشور : التأليف والترجمة .

٢- مجلس دائم للثورة الثقافية

قد تكفي الشهور القليلة من العمل الجاد لتحديد معالم وأهداف الثورة الثقافية , وإتخاذ عدد من القراءات الأساسية ووضع عدد من الخطط الرئيسية .

ولكن تحقيق الثورة الثقافية يحتاج إلى هيئة دائمة ذات لجان دائمة تتابع تنفيذ المقررات والخطط الجديدة وتعالج المشاكل الطارئة ... لذلك ينبغي إعطاء مجلس الثورة الثقافية صفة

الدوام من قبل المجلس النيابي أيضاً , وبطبيعة الحال لا بـدّ من إعطائه صفة التقرير بحيث تجري مقرراته ومقـررات لجانه على الوزارات والمؤسسات ذات العلاقة .

٣- التوازن في شخصية الثقافة الإسلامية :

من أجل تحقيق الشخصية المتميزة للثقافة الإسلامية ينبغـي مراعاة التوازن بين الصفات الأربع الأساسية :

الأصالة والحضارية والربانية والتيسير في كافة المقـررات والخطط المرسومة .

وقد يكون باستطاعة شخص أن يلاحظ هذه الجوانب الأربعة ويوازن بينها وقد يحتاج الأمر إلى عدة أشخاص أو لجـان يدرس كل من زاوية اختصاصه أو توجههم الفكري والنفسي فعلى سبيل المثال : قد يكون باستطاعة شـخص متكامـل النظرة أن يحقق الصفات الأربع المذكورة في مجلة شهرية أما الثقافة الجامعية أو ما قبل الجامعية فتحتاج إلى عدد من الأشخاص أو اللجان يـدرس بعـضهم الخطـة المقترحـة والمناهج الدراسية من ناحية الاصالة , وبعضهم من ناحيـة حضارية , وبعضهم من ناحية التيسير والتبسيط ... وهكذا

٤- مناطق الفراغ في الخطط والقرارات .

ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار في المقررات والخطط تـرك مناطق الفراغ حيثما يمكن وذلك لسببين :

أ ـ من أجل المرونة في تحقيق التحول الثقافي , فتملأ هذه المساحات بالتدريج في أثناء خطوات مسيرة التحول إلى الثقافة الجديدة .

ب ـ من أجل فسح المجال للإبداع الشخصي للمنفذين ولمن تنفذ عليهم هذه المقرارات والخطط لكي تتفجرّ طاقاتهم ويملأوا بمواهبهم وإخلاصهم مساحات الفراغ .

ويمكن وضع قواعد لتحديد مناطق الفراغ هذه ولملئها مع ملاحظة أنها ميدانية أكثر منها نظرية .

٥- الحدية في النظرية والمرونة في التطبيق .

الثورة الثقافية تتحمّل الحسم في النظرية التي هي تحديد معالم وأهداف الثقافة الإسلامية واختيار الأساليب والوسائل العامة التي يجب أن تعتمد وتحديد المشاكل الواقعة أو المتوقعة ووضع المعالجات لها ... أما في التطبيق فلا بدّ من المرونة والتدريج حتى يتم الانتقال من الوضع الثقافي الحاضر إلى الثقافة الجديدة بشكل حقيقي ودون ردات فعل . لذلك ينبغي أن تكون قاعدة (الحدية في النظرية) وعدم التنازل عن حرف منها ضرورة , كما إن المرونة في التطبيق والحرص على أن يسير بدأب وبشكل طبيعي وبأقل سلبيات , أيضاً ضرورة .

والمرونة والتدريج في التطبيق تكون عادة محل خلاف بين وجهات النظر .

والمرجع في تقدير ذلك في نظر الإسلام هم أهل الخبرة الميدانية شرط أن يكونوا مستوعبين للنظرية بشكل كامل .

٦- مباشرة المسلمين لمصادر الإسلام

لتحقيق الثورة الثقافية لا بدّ من إشاعة اتصال المسلمين إتصالاً مباشراً بمصادر الإسلام ـ القرآن الكريم والسنة المطهرة ـ لكي يباشروا نصوصها وعطاءآتها الوفيرة .

ومع الأسف فإن مباشرة المسلمين لمصادر الإسلام قليلة جداً.

فالوضع السائد في بلاد المسلمين هو الاتجاه نحو الصحف والمؤلفات والإعراض عن مباشرة المصادر .

مع أن مخامرة الفكر والنفس لمصادر الإسلام التي يسرّها الله ورسوله لكل الناس لا يغني عنها غيرها ولا يعطي عطاءها غيرها ... لذلك ينبغي توجيه المسلمين نحو مصادر دينهم بنشر ترجماتها وإشاعة تدريسها وإزالة الحاجز اللغوي بين المسلمين ومصادرهم بتعليم اللغة العربية ويفضل أن يشجّع التعليم التطوعي .

٧- حول الدراسة المنهجية

إن أهم النقاط التي ينبغي أن تتناولها الثورة الثقافية في الدراسة المنهجية ــ الرسمية والأهلية ــ هي النقاط الخمس التالية :

أ ــ إنشاء لجنة دائمة لوضع وتطوير المناهج الدراسية من روضات الأطفال إلى نهاية المرحلة الجامعية ــ بكالوريوس

ب ــ إعادة النظر في تقييم مراحل الدراسة , فالتقسيم القائم ليس إلاّ تقليداً مشوّهاً لمراحل الدراسة الغربية , والتي تخلى عنها كثير من المدارس والجامعات الغربية . ومن ناحية ثانية فإن الطفل والشاب المسلم أكثر ذكاءً وإستيعاباً وأحسن ظروفاً للتحصيل العلمي من الطفل والشاب الغربي .

فالتخلف الذهني والمفاسد الملهية وربما تخطيط الحكومات الغربية يضيع سنوات من عمر شبانهم وفتيانهم , ونرى أن مراحل الدراسة مثلاً كما يلي :

المرحلة الأولى ــ المرحلة التحضيرية إلى سن ١٤ سنة .

المرحلة الثانية ــ مرحلة المهن التطبيقية وتحصيل المهارات من سن ١٤ إلى سن ١٦ أو ١٨ سنة .

المرحلة الثانية أيضا ــ مرحلة التأهيل الجامعي من سن ١٤ إلى سن ١٦ .

المرحلة الثالثة ــ المرحلة الجامعية ــ إلى البكالوريوس من سن ١٦ إلى ٢٠ سنة .

المرحلة الرابعة ــ مرحلة الاختصاص .

ج ــ كما ينبغي إعادة النظر في أسلوب الاختصاص المتبع في العالم الثالث , ففي العالم الشيوعي الاشتراكي توجد اختصاصات حقيقية بمقوماتها وأجوائها تقوم بأكثرها المؤسسات الرأسمالية الأهلية , وتشارك الدولة في بعضها وتقوم هي بالبعض الآخر .

أما في العالم الثالث , عالم المستضعفين فإن ما يسمى بالاختصاص سواء في العلوم الأدبية الإنسانية أو العلوم الطبيعية هو مدعاة للسخرية والأسى .

فإذا توفقت الثورة الثقافية أن توفر مقومات الاختصاص وأجواءه سواء في الجامعات أو بمساعدة المؤسسات الأهلية والمبادرات الفردية , فإن إبداعاً منقطع النظير ونتائج هامة وسريعة سيشهدها حقل الاختصاص في مختلف المجالات بعون الله تعالى .

***

الملاحق

ملحق رقم - ١ -

أساليب التعذيب التي تجري في العراق

وصور تقريبية لذلك

أساليب التعذيب
لم توقف الدعاة عن المعارضة

لن يستطيع أحد أن يحصي جرائم البعث ولا أساليبه في التعذيب ففي كل يوم له أسلوب جديد .

ولعل الأساليب تختلف من معتقل إلى آخر , لا لأن هذا المعتقل تهمته أشد من ذاك , وإنما هي إجتهادات المعذبين (بكسر الذال) أو لأنه وجد آلات التعذيب أمامه فاستعملها .

المهم بالمعذب (بكسر الذال) أن يثبت إخلاصه في تفانيه في حزب السلطة فلا بدّ إذن أن يعذب الناس بقسوة ليعطي بذلك دليلاً قاطعاً على إخلاصه للحزب وإنسجاماً مع أهدافه .

والأساليب التي نذكرها , سواء كانت في التعذيب فقط أو للتصفية الجسدية , إنما هي بعض تلك الأساليب وليس كلها .

أما الأساليب التي عايشتها أنا عامي ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ فإنها كانت أساليب بدائية ثم كانت تتطور كلما مرّت الأيام .

ولا نبخس حق مجرمي العراق , فإنهم كانوا يبتكرون بعض الأساليب , وبدأوا يقللون من نسبة الأساليب المستوردة .

فكانت أساليبهم المحلية تفوق تلك التي كانوا يستوردونها من الخارج , وهذا يدل على أن المجرم العراقي صاحب ذهنية متفتقة

(والحاجة أم الاختراع) وكانت الحبوس في أنفاق عميقة مظلمة لا يرى فيها نزلاؤها أثراً لنور الشمس ربما قضى بعضهم فيها أكثر من ربع قرن .

ويوم سقط الصنم (صدام) وتم إخراج بعض أولئك[1] , فـإنهم كانوا بأشكال تشبه الإنسان القديم في شعورهم التي تغطـي أجـسامهم وكانوا يسألون :

ماذا حدث لأحمد حسن البكر الذي كانوا محبوسين في زمانه في السبعينات .

***

بقي أن نعرف لماذا هذا التعذيب وهذه القسوة ؟

وهو سؤال يدور في خلد كل عراقي , خصوصاً أولئك الذين يدخلون السجون , فقد كان زملائي في السجن يوجهون لي هذه الأسئلة فكنت أقول لهم :

إن الجواب واضح , ولا يحتاج إلى تفكير خارق ليفك رموزه ومعادلاته .

فالتعذيب :

١- لأخذ الإعتراف من المعتقل , والمعتقل لديهم , مذنب ما لم يثبت العكس , على خلاف القاعدة القانونية (كل إنسان برئ

١- بعض تلك الأنفاق , لم يمكن الوصول إليها , لأن أبوابها لا يهتدي إليهـا إلا أشخاص مختصون .

حتى تثبت إدانته) .

وكلما كان التعذيب شديداً , يكــون الاحتمــال أقــوى فــي الحصول على الاعتراف وهم يعرفــون طبيعــة الــشعب العراقي المسلم , فالمسلم يموت دون أن يعتدي أحــد علــى زوجته أو أهله بصورة عامة , ويقاتل على ذلك .

فهذا الأسلوب الخسيس يستعملونه على أمل أن يعترف لهــم المتهم بسرعة وكذلك الكلام عندما يجبرونه علــى شــرب الخمر أو الزنا أو أكل لحم الخنزير وهكذا ...

٢- وكان البعثيون يهمهم كثيراً أن تصل أخبار التعــذيب إلــى خارج جدران السجون , لكي يسمع بها كل الشعب العراقي ليحذروا من ممارسة أي شيء يمس سياسة الدولة .

حتى إن بعضهم كانوا يتندرون أحياناً عندما يسأل أحــدهم الآخر عن البرد والحر والجو والمطر والليل والنهار فيقول إنه لا يتدخل بالسياسة .

٣- لأنهم أناس ــ طالما قلنــا عــنهم ــ منحرفــون إخلاقيــاً ومتخلفون عن مسيرة الحياة , ومن المنبوذين , وبالتالي فهم أصحاب عقد , لا بدّ أن يستعملوا هذه الأساليب إنطلاقاً من تلك العقد .

٤- والعنصر الأهم في لجوئهم لتلك الأساليب , هو أنهم بعــدما كانوا من المنبوذين في المجتمع , ثم إستفادوا من وصــول

حزب البعث إلى الحكم والسلطة , وأصبحوا متنعمين في ترف الدنيا (المال والجنس والمناصب والسيطرة على الناس) فإنهم يعزّ عليهم أن يأتي غيرهم ليأخذ منهم هذا الحكم , خصوصاً إذا كان هذا البديل مثل حزب الدعوة الإسلامية , الذي يحارب الفسق والفجور , ثم يريد أن يقضي على كل مآربهم ومكاسبهم , فيلجأون إلى تلك الأساليب بكل ما أوتوا من قوة .

***

ذكرنا في مناسبات كثيرة إن دواعي الاعتقال , ومن ثم أساليب التعذيب والتصفيات الجسدية في سلطة البعث بالعراق , لا يكاد يصدقها غير العراقي .

وقد كنا نتكلم عن جرائم صدام , مع الياباني والسويسري والفرنسي , فيعتقدون أن ذلك من نسج الخيال .

وإذاأرادوا أن يصدّقوا , فإنهم يقولون : لا تنتخبوا (صدام) لرئاسة ثانية .

والزمرة الحاكمة في العراق وعلى رأسهم صدام , زمرة منبوذة من الذين سقطوا في مسيرة الحياة , ولا حظّ لهم ــ في أغلبهم ــ في الدراسة والتحصيل العلمي , ولا شأن لهم بالدين والأخلاق والإسلام وأعراف الناس , فضلاً عن أنهم لا يعترفون بالقانون ــ وإن كانوا هم

الذين يصنعون القانون حسب إرادتهم ــ ولا يمتلكون شيئاً مــن ثقافــة الحكم ورعاية الناس ــ لأنهم لا شأن لهم بالناس ــ .

المهم عندهم أن يحكموا

فإذا إمتنع الإنسان عن إطاعة قوانينهم الجائرة , بــل حتــى إذا خالف أذواقهم , فالبديل هو الاعتقال والتعذيب .

وإذا لم يفد هذا فيضيفون على ذلك مصادرة الأموال

ثم يتدرّجون حتى يصلوا إلى الإعدام .

وحتى الإعدام لم يوقف مسلسل المعارضة

فكانوا يلاحقون الأهل والأولاد والأقرباء لحد الدرجة الرابعة .

ووجدوا أن كل ذلك لم يؤثر الأثر المطلوب مع المنتسبين إلــى حزب الدعوة الإسلامية .

فما أسهل من أن يقولوا إنهم ينتسبون إلى حزب الدعوة (العميل) وإن لم يحدّدوا لمن هذه العمالة ؟

فكانوا ربما يقولون إنها عمالة إلى إيران , ويقولون إنها لأمريكا في حين إن إيران وأمريكا خطان مختلفان .

***

فالاعتقال والتعذيب والإعدام والملاحقات والمداهمات , كلها أساليب تناسب طبيعة صدام وزمرة صدام وحكم صدام .

وهم لا يعرفون شيئاً لجعل الشباب يتعاطف مع الحكومة إلا تلك الأساليب الشديدة .

أساليب التعذيب الجسدي

وأساليب التعذيب بدأت تتطور كلما أوغل البعث في الحكم فأساليبه عام ١٩٧١ غير الأساليب عام ١٩٧٢ , وهي غيرها في عام ١٩٧٣ وهكذا .

وأنا عاصرت تلك التي كانت في عامي ١٩٧١ ــ ١٩٧٢ وهي على شدتها , إلا أنّ الأساليب التي جاءت بعدها في السنين اللاحقة كانت أساليب (مودرن) فهناك أجهزة كهربائية خفيفة وثقيلة كان منها الماكنات التي يوضع فيها الإنسان لتبدأ عملها برجليه أولاً إلى أن تصل إلى رأسه لتثرمه ويخرج من الجانب الآخر لحماً مثروماً مخلوطاً بالدم كالطين الأحمر , غذاءً للأسماك التي يربيها صدام في بحيراته الخاصة ويقال إنّ تلك الأجهزة مستوردة من ألمانيا وإسرائيل والاتحاد السوفيتي وذلك إما أن يبعثوا لهذه الدول وفوداً للتخصص في ممارسة التعذيب أو يستقدموا منها الخبراء والاختصاصيين , ليقدموا في بغداد محاضرات قيمة , نظرية وتطبيقية في التعذيب .

***

وسوف أورد هنا نماذج من أساليب التعذيب والقتل التي يمارسها الطغاة .

أذكر أولاً طرق التعذيب ثم أذكر طرق القتل والتصفية الجسدية :

طرق التعذيب

١- إيصال الكهرباء إلى المناطق الحساسة من الجسم كالأعضاء التناسلية والأذنين وأجفان العيون , وذلك بربطها بسلك كهربائي بطريقة فنية , فتحدث لدى المعذَّب رجّات كهربائية يفقد فيها توازنه وتماسكه فترة قد تطول وقد تقصر حسب قابلية المعذب وتحمله قوة الصعقة الكهربائية .

٢- وضع قنينة زجاجية (مكسورة الرأس) في دبر المعتقل ولن تخلص المعتقل تشبثاته وصيحاته , عدا حماقتهم وضحكاتهم وشراستهم , وتسبّب هذه العملية للمعتقل آلاماً شديدة وجروحاً بالغة , تسيل على أثرها الدماء ثم بعدها لا يستطيع المشي فضلاً عن الجلوس .

٣- الجلوس على الصوبة (المدفأة النفطية) تتم العملية هكذا : يؤتى بالمعذب ويربط بالمدفأة قبل إيقادها ربطاً محكماً وبدون أن يفصله عنها فاصل من ملابس أو غيرها , ثم توقد نارها ويبقى جالساً عليها إلى أن يحترق جلده ولحمه فيستغيث ولا من مغيث .

٤- الفلقة وهي عبارة عن خشبتين طول كل واحدة منهما متر وربع مربوطتين ببعضهما , ثم توضع رجلا المعذب بينهما ويشدّان شداً محكماً , ويطرح على الأرض مستلقياً على قفاه ثم يبدأون بضربه على أسفل قدميه بالعصي والكيبلات ضرباً مبرحاً حتى تتورم قدماه وتنزفا دماً .

ثم يفك هذا الرباط ويؤمر المعتقل بالمشي على رجليه ووضعهما في الماء الحار في (أواني كبيرة) ليخفّ ورمه كيما يعاد ضربه من جديد .

٥- حرق اللحى , ويمارس هذا ضد المتدينين ذوي اللحى كما حصل للشهيد السعيد الإمام الصدر , فقد كانت لحيته الكريمة محترقة عندما دفنت جثته الطاهرة .

٦- التعليق بالمروحة السقفية من رجليه , ثم تشغل المروحة ويدور معها حيثما تدور ويقف على الأرض ثلاثة جلاوزة بأيديهم المطارق , فيضربون رأسه بسرعة كلما مرّ أمامهم بعد أن يحكموا ربط يديه إلى الوراء .

٧- حرق اليد بالكهرباء كما حصل للعالم الجليل الشيخ حسن فرج الله , فقد ربطوا يده اليسرى إلى مدفأة كهربائية قبل إيصال الكهرباء إليها ــ وكانت المدفأة مثبتة على الجدار ــ ثم أوصلوا الكهرباء إليها .

وما أنقذوه منها إلا بعد أن طبخت يده طبخاً وسالت منها الدماء وانتفخت انتفاخاً عظيماً , اضطر الشيخ بعد أن أطلق سراحه إلى أن يقطع كفه في عملية جراحية لتكون شاهداً على وحشية حكام العراق .

٨- الكي بالنار , وذلك بأن يحمى سيخ حديد على النـــار حتـــى يحمرّ لونه ويصبح كأنه قطعة من الجمر , فيكوى به بـــدن المعذب على يديه أو رجليه أو ظهره , وأحياناً على بطنـــه وصدره .

٩- ثقب اليد أو الرجل بمثقب كهربائي كما حصل للسيد محسن الموسوي (أبي عاصم) .

١٠-كسر الأنف بمطرقة حديد , كما حصل للشيخ عبد الحلـــيم الزهيري .

١١- شق الفم

وغالباً ما تستعمل هذه الطريقة ضد الذين يرقـــون المنـــابر وينالون من البعث ويعـــددون مساوئهم , أو لمجـــرد أنهم يبشرون بالدين الإسلامي .

١٢- قلع الأظافر

كما حصل لي عندما أجلسوني إلى كرسي حديـــد وربطـــوا يديّ ورجليّ وبدأوا بقلع أظافر رجلي .

١٣-الحقن بالماء الحار

إذ يلقى المعتقل إلى الأرض كهيئة الساجد ويربط إلى الأرض ربطاً محكماً بأوتاد فيها لكيلا يتحرك , ثم يدخلون في دبره ماسورة ماء حار فيمتلئ جوفه حتى يفقد وعيه ويصيبه الغثيان.

١٤-قطع بعض الأطراف .

كاليد والرجل ,كما حصل لمدير شرطة البصرة عام ١٩٧١ عندما كان معنا في (قصر النهاية) فكان يزحف على ركبتيه عندما يذهب إلى التواليت , وكانوا يقولون له : إنك عندما يطلق سراحك تستطيع أن تصنع لك رجلاً من البلاستيك .

١٥-إلقاء القاذورات على رأس المعتقل وبدنه .

١٦- نفخ بطن المعذب بمنفاخ , حيث يدخلون في دبره منفاخاً كهربائياً , أشبه ما يكون بالذي يستعمله مصلح دواليب السيارات , ثم ينفخ الهواء في جوفه , فينتفخ حتى يغشى عليه من التمزق , ويصاب المعذّب بآلام شديدة في أمعائه وبطنه وسائر بدنه .

١٧- السَرْبَسْ (الدولاب الحديد)

سوف نذكره فيما بعد مفصلاً .

١٨-الكرسي الحديد

وهذا أيضاً سوف نذكره فيما بعد .

١٩-حوض القاذورات أو مستنقع القاذورات .

وقد عذبوني بهذا أيضاً عندما نقلوني من سجن (قصر النهاية) إلى مديرية الأمن العامة , فقد أنزلوني إلى سرداب تحت الأرض وإذا هو كما يلي :

أربعة أمتار طولاً في أربعة أمتار عرضاً ,أما ارتفاعه فهو حوالي متر وربع أما قاعه فهو مملوء لحد ٥٠ سم .

رائحة الماء تزكم الأنوف ففي هذا المستنقع يبول المعتقلون ويتغوطون ولا يستطيع أن يقف المعتقل على رجليه باستقامته لأن الإنسان أكثر إرتفاعاً من السقف .

دفعوني إلى هذا المستنقع , ورأيت المعتقلين قد أحنوا ظهورهم وكأنهم في حالة ركوع ــ لأنهم لا يستطيعون الوقوف ــ وقد أنتفخت وجوههم وأيديهم , أما أرجلهم فقد كانت في الماء ولم أشاهدها , ولكنهم قالوا إنها متورمة تورماً عظيماً , وعندما يصابون بالتعب لا يستطيعون الجلوس لأن الماء القذر سوف يغطي وجوههم , والسعيد الذي كان فيهم هو الذي يستطيع أن يسند ظهره إلى الجدار .

وقفت معهم ثلاث ساعات , وكان وقوفي في وسط المستنقع لا أجد جداراً أستند إليه .

شعرت خلال هذه الفترة بأن الساعات القلائل تعادل جميع أنواع التعذيب الذي تعرضت له خلال فترة الاعتقال وأصابني دوار شديد , كما أحسست بظهري يكاد ينكسر من طول الانحناء .

٢٠-الضرب المتبادل بين المعتقلين

إذ يأمرون المعتقلين بأن يضرب أحدهم الآخر بحذائه على الرؤوس , فإذا امتنع المعتقل عن القيام بهذه العملية تعرض لعذاب شديد من قبل المسؤولين , وإن قام بها تعالت ضحكات الجلاوزة واخذوا يتندرون .

٢١-وفي قصر النهاية عندما كنا نذهب إلى التواليت فان أحد الجلاوزة كان يجلس على كرسي في رأس القاطع ويأمر كل واحد منا أن يطأطئ رأسه حتى يصل إلى الأرض فيسحقه هذا المجرم بحذائه ويغرق في الضحك .

٢٢- الماء الساخن والماء البارد

يؤخذ المعتقل إلى أحد سطوح دوائر الأمن في أيام الشتاء الباردة وهناك يخلعون ملابسه ويصبّون عليه ماء ساخناً من أحد الأنابيب المنصوبة لهذا الغرض , ثم فجأة يتحول الماء إلى بارد جداً وهكذا ... ولعدة مرات , ماء ساخن ثم ماء بارد .

٢٣- يجبر المعتقل على السير في منطقة مفروشة بالزيت الساخن .

٢٤- ضرب اليدين بمضارب كهربائية تسبب خدرهما لمدة تتراوح بين الساعتين والثلاث .

٢٥- حرق أنحاء مختلفة من الجسم بمضارب كهربائية خاصة .

٢٦-القازوق

إن المعتقل في مديرية الأمن العامة تقدم له هدية , وهي ثلاثة (قوازيق) حديدي , وبلاستيكي , وخشبي , وعلى المعتقل أن يختار واحداً منها , فهو مخيّر أيها يختار , ولا إجبار في ذلك ! وتحيط بكل قازوق مجموعة من السكاكين الصغار , كما يتصل به سلك كهربائي , فعند التعذيب يدفع القازوق في مقعد الرجل فيندفع ويمزّق القولون وتفعل السكاكين فعلتها .

٢٧-إحداث رجات كهربائية في جسم المعذب بجهاز يسمونه (الصاعق) وهو عبارة عن جهاز يولد تياراً متناوباً , يمتد منه سلكان طويلان , الجهاز منصوب على الطاولة أمام المحقق , وطرف أحد السلكين يربط بالجهاز التناسلي للمعتقل , أما الطرف الآخر فيمرر على أنحاء مختلفة من الجسم وعلى الأخص في منطقة الكلية والثديين .

٢٨-إدخال بعض الأجهزة المصنوعة من البلاستيك والخشب في دبر المعتقل .

٢٩- التعذيب بالإبر الكهربائية , وهي عبارة عن جهاز أسود طوله نصف متر , في إحدى نهايتيه زر يشبه زر المصباح اليدوي (تورج لايت) وعند فتح الزر تخرج من النهاية الثانية مئات الإبر الصغيرة التي تنفذ إلى جسم المعتقل لمسافة مليمتر واحد تقريباً , ثم تخرج وتنفذ من جديد وهكذا ... بسرعة مسببة للمعتقل آلاماً حادّة جداً .

٣٠- رش الكحول (الإسبيرتو) على أنحاء مختلفة من الجسم وبالأخص على الفخذين , ثم تشعل بالكبريت , ثم تنطفئ الشعلة وتحدث في الجسم حروق وآلام شديدة .

٣١- خياطة الجروح ـ الحادثة بالتعذيب ـ بدون تخدير وبدون تعقيم بحيث تسبب للمعتقل آلاماً ثم اوراما .

٣٢- إيقاف المعتقلين أو المعتقلات وهم عراة تماماً , وأيديهم مكبّلة بالحديد ومربوطة إلى الأعلى , وكلما مرّ أحد الجلاوزة من أمامهم عبثوا بهم .

٣٣- عدم تعقيم الزنزانات وعدم السماح للمعتقلين بالاغتسال وهذا يولّد (حشرة القمل) في الإنسان من رأسه إلى قدمه.

٣٤-يعرض المعتقل في الصيف للتجويع الشديد ثم يعطى سمكاً كثير الملح , ويقدم له (الرقي) [١] البارد فيأكله بشراهة حيث أن أكل السمك المالح يعرضه للعطش الشديد , ثم يـشدّون ذكره فيحتاج إلى التبول ولا يقدر عليه , إلـى أن تنـتفخ مثانته وتتمزق ويتسمم جسمه .

٣٥- التعذيب بقلع العينين من الإنسان وهو حي ,كمـا حـدث للشهيد صلاح عبد الحسين في مديرية الأمن العامة إلى أن مات أثناء التعذيب .

٣٦- يربط المعتقل على سياج الـسلم وهـو مـشدود العينـين وعاري تماماً حتى في أيام الشتاء , ويضعون بقربه عصا غليظة لكي يضربه بها أي صاعد أو نازل من الجلاوزة . وقد عذب بهذه الطريقة الشهيد (محمد زكي) إستاذ اللغـة الإنكليزية في مدينة الفاو بالبصرة .

٣٧-يربطون المعتقل في أيام الشتاء القارص على السطح عارياً وقد يؤدي به ذلك إلى الموت .

٣٨- (الأحمر) وهو اسم علم من أسماء التعذيب , وهو عبارة عن سيخ حديد يحمى إلى حد الاحمرار ليدخلوه في شـرج

١- هو البطيخ في لهجة اللبنانيين .

المعتقل , وقد يستشهد بعضهم كما حدث للشهيد (طالب) من أهالي النجف .

٣٩- (الأسود) وهو كذلك أسم من أسماء التعذيب معروف في أقبية مديرية الأمن العامة , والواقع هو أن أحد جلاوزة الأمن طويل القامة , ضخم الجثة , أسود البشرة مخصص لهتك شرف المؤمنين والمؤمنات .

٤٠- تكسير الأسنان , كما حدث للشهيد صلاح عبد الحسين بعدما قلعوا عينيه , وكذلك يقطعون الأصابع ويبترون الأيدي والأرجل والأعضاء التناسلية ورمي التيزاب ـ الأسيد ـ على جسد الإنسان .

٤١- يعلق المعتقل من رجليه ويوضع رأسه في (مرحاض غربي) إمتلأ قذارة .

٤٢- ومن صور التعذيب , دخول أحد الجلاوزة قاعة السجن بعد منتصف الليل , منادياً على السجناء واحداً واحداً قائلاً لهم ـ وهو ممسك بشفرة الحلاقة ـ استيقظوا سأجري لكم عملية جراحية .

يبدأ الوغد بعمليته الجراحية ـ وهي عبارة عن جرح الشفتين والوجنتين , وكذلك قطع بعض الأوردة في اليدين

بشفرة الحلاقة التي يحملها , ثم يتركهم بلا علاج ويخرج ويبقى السجناء ينزفون الدماء .

٤٣-عندما كان الجلاوزة يحققون مع الشهيد (عباس هادي حسين) جيء بطفله الوحيد (فاضل) البالغ من العمر ثلاث سنوات , وهددوا أباه إن لم يعترف فإنهم سوف يعذبون طفله .

بقي صامداً ولم يعطهم أي شيء , داعبوا الطفل ثم سألوه هل تريد (جكليت) [1] فأجابهم بالإيجاب , قدموا له قطعة فأسرع الطفل البريء والتهمها , فما أسرع ما تمزقت أحشاؤه الرقيقة , فقد كانت تحتوي على مادة سامّة سريعة التأثير .

وبدأ الطفل يتلوّى ويلوذ بأبيه , ويتصور إنه سوف ينقذه .

وكان الأب يصرخ في وجوه الظالمين , وما مضت ساعة إلا وكان الطفل المسكين جثة هامدة .

٤٤-يربطون اليدين إلى الخلف , ثم يتم تعليقهما إلى (كلاب) مثبت في أعلى سقف الغرفة ... ثم يبدأ الضرب بالكيبلات أو يشكلون القراصات الكهربائية على أي طرفين متناظرين من الجسد , أو يربطونها في منطقة الخصيتين والعضو

١- شوكولاته .

التناسلي , ويصاحب التعليق ربط أثقال حديدية في نهاية الأقدام , وربما يستبدلون الأثقال الحديدية بقناني الغاز وأبشع ما يرافق هذه العملية سحب الخصيتين بخيط سميك مما يتسبب في إحداث تورم وألم شديد , وقد يتسبب في العجز الجنسي .

٤٥- الطابوقتان الكهربائيتان

وهما عبارة عن صفيحتين معدنيتين , تثبت إحداهما في منطقة النخاع الشوكي وتثبت الثانية في منطقة الفقرات العجزية والقطنية أسفل الظهر .

ثم تثبت بكل صفيحة (قرّاصة) كهربائية , ويبدأ فتح الكهرباء بالتناوب على الصفيحتين .

٤٦-الخوذة

يضعون غطاء على الرأس أشبه ما يكون بالخوذة الحديدية العسكرية , ثم يضربون بالعصا على الخوذة , مما يتسبب في إحداث صدى عالٍ بين الخوذة والرأس وتنتهي هذه العملية بالتقيؤ والإغماء وعدم التركيز والسيطرة كما يتسبب في إحداث صداع شديد بالرأس وآلام بالعينين .

٤٧-الثلاجة الكهربائية

وهي عبارة عن صندوق معدني بشكل حرف(L) , في قاعدته فتحتان وفي واجهته الأمامية فتحتان , فيدخلون

القدمين في فتحتي القاعدة , والأيدي في فتحتي الواجهة ويضعون القراصات الكهربائية تحت الإبطين ويبدأون بضرب الرأس بالواجهة الأمامية مما يتسبب بكسر الأنف ونزيف الدم من الفم والأنف .

٤٨-خاتم البصر

حلقة معدنية تحمى إلى حد الاحمرار , ثم ترفع بسيخ حديدي وتقرّب إلى مقربة من العين , فتسبب حرق الجفنين وانتفاخهما وألماً في العين .

٤٩-الضرب بعصا غليظة أو بأسياخ حديدية على الرأس أو الأرجل , وهذا يتم أثناء فترة تناول الطعام .

٥٠- ربط اليدين إلى (سُلّم) وتترك الأرجل سائبة , ويبقى المعتقل على هذه الحالة ليلة كاملة مما يسبب له شللاً وقتياً للأيدي .

٥١- الاعتداء الجنسي

حيث يجري الاعتداء على المعذبين , وقد يجبرون المتهم على الاعتداء الجنسي على معذب آخر .

٥٢- تجميد الملابس

حيث يسكب الماء الحار على ملابس الإنسان , ثم يعرض إلى مبردات هوائية إلى درجة انجماد الملابس على بدنه

٥٣- نتف شعر الإنسان المعذب في الرأس والوجه والحاجبين والأهداب وما شاكل , ويحدث أن تتقطع أجزاء من اللحم عند قلع الشعر بالقوة .

٥٤- يربط المعتقل إلى الأرض بأوتاد , وهو ملقى على ظهره ويأتي رجل ضخم الجثة ليصعد على صدر المعتقل لعدة ساعات .

٥٥- وضع الإصبع أو الكف في شق الباب وغلقه عليه .

٥٦- استعمال المواد الزراعية السامة لوضعها على بعض أجزاء الجسم من أجل حرق الجسم أو تشويهه , وقد تستعمل الحوامض المركزة أو حوامض البيروكلوريك أو البيروكسايد لإذابة عظم اليد أو الرجل .

٥٧- يجبر المعتقل أن يشرب البول أو يأكل الغائط .

٥٨- إجبار المعتقل المسلم الملتزم بدينه على شرب الخمر .

٥٩- شد المعتقل بكرسي وإخراج خصيتيه من ثقب في أسفل الكرسي ثم ضربه بطريقة تسبب له الإعياء والإغماء من شدة الألم , وأحياناً أخرى توضع الخصيتان في إناء فيه حشرات قارصة.

٦٠- يمدد المعتقل على قفاه , ويفتحون أجفان عينيه ويملؤونهما بمسحوق (D.D.T) التي تستعمل في إبادة الحشرات ثم

يشدونهما بعصابة شداً محكماً ويتركونه يتلوى من الألم وربما فقدان البصر .

٦١- يأتي رجلان قويان من الجلادين , فيأخذ أحدهما بيدي المعتقل ويأخذ الآخر برجليه , ثم يرفعانه في الهواء ويبدآن بتحريكه نحو اليمين ونحو الشمال بتوالٍ سريع ومستمر حتى إذا بلغت الحركة أوجها , تركاه فجأة ليتدحرج على الأرض , وليصطدم بالجدران وهم يضحكون ويسخرون .

٦٢- يشدون رقبة المعتقل بحبل غليظ ويمسك طرفه الآخر أحد الجلاوزة , ثم يؤمر بأن ينحني ويمشي على يديه ورجليه ويعوي كالكلب ثم يؤتى له ببعض المعتقلين الآخرين فيؤمر بأن يعضّ أرجلهم تماماً كما يفعل الكلب العقور .

٦٣- تعلق المرأة ـ في أيام الدورة الشهرية ـ من رجليها وحينئذٍ فإن الدم إما أن يحتبس في الموضع فيسبب لها آلاماً عظيمة فتستغيث ولا تغاث , وإما أن ينزل الدم على وجهها ليدخل إلى فمها الذي غالباً ما يكون مفتوحاً عندما تصيح وتصرخ .

٦٤- والمرأة أيضاً قد يعلقونها من شعرها بعد ربط الأيدي والأرجل .

٦٥- يجمعون عدداً من المعتقلين ويأمرونهم بأن يقلد كل واحد منهم صوت أحد الحيوانات , فإذا إمتنع أو لم يحسن تقليد الصوت فيضرب ضرباً شديداً .

***

وإذا كانت نعم الله على الإنسان لا تحصى , فإن الوسائل الجهنمية التي يستعملها صدام وجلاوزته في تعذيب الإنسان وإهانته ومضايقته ومتابعاته لا تحصى أيضاً .

والذي نشرناه من أساليب التعذيب التي يستعملها أولئك المنحرفون كان جزءً صغيراً من ذلك .

وهم في كل يوم يبتكرون أسلوباً جديداً أكثر ايلاماً للإنسان من الأساليب السابقة .

وهم بالإضافة إلى ذلك تتملكهم النشوة والفرح عندما يجدون معذباً يتلوى بين أيديهم من أثر السياط , تماماً كالساديين الذين يتلذذون بالتعذيب .

ولقد وجدنا أن الجلاوزة تتعالى ضحكاتهم ويتندرون فيما بينهم عندما يعذبون ضحاياهم ويستغيثون .

وتلك طبيعة بشرية لصيقة بالمنحرفين الذين يريدون الانتقام من الغير , ففي كتاب (المنحرفون) الذي صدر عقيب إزاحة حزب البعث عن الحكم عام ١٩٦٣ , صور لأماكن تعذيب المعتقلين الذي مارسته

مكاتب الحزب التحقيقية وفيها تظهر بعض قناني السموم وسوائل لحرق الجسم وأسلاك كهربائية لحرق الجسم أيضاً.

إضافة إلى خشبة غرزت فيها مسامير يُلقــى بالمعــذب عليهــا عارياً لتنغرز المسامير في جسمه , وصورة لقطع اليد أو أصابع اليــد وجدت آثار الأصابع المقطوعة عليها في مقر التحقيق الخاص وقضبان من حديد (خوازيق) يجبر المتهم على الجلوس عليها , وقد ظهر عليها آثار الدماء وفوقها علقت ملابس نسائية ورجالية ملطخة بالدماء .

***

أساليب التعذيب النفسي

كان ذلك كله حول طرق التعذيب الجسدي , أما التعذيب النفسي فإن الرفاق البعثيين يتفننون فيه , كما يتفننون في التعذيب الجسدي وهو يتطور كلما تقدمت السنين , بناء على قاعدة التطور البشري .

وسوف أذكر بعضها وليس كلها , فقط تلك التي أطلعت عليها شخصياً , أو التي وصلت إلينا عن طريق الذين كتب عليهم التعذيب تحت أيدي جلادي حزب (الوحدة والحرية والاشتراكية)

١- إلقاء القاذورات على رأس المعذب وبدنه , أو إلقاؤه نفسه على تلك القاذورات , كما فعلوا معي في مديرية الأمن العامة عندما القوني في مستنقع القاذورات .

٢- ابتكر العملاء نوعاً من التعذيب , وذلك بأن توضع في محلات وجود المعتقلين مكبرات صوت , إذ يتحين المجرمون أوقات النوم فيطلقون من هذه المكبرات أصواتاً كأنها صوت قطار قادم , فيفزع المعتقلون من نومهم , وهو معصوب العيون , ويخيل إليهم أن القطار سوف يسير على أجسادهم وبهذه الطريقة الخبيثة يحاول المجرمون أن يثيروا أعصاب المعتقلين ويقلقوا راحتهم أثناء النوم , فيصاب

الكثير منهم بأمراض يصعب شفاؤهم فيما إذا قدّر لهم أن يطلق سراحهم .

٣- الحبس الانفرادي

في زنزانة صغيرة جداً , لا يستطيع فيها المعتقل أن يمدّ رجليه فينام أو أن ينتصب فيها قائماً . وقد عشت أنا شخصياً في زنزانة كهذي .

٤- ترك الميت مع بعض السجناء في غرفة صغيرة لإرهابهم ولإيذائهم بعفونة الميت .

٥- غالباً ما تكون الزنزانات مظلمة , لا يدخلها النور مطلقاً بحيث لا يعرف المعتقل أفي ليلٍ هو أم في نهار ؟ وربما تسلط الأضواء الشديدة على الزنزانات الضيقة ليتأذى بها المعتقل .

٦- تعذيب المعتقل بعدم السماح له بالنوم , وذلك بضربه أو وخزه كلما أراد النوم , حتى يصيبه الإعياء .

٧- إيقاظ المعتقل من نومه بعنف شديد .

٨- وضع كماشة سميكة على الأنف ليتنفس المعتقل من فمه ولتتغير نبرة صوته , فيتعذب بذلك ويضحك المجرمون عليه .

٩- صبغ نصف الوجه بصبغ ثابت لا يزول .

١٠- حلق نصف اللحية أو نصف الرأس ليسخروا منه .

١١- يأمر رجال الأمن المتهمين بتقبيل أحذيتهم من أجل احتقارهم بسبب المقام العلمي العالي الذي يتمتع به المعتقل .

١٢- يؤمر المعتقل بكنس أو تنظيف المرافق الصحية أو العمل كخادم لرجل الأمن .

١٣- وضع المعتقلين في مستشفى الأمراض النفسية والعقلية لمدة من الزمن ويعاملون كمجانين , وما هم بمجانين .

١٤- وبين يدي الآن تقرير مطول , أكثر من عشر صفحات كتبه أحد الدعاة , حيث تعرض للتعذيب عندما كان مسجوناً عام ١٩٧٩ , وسوف أقتطع منه جزء يسيراً وأنقل كلامه كما هو :

يقول أخونا المعذب الذي منّ الله عليه بالخلاص :

(... ثم وضعونا في نفس السرداب [١] وقالوا لنا : إذا لم تعترفوا سوف نسقط أخلاقكم في جامعتكم [٢] .

فشدّوا السجين (ك) من يديه وطرحوه على الأرض , على وجهه ,ونزعوا عنه ملابسه جميعها , ثم قالوا لي إخلع ملابسك , وافعل به اللواطة .

قلت لهم : لا أفعل ذلك مطلقاً

١- السرداب في العراق كالقبو في سورية .
٢- كان صاحب التقرير طالباً في الجامعة .

فأخذوني بالضرب على وجهي ورأسي بعصا قوية جداً فسقطت على الأرض من شدة الضرب .

فرفعوني , وخلعوا ملابسي ووضعوني فوقه , وأنا أبتعد عنه .

وكانت عندهم (كاميرة) جهاز تصوير , بها يلتقطون لنا الصور , ويقولون لنا :

سوف ننشر الصور في الجامعة .

***

بهذا الأسلوب الخبيث يحكمون العراق , العراق المسلم , عراق الحضارات , يخلعون ملابس المعتقلين بالقوة , ويلقون أحدهم على الآخر , ويصوّرونهم على هذه الحالة , ليعرضوا هذه الصور على إخوانهم في الجامعة , على أساس أن المتدينين يفعلون اللواطة مع بعضهم .

ثم يستمر أخونا المعذب فيقول :

كانوا يعذبوننا تعذيباً نفسياً , فأرجعونا إلى الطابق الثاني والثالث وشدوا أعيننا وأيدينا , ووضعونا في (الممر) بين الغرف , والشرطة يدوسوننا بأحذيتهم خلال مرورهم .

كنا كلما نذهب إلى (التواليت) كان الشرطة يوقفوننا بإتجاه الحائط ويحاولون أن (يفعلوا معنا المنكر) وكنا نضربهم بأرجلنا ...

١٥- وهناك طريقة لئيمة لمنع المعتقلين من النوم , وذلك بأن يأتي أحد الجلاوزة في حال نوم المعتقلين في كل نصف

ساعة أو أقل , وبيده عصا طويلة , في رأسها أبرة يغرزها في أرجل المعتقلين واحداً بعد آخر .

١٦- رش مواد كيمياوية (سبريه ذي التأثير النفاذ) على الفم والأنف , مما يسبب للمعتقل صدمة ورجّة في كل كيانه .

١٧- تعذيب الأب أمام المعتقل , وخاصة إن كان الأب كبير السن , كما حدث للمعتقل (جواد محمد علي جواد) من مدينة كربلاء , عندما عذبوا أباه أمامه , وكان عمره أكثر من ٨٥ سنة في مديرية الأمن العامة , وكذلك عندما عذبوا والد الشهيد عبد السادة أمام ابنه .

١٨- يعتقل الرجل المتدين مع المرأة المتدينة في زنزانة صغيرة ويخلعون عنهما ملابسهما تماماً , ويربطونهما بحبل , وجهاً لوجه , وقد تستعمل هذه الطريقة مع أب وإبنته .

***

طرق التصفية البدنية

الإعدامات في عهد صدام وفي عرف صدام تعتبر مسألة طبيعية وعادية جداً , تعوّد هو عليها وعوّد عليها زبانيته .

فالإعدام لأتفه الأمور , طبعاً تهمة الانتساب إلى حزب الدعوة هي أقوى تلك الاتهامات .

فقد يكون الإعدام لأسباب لا يصدقها الإنسان , خصوصاً إذا كان غريباً عن الجو العراقي والتعرف على سلوك بعثيي العراق .

ذكر أحد الأشخاص لصديقه إنه رآه في (الحلم) أصبح رئيساً للجمهورية , فأعدم الرائي والمرئي .

والواقع إن صدام يعدم الإنسان لسببين :

١- لأن طبيعته دموية , يلتذ بالدماء وممارسات التعذيب وهذه الطبيعة متأصلة فيه منذ كان صغيراً يذهب إلى المدرسة الابتدائية في قريته .

فقد كان يحمي (أسياخ) الحديد وينتظر ورود الحمير محملة بعض الأحمال , فيضع أسياخ الحديد على ظهورها لتنفر وتسقط الأحمال .

ويضحك صدام , ثم يأخذ كتبه ويذهب إلى المدرسة .

***

وذكر لي مسعود البرزاني قصة تنبئ عن همجية صدام وساديته

يقول مسعود إن عزيز عقراوي الذي كان وزيراً لدى صدام في الثمانينات قال له :

اتصل به صدام يوماً وطلب حضوره

يقول عزيز : ذهبت إلى صدام , فوجدته يتمشّى في أحد الصالات , وقال له : إنه اليوم مسرور جداً

سأله عزيز : خيراً ؟

قال صدام : إنني اليوم , منذ بداية الدوام ولحد الآن (وكان الوقت قبل الظهر) وقّعت على إعدام ٦٤٠ شخصاً من حزب الدعوة.

فالدم يشبع غرور صدام , ويفرح بذلك , ويبلغ سروره حداً بحيث يريد أن يخبر الآخرين بذلك .

٢- لأنه يرى أن الدولة لا تستقيم له إلا بهذه الطريقة في السجون والتعذيب والتغييب والإعدام والتفنن في ذلك

وهو يتعّمد أن ينتشر خبر ذلك في أوساط الشعب ليحذر الإنسان من أبسط الأمور التي قد توصله إلى التعذيب ومن ثم الإعدام .

ففي أول عملية علنية قام بها البعثيون انتقاماً من الشعب عام ١٩٦٩ م هي أنهم أعدموا ٤٨ شخصاً بحجة إنهم من الجواسيس , وهم إن كان فيهم من تتوجه إليه هذه التهمة فإن أغلبهم أعدموا وهم أبرياء لا تنالهم الشبهة , ولكنهم أرادوا في هذه الجريمة البشعة أن يشيعوا الخوف

بين الناس , فقد علقوهم في أكبر ساحة في بغداد هي ســـاحة التحريـــر على أعمدة الكهرباء ٢٤ ساعة .

والواقع إن السجين أو المعتقل في سجون صدام يتمنى لو يعـــدم ليتخلص من تعذيب مستمر لا يطاق .

ولذلك فالسجون في العراق ليس فيها كهرباء , ولا أي شيء قد يؤدي إلى الانتحار فالسجين يجد أن تحمّل طلقة واحدة في رأسه أو شدّ الحبل على عنقه أو أي أسلوب آخر من عمليات التصفية البدنية أســـهل وأيسر عليه من تعذيب يومي .

***

وطرق التصفية البدنية :-

تتخذ أشكالاً متعددة أيضاً , وفي جميع الحالات إما أن تسلم جثة القتيل إلى أهله وتعطى لهم شهادة بالوفاة , أو لا تسلم جثته ولا تعطـــى لهم شهادة بالوفاة كالشهيد السعيد أبي عصام (عبد الصاحب دخيّـــل) ومن ثم في المقابر الجماعية .

وقد يمتنعون عن إعطاء الجثة ويكتفون بتسليم شهادة الوفاة ,كما حصل للعالم الكبير السيد قاسم شبر .

والتصفية الجسدية تكون غالباً بإحدى الطرق التالية :

١- الإعدام شنقاً حتى الموت , وهي أكثر الطرق تنفيذاً , حيث مارسوا هذه الطريقة ضد عشرات الآلاف من الأبرياء.

٢- الضرب بالرصاص (المسدس غالباً) ضد العسكريين ولكنهم قد يستعملونها مع غير العسكريين , فإن الشهيد السيد قاسم شبر كانوا قد قضوا على حياته بالرصاص كما مدوّن في شهادة الوفاة .

٣- تهشيم الرأس بالفؤوس

٤- إلقاء المعتقل إلى الكلاب المسعورة , فتبقى تنهش به هذه الكلاب حتى يفارق الحياة .

٥- إلقاؤه في مادة حارقة (التيزاب) كالذي حصل للشهيد أبي عصام دخيل .

٦- أو يقطع بالمنشار كالشهيد السعيد عبد الأمير مشكور إذ قطعوا رأسه وأطرافه إلى ست قطع .

٧- وكثيراً ما تكون طريقة التصفية هي طريقة دس السم للمعتقل (مادة الثاليوم) في طعامه أو شرابه , كما حدث للعلامة السيد محمد طاهر الحيدري وعبد الأمير المنصوري وسلوى البحراني وغيرهم .

والمجرمون عندما يسقون معتقلهم السم يطلقون سراحهم فيشعر هؤلاء بعد يومين بخدر في أطرافهم السفلى ثم بآلام

شديدة لا يستطيعون معها الحركة , ثم تمتد الآلام إلى جميع أطرافهم , ثم يفقدون الذاكرة والشعور وتتغير ألوانهم وتتقشر جلودهم ويتساقط منهم الشعر من كل مكان حتى يفقدوا حياتهم .

٨- يوضع المعتقل على طاولة , بحيث يُلقى على ظهره ويكون رأسه خارجاً عنها , ثم يربطون قنينة غاز في عنقه حتى يفارق الحياة , كما فعلوا ذلك مع عبد الحسين ثامر جبر (أبو فرقان) .

٩- ربط إحدى الرجلين بسيارة والأخرى بسيارة ثانية ليسيرا باتجاهين متعاكسين حيث يتقطع جسم الشهيد إلى قطعتين أو ثلاث .

١٠- ربط المعتقل الذي أريد نهاية حياته بالسرير الحديدي , ثم إشعال النار تحت السرير , فتسبب شوي لحمه , ثم تسحب النار ويترك المعتقل هكذا حتى ينتن وبدون علاج إلى أن يموت .

كانت هذه الطريقة نصيب بعض منتسبي حزب الدعوة في مدينة الثورة ولم يسلموا جثثهم لذويهم وإنما اكتفوا بإعطائهم شهادات الوفاة فقط .

١١-وقد يمثلون بالجثث ــ بعد الموت ــ ذلك بفقأ عين الضحية أو قطع أذنه وجدع أنفه وقطع مذاكيره وبتر أصابع اليد أو الرجل , وقد يبيعون أعضاء الأموات من الكلية والقلب والعيون إلى شركات خارجية تتعامل بهذه التجارة ثم يبعثون بالجثث المشوهة إلى ذويهم ويحذّرونهم من نقل ذلك لأحد وإلاّ كان مصيرهم مصير هؤلاء الضحايا .

***

وأمامي تقرير من أحد السجناء الذي فرّج الله عنه وأطلق سراحه وكان في سجون أبي غريب , يقول :

إن الجلاوزة جاؤوهم يوماً وقالوا لهم إنه يجب عليهم أن يحضروا عصر هذا اليوم في إحدى قاعات السجن لرؤية مسرحية ترفيهية , ومن يتخلف عن الحضور فإنه يتعرض إلى عقاب شديد .

وحضر السجناء في الزمان والمكان المعينين , ورفعت الستارة عن المسرحية الترفيهية , وكانت كما يلي :

سيد معمم يتجاوز السبعين بكامل قيافته ويحيطه مجموعة من الجلاوزة , وبدأوا به ضرباً بالأيدي ورفساً بالأرجل .

وكان السيد يقع على الأرض بين فترة وأخرى , فكانوا يقيمونه ويلبسونه ملابسه جميعها ــ إمعاناً في إهانته ــ ويبدأون بضربه من جديد , إلى أن سقط على الأرض مغشياً عليه .

فأمر الجلاوزة جميع السجناء بأن يأتوا ليبولوا على رأس هـذا السيد , والويل لمن يمتنع , فبالوا جميعهم .

ثم جاء الجلاوزة وذبحوه بالسكين من الوريد إلى الوريد وأختلط الدم بالبول وقالوا للسجناء , إذهبوا فقد إنتهت المسرحية .

خبر لا يصدقه العقل , وعمل تشمئز منه النفوس , ولكـن مـن يعرف طبيعة صدام وجلاوزته الذين تربّوا على سجيته , يصدق كل ما يقال من إجرام .

***

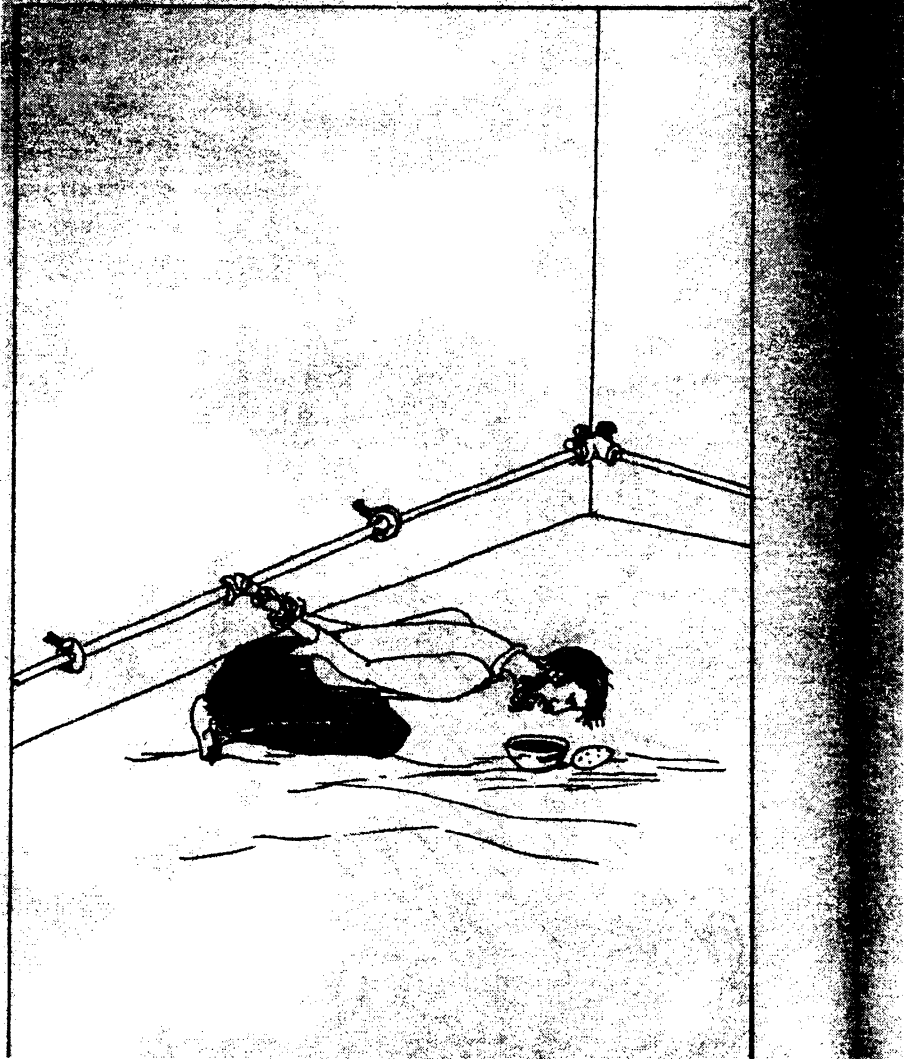
والصور التالية صور تقريبية لأساليب التعذيب التي

تجري في سجون صدام .

علماً بأنها ليست صوراً لجميع الأساليب .



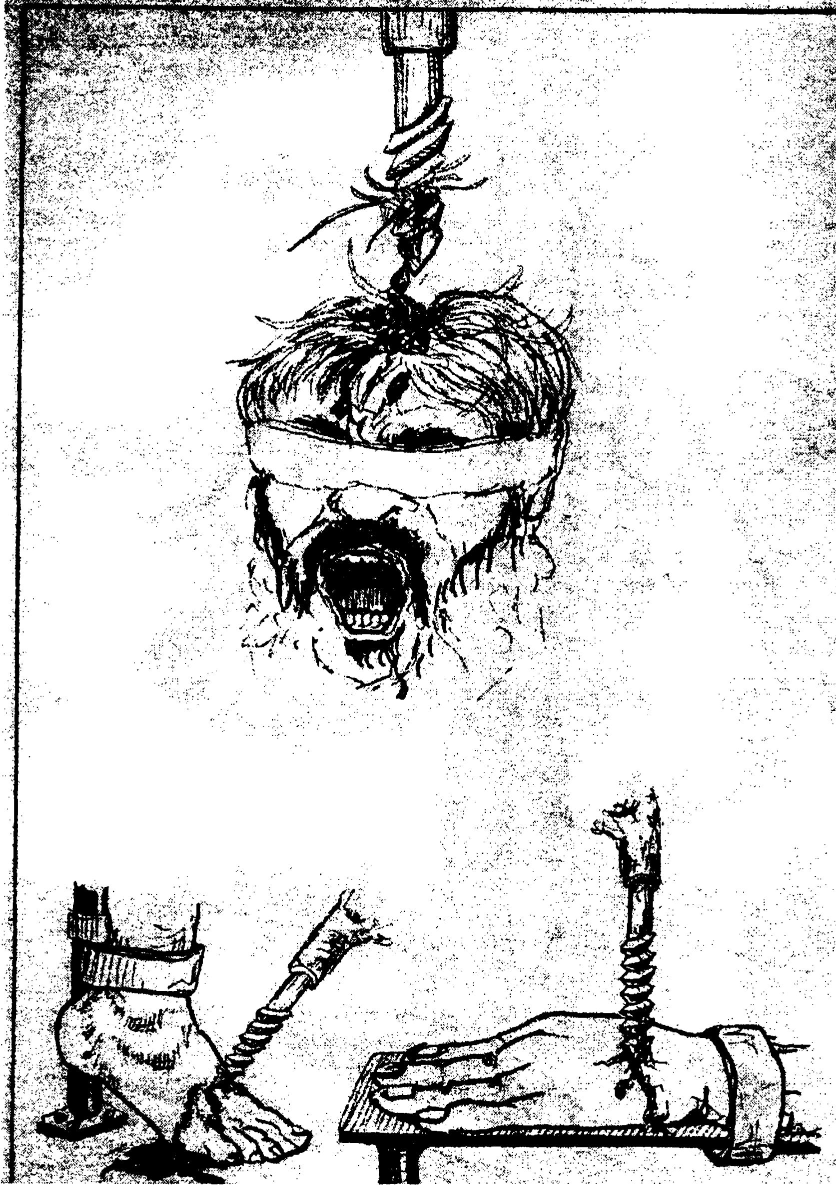
صورتان , العليا , سلّ لسان المعتقل ثم غرز أبرة كبيرة فيه خارج الفم مع ربط يديه ورجليه لكيلا يحاول إخراج الإبرة , والسفلى غرز الأبر في الأنامل بين الظفر واللحم .



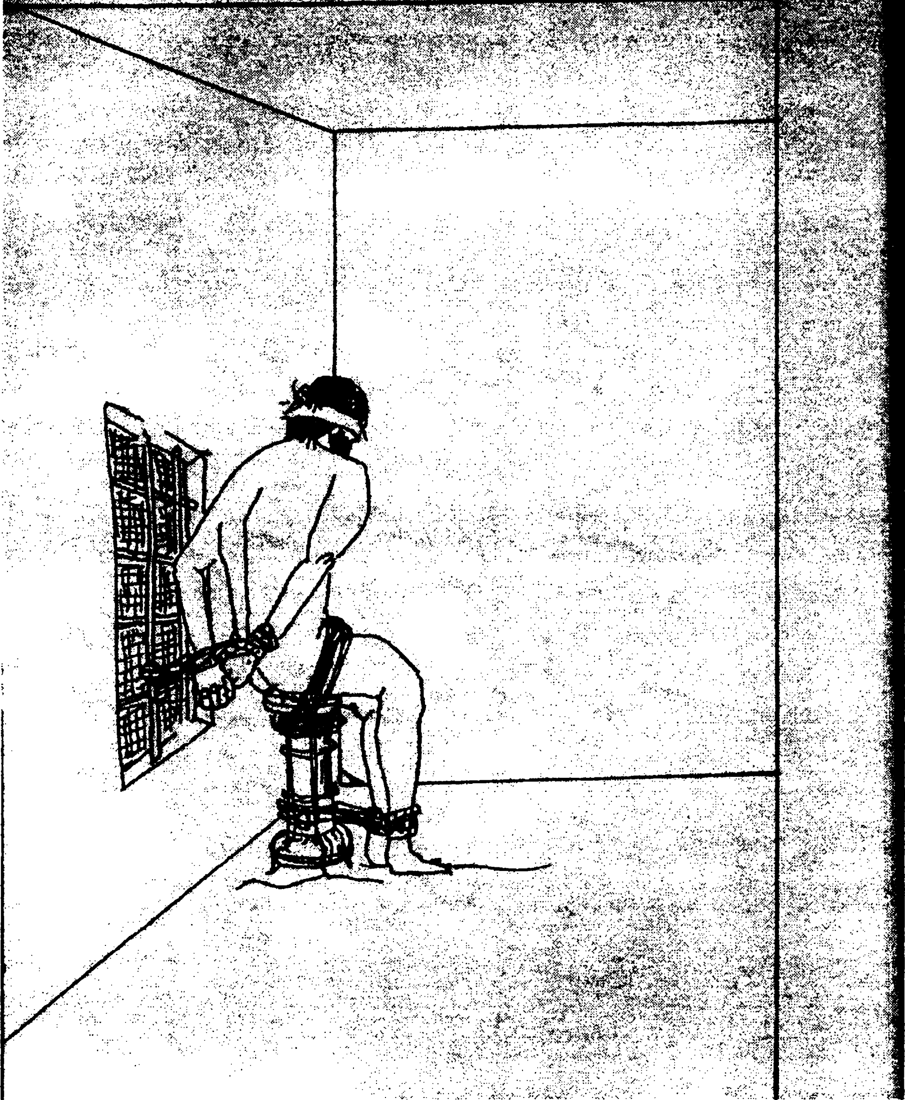
ربط يدي المعتقل عند الأكل والشرب إلى الوراء ليجبر على الانحناء ويأكل ويشرب كالدواب وليضحك عليه المجرمون .



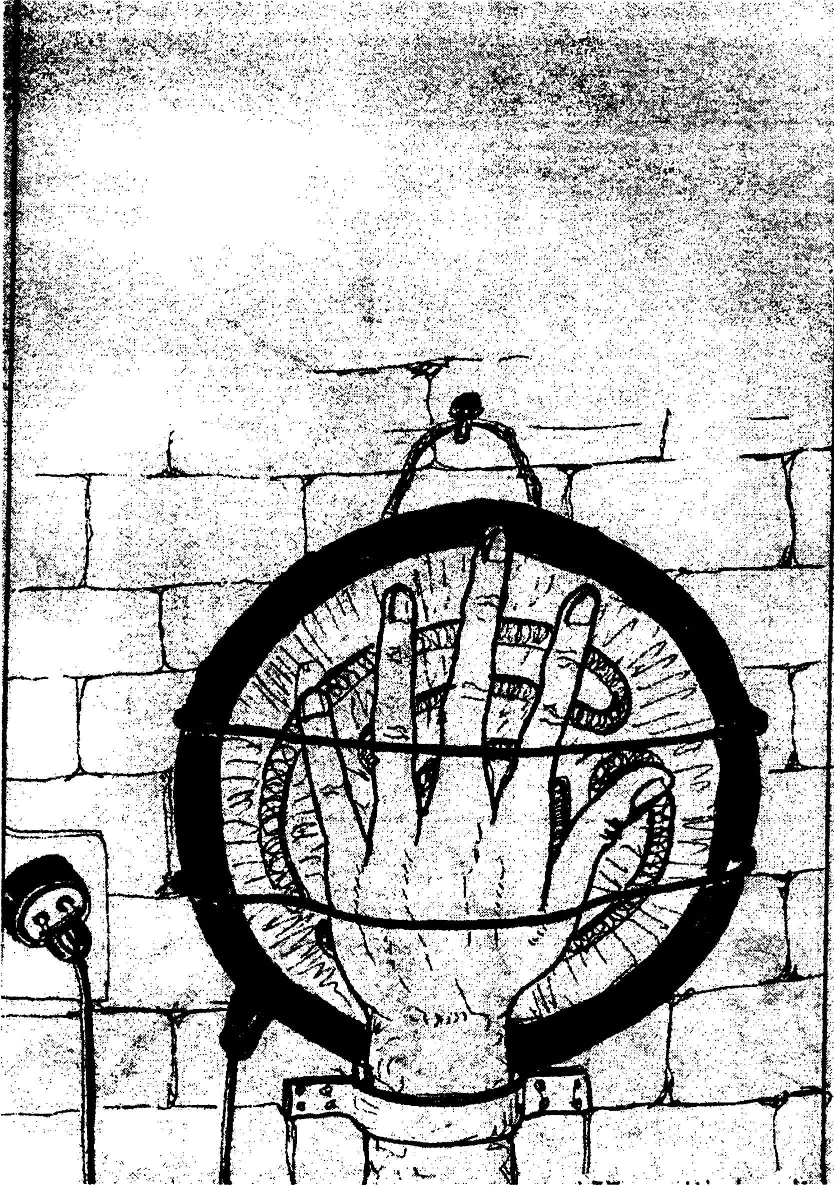
وضع الرأس داخل آلة حديدية كابسة , ينتهي أحياناً إلى كسر الجمجمة وقد يؤدي إلى الموت



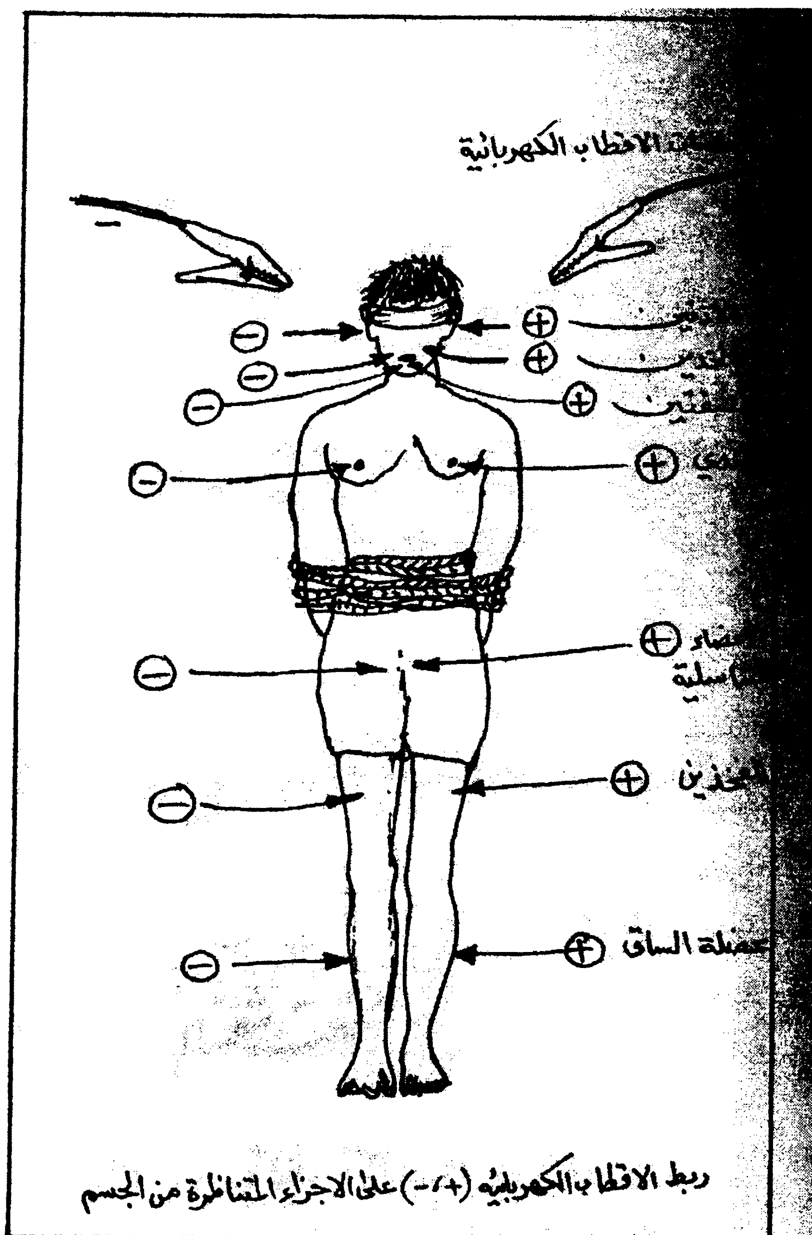
ثقب اليد أو الرجل بمثقب كهربائي , أو ثقب الراس في أعلى الجبهة على يمينها وشمالها .



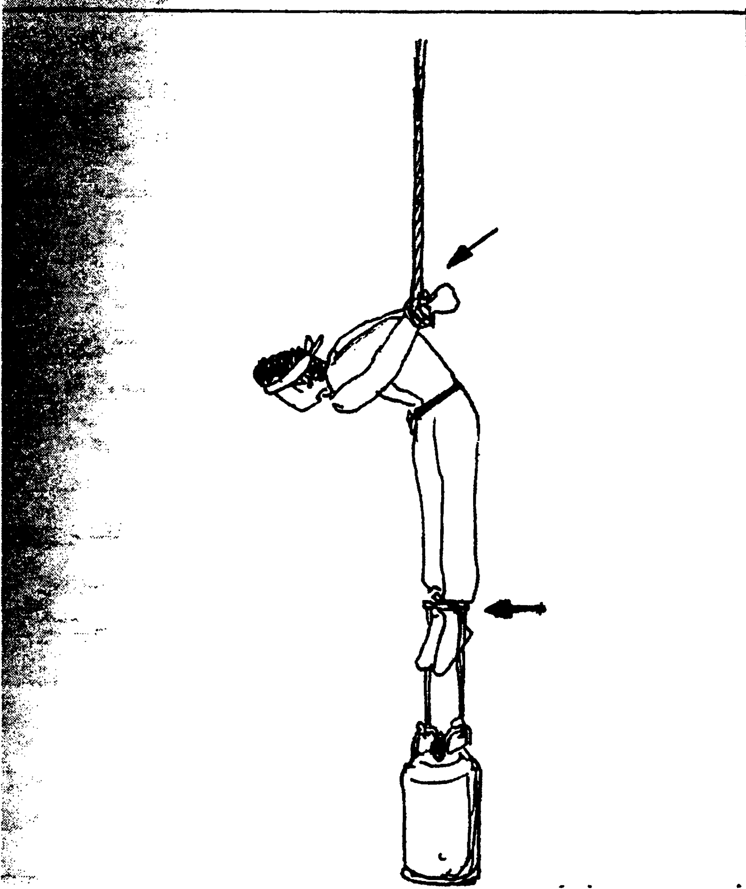
المعذّب يربط بالمدفأة النفطية قبل إيقادها ربطاً محكماً وبدون أن يفصله عنها فاصل من ملابس أو غيرها , ثم توقد نارها ويبقى جالساً عليها إلى أن يحترق جلده فيستغيث ولا من مغيث .



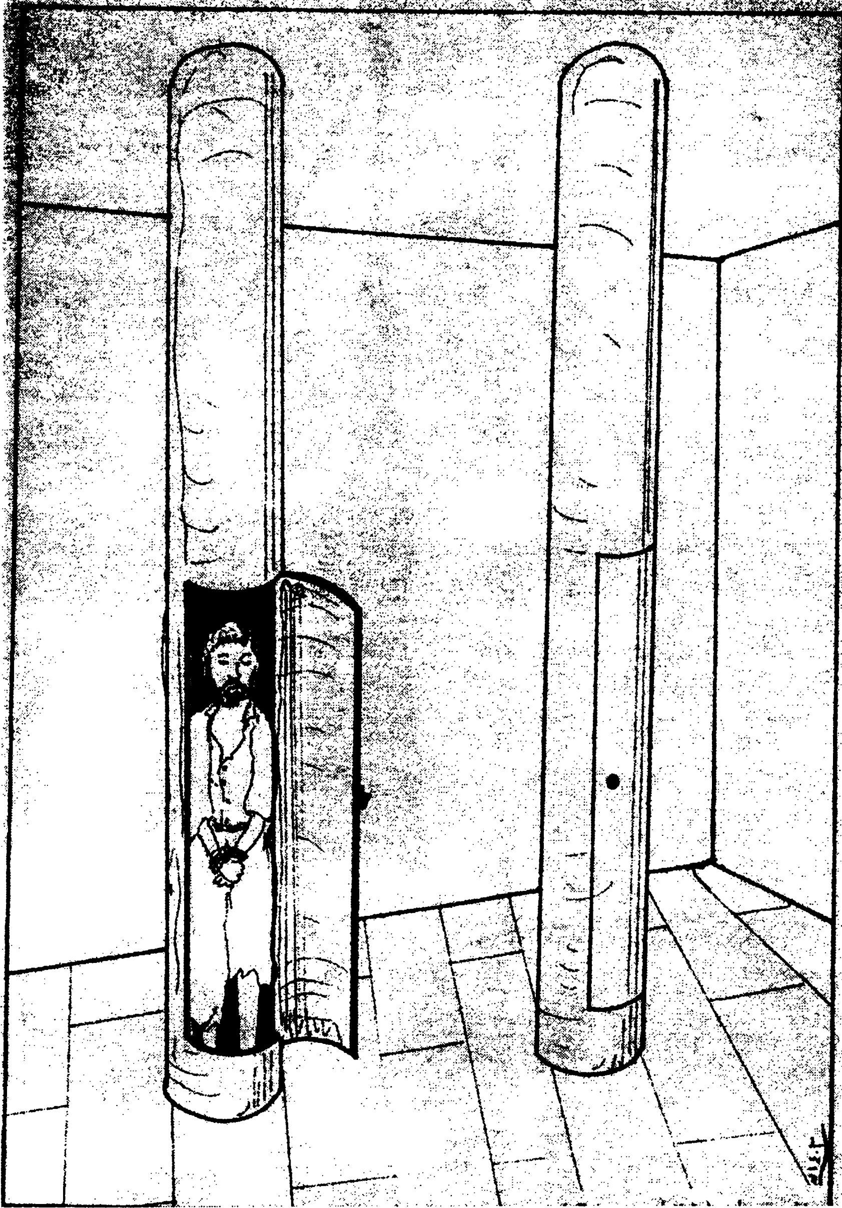
تربط يد المعتقل إلى مدفأة كهربائية (هيتر) قبل إيصال الكهرباء إليها والمدفأة مثبتة على الجدار , ثم يوصلون لها الكهرباء .



ربط الاقطاب الكهربائيه (+/-) على الاجزاء المتناظرة من الجسم



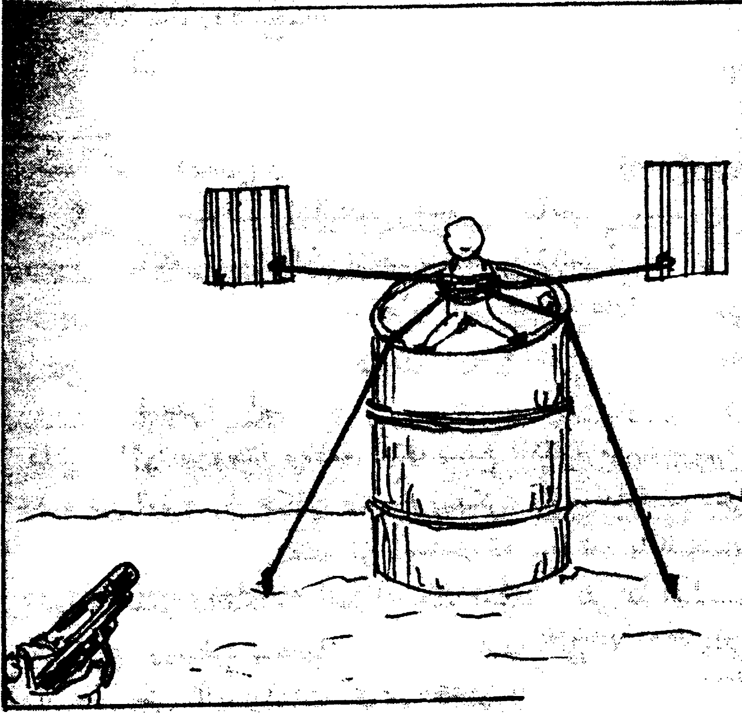
يربط المعتقل من يديه إلى الخلف , ويعلق ثم تربط برجليه اسطوانة غاز مملوءة لينجذب إلى الأرض وتتخلع يداه من الكتف .



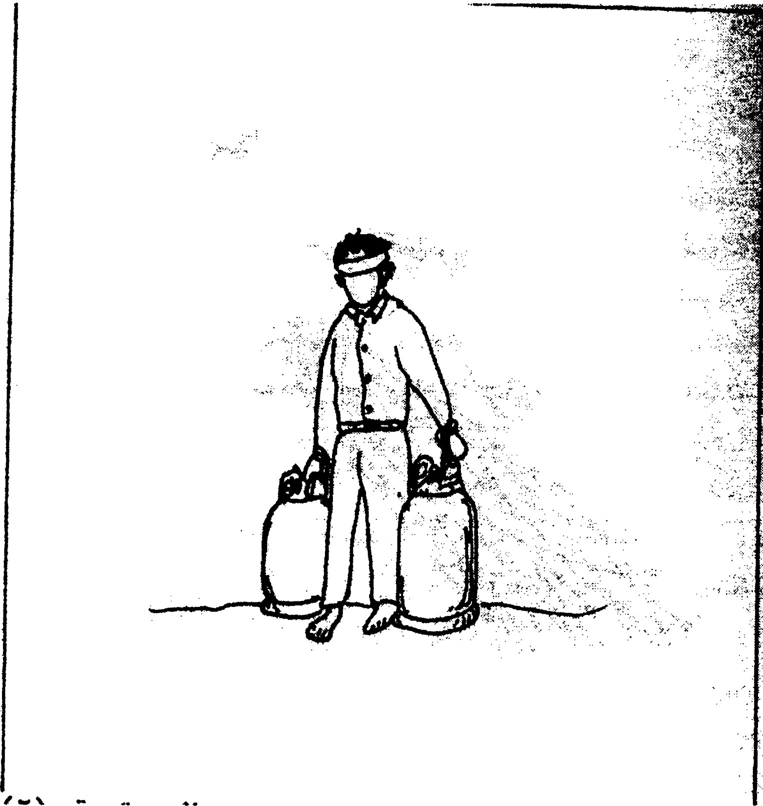
الحبس في اسطوانات حديدية ومجوّفة , يوضع فيها المعتقل ويغلق عليه الباب ويبقى المعتقل واقفاً , ولا يستطيع الجلوس ربما يخرجونه ليعذبوه من جديد , أو يموت .



تعليق النساء من شعورهن بعد ربط الأيدي والأرجل



يتم إجلاس المعتقل على برميل فارغ , ويربط بالحبال من كل جانب إلى الأرض والى الشبابيك .
ثم يصدر الأمر إلى الجلاوزة بأن يسددّوا إليه مسدساتهم ولكل من يصيبه مقدار من المال .



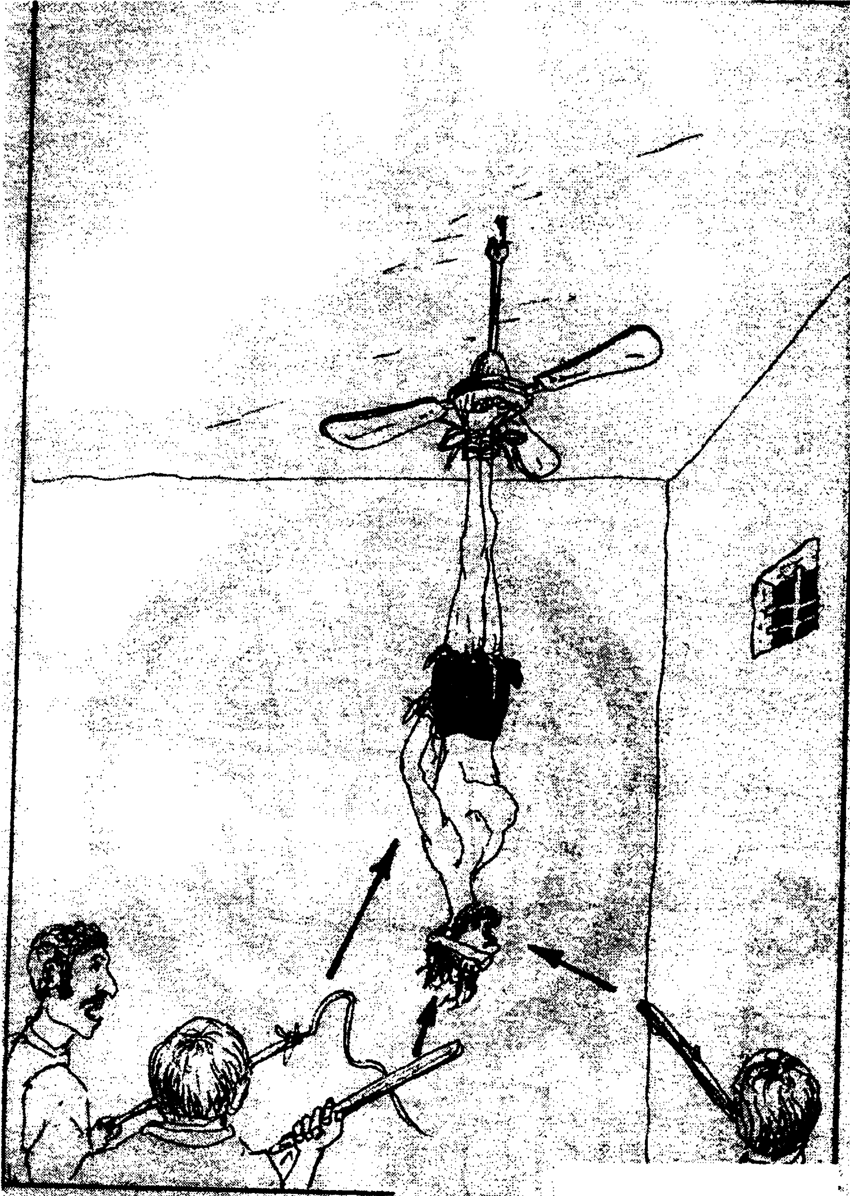
ربط اسطوانتي غاز مملوئتين في يد المعتقل أو في ظهره بحيث تلازمه دوماً في نومه ويقظته ورواحه إلى المرافق الصحية .



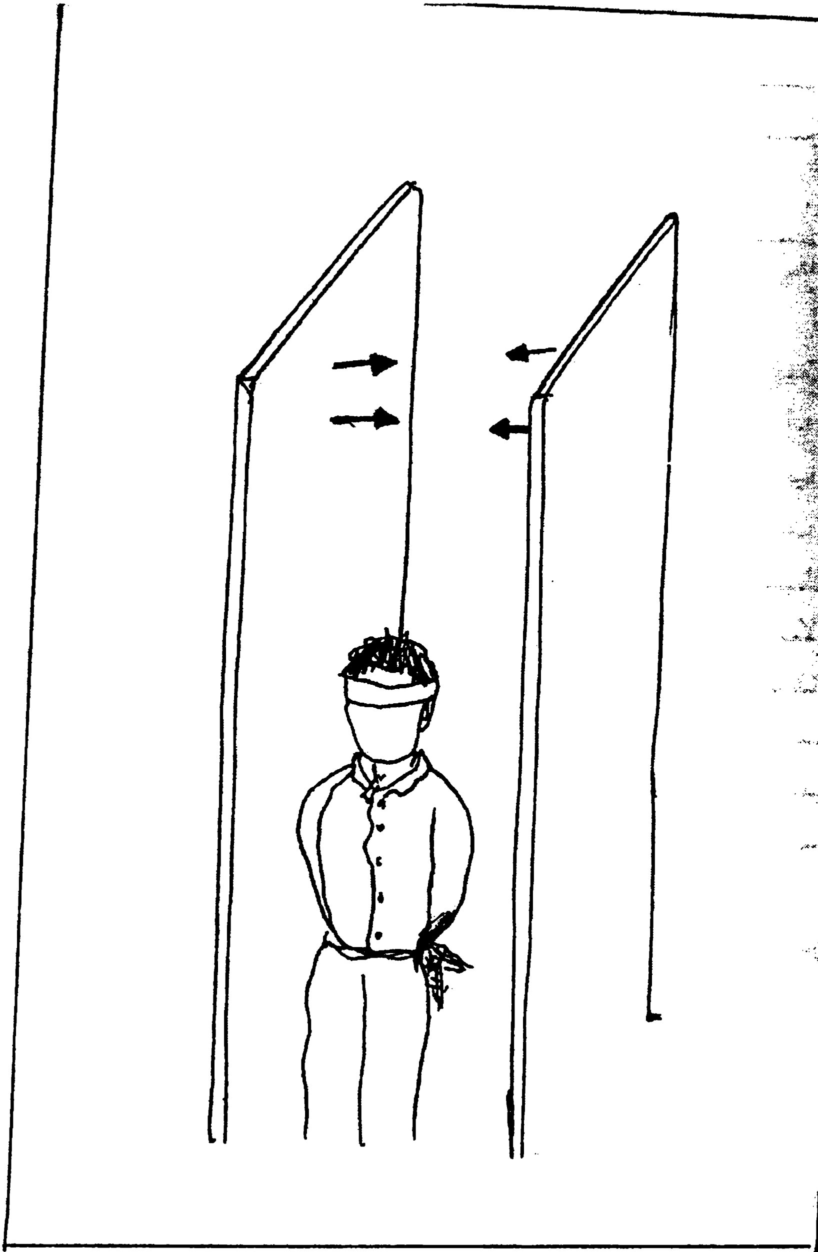
صورتان , العليا كبس الأذن بالحائط بمسمار في حالة جلوس المعذب أو وقوفه أو نومه , وقد يصاب بالإعياء فيسقط وتتخرق أذنه . والسفلى قطع اليد بالمنشار .



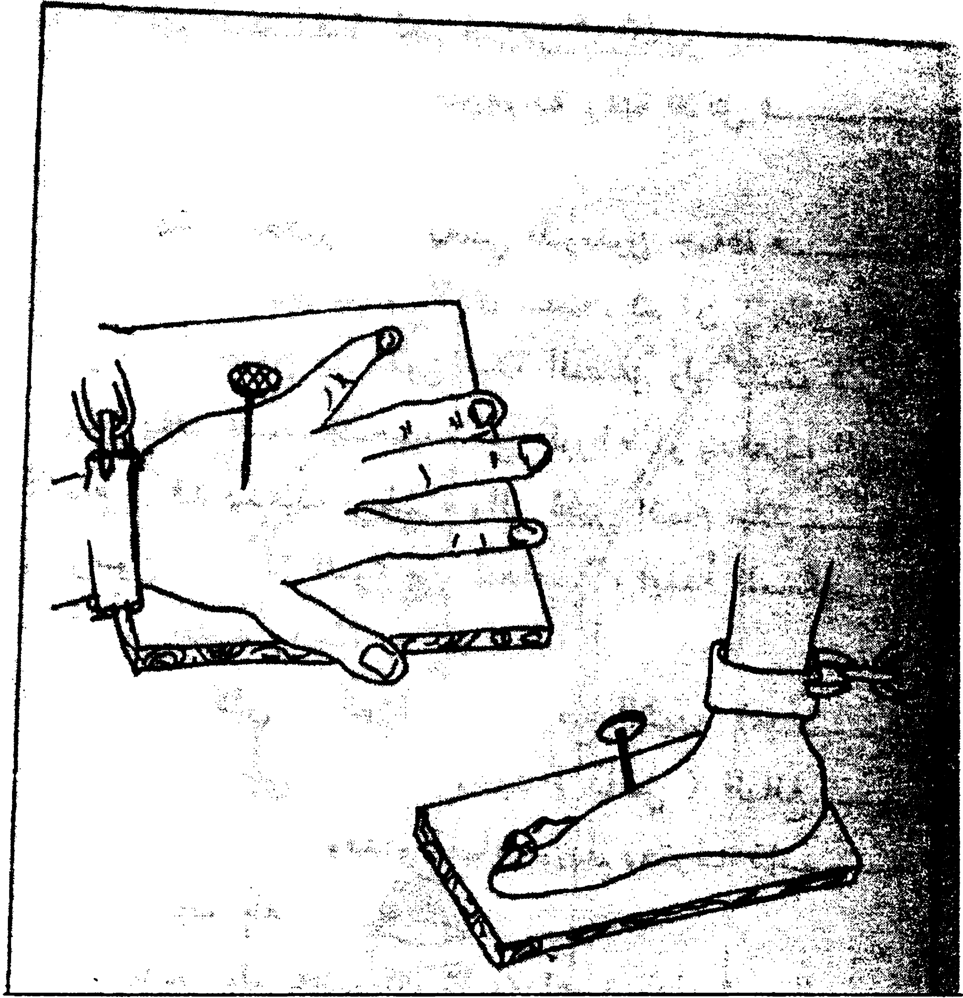
يؤتى بالمعتقل فيمسكه جلواز من يد وجلواز آخر من يد أخرى ثم يركضان به على أسلاك شائكة .



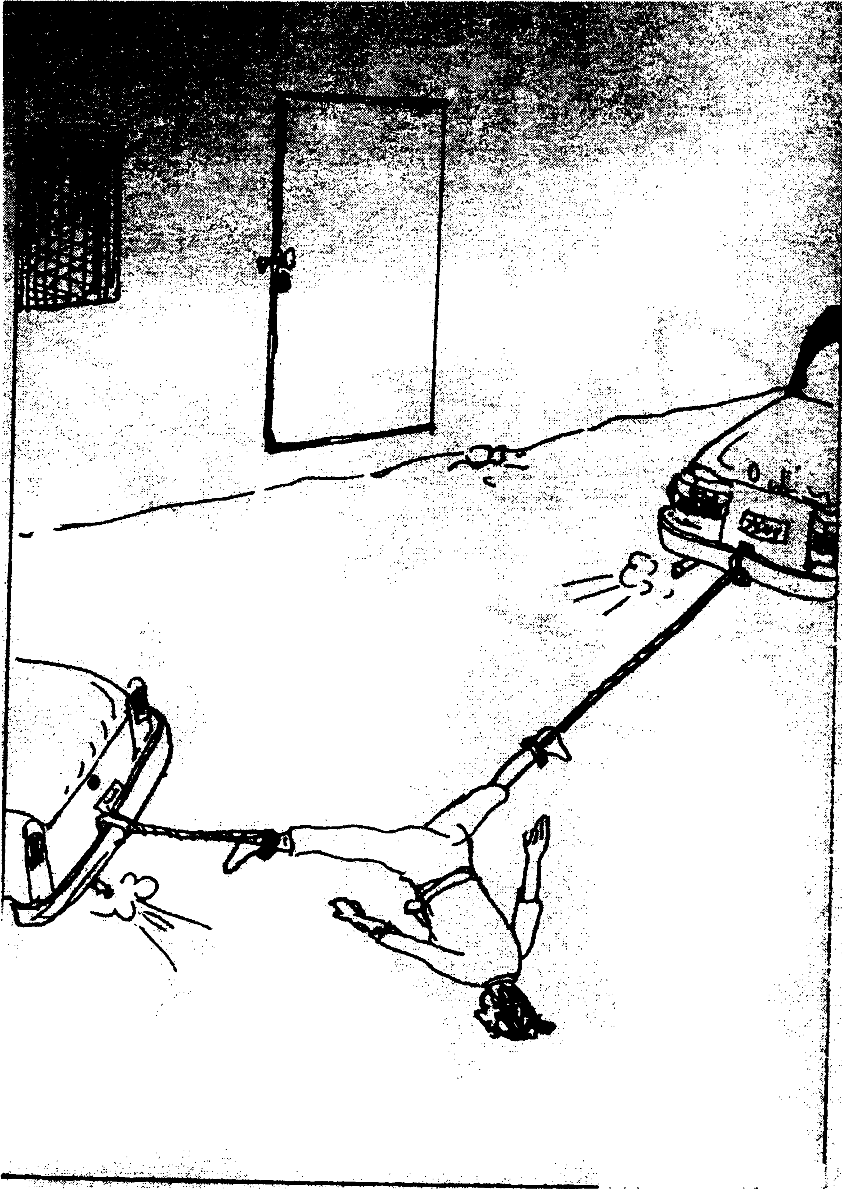
التعليق بالمروحة السقفية من رجليه , ثم تشغل المروحة ويدور معها حيثما دارت , ويقف على الأرض ثلاثة جلاوزة - غالباً - بيدهم المطارق , فيضربون رأسه بسرعة , كلما مرّ أمامهم بعد ان يحكموا ربط يديه إلى الوراء .



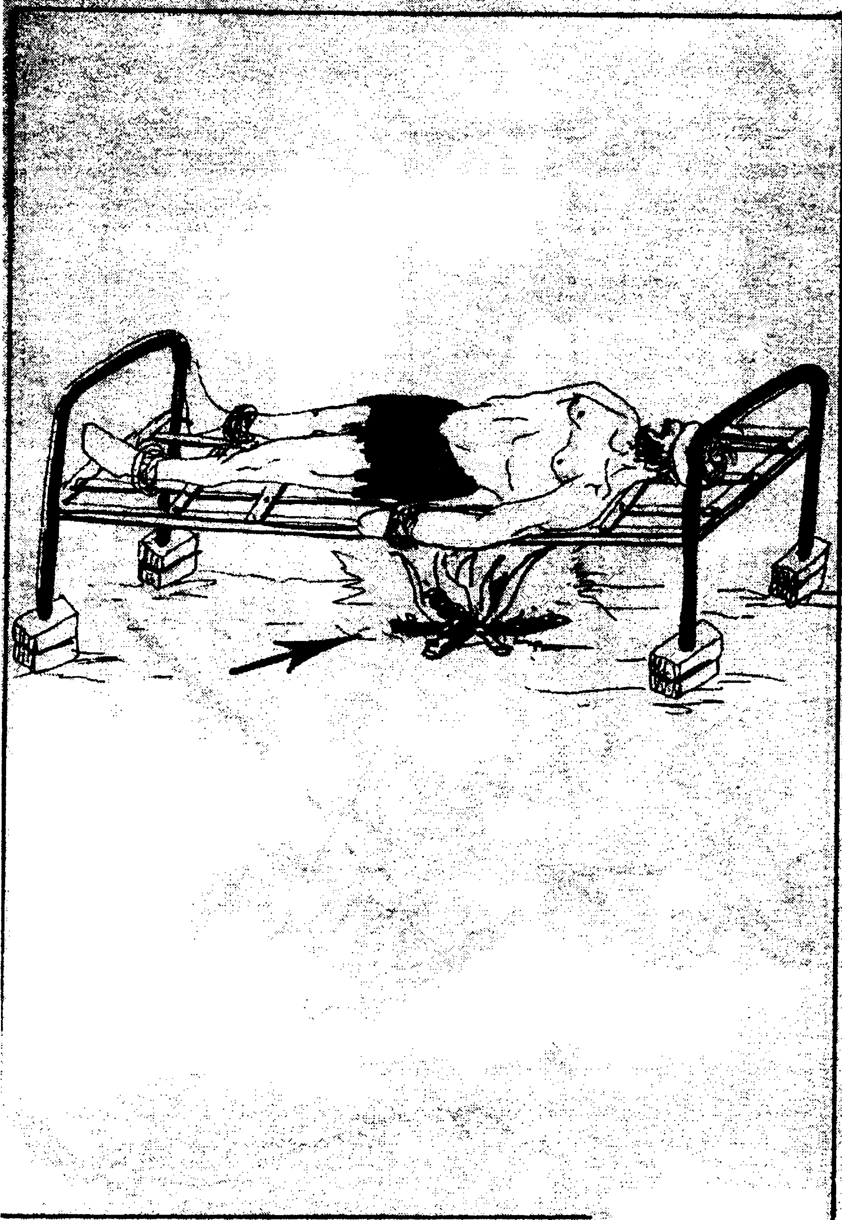
يوضع الشخص الذي يراد إعدامه بين جدارين من حديد , ثم يطبقان عليه شيئاً فشيئاً إلى أن يصبح كالرقائق .



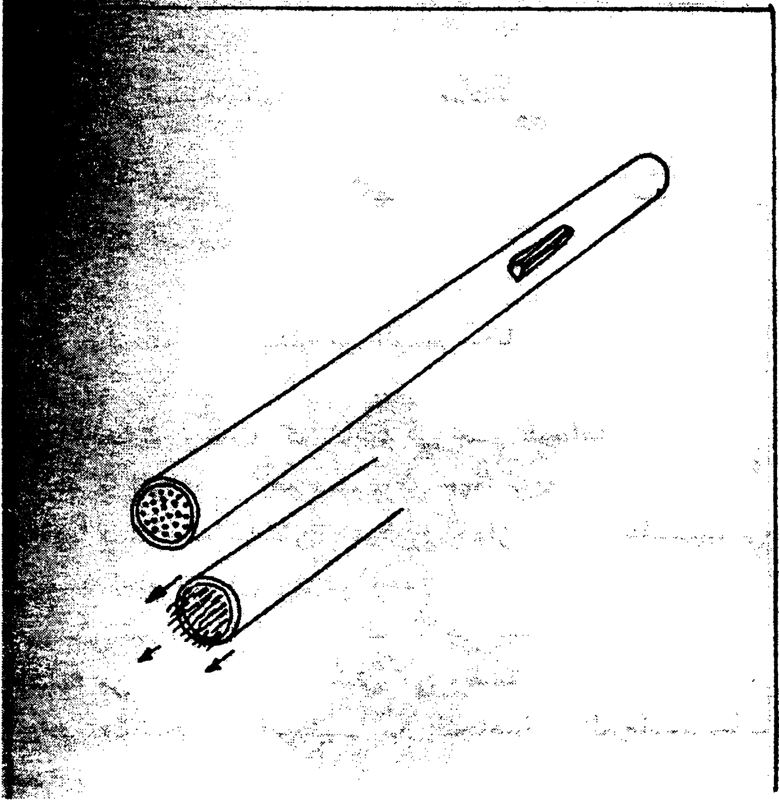
تثبيت اليد الواحدة أو اليدين أو الرجلين أو الجميع على خشبة بمساحة ٣٠×٣٠ سم وبسمك ١٠ سم ثم تسمّر اليد بمسمار بهذه الخشبة , ويبقى المعتقل ينزف دماً ويتحمل آلاماً مبرّحة في مدة قد تصل ثلاثة أيام .



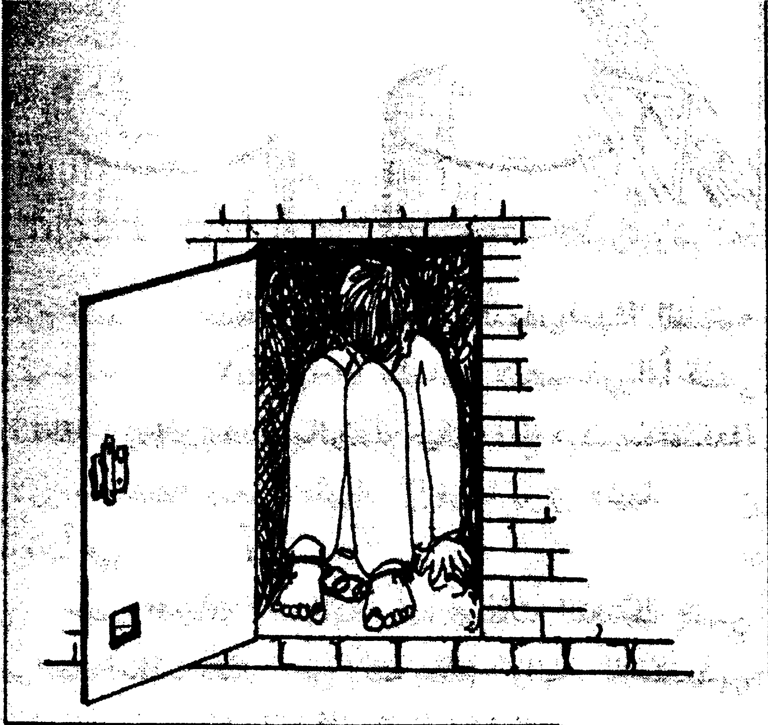
ربط أحدى الرجلين بسيارة والأخرى بسيارة ثانية ليسيرا باتجاهين متعاكسين , حيث يتقطّع جسم الإنسان إلى قطعتين أو ثلاث .



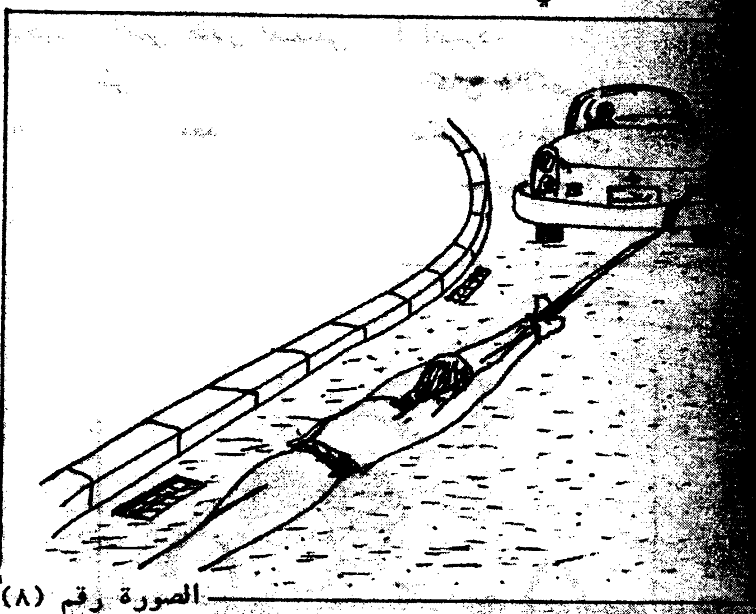
ربط المعتقل الذي أريد نهاية حياته , ربطه بالسرير الحديدي ثم إشعال النار تحت السرير , فتسبب شوي لحمه , ثم تسحب النار ويترك المعتقل هكذا حتى ينتن وبدون علاج إلى ان يموت .



التعذيب بالأبر الكهربائية وهي عبارة عن جهاز اسود طوله نصف متر , في احد نهايته زر يشبه زر المصباح اليدوي (تورج لايت) وعند فتح الزر تخرج من النهاية الثانية مئات الأبر الصغيرة التي تنفذ إلى جسم المعتقل لمسافة مليمتر واحد تقريباً ثم تخرج وتنفذ من جديد وهكذا........ بسرعة , مسبّبة للمعتقل آلاماً حادة جداً .



إدخال المجاهدين الصامدين في تجاويف جدارية مظلمة .

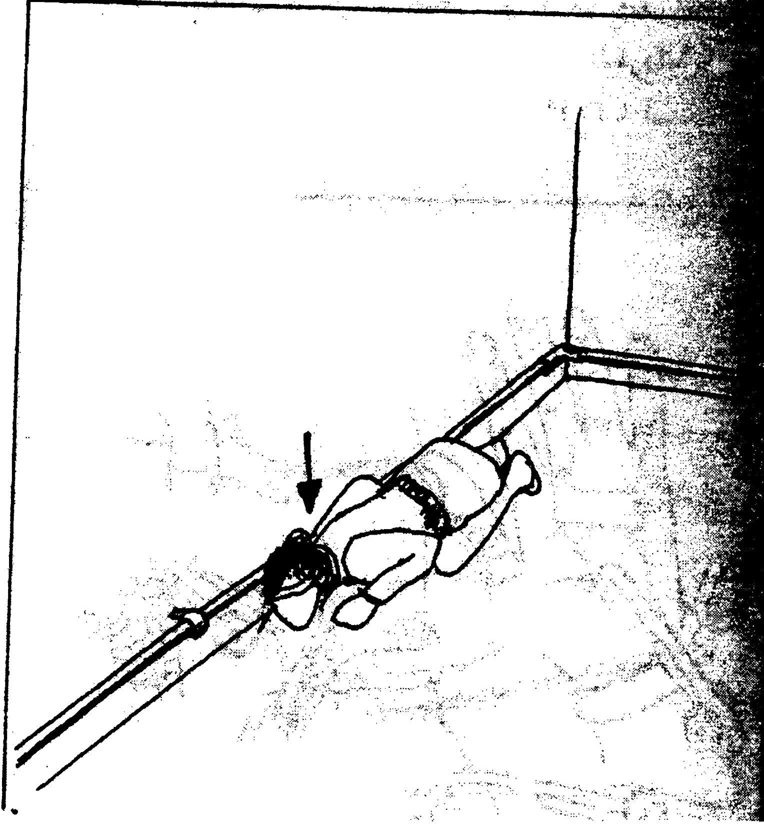


الصورة رقم (٨)

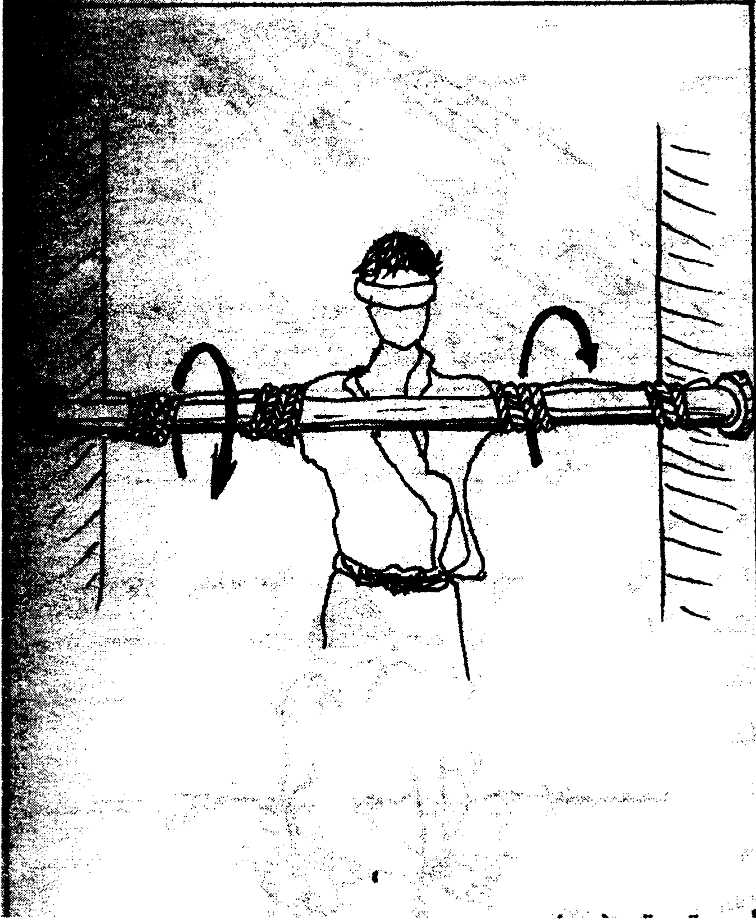


صورتان العليا يربط المعتقل من شعره أو من يديه بحبل إلى سيارة لتسير به وتسحبه إلى الأرض المبلطة بالقير في داخل شوارع مديرية الأمن العامة .

والسفلى , تربط اليد اليمنى بالرجل اليسرى وتربط اليد اليسرى بالرجل اليمنى والربط يكون مرة من الأمام ومرة أخرى من الخلف .



توضع الجامعة في العنق وتربط إلى احد الثوابت في الأرض بحيث لا يستطيع القيام .



يربط المعتقل من يديه إلى عمود حديدي منصوب أفقياً بحيث يلامس صدر المعتقل هذا العمود , وفي طرفي العمود عتلتان تتحركان بالكهرباء , فيدور العمود ويدور معه المعذّب , فمرة يكون رأسه إلى الأعلى ومرة إلى الأسفل وهكذا



(الطابوقتان الكهربائيتان) عبارة عن صفيحتين معدنيتين إحداهما في منطقة النخاع الشوكي والثانية في منطقة الفقرات العجزية والقطنية أسفل الظهر , وتثبت بكل صفيحة (قراصّة) كهربائية ويبدأون فتح الكهرباء بالتناوب على الصفيحتين .



(الثلاجة الكهربائية) عبارة عن صندوق معدني بشكل حرف (L) في قاعدته فتحتان وفي واجهته الأمامية فتحتان , فيُدخلون القدمين في فتحتي القاعدة والأيدي في فتحتي الواجهة ويحكمون ربطهما ثم يفتحون ماء بارداً جداً على الأقدام والأيدي ويضعون القراصات الكهربائية تحت الإبطين ويبدأون بضرب الرأس بالواجهة الأمامية مما يتسبب بكسر الأنف ونزيف دم من الأنف والفم .

ولكي نعرض صورة حية عن أساليب التعذيب , أنقل للقارئ الكريم ما جرى عليّ أنا بالذات , فهو وإن كان قد مضى عليه أكثر من ثلث قرن إذ إنني اعتقلت في ٢٦/١٠/ ١٩٧١ , ولكنني أتذكره , وكأن الحوادث أمامي لم أنس منها شيئاً ...

عندما كنت في السيارة مع الذين اعتقلوني قررت أن لا أعترف لهم بشيء , حتى لو كان في ذلك نهاية حياتي .

صممّت على أن أتحمل التعذيب مهما كان , ولا أبوح لهم بشيء

دخلنا سجن النهاية الرهيب[1].

وأدخلوني على حسن المطير (أبو فيصل) سألني عدة أسئلة .

فأنكرت , ولم أجبه

١- قصر النهاية , كان قصراً لعبد الإله , وكان يسمى يومها قصر الرحاب وعندما أطيح بالحكم الملكي بالانقلاب الذي قاده عبد الكريم قاسم في ١٤/٧/١٩٥٨ سمي بقصر النهاية , أي نهاية الحكم السابق ثم فتح كمقر للتعذيب خلال سلطة انقلاب شباط ١٩٦٣ (الحرس القومي) حيث شهد أبشع قصص التعذيب الإنساني والمجازر البشرية في تاريخ العراق المعاصر وبقيت كلمة (النهاية) تطلق عليه , ولكنها كانت كلمة تشعر بنهاية الإنسان الذي يتعرض فيه لأشد أنواع التعذيب الأسطورية , من الإذابة بالسيانيد أو التسميم بالزرنيخ أو المبيدات القاتلة أو تناول الثاليوم مع الشاي أو اللبن , ليخرج المعتقل ويموت بعدها في بيته , أو زرع بكتريا التدرن الرئوي عن طريق الفم.
وتم إغلاق هذا السجن بعد سقوط حكم البعث الأول حيث أصبح (المديرية العامة للسياحة) .
إلا انه أعيد بعد انقلاب ١٩٦٨ فاتخذ في حينها مقراً من قبل لجنة العلاقات العامة التي يرأسها صدام حسين نفسه .

وكان حولي عدد من الجلاوزة المعذِبين (بكسر الذال) ورئيسهم سالم الشكَرة الذي خلع نظارتي من على عيني , ثم أخذ هو وبقية الجلاوزة يضربونني بأيديهم وأرجلهم ضرباً مبرحاً .

فسقطت على الأرض , فأقاموني

ومارسوا عملية الضرب من جديد

وقال لي سالم (لك , اعترف , أحسن لك , تره إحنا جينا حتى نقضي على الأحزاب , وعلى رأسهم حزب الدعوة) .

أي : ويلك , إعترف فإنه خير لك , لأننا جئنا نقضي على الأحزاب[1] وعلى رأس تلك الأحزاب , حزب الدعوة .

١- إنّ هذا الكلمة نطق بها هذا المجرم بحق , فهم جاؤوا ليقضوا على الأحزاب والحزب الذي يعتبرونه عدواً لدوداً لهم هو حزب الدعوة الإسلامية .
أما الحزب الشيوعي وبعض الأحزاب القومية , العربية والكردية , فقد شكلوا وإياهم الجبهة الوطنية والقومية التقدمية , وكان يخيّل إليهم أنهم سوف يشاركون في الحكم .
ولكن حزب البعث لا يرى غيره حاكماً في البلاد , فقد وضع الجبهة على رفّ عتيق , وأخذ ينكّل بأعضائها شر تنكيل .
فهرب من هرب منهم , ووقع البعض في سجون البعث , ولقي آخرون حتفهم وبعد أن إستفاد البعثيون من معلومات الشيوعيين في تسديد الضربات المتلاحقة للمتدينين , وبعد أن دلهم هؤلاء على مكامن الخطر من حزب الدعوة , رجعوا إلى الشيوعيين فخيروهم بين أن يلتحقوا بصفوف حزب البعث أو ينالهم ما نال حزب الدعوة .
فأنتسب البعض منهم للبعث , وأدلى بعضهم بإعترافات مذهلة من على شاشة التلفزيون مثل عزيز الحاج وعبد القادر إسماعيل وغيرهما حيث لم يصمدوا أمام التعذيب , بل مالوا إلى المغريات في المناصب والملاذ الشخصية .
أما حزب الدعوة الإسلامية فمن غير الممكن أن يتفق مع البعث مطلقاً ,ذلك لأن الدعوة تختلف عن حزب البعث فكراً وهدفاً وطريقة .←

وأعاد أبو فيصل أسئلته مرتين وثلاثة وأربعة

وأعدت الإنكار

ثم أمر سالم الشكَره أن يأخذني ويقتلني

فأخذني هذا وذهبت معه , وأنا مطمئن إلى أنني سوف القي الله وهو عني راضٍ , وسرنا في طريق ملتوٍ , يقلّ فيه النور , وعلى جانبي الطريق زنزانات , كنت أسمع منها أنين المعذَّبين , كما رأيت شخصين , أحدهما كان مربوطاً بالحبل إلى إحدى الأسطوانات والآخر مربوطاً إلى أحد الشبابيك .

زنزانة التعذيب

أدخلني سالم الشكَره الى غرفة مظلمة ولكن فيها مصباحاً صغيراً في أعلاها لا يكاد يضيء .

عندما أدخلني الزنزانة , حاولت أن أتعرف الى إتجاه الشرق والغرب منها لكي أصلي فيها صلاة الظهر , لأنني كنت بعد لم أصلّ علماً بأن الوقت كان شهر رمضان .

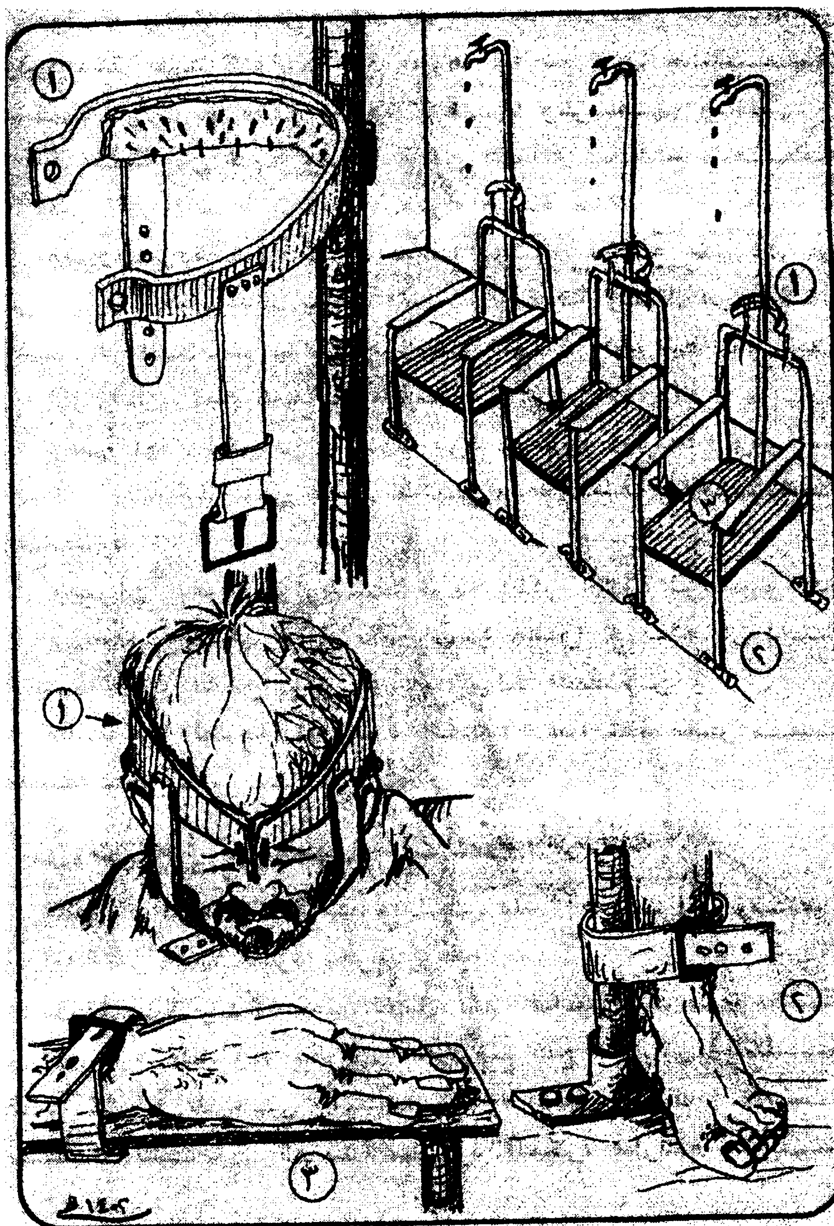
← فهدف حزب الدعوة الإسلامية هو تحقيق حكم الله في الأرض وتطبيق الإسلام ويستقي تعاليمه من القرآن الكريم والسنة الطاهرة .

أما البعث فيدعو لشعارات وأهداف كلها زائفة كاذبة , لم يبرهن ولا مرة واحدة على صحة دعواه .

وأما تعاليمه فخليط من الغوغائية والعشوائية , كلها نقيض الإسلام , ونبيّهم في ذلك ميشيل عفلق .

كانت مساحة الزنزانة حوالي ثلاثة أمتار في أربعة أمتار وإرتفاعها ثلاثة أمتار أيضا , وليس فيها شباك , وإذا أطفئ مصباح الكهرباء الصغير تكون مظلمة تماماً .

فيها ثلاثة كراسي من حديد مشدودة إلى الأرض شداً كما في الصورة الملحقة .



وكل كرسي ينتصب من خلفه عمود حديد بارتفاع مترين وفيه حلقة حديد كنصف دائرة قطرها ٢٥سم فيها عتلة يمكنها أن توسّع هذه الحلقة وتضيقها وترفعها وتخفضها .

الحلقة من حديد ومبطنة من الداخل بإسفنج , وتحت الإسفنج أبر صغيرة وفي أعلى العمود حنفية ماء .

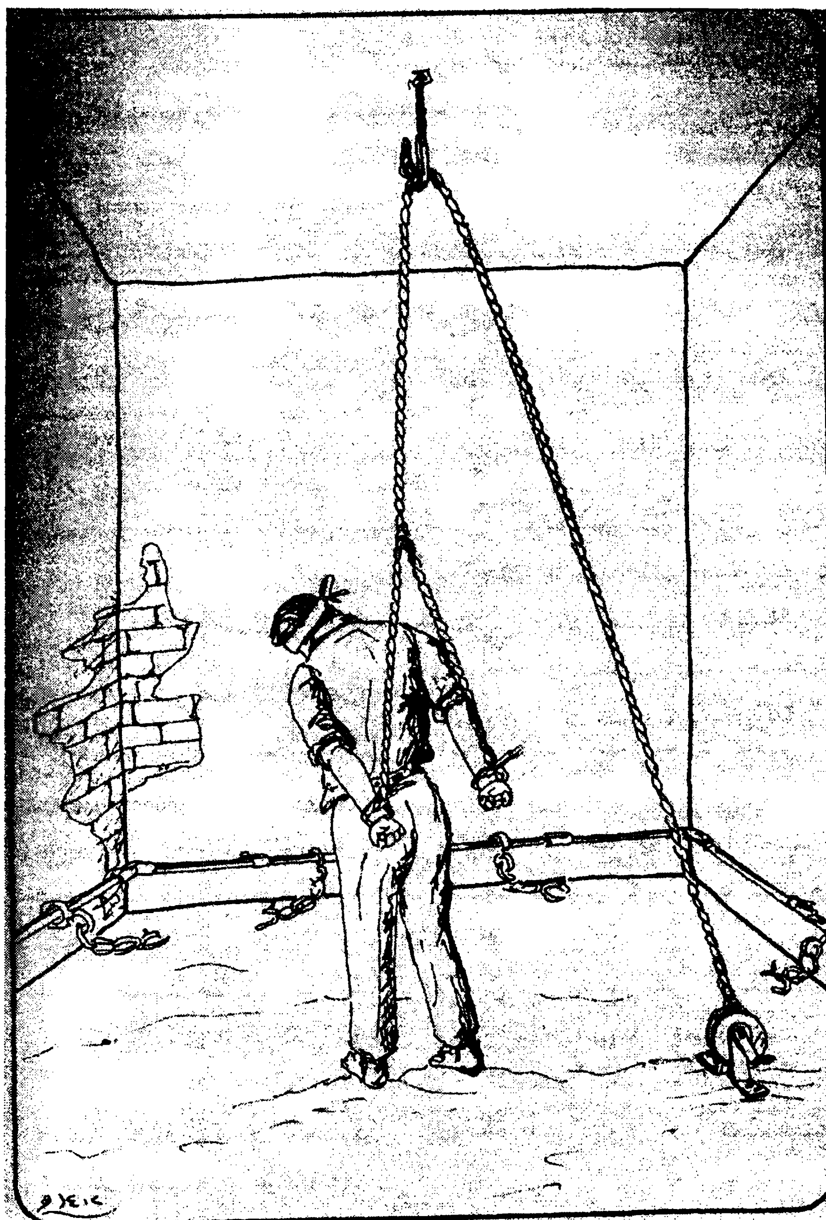
وفي الزنزانة أيضاً بكرة حديد (سَرْبَسْ) مثبتة على الأرض يرتبط بها حبل حديد يصعد إلى أعلى الغرفة ويدخل في حلقة مثبتة في السقف , ثم يتدلى من هذه الحلقة ليرتبط به حبلان آخران ولكن من قطن كما في الصورة اللاحقة .

وجدران الزنزانة وأرضيتها فيها آثار إطلاق الرصاص والدماء والمفتاح الكهربائي مكسور منه غطاؤه , أعتقد إن ذلك بسبب الضرب العشوائي الذي يمارس ضد المعذبين .

وليس في الغرفة أي منفذ للهواء عدا ثقب صغير في السقف بقطر عشرة سنتمترات .

عندما أدخلني سالم أجلسني على أحد الكراسي , وقال لي : إنتظر قليلاً , سوف تخرج روحك من هذا الثقب في السقف .

جلست قليلاً , وبدأ يسحب الحبل , ثم أقامني وشدّ يديّ , كل واحدة على حدة بطرفي الحبل ثم خلع نظارتي ووضع قطناً كثيفاً على عيني وألبسني نظارة كبيرة كالتي يلبسها السباحون .



ثم بدأ بإدارة البكرة , فارتفع الحبل قليلاً قليلاً , وانسحبت يــداي إلى الوراء ثم ارتفعتُ عن الأرض بمقدار عشرين سنتمتراً .

ثم أغلق الباب عليّ وذهب .

كان ذلك في الساعة الثالثة بعد الظهر تقريباً , ولم أشعر بــأذى للوهلة الأولى , فصلّيت وأنا على هذه الحالــة , معلــق بــين الــسماء والأرض بعدما تبيّنت القبلة عند دخولي للغرفة حسب اتجاهات السجن .

وبقيت على هذه الحالة نصف ساعة , وكأنها عمليــة رياضــية عادية وإن كانت شاقة نوعاً ما , فتذكرت إخواني الذين تتلــوى علــى ظهورهم السياط في زنزانات البعث الرهيبة , وما أصاب المؤمنين على مرّ التاريخ , وسرحت بفكري إلى الصفوة المختارة التي أرست قواعــد الإسلام , من أمثال ياسر وعمار وسمية وبلال الحبشي .

ثم بدأت أشعر بألم شديد كأن كتفي قد انخلع[1].

وفي الساعة الثامنة مساءً , أنزلوني , وحلّوا الحبل وأطلقوا يدي

***

١- العملية تلك حدثت في الشهر العاشر /١٩٧١ , ونحن الآن في بدايــة العام ٢٠٠٥ فإنني لا أزال أشعر بألم شديد , خــصوصاً فــي الكتــف الأيسر , بحيث لا أستطيع معه النوم , رغم إنــي اســتعملت بعــض العلاجات , وأقترح بعض الأطباء أن يجري عملية فامتنعت .

وفي اليوم الثاني أخذوني إلى المجرم حسن المطير (أبو فيصل) فأعاد عليّ نفس أسئلة اليوم الماضي , وأعدت عليه نفس الأجوبة لا أعرف , لا أعرف , لا أعرف .

وبعد الضرب والشتم , قال لجلاوزته : خذوه .

فأعادوني إلى زنزانتي وربطوني كما ربطوني في اليوم السابق وبعد الظهر والى الساعة الثامنة , وقد بلغ بي الإعياء مبلغه , وكنت صائماً لليوم الثاني , وما أفطرت يوم أمس إلا على الماء , أحس بالجوع ولا أشتهي الأكل .

وعندما حلّوا وثاقي ورفعوا القطن من على عيني , وجدت إنني كنت أدور حول نفسي من حيث لا أدري .

فقطرات العرق الذي كنت أتصببه على الرغم من برودة الجو كانت تحيط موقفي على شبه دائرة .

***

وجاؤوني في صبيحة اليوم الثالث , وذهبوا بي إلى غرفة المجرم حسن المطير , ولكنه هذا اليوم كان يجلس ناحية الغرفة , بينما يجلس إلى صدرها شخص عرفت فيما بعد إنه السفاح ناظم كَزار (أبوحرب) مدير الأمن العام .

وعندما دخلت , قدمني أبو فيصل إلى ناظم كَزار بأنني مجرم خطير لا أعترف أبداً , وأن لي موقعاً هاماً في حزب الدعوة الإسلامية وإن لديهم إعترافات متكررة عليّ , بالإضافة إلى معلوماتهم الخاصة .

فدارت بيني وبين ناظم كَزار هذه المناقشة :

قال ناظم كَزار ــ ألست فلان ؟

قلت ــ نعم

وإنك أكملت دراسة الحقوق عام كذا ؟

ــ نعم

ــ وإخوتك فلان وفلان ؟

ــ نعم

ماهي علاقتك بحزب الدعوة ؟

إنني الآن أسمع منك بهذا الحزب

ــ أتعرف ناظم كَزار ؟

ــ نعم

ــ ومن هو؟

ــ مدير الأمن العام

ستعرف من هو ناظم كَزار , إنه أنا , وإنك اليوم بين يدي , إما أن تعترف وإما أن تجد مصيراً محتوماً .

ــ وماذا أعترف ؟ إذا لم أعرف أي شيء

قال ــ لا تعرف أي شيء ؟

وما هذه العلاقة القوية بينك وبين عبد الصاحب دخيل ؟

ــ قلت سابقاً لأبي فيصل ,إنها علاقة صداقة منذ أكثر من ثلاثين عاماً , منذ كنا صغيرين في النجف .

ـ وداوود العطار ؟

ـ وقلت كذلك لأبي فيصل , إنها علاقة زمالة في كلية الحقوق .

ـ قال : وهذه الإضبارة (وأشار إلى إضبارة كانت أمامه على الطاولة) علاقتك معها علاقة صداقة أيضاً ؟ لقد اعترف عليك الكثير .

قلت إنّ من الناس من لا يخشى الله , إنهم يكذبون عليّ .

فصاح بي صيحة كإنه الكلب المتوحش , ثم أشار إليهم , فتناوب علي خمسة , كانوا رهن إشارته , وبدأوا بي ضرباً بالأيدي وبالأسواط سقطت على أثرها على الأرض ثلاث مرات , كانوا يقيمونني ليواصلوا التعذيب .

ثم أمرهم أن يأخذوني للحداد

فسحبوني من أمامه وأنا لا أعلم من هو هذا الحداد ؟ وما المقصود بالحداد ؟

***

لقد ذهبوا بي إلى نفس زنزانة التعذيب , ولكنهم في هذا اليوم أجلسوني على أحد الكراسي , وربطوا رجليّ إلى قوائم الكرسي , كما ربطوا يديّ بأحزمة مشدودة بنفس الكرسي , ثم شدّوا فكّي بحزام إلى رأسي , ووضعوا قطناً كثيفاً على عيني , ثم طوّقوا رأسي بطوق حديد يبطن من الداخل بالإسفنج وتحته أبر صغيرة , ثم ضيقوا هذا الطوق فأحسست بآلام لا يستطيع القلم أن يصفها , كما لا يستطيع أي لسان أن يعبّر عنها ما لم يمر بتجربة مثلها.

وبقيت كذلك لا أستطيع أن أحرك يدي ولا رجلـــي ولا رأســـي وبالإضافة إلى ذلك فقد عصبوا عيني .

وقلعوا أظافري

ثم بدأوا يقلعون أظافر إبهامّي الاثنين من رجلي , واحسست كأن روحي قد انقلعت معهما , وهم لا يجدون مني أية مقاومة ولا يسمعون أية إستغاثة .

ولكنني كنت أسمعهم يتضاحكون فيما بينهم ويرســلون الــشتائم والكلمات البذيئة .

ثم فتحوا حنفية الماء على رأسي بحيث ترسل قطــرات المــاء باستمرار , وتركوني وذهبوا والدم ينزف من رجلي ومن رأســي مــن تأثير غرز الإبر .

وقطرات الماء التي كانت تتقاطر على رأسي , كنت أحس بعــد عشر دقائق كأن رأسي أصبح كالطبل , إذ تحدث فيه هــذه القطــرات المتناوبة دوياً عظيماً .

لا أعلم بالضبط كم بقيت على هذه الحالة فهم عندما حلوا وثاقي وجدت من الثقب الصغير الذي في سقف الغرفة أنّ الليل قد ادلهمَّ وأنهم قد سرقوا ساعتي وأن الدماء قد سالت على جبيني وقد لوثــت جميــع ملابسي .

ثم جاءني مضمد وضمّد جراحاتي بسائل فيه حرقة شديدة , كان أشد إيلاماً من عمليتي القلع والغرز .

ولم أنم في تلك الليلة من شدة آلامي , وبقيت أواصل الأنين إلى الصباح ولم يرجعوا لي ساعتي , وقد كنت أستفيد منها كثيراً لمعرفة أوقات الصلاة .

وعلى كل حال , ففي اليوم الرابع أخرجوني من زنزانتي وذهبوا بي إلى سيدهم مدير الأمن العام (ناظم كزار) وأنا أكاد لا أستطيع المشي , وأحاول أن أسير على مؤخرة قدمي , وأدخلوني عليه وجرت بيننا هذه المناقشة :

أمام ناظم كزار مرة أخرى

ناظم كزار ــ (شتائم) ما هو رأيك ؟

أنا ــ سكوت

ــ كيف وجدت التعذيب ؟

ــ إنه بعين الله وهو يرى

ــ ألعن أبوك لا بو [1]

ــ أستغفر الله

ــ ألا تعترف ؟

ــ لا أعرف شيئاً

١- يلعن والدي ويلعن الله تعالى (استغفر الله)

ـ سوف أقتلك

ـ إفعل

ـ ألا تخشى الموت ؟

ـ سأموت شهيداً

ـ عليك اعترافات كثيرة

ـ إنّ من الناس من لا يخشى الله

ـ إذا اعترفت , سوف أطلق سراحك

ـ لا أعرف شيئاً

ـ ثق إنك إذا اعترفت وأعلمتنا بأسماء من يعمل معك , سوف أدعك تتكلم بالتلفون مع اهلك الآن وسوف يتم إطلاق سراحك غداً .

ـ لا أعرف شيئاً أعترف به

ـ كم لك من الأطفال ؟

ـ ثمانية

ـ سنوفر لك ولأهلك عيشا رغيداً

ـ لست من روّاد الدنيا ولو أردت لفعلت

ـ سنقتلك والله

ـ سوف أموت شهيداً والله

ـ خذوه خذوه خذوه

سحبني الجلاوزة , وأنا معتقد إنهم سوف يقضون على حياتي في هذه المرة , وبدأت أسير بنفس الخطى الوئيدة وهم يسحبونني ويشتمونني .

كيف كنت في القبر بين عظام الموتى ؟

ولم يذهبوا بي لزنزانتي , وإنما ذهبوا إلى جهة أخرى , ومررنا بدهليز طويل ينحرف نحو اليمين ثم الشمال , ثم فتحوا باباً حديدياً كان مغلقاً , وأنزلوني في سرداب مظلم .

مسكني أحدهم بيده , وأنزلني مرقاة مرقاة إلى أن استقر بنا المقام في قاع السرداب فتركني وذهب .

كنت هناك أشم رائحة كريهة كأنها رائحة الأموات , وكانت هناك شمعة صغيرة تضيء قليلاً , قد وضعت في مكان بعيد .

فتبينت هناك شخصين جالسين إلى جنبي يلبسان الكوفية والعقال ففرحت بهما , وشكرت الله على إنتهاء التعذيب , وإن هذين الزميلين في هذا السرداب سوف آنس بهما .

سلمت على الرجلين لأقضي الوقت معهما , فما ردّا الجواب فأعدت عليهما السلام فما أجابا , ثم سلمت ثالثاً فما أجابا .

قلت في نفسي إنهما لا شك نائمان من شدة الإرهاق والتعذيب فحاولت أن أوقضهما بيدي .

فلما مددت يدي لأحدهما أصابني شيء من الرعدة والخوف فإن اللذين أمامي رأسان مقطوعان قد إنفصلا عن بدنيهما قبل قليل , لأن لحم الوجهين لا زال طرياً , ووضعوا عليهما الكوفية والعقال لإرعابي.

وتراجعت قليلاً إلى الوراء فكانت هناك رؤوس للبشر مقطوعة وأيدي وأرجل .

الواقع إنني خشيت على نفسي من الجنون , فاستغفرت الله تعالى وتعوذت به من الشيطان الرجيم , وقرأت (آية الكرسي) مراراً وسوراً أخرى من القرآن الكريم كنت أحفظها .

وتصاغرت نفسي الأمّارة بالسوء , أنا الذي كنت أمشي برجلي على وجه الأرض , أصبحت أعيش في قبر مظلم بين الأموات وسوف أكون مثلهم .

فيا لها من دنيا تافهة وحياة حقيرة

أهذه نهاية الإنسان ؟

هذا المخلوق المتجبّر

هذا الظالم العنيد

حقاً إن القبر برزخ الآخرة وطريقها .

ولن تنفع الإنسان قصوره وأمواله وقوته وكبرياؤه , ولن ينفعه سوى العمل الصالح الذي يقربه إلى الله زلفى .

ثم سكنت نفسي وهدأ روعي , وتلمست مكاني من جديد فوجدت أيدي وأرجل مقطوعة وجماجم .

كم هو حلم الله على هؤلاء المجرمين الذين يتشدّقون بالحرية ؟

ليت أحرار العالم يعلمون بما يجري في العراق

إنهم يقطعون البشر في السراديب ويحرقون الأبدان في المــواد الكيمياوية ويتظاهرون أمام الناس بأنهم ينشدون الحرية .

يوزعون الأموال الضخمة على الــصحف ووكــالات الأنبــاء العالمية ليكيلوا لهم المديح وينثروا أمامهم الورود وليتـــغاضوا عــن جرائمهم .

وانطفأت الشمعة وبقيت وحيداً في قبر مظلم بين جماجم وعظام الموتى ولم أشك إنني سوف أقطّع مثلهم .

توجهت إلى الله تعالى ورجوت لقاءه فــي عافيــة مــن دينــي وتذكرت أطفالي فدعوت لهم وأوصيت بهم الله خيراً .

وأسلمت نفسي للنوم .

وما أعلم كم نمت ثم أحسست بالباب الحديدي يفــتح وإن أحــداً ينزل إليّ فأيقنت بالموت .

وصل هذا النازل , عرفت إسمه فيما بعد , إنه (قيس) وأولــع عود الكبريت وأضاء شمعة كانت بيده

وقال لي ـــ (شتائم وفحش) هل كان مكانك جيداً ؟

فما أجبته بشيء

قال ـــ قم فإنك الآن تموت

وسألني هل تحب أن أقطع يدك أم رجلك ؟ اليمنى أم اليسرى ؟

أنا ـــ إذا قطعت رأسي في بالبداية فافعل ما شئت

فأخرج من بين ملابسه سكيناً وحرّكها بيده , وقال : أنـت الآن بين يدي قصاب ماهر , أنظر جيداً إلى هذه السكين , إنها حادة , سوف لا أدعك تتأذى كثيراً لأنها سريعة الذبح .

سوف أقطع يدك اليمنى أولاً , لا , لا , سوف أقطع اليسرى أولاً , أتريد أن أقطع ذكرك ؟ أم إحدى أذنيك ؟ سوف تأكل من لحمك اليوم أربعة كلاب من كلاب النهاية[1]. حقاً إن لحمك شهي يعجب كلابنا إنهـا متعودة على أكل اللحوم طبعاً بدون طبخ .

أنا ــ أشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله

هو ــ إن عندي صلاحية , أن أدعك تعيش ولا أقتلك , إن أنت اعترفت عن نشاطك ونشاط جماعتك في حزب الدعوة وأخبرت السلطة بها لترجع مواطناً صالحاً وتعود إلى أهلك وأطفالك وتعيش في أمان .

أنا ــ لا أعرف شيئاً

هو ــ تعال معي

أخذني معه , وصعد إلى الأعلى , فوجدت النـور وقـد بهـر بصري قليلاً .

فتلاقفني أربعة جلاوزة , كان أحدهم سالم الشكَرة وقيس وسـعد ابن وحيدة خليل وعامر (أعدم منهم قيس وعامر مع ناظم كَـزار أمـا سالم فقد حكم عليه سنتين وأما سعد فلا أعرف عنه شيئاً) .

١- فقد كان لديهم كلاب لتعذيب البشر , وما يدريني , فلربما لأكل البشر أيضاً

لا أعرف بالضبط متى أعيد إلي شعوري , وأنا في النهار وقد نزف الدم من رأسي وتورمت قدماي , ثم تحسست وجهي ويدي ورجلي فوجدت فيهما أثراً للسجائر التي أطفئت على بدني , وأحدثت بقعاً محترقة متورمة .

فأصبحت أعضائي كلها تشكو الألم والورم , وقد تجمّد الدم على وجهي ورأسي ولا أستطيع الحراك .

وبقيت ملقى على الأرض إلى أن جنّ الليل .

وعند طلوع الشمس جاءني ثلاثة جلاوزة , كان أحدهم طويلاً جداً يسمى أحمد والآخران عباس وهو حقير للغاية وأبو حسن .

حلقوا رأسي استعداداً للإعدام

بدأ أحمد يسألني عن اسمي وعمري وسكناي وعائلتي وعدد أفرادها وأملاكي .

ثم قال لي : هل تريد أن توصي أحداً ؟ فإننا اليوم سوف نعدمك

قلت – بلى , إنني أتمنى أن أوصي ولدي (رياض) أرجو أن تعطوني ورقة وقلماً .

قال لا حاجة للكتابة , وأوصنا نحن , سوف نبلغ ولدك بها .

فكرت ملياً مع نفسي , ماذا عساني أن أوصي وهل إن هؤلاء المجرمين سيوصلون وصيتي حقاً ؟

ثم أليس من المحتمل أن تكون هذه الوصية سبباً لإيذاء عائلتي ؟

قلت له ــ أرجو أن يستمر رياض في دراسته وأن يرعى أشقاءه في دراستهم وتربيتهم وأن يحترم أمه ويلتزم دينه .

ثم أخذوني معهم , وكان عباس يدفعني أمامه دفعاً وأنا أتعثر في مشيتي , ثم خرجوا بي ناحية القصر وفتحوا باباً حديدياً , فدخلنا غرفة جرداء واسعة يخزن فيها بعض آلات العمل في الحديقة .

ثم فتحوا باباً آخر من نفس الغرفة ودخلنا غرفة أخرى صغيرة أجلسوني على صخرة هناك وحلقوا رأسي بالشفرة , ولم يعتنوا بالحلاقة فقد سال الدم من عدة جوانب وهم يتضاحكون ويقولون لي سوف نقتلك الآن وبهذه الصورة سوف تدخل الجنة , ولكن لن تقبلك واحدة من الحور العين لأنك أصبحت (أقرع) .

وأراد أحدهم أن ينصحني قبل الإعدام

أما الجلواز أبو حسن فكان أعقلهم نسبياً .

فقال لي ــ لماذا تعرض نفسك للإعدام وتخلف وراءك أطفالك ؟ ألست تحبهم ؟

ألست تريد أن تراهم ؟ ألست تريد أن تعيش معهم ؟ إن بينك وبين الموت قليلاً , هذه مسدساتنا الثلاثة سوف تقضي عليك فوراً , لو

كنت قد اعترفت لنجوت , ولو ظهرت على شاشة التلفزيون وقلت إن الدعوة تأخذ أموالاً من جهة أجنبية لعشت عيشة مرفهة أنت وعائلتك .

فكر قليلاً , فسوف ترى إننا لك ناصحون .

أما أنا فقد كنت أتشوق للموت شوقاً عظيماً , فانا في وادٍ وهم في وادٍ آخر .

فهم يريدون لي الحياة اللئيمة وأنا أريد الموت الشريف .

قلت لهم إنكم تريدون مني شيئاً مستحيلاً

قالوا ــ إذن تهيأ للموت

قلت ــ أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

***

ثم وضعوا على رأسي طربوشاً مملوءً بالخنافس

خرج عباس ــ وكان لئيماً جداً ــ وعاد بطربوش أسود , ما أسرع ما وضعه على رأسي , وكان يتدلى من الطربوش ذؤابتان متدليتان ربطهما من تحت فكي , ثم قيدوا يدي إلى الوراء وذهبوا , وقالوا إنهم سوف يأتون بعد قليل لينفذوا حكم الإعدام , وأغلقوا الباب .

كان الطربوش مملوءً بالخنافس وهم حلقوا رأسي بالشفرة ليكون إيذاؤها شديداً فكانت الخنافس تسبب لي إزعاجاً منقطع النظير .

فقد ربطوا يدي إلى الوراء لئلا أستطيع أن أخلع الطربوش وهم قد أوثقوه حول رأسي وكلما أردت أن أزحزحه قليلاً بضربه بالحائط كان إيذاء الخنافس أكثر .

بقيت هكذا إلى ما بعد الظهر , ثم سمعت ضحكاتهم تتعالى , فقد رجعوا وبدأوا بشتمي وخلعوا عني الطربوش وحلوا وثاقي وأخذوني معهم إلى غرفة المجرم أبي فيصل (حسن المطير) وبدأوا يرفسونني بأرجلهم ويدوسون بأحذيتهم على بطني , حتى فقدت شعوري , ولم أفق إلا وأنا في زنزانتي وقد أسدل الليل ستره , فتحسست جميع أعضائي , فوجدتها قد أصابها الوهن والألم والجراح والدماء ,ووجدت بالقرب مني إناء شديد الوساخة , فيه ماء , فشربت منه قليلاً .

***

والحديث عن سجن قصر النهاية طويل وما عانيته كثير , والصفحات لا تسع الكلام , ففي كل يوم تعذيب جديد , والجلاوزة حريصون على التغيير والتطوير .

وليس التعذيب لأخذ الاعتراف أثناء التحقيق فقط

وإنما هو في كل شيء , حتى في ذهابنا إلى التواليت

وغير مسموح لسجناء قصر النهاية بالاغتسال

وليس فيه حلاق مهما طال الشعر

وليس فيه لقاء بين السجناء , فكل مجموعة في زنزانة

الباب مغلق عليهم , لا يلتقي سجناء هذه الزنزانة مع نـزلاء زنزانـة أخرى .

والزنزانات موحدة في التصميم ١٧٥ سم طولاً وعرضاً وارتفاعاً .

يضعون فيها الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة والخمسة .

وليس فيها شباك للتهوية ولا إنارة كهربائية

وطريقنا للعالم الخارجي (أي خارج الزنزانة) هـو الثقـب الـصغير الدائري فوق الباب , قطره ٢٠ سم للتنفس ولإلقاء الصمون[١] .

والذهاب إلى التواليت لا يتم إلا ضمن مراسيم خاصة , مرة واحدة كل ٢٤ ساعة , والبقاء في التواليت غير مسموح أن يكون أكثر من دقيقـة واحدة علماً بأن (التواليتات) ستة والسجناء يوم كنـا هنـاك , كـانوا بحدود الألفين .

وليس في سجن قصر النهاية طبيب ولا حتى معـاون طبيـب , علـى الرغم من أن السجناء كثيراً ما يصابون بالأمراض نتيجة لسوء التغذية وسوء التهوية وللتعذيب الجسدي والنفسي , اللهم إلا مرة واحدة , فقـد سمعت الجلاوزة يصيحون علينا بصوت عالٍ (المريض يطلّع إيـده) أي فليخرج كل مريض يده من الثقب الذي على الباب .

فأخرجت يدي , وقد كنت أشكو آلام الروماتيزم في رجلـي وظهـري جرّاء الرطوبة وعدم الحركة .

١- باللهجة العراقية , نوع من الخبز .

وأخرج غيري يده أيضاً , فكان أحد المضمدين يحمل معه علباً فيها حبوب للإسهال والصداع والحمى وغير ذلك .

فيهزّون يد كل واحد منا ــ نحن الذين مددنا أيدينا ــ ماذا تشكو ؟

وبدون أن يفتحوا الباب أو يكشفوا على المريض أو حتى يجسّوا نبضه فيقول لهم صاحب اليد الممدودة ... إسهال أو حمى أو جراح أو غير ذلك فيعطونه الحبوب من وراء الباب الحديد ثم يقولون له ــ ثلاثة باليوم وهكذا ... فسألوا شخصاً في غرفة مجاورة (بحيث أسمعهم) ما بك ؟

فقال روماتيزم

فقالوا له ــ وأين الروماتيزم ؟ في ..... ؟ (فحش قبيح) فخجل الرجل وسحب يده , وسحبت يدي أيضاً , واحترمت نفسي .

وقد شرحت كل ذلك بنوع من التفصيل في كتابي (صفحات سوداء من بعث العراق ــ الجزء الأول) .

ولكنني سوف أذكر حادثة أخرى , حدثت معي , وذلك يوم أرادوا أن يطلقوا سراحي .

فقد أرسلوني صحبة مجموعة من الجلاوزة إلى مديرية الأمن العامة لكي يتم إطلاق سراحي من هناك بعد كفالة شخص يضمن حضوري متى ما يشاؤون .

وفي غرفة مديرية الشعبة الخامسة ــ وهي الخاصة بمكافحة النشاط الديني ــ كان هناك ثمانية جلاوزة , أبتدأني المدير

قال ــ انظر إلى هؤلاء جيداً , فنظرت إليهم .

قال ــ إن هؤلاء سوف يأتون إليك بالأسبوع مرتين لتقدم لهم التقرير.

قلت ــ وأي تقرير ؟

قال ــ تكتب ما تراه وما تسمعه , ثم ترفعه إلينا بواسطة هؤلاء , أنظر إليهم جيداً لتتعرف عليهم .

قلت في نفسي (وهذه طامة كبرى ليس لها إلا الله)

أجبته ــ لا حاجة لتكليف هؤلاء مرتين بالأسبوع

قال ــ لا ... الأفضل أن يأتيك هؤلاء مرتين بالأسبوع

قلت ــ إنني رجل مريض , قد لا أوفق بالالتزام بالكتابة وفي أوقات محددة .

وبعد مناقشات طويلة , قال : لا بأس ليكن بالأسبوع مرة واحدة .

امتنعت عن هذا ببعض الأعذار

وهنا شعرت بالحاجة إلى الذهاب إلى (التواليت) فقد مرّ ٢٤ ساعة فقلت للجلواز الذي كان جالساً بجنبي , لو سمحتم لي أن أذهب إلى التواليت .

قال ــ فلأسأل المدير , قال له ــ إنه يريد أن يذهب إلى التواليت

فقال لي المدير ــ وافق أولاً لأسمح لك بذلك

قلت ــ لا أوافق

وبقيت أعاني من مضايقة شديدة .

***

وعندما وجد إصراري على الامتناع قال : لا بأس , أسمح لك أن تكتب لنا بالأسبوعين مرة واحدة .

قلت ــ لا أوافق

وازدادت حاجتي للذهاب إلى التواليت فكررت عليهم الطلب , فأبوا وطلبوا مني الموافقة أولاً .

قلت لن أوافق

وشعرت كأن مثانتي تكاد تتمزق , وأصابني دوار شديد وصداع يكاد يفقدني صوابي .

(عندها توجهت بقلبي إلى الله ليخلصني من هذه الورطة إنهم يريدون مني أن أكون مخبراً لهم وكيلاً للأمن , ما أقول لربي , ما اقول لضميري , ما أقول لأولادي , ما أقول للحزب الذي ناضلت واعتقلت من أجله , لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا اقر لهم إقرار العبيد) .

***

ثم سلكوا معي سلوكاً آخر , فقالوا لي : إننا سوف نساعدك ونوفر لك جميع حاجياتك , ولعلك الآن مريض تحتاج إلى المساعدة , نعطيك راتباً محترماً يكفيك وعائلتك وزيادة .

ولعلك تحتاج إلى سفرة خارج العراق للاستجمام بعد فترة الاعتقال سنوفر لك ما تريد , كما إننا سوف نقضي جميع أشغالك لدى دوائر الدولة , وإن أرقام التلفونات التي سنزّودك بها كفيلة بأن تنجز لك جميع

أعمالك وتنفذ جميع مطالبك وعندها سوف تعيش عيشة مرفهة يغبطك عليها الكثيرون .

وسوف نزّودك بكتاب يخوّلك بالدخول إلى جميع الدوائر ومقابلة المسؤولين فيها دونما إعتراض , إنك سوف يكون لك شأن عظيم , ومع ذلك فإن الناس سوف يتقربون إليك لتقضي لهم حوائجهم بمجرد إدارة قرص التلفون .

ثم قال إن هذه الفكرة وهذا الجاه لا نعرضه على كل أحد وإنما للأشخاص الطيبين أمثالك والمثقفين الذين تستفيد منهم الدولة , طبعاً إن هذا يجب أن يكون أمراً سرياً بيننا لا يطلع عليه أحد .

(وازدادت الحاجة إلى التبول وكدت أموت)

قلت له باختصار ـ أشكرك لا أوافق

***

وبلغت الساعة الثانية عشر ظهراً , وقد بلغت حاجتي للتبول مبلغاً عظيماً , فقد مرّ عليّ ٢٨ ساعة ولم أذهب إلى قضاء الحاجة .

ثم قال لي المدير : إنه إنذار نهائي لك , ما تقول فيما عرضنا عليك ؟

قلت ـ إنني عند رأيي , لا أوافق أبداً .

قال إذن اعلم ان كتاب الإفراج هذا سوف أمزقه , وسوف آمر بإيقافك هنا , ولن يطلق سراحك بعدها أبداً .

(فكرت في ذلك ملياً , فوجدت أن موقف الأمن العام لا يمكن أن يكون أتعس من موقف قصر النهاية) .

قلت له ــ أفعل ما تشاء

قال ــ تبقى هنا ؟

قلت ــ أبقى هنا

***

دق الجرس , فجاءه أحد الجلاوزة وقال له خذ هذا إلـــى (الــشواذي) والشواذي في لهجة العراقيين بمعنى القرود .

أخذني هذا , ولكنني لا ادري إلى أين يذهب وما المقصود بالشواذي ؟

أنزلني عدة سلالم , وفتح باباً حديدياً وإذا المكان كما يلي :

أربعة أمتار طولاً وعرضاً , أما الارتفاع فهو حوالي متر وربع فقــط وأما قاعه فانه مملوء ماء لحد ٥٠ سنتمتراً . وقد شـــرحت ذلـــك فـــي موضوع سابق .

وقفت معهم عدة ساعات في وسط المستنقع لا أجد جداراً اســتند إليه , وكان السعيد الذي فيهم من يسبق غيره فيستند إلى الجدار ولـــذلك فقد تحصل بينهم بعض المنازعات الكلامية .

شعرت خلال هذه الفترة أنها تعادل جميع أنواع التعذيب الــذي تعرضت له من قبل , فقد أصابني دوار شديد كما أحسست بظهري يكاد ينكسر من طول الانحناء .

***

ولا أريد أن أطيل على القارئ , أخرجوني من هذا المكان وإلى تعذيب ثاني وثالث , وأخيراً ذهبوا بي إلى غرفة مدير الشعبة , فوجدته واقفاً وبيده مفاتيح خزانات الغرفة وكأنه يريد أن يغادر دائرته , ولكنه يحاول أن يكسبني قال لي ما تقول ؟

قلت له ـ (وقد بلغت روحي التراقي) اسمع مني , إنني لن أقبل مطلقاً , ولكنني أرجو منك شيئاً واحداً .

قال ما تريد ؟

قلت ـ إما أن تحشرني مع المعتقلين وأما أن تطلق سراحي لأذهب إلى بيتي وأصلي فان وقت الصلاة أصبح ضيقاً جداً .

(وهو هنا تأكد أن لا فائدة من مطالبتي بالعمالة , فما كان منه إلا أن مدّ يده وصافحني وقال لي إذ هب إلى بيتك) .

***

ملحق رقم -٢-

أول محاكمة للخطوط العسكرية

لحزب الدعوة الإسلامية

أساليب التعذيب التي تعرّض لها الدعاة أذهلت الجلاوزة على رغم شدة همجيتهم .

والاعتقال والتعذيب والإعدام وإن كانت قد اشتدت وتيرته بعد الثورة الإسلامية في إيران , وانتقال الدعوة للمرحلة السياسية عام ١٩٧٩ .

ولكن الملاحقات والسجون وما تبع ذلك كانت قبل ذلك بكثير حيث كانت الدعوة لا تزال في مرحلتها السرية التغييرية .

ولم تمنع تلك الأساليب دعاتنا الميامين من الاستمرار في معارضتهم للنظام الجائر , ولم يتوانوا عن عملهم للإسلام .

وهم وإن كانوا لا يزالون في المرحلة السرية إلا إنهم كانوا يستعملون السلاح ويقومون ببعض عمليات المقاومة , وهو أمر لم تمنعه الدعوة .

والواقع إن الدعوة كانت تتهيأ لحمل السلاح والمقاومة المسلحة منذ عام ١٩٦٧ , لأن حزباً كحزب الدعوة يريد أن يغير المجتمع ويقيم حكم الإسلام لا بدّ أن يتعرّض يوماً للمجابهة المسلحة .

ففي السنة الأولى من حكم البعث وجدت (الدعوة) نفسها مضطرة لبناء خلاياها المسلحة بشكل جاد وفاعل تماشياً مع مرحلة المواجهة الدموية التي أدخل النظام الجديد العراق فيها .

وكانت قد تنبهت إلى أهمية هذا الجانب من قبل واعتبرته من أهم الوسائل الأساسية التي تحقق أهدافها من خلالها حيث اتجه تفكير

الإسلاميين خلال عام ١٩٦٧ نحو إرسال أعداد من عناصرهم ـ المدنية ـ للتدريب في معسكرات حركة فتح الفلسطينية في إحدى الدول العربية , ومن ثم الاشتراك في عمليات فدائية ضد الكيان الصهيوني وذلك بعد فتوى الإمام السيد محسن الحكيم بجواز العمل في صفوف (فتح) شريطة أن تكون قيادتها حكيمة .

وتقرر ـ بشكل مبدأي ـ أن تتم عملية الإرسال بأسماء الأفراد ـ دون الاسم الصريح للحركة الإسلامية ـ .

ولكن حين درست القيادة هذه الفكرة بعناية وجدت أنها تهدد كيان الحركة وتكلفها الاصطدام بالسلطة في وقت مبكر , حيث ستكشف السلطة أن الإسلاميين يتهيأون لبناء أجهزتهم العسكرية .

وعلى هذا الأساس توجهت الأنظار نحو ساحة أخرى هي لبنان وعلى الرغم من أن الحركة استفادت كثيراً من الساحة اللبنانية في هذا المجال , إلا أنها اعتمدت ـ بشكل أساس ـ على الساحة العراقية في تشكيل خطوطها العسكرية وخاصة ما يرتبط بالجيش العراقي .

***

وفي إطار حملتها الشاملة ضد الحركة الإسلامية عام ١٩٧٢ تمكنت السلطة ـ للمرة الأولى ـ من الإمساك بطرف احد خطوطها العسكرية , وذلك في شهر آب من نفس السنة بعد إلقاء القبض على (١٨) من عناصرها يقودهم عبد الله فضل التميمي وتمت محاكمتهم في محكمة الثورة بتاريخ ١٩٧٣/١/٢١ حيث ذكر قرارها بأن مديرية

الأمن العامة ألقت القبض على هؤلاء (لانتمائهم إلى حزب الدعوة الإسلامية) غير المجاز قانوناً وحيازتهم على الأسلحة والمتفجرات المضبوطة بحوزتهم .

وندرج هنا القرار المذكور :

أول محاكمة للخطوط العسكرية في ١٩٧٣
لحزب الدعوة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة محكمة الثورة

بغداد

العدد ٣١/ج/١٩٧٣

التاريخ ٢١/١/١٩٧٣

قرار الإدانة

تشكلت محكمة الثورة بتاريخ ٢١/١/١٩٧٣ برئاسة الحاكم السيد عبد الكريم ابراهيم النجار وعضوية العقيد يونس معروف الدوري والعقيد الحقوقي راغب فخري , وأصدرت باسم الشعب القرار الآتي :

أحال السيد رئيس الجمهورية بموجب أمر الإحالة المرقم (٢٢) في ١١/١/١٩٧٣ في القضية المرقمة ١/٧٢ (الأمن العامة) المتهمين عبد الله فضل جاسم ومحمد حسين مسلم الجابري والهاربين حمزة حميد الروّاف واحمد محمد أمين لمحاكمتهم وفق المادة ١٩٥/٧٤و٤٨و٤٩ من ق.ع وإحالة المتهمين محمد .... ومجيد عبد الكريم علي وعبد

الواحد إبراهيم علي الفحام ومصطفى عبد المجيد ومحمد جواد عبد الحسين وعلي ياسر محمد بهية وعبد الجواد عباس الأعسم وعباس عبد شناوة الزبيدي وعبد الهادي عبود سلمان الجبوري وعبد الحمزة جبار الموسوي ورزاق محمد علي الكاشي ووهاب جودة حسين المحنة لإجراء محاكمتهم وفق المادة ٤٧/٢٠٤و٤٨و٤٩ من ق.ع وقد اتخذت الإجراءات الأصولية الخاصة بنشر الهاربين ولعدم حضورهم قررت المحكمة إجراء محاكمتهم غيابياً وفق الأصول .

ولدى إجراء المرافعة والاستماع إلى مطالبة المدعي العام الملازم الأول الحقوقي طارق هادي الذي طلب محاكمتهم بموجب مادة المحاكمة وتحديد عقوبتهم بمقتضاها .

استمعت المحكمة إلى إفادات المتهمين ودفاع وكيلهم وبالتحقيق والمداولة تبين ما يلي :

بتاريخ ١٩٧٢/٨/٨ قبضت مديرية الأمن العامة على المتهمين المذكورة أسماؤهم في أعلاه لانتمائهم إلى (حزب الدعوة الإسلامية) غير المجاز قانوناً وحيازتهم على الأسلحة والمتفجرات المضبوطة بحوزتهم , وقد اعترف المتهمون بذلك وإن قائد تنظيمهم هو المتهم عبد الله فضل جاسم التميمي يعاونه المتهمون الهاربون حمزة حميد الرواف واحمد محمد أمين وفؤاد الشيخ راضي , ولم يثبت أنّ المومى إليهم قصدوا قلب نظام الحكم بالقوة أو تغيير الدستور كما هو مفهوم من نصوص مواد الإحالة , كما ثبت للمحكمة أن المتهمين عبد الحسين

حميدي حمزة وأخاه عبد الرضا حميدي لم يشتركا في الحزب المذكور وإنما تسترا على إخفاء الأسلحة في بستانهم خوفاً من المتهم الهارب حمزة حميد الرواف ولم يخبرا السلطة بذلك .

ولذلك قررت المحكمة إدانة المتهمين عبد الله فضل جاسم التميمي والهاربين حمزة حميد الرواف واحمد محمد أمين وفؤاد الشيخ راضي وفق الفقرة (١) من المادة (٦٠) من ق.ع وتحديد عقوبتهم بمقتضاها.

كما قررت إدانة المتهمين مجتبى السيد علي ومحمد حسين مسلم ومحمد غني عبود ومجيد عبد الكريم وعبد الواحد وعباس شناوة وعبد الهادي عبود وعبد الحمزة جبار ووهاب جودة حسين وفق الفقرة (٢) من المادة (١٠٥) من ق.ع وتحديد عقوبتهم بمقتضاها .

كما قررت إدانة المتهمين عبد الحسن حميدي حمزة وعبد الرضا حميدي حمزة وفق المادة ٢٤٧ من ق.ع وتحديد عقوبتهما بمقتضاها .

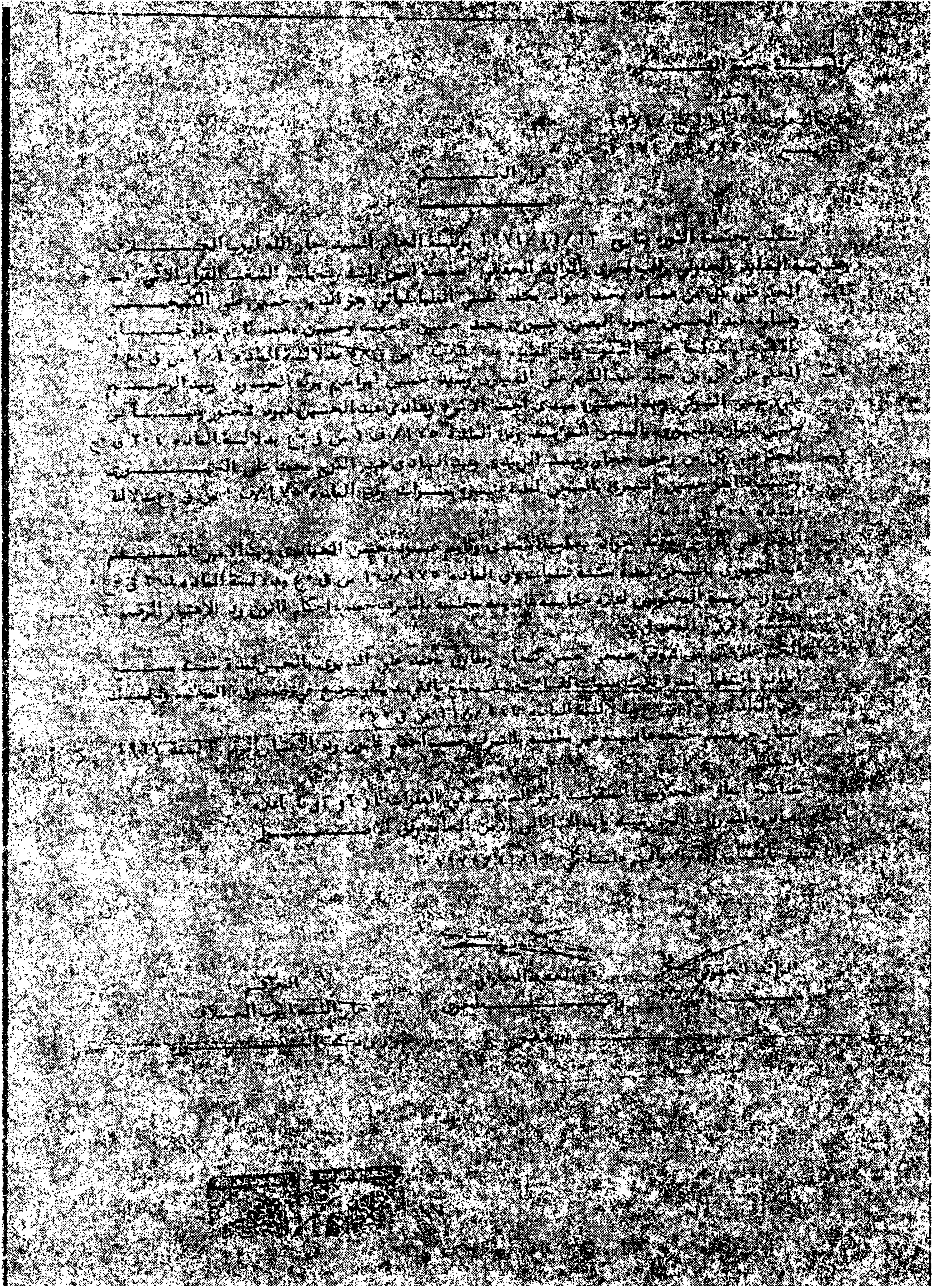
ولعدم كفاية الأدلة ضد المتهم رزاق محمد علي الكاشي قررت المحكمة الإفراج عنه وإلغاء التهمة المسندة إليه استناداً لأحكام المادة ٩٨٢ من الأصول وإطلاق سراحه فوراً إن لم يكن موقوفاً ومسجوناً لسبب آخر .

قرار صدر باتفاق الآراء وأفهم علناً في ١٩٧٣/١/٢١

العقيد الحقوقي	العقيد	الحاكم
راغب فخري	يوسف معروف الدوري	عبد الكريم إبراهيم النجار
عضو	عضو	رئيس محكمة الثورة

ملحق رقم -٣-

قرار الحكم الصادر بحق الشيخ عارف البصري ومجموعة



ملحق رقم -٤-

وثائق تتعلق بانتفاضة صفر

والشعائر الدينية

الى / كافة المحاور يات

من / امن السليمانيـــة م ٨٥

الموضوع / / تعليمات

/ كما يلي برقية وزارة الداخلية ١٢٦٥٨ في [illegible] ١٩٨١

لاجل انجاح المناسبات الدينية وفق منظور حزبنا القائد بغية تفويت الفرصة على الاعداء الذين يحاولون استغلال هذه المناسبات وجعلها من مسارحا التشيع [illegible] اتخاذ الاجراءات الامنية ادناه خلال مناسبة محرم وزيارة الاربعين /٠/ راجين العمل على [illegible] على ان تتولى الاجهزة الامنية التنسيق مع المنظمات الحزبية والامن لا [illegible] الاجراءات اللازمة لمعالجة الحالات الطائفية والممارسات الخاطئة بشدة ولين وتعميق [illegible] وفق المبادئ الحزب والثورة والتوجيهات الصادرة بهذا الشأن [illegible] العناصر المعيدة بشكل عام /٠/

١ • جمع المعلومات عن الاشخاص والجماعات التي من المحتمل ان تعمل على [illegible] واستغلالها لاغراض تخريبيـــة •

٢ • يستمر العمل ببرقيتنا السرية والفورية ١١٠٨٣ في ٢٣/٩/١٩٨٠

٣ • اتخاذ الاجراءات الرادعة بحق التظاهرات المعادية والتي من المحتمل [illegible] المناسبات او التي تحولها •

٤ • ابلاغ المواكب الى وجوب استحصال اجازة مسبقة لا [illegible] بعدد المشتركين فيها وتركيبهم •

٥ • التركيز على قراءة القرآن الكريم بدلاً من القراءات الغير [illegible] للمرحلة الراهنـــة •

٦ • تطبيق قانون منع التجوال ماشياً على الاقدام [illegible]

٧ • العمل على تحجيم ظاهرة الزوار القادمين مشياً على الاقدام [illegible]

٨ • العمل على القضاء على ظاهرة تنظيم المواكب بأسماء المدن والعشائر [illegible]

٩ • توجيه الزوار بضرورة المبيت في الاماكن المخصصة كالفنادق والبيوت [illegible] الطعام والماء والراحة فيها بدلاً من الشوارع والطرقات والساحات [illegible] والمواكب في الشوارع والدوائر الخارجية ومحاولة التعرف على [illegible] ويتولونهـــم •

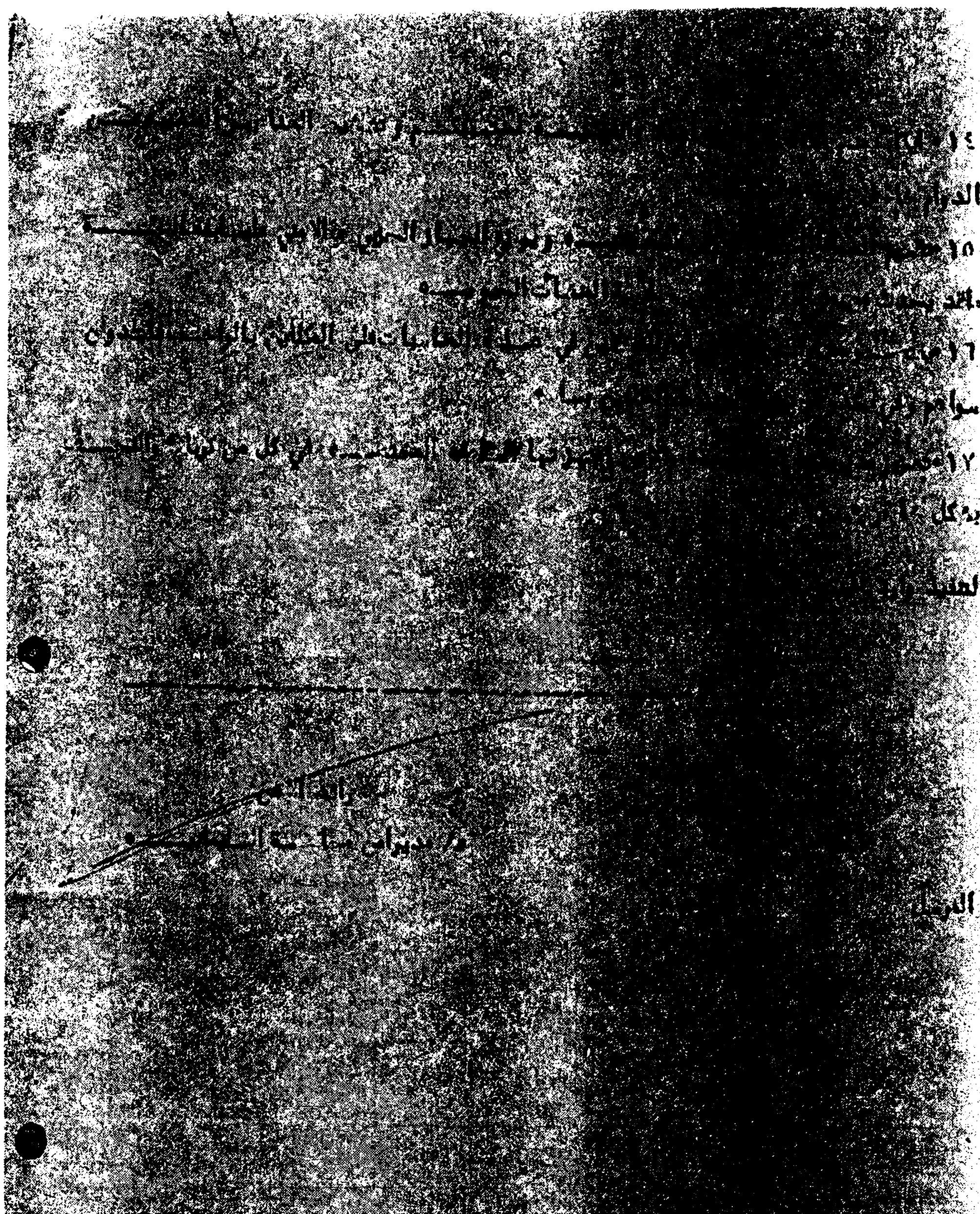
١٠ • فسح المجال للمواطنين لممارسة الطقوس الدينية [illegible] ومراقبة العناصر المعيدة وعدم فسح المجال لها [illegible] •

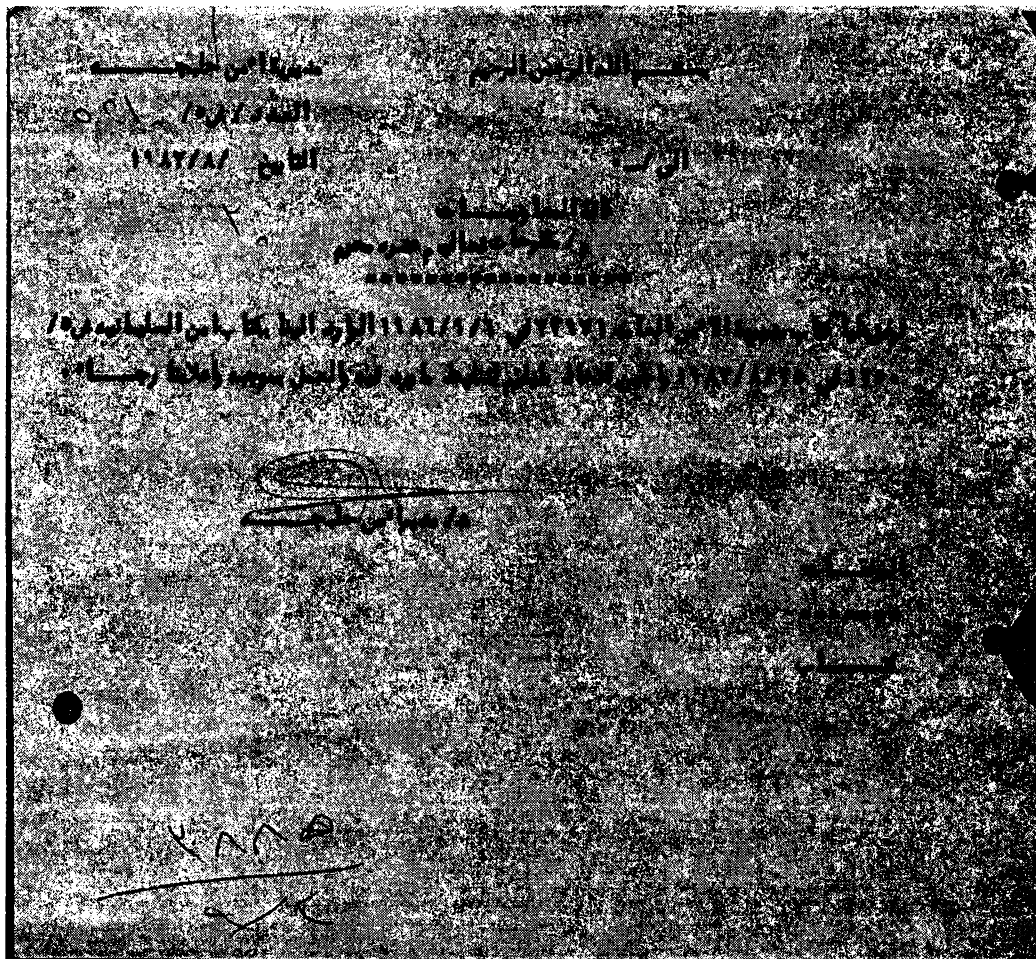
١١ • لا مانع من رفع الشعارات الدينية التي لا تتعارض مع [illegible]

١٢ • الاستفادة من اي مبادرة او ممارسة من خلالها دعم معركة [illegible] بيد النظام المجيد •

١٣ • التعرف على من يقوم بجمع التبرعات والاكتتابات لحل هذه المناسبات [illegible]

// منهج //





بسم الله الرحمن الرحيم

العدد

التاريخ / /١٩٨٢

الى

(سري وشخصي) ...

مديرية الامن العامة

العدد / ش٤/م٣/ ٣٣٩٣١

التاريخ ١٩٨٦/٩/٦

الى / ...

كافة المديريات / م / شعبة / م

م / توجيهات

كتابنا المرقم ٢٢٣٩١ في ١٩٨٦/٩/٦

اشارة الى التوجيهات الواردة بكتاب وزارة الداخلية المرقم س/السري / ١٥٤١٩ في ١٩٨٦/٩/١ والذي على ضوء ما جاء بالتعليمات اللجنة التنظيمية المرقم ل ح/ ٧٥٣ في ١٩٨٠/١٢/٣١ بصدد (١٠) محرم وزيارة الاربعين ٢٠ صفر ...

يرجى اتخاذ ما يلزم .... مع التقدير ....

مقدم /

مدير الامن

عن / مدير الامن العام

التوجيهات

١) ضرورة التقيد بالتعليمات الصادرة من القيادة بعدم ممارسة الممارسات السلبية في المناسبات الدينية (التطبير والزنجيل والتشبيه ...) [illegible] (المشي ...) [illegible] السلوك — الاجتماعات) وما الى ذلك من الظواهر السلبية وعدم ممارستها.

٢) ... [illegible] بالتعليم ... [illegible] وسائل ... [illegible] الشباب ... [illegible] العرب والعروبة ... [illegible] مع توجيهات الرفيق المناضل صدام حسين (حفظه الله) ... [illegible] ان الابتعاد عن الممارسات الخاطئة ... الشباب ... [illegible] لصالح الحزب والثورة.

٣) ... [illegible] والاحتفالات ... [illegible] ... خلال ايام السنة.

٤) ... [illegible] للنجاح ... [illegible] زيارة الاربعين ... [illegible] من تواجد ... [illegible] (الزائرين) ... [illegible].

٥) ... [illegible] الرفيق القائد المناضل صدام حسين (حفظه الله) ... [illegible] الممارسات ... [illegible] الاعياد ... [illegible] من توجيه رجال الدين بما ينسجم مع توجيهات القيادة ... [illegible] لان استغلال رجال الدين ... [illegible] الممارسات الخاطئة.

٦) ... [illegible] (الركضة) ... [illegible] هذا الغرض ... [illegible] من قبل القوى المعادية.

(يتخذ لطفاً)

٨) الاستفادة من خبرة العناصر المتكلمين باللغة الرسمية ووضع الحلول المناسبة لها وكذلك دراسة وتقييم الاجراءات على الوضع الامني واثر الدولة والمساعدة الدراسية خلال الايام الخاصة بحل هذه المناسبة .

٩) التأكيد على تثبيت ما على يمكن الرعايا العرب من الخليجيين عند دخولهم الحدود العراقية (وخاصة في ظل هذه الظروف) من قبل الاجهزة المختصة وارسالها الى الدوائر ذات العلاقة في المحافظات التي يتواجدون فيها لغرض متابعتها ..

١٠) التأكيد على قيام الاجهزة المختصة بالزام الشركات الاجنبية العاملة في العراق بمنع منتسبيها من الاحتفالات بعيد المنارة ..

١١) التأكيد على قيام كل من الاجهزة الامنية المختصة مع الرعايا الوافدين الى محافظة كربلاء من خارج القطر الاستثنائية للتواجد في مرقد ... في محافظة كربلاء بالتنسيق مع مديرها عام الامن في المحافظات لغرض ... المناسبة ...

إنّ كتابنا هذا الثاني في تاريخ الدعوة , وإن كان يؤرخ للفترة من مجيء البعثيين في ١٩٦٨/٧/١٧ إلى شهادة الإمام السيد محمد باقر الصدر في ١٩٨٠/٤/٨ .

إلا أنّ حوادث صفر التي حدثت في ١٩٧٧ كان لهـا تـداعيات استمرت إلى حين سقوط النظام , أي أن تلك التداعيات خرجـت عـن الفترة التي نؤرخ لها .

وحبّذنا أن ننشر بعض الوثائق التي تتعلق بتلك الحادثة وسـوف لن نعيدها في الكتب اللاحقة .

***

ولعل أخطر ما فعله حزب البعث أو صدام حسين في العراق هو أنه غيّر أخلاق الناس .

فالفضيلة أصبحت رذيلة

والرذيلة أصبحت فضيلة

والشواهد على ذلك كثيرة منها هذه الوثيقة التي ننشرها وهي التي يتعهد فيها أصحابها أن لا يزوروا الحسين عليه السلام وهم في نفس الوقت يمنعون من يرغب بذلك .

والموقعون على الوثيقة يبدوا أنهم كانوا من أتباع أهل البيت

ولكن صدام بأساليبه الخبيثة إستطاع أن يغير معتقداتهم .

وهذا يذكرنا بما فعله عبيد الله بن زياد مع أهل الكوفة حيث منعهم من الذهاب إلى نصرة الإمام الحسين عليه السلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

ملحق رقم -٥-

الرسالة التي بعثها الشهيد الصدر

إلى الإمام الخميني في باريس

الرسالة التاريخية الرائعة التي بعثها الشهيد السيد محمد باقر الصدر إلى السيد الإمام الخميني وهو في باريس قبل أن يتوجه إلى إيران .

وفي هذه الرسالة إشادة بجهاد الشعب الإيراني وتضحياته ووقوفه خلف قيادته الرشيدة :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد خير خلقه , وعلى الهداة الميامين من آله الطاهرين وبعد : فإننا في النجف الأشرف إذ نعيش مع الشعب الإيراني بكل قلوبنا , ونشاركه آلامه وآماله , نؤمن أنّ تأريخ هذا الشعب العظيم أثبت أنه كان ولا يزال شعباً أبياً وشجاعاً وقادراً على التضحية والصمود من أجل القضية التي يؤمن بها , ويجد فيها هدفه وكرامته .

ونحن إذا لاحظنا مسيرة هذا الشعب النضالية خلال الفترة المنظورة من هذا القرن , وجدنا انه خاض فيها ــ بكل إيمان ــ عدداً من المعارك الباسلة في سبيل الحفاظ على كرامته , وتحقيق ما آمن به من طموحات خيرة وأهداف عالية .

فمن قضية (التبغ) التي استطاع فيها هذا الشعب العظيم أن يكسر الطوق الذي أراد حكامهم ومخدوموهم المستعمرون أن يطوقوا به وجوده , إلى قضايا (المشروطة) التي قاوم فيها الشرفاء الأحرار من أبناء هذا البلد الكريم ألوان التحكم والاستبداد , إلى الممارسات الفعلية لهذا الشعب المكافح التي قدّم من خلالها حجماً عظيماً من التضحيات ولا زال يقدم , وهو يزداد يوماً بعد يوم إيماناً وصموداً وتأكيداً على روحه النضالية .

بين هذه الملاحم يبدو عمق الشخصية المذهبية للفرد الإيراني المسلم , والدور العظيم الذي يؤدّيه مفهومه الديني , وتمسكه العميق بعقيدته ورسالته ومرجعيته في مجالات هذا النضال الشريف ..

وفي كل هذه الملاحم نلاحظ أنّ الروح الدينية كانت هي المعين الذي لا ينضب للحركة , وان الشعارات الإسلامية العظيمة كانت هي المطروحة على الساحة وأن المرجعية الرشيدة كانت هي الزعامة التي تلتف حولها جماهير الشعب المؤمنة , وتستلهمها في صمودها وجهادها ولا توجد هوية لشعب اصدق انطباقاً عليه وتجسيداً لمضمونه من الهوية التي يتجلى بها في ساحة الجهاد والبذل والعطاء .

ولم يعبّر شعب عن حريته النضالية تعبيراً أوضح وأجلى مما عبّر به الشعب الإيراني المسلم عن هويته الإسلامية في كل ما خاضه من معارك شريفة , كانت التعبئة لكل واحد منها تتسم باسم الإسلام وكانت المشاعر والقلوب تتجمع على أساسه , وكانت القوى الروحية والمرجعية الصالحة هي التي تتقدم المسيرة في نضاله الشريف .

ولئن كان الشعب الإيراني قد عبر عن هويته النضالية الأصيلة باستمرار فان نهضته الحية المعاصرة لهي التعبير الأروع عن تلك الهوية النضالية المؤمنة التي عبر بها الشعب الإيراني عن نفسه ولا يزال , وهي أعظم ذخائر الإسلام وطاقاته التي يملكها في التاريخ الإسلامي الحديث .

وتشير هذه الهوية النضالية من خلال التجارب الجهادية التي مارسها ولا يزال يمارسها شعب إيران المسلم إلى عدد من الحقائق تبدو

واضحة كل الوضوح , ومن الضروري أن تشكل إطاراً سياسياً ثابتاً لرؤية هذا الشعب لطريقه .

ومن تلك الحقائق الثابتة : إن الشعب الإيراني كان يحقق نجاحه في نضاله بقدر التحامه مع قيادته الروحية ومرجعيته الدينية الرشيدة التحاماً كاملاً , واستطاع هكذا أن يحوّل الشعارات التي نادى بها إلى حقيقة .

وما من مرة غفل فيها هذا الشعب المجاهد عن هذه الحقيقة , أو استغفل بشأنها إلا وواجه الضياع والتآمر .

فالمرجعية الدينية الرشيدة والقيادة الروحية هي الحصن الواقي من كثير من ألوان الضياع والانحراف .

ومن تلك الحقائق : إن القيادات الروحية كانت تقوم بدورها هذا وتنجزه إنجازاً جيداً بقدر ما يسودها من التلاحم والتعاضد , والوقوف جنباً إلى جنب , وما من مرة استطاع الشعب الإيراني المسلم أن يحقق نصراً إلا وكان للتلاحم والتعاضد المذكور دور كبير في إمكانية تحقيق هذا النصر .

ومن تلك الحقائق أيضاً : إنّ المبارزة الشريفة لكي تضمن وصولها إلى هدفها الإسلامي لا بدّ أن تتوفر في ظلها نظرة تفصيلية واعية وشاملة لرسالة الإسلام ومفاهيمها وتشريعاتها في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية , وبقدر ما تتوفر من أساس فكري ورصيد عقائدي للمبارزة ـــ أكثر من أي يوم مضى ـــ بعد أن وصلت إلى هذه المرحلة الدقيقة في مسيرتها , واكتسبت ولاء الأمة ـــ كل الأمة ـــ على الساحة

أقول : إنها مدعومة اليوم ـ أكثر من أي يوم مضى ـ إلى أن تنظر بعين إلى الحاجات الفعلية لمسيرتها , وتنظر بعين أخرى إلى حاجاتها المستقبلية , وذلك بأن تحدد معالم النظرة التفصيلية من الآن فيما يتصل بإيديولوجيتها ورسالتها الإسلامية الشريفة .

وكما إنها مرتبطة في النظرة الأولى إلى الحاجات الفعلية للمسيرة وتقييمها وتحديد خطواتها بالمرجعية الدينية المجاهدة .

كذلك لا بد أن ترتبط بالنظرة الثانية ـ وفي معالم أيديولوجية إسلامية كاملة ـ بالمرجعية الدينية الرشيدة التي قادت كفاح هذا الشعب منذ سنين , لان المرجعية هي المصدر الشرعي والطبيعي للتعرف على الإسلام وأحكامه ومفاهيمه .

كما نرى أيضاً أن المبارزة الشريفة قد حققت مكسباً كبيراً حينما أفهمت العالم كله بخطأ ما كان يتصوره البعض من أن الإسلام لا يبرز للساحة إلا كمبارز للماركسية , وليس من همه بعد ذلك أن يبارز الطبقة الأخرى . فإن هذا التصور كان يستغله البعض في سبيل إسباغ طابع التخلف والتبعية على المبارزة الإسلامية , وقد تمزق هذا التصور من خلال المبارزة الشريفة التي برزت على الساحة الإيرانية باسم الإسلام وبقيادة المرجعية الدينية الرشيدة , لتقاوم كياناً أبعد ما يكون عن الماركسية والماركسيين .

وقد أثبت ذلك أن الإسلام له رسالته وأصالته في المبارزة , وان الإسلام الذي يقاوم الماركسية هو نفسه الإسلام الذي يقاوم كل ألوان الظلم والطغيان , وان على المبارزة الشريفة ـ وقد آمن الشعب

الإيراني بقيادته الإسلامية ــ أن تكون على مستوى هذه المرحلة , وأن تدرك بعمق ما يواجهها من عداء عظيم لتحقيق أهدافه الكبيرة في عملية التغيير , لأن بناء إيران إسلامياً ليس مجرد تغيير في الشكل والأسماء بل هو ــ إضافة إلى ذلك ــ تطهير للمحتوى من كل الجذور الفاسدة وملء المضمون ملأ جديداً حياً , تتدفق فيه القيم القرآنية والإسلامية في مختلف مجالات الحياة .

ولا شك في أن البطولة الفريدة التي تحققت بها المبارزة في عملية مكافحة الواقع الفاسد وهدمه , تؤكد كفاءتها لإدراك هذه المسؤوليات وعمقها الرّوحي والاجتماعي التاريخي .

ونسأل المولى ــ سبحانه وتعالى ــ أن يرعى التضحيات العظيمة التي قدمها الشعب الإيراني المجاهد بقيادة علمائه , ويجعل من الدماء الطاهرة التي أراقها السفاكون على الساحة شموعاً تضيء بالنور لتخرج إيران من ظلمات الاستبداد والانحراف إلى تطبيق الإسلام الشامل في كل مجالات الحياة .

وليست القافلة الأخيرة من الضحايا في مدينة مشهد المقدسة إلا حلقة جديدة من مجازر الطغاة , وتغمّد الله الشهداء بعظيم رحمته وألحقهم بشهدائنا السابقين والصديقين والصالحين , وحُسن أولئك رفيقاً والعاقبة للمتقين , وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

محمد باقر الصدر

ملحق رقم -٦-

الرسالة التي بعثها الشهيد الصدر

إلى الشعب العربي في إيران

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يؤيد الشعب العربي في إيران /الثورة الإسلامية في البداية فقد حسبوا أن النظام الذي سوف يحققه الإمام الخميني لا يختلف عن نظام الشاه الذي كان يضطهدهم هو وأبوه من قبل .

فكانت منطقتهم التي يعيشون فيها (جنوب إيران , محافظة خوزستان) متخلفة قياساً إلى المناطق الأخرى في إيران , من جميع النواحي .

كانوا قوماً مغضوباً عليهم , ويلقون الإهمال والإهانة والازدراء من الآخرين .

على عكس ما كان يجري مع الشعوب الأخرى غير الفارسية (تركية وكردية وبلوشية) فان تلك القوميات كانت تلقى اهتماماً واسعاً بالنسبة للعرب .

ولم تعين حكومة الشاه حاكماً عربياً في منطقتهم ولا حتى موظفاً صغيراً , وإذا عينت أحد الموظفين العرب في منطقتهم فانه يحاول جاهداً أن يخفي حقيقته ولغته لكيلا يواجه الإبعاد والازدراء .

وأستغل صدام حسين هذه الحالة وركز عليها وأعطاهم الأموال والسلاح وأثار فيهم نخوة العروبة .

فكانوا لا يتفاعلون مع ثورة الإمام الخميني بل إنّ بعضهم كان على النقيض .

فكان خطاب الشهيد الصدر إليهم يذكرهم بالإسلام وبما يجب عليهم , وتغيرت الحالة في المنطقة العربية نوعاً ما , وبدأوا ينسجمون مع الوضع الجديد تدريجياً .

ومما يؤسف له إن بعض المسؤولين الجدد كانوا لا يزالون يتعاملون مع الشعب العربي هناك تعامل استعلاء وتمييز , وهو ما يناقض أبسط قواعد الإسلام وحقوق المواطنة .

رسالة الشهيد الصدر إلى أبناء الشعب العربي المسلم في إيران يحثهم على التمسك بمبدأ الأخوة الإسلامية والالتزام بقيادة الإمام الخميني

بسم الله الرحمن الرحيم

شعبنا العربي المسلم العزيز في إيران

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فاني أخاطبكم باسم الإسلام , وأدعوكم وسائر شعوب إيران العظيمة لتجسيد روح الأخوة الإسلامية التي ضربت في التاريخ مثلاً أعلى في التعاضد والتلاحم في مجتمع المتقين الذي لا فضل فيه لمسلم على مسلم إلا بالتقوى , مجتمع عمار بن ياسر وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي , مجتمع القلوب العامرة بالفكر

والإيمان المتجاوزة كل حدود الأرض , المتوحدة باسم السماء ورسالة السماء , فلتتوحد القلوب ولتنصر كل الطاقات في إطار القيادة الحكيمة للإمام الخميني وفي طريق بناء المجتمع الإسلامي العظيم الذي يحمل مشعل القرآن الكريم إلى العالم كله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1] .

محمد باقر الصدر

١٦ رجب ١٣٩٩

١- كان شاه إيران يسعى دوماً إلى جعل الشعب العربي في إيران قومية من الدرجة الثانية , لا يتمتعون بالحقوق كما تتمتع القومية الفارسية أو الآذرية.
ولذلك فإن صدام كان يسلك نفس السلوك الذي سلكه أخوه الشاه , فكان يثير فيهم النعرة القومية , كما تبنّى مجموعة منهم شكلوا منظمة (العرب العربستانيين) .
وبصورة عامة كان صدام يوزع عليهم مساعدات في المال والسلاح ومن أجل ذلك , فقد أرسل لهم الشهيد الصدر الرسالة أعلاه .

ملحق رقم -٧-

الرسالة التي بعثها الشهيد الصدر

إلى الشعب الأفغاني

رسالة الشهيد الصدر إلى أبناء الشعب الأفغاني بعد اجتياح القوات السوفيتية لأفغانستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد خلقه محمد وعلى الهداة الميامين من آله الطاهرين وبعد , فإن المحنة الهائلة التي يتعرض لها الشعب الأفغاني المسلم بكل قطاعاته عموماً وعلماء الإسلام الأعلام خصوصاً تمثل اعتداءً صارخاً على إسلام هذا الشعب العريق وكرامته وحريته , واستهتاراً بكل القيم الإنسانية , إذ يراد بقوة الحديد والنار أن تفرض أفكار الكفر على شعب نشأ على الإسلام دماً وروحاً واحتضنه عقيدة ومنهجاً .

ولئن كان العشرات من العلماء الأعلام اليوم يقبعون في زنزانات السجون , ومئات الأبرار الأحرار من أبناء الشعب الأفغاني المسلم يُصفون باستمرار , والملايين من المسلمين تهدر كرامتهم وتتحدى عقيدتهم , فان هذه المحنة لا تزيد الشعب الأفغاني إلا تمسكاً بدينه وعقيدته ودفاعاً عن بيضة الدين .

ونحن نهيب بكل أفراد الشعب الأفغاني الكريم أن يحولوا بكل ما لديهم من طاقة دون وقوع بلدهم المسلم في قبضة الإلحاد والملحدين .

كما نهيب بالمسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها أن يدركوا عمق المحنة التي يواجهها أخوان لهم مسلمون في الأفغان , وأن

يطالبوا كل الأحرار في العالم بالعمل من أجل إنقاذ حرية هذا الشعب وعلمائه الأعلام وأبنائه الأخيار .

ونبتهل إلى المولى القدير سبحانه أن ينزل سكينته على هذا الشعب الأبي , ويؤيده بنصره ويخرجه من هذه المحنة رافع الرأس صلب الإرادة , وفياً لدينه . أميناً على رسالته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد باقر الصدر

٢٢ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ

ملحق رقم -٨-

خطاب الشهيد الصدر

في وفد كربلاء من وفود البيعة

خطاب الشهيد الصدر في وفد كربلاء الذي وصل يوم ١٠ رجب ١٣٩٩ للمبايعة

أرحب بكم يا أبنائي وأخوتي وعشيرتي , إني أشمّ فيكم رائحة تراب كربلاء (وهنا أجهش الحاضرون بالبكاء)

أضمكم إلى قلبي يا أبناء مدينة الحسين , مدينة حوَت تلك الدماء الطاهرة التي أراد السلطان أن يستميلها بالمال والجاه فأبت .

لأنها رأت مسألة الحق أكبر من ذلك .

دماء من ؟

إنها دماء أقدس إنسان على وجه الأرض (يوم قتلوه)

إني أغبطكم يا أبنائي على مجاورتكم لقبر ريحانة رسول الله فالإنسان حينما يمسك تفاحة يبقى شذاها في يده , فكيف وانتم أقرب الناس إلى قبر الحسين بن فاطمة ؟

إني أشمّ منكم رائحة الحسين , كربلاء الصغيرة بحجمها إلا انها كبيرة بعطائها , فحدودها العقائدية كبيرة تمتد مع حدود الإنسان الرسالي

ما من إنسان تكلم عن الإنسانية إلا وكانت كربلاء في ضميره وأعاهدكم أحبتي أنني سأحذو حذو جدي الحسين .

فكانت الهتافات تتعالى من الوفود : عاش , عاش , الصدر الإسلام دوماً منتصر أو بالروح بالدم نفديك يا إمام .

ملحق رقم -٩-

خطاب الشهيد الصدر

في وفد النساء من وفود البيعة

خطاب الشهيد الصدر في وفد النساء اللاتي بايعنه في أحداث رجب ١٣٩٩

وكان ضمن الوفود التي وفدت على الإمام الصدر , وفد نسائي كانت تقوده المجاهدة الشهيدة (سلوى البحراني) , وطالبن بالبيعة كما كان في زمن رسول الله (ص) فأحضرن إناء كبيراً مملوءً بالماء فوضع السيد الشهيد يده فيه , ثم قامت كل واحدة منهن بوضع يدها فيه وبايعنه على الشهادة فألقى رضوان الله عليه كلمة قيمة هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

المشاعر التي أحسّ بها في قلبي إتجاهكم , اتجاه البنات من أمثالكم , مشاعر لا حدّ لها , إحساس بمسؤوليتكن في العصر الحاضر كبير جداً .

يا بنات فاطمة الزهراء ...

انتن المثل الأعلى لمرأة اليوم ...

اليوم انتم تقدمون المثل الأعلى للمراة التي تحمل بإحدى يديها إسلامها ودينها وقيمها ومُثلها وحجابها وإصرارها على شخصيتها الأصيلة القوية الشريفة النظيفة التي حفظها الإسلام لها , وتحمل بيدها الأخرى العلم والثقافة . ولكن لا هذه الثقافة التي أرادها المستعمرون لنا منذ أن دخل المستعمرون عالمنا الإسلامي قبل ستين سنة .

أرادوا أن يقنعوا شبابنا بأن الثقافة عبارة عن لون من المجون .. عبارة عن ألوان السفور والاختلاط ... عبارة عن السعي وراء الشهوات والنزوات ... عبارة عن الابتعاد عن المسجد , وعن الإسلام وعن المرجع وعن الصلاة .

قالوا لشبابنا وشاباتنا بأن الإنسان التقدمي والمرأة المثقفة هي من تقطع صلتها بهذه الأمور , وتنغمس إلى رأسها في الشهوات والملذات ...

هكذا أراد المستعمرون منذ ستين سنة أن يسرّبوا إلى نفوس بناتنا الطاهرات , وفي نفوس شبابنا الزاكين هذا المفهوم الخاطيء للتقدمية وللثقافة .

انتن يا بنات الزهراء تقع عليكن مسؤولية أن تعرّفوا العالم أن الثقافة والعلم الحقيقي يحمل مع الإيمان , يحمل مع الدين , يحمل مع رسالة السماء كما حملتها فاطمة الزهراء .

أمّكنّ العظيمة فاطمة الزهراء كانت مثلاً أعلى في الإسلام , في الجهاد عن الإسلام , في الصبر على محن الإسلام ... كانت مع ابيها في كل شدائده في كل محنة ... كانت تخرج معه في الحروب , كانت تواسي جروحه , كانت تلملم محنه كانت دائماً إلى جنبه , كان يستمد منها سلوة في اللحظات العصيبة , كان يستمد منها طاقة في لحظات صعبة جداً ,كانت إمرأة مسلمة مجاهدة بكل معنى .

هذا من جانب ومن جانب آخر إن فاطمة الزهراء كانت امرأة عالمة , وكانت المثل الأعلى في العلم والثقافة , لكن لا هذه الثقافة التي

أرادها المستعمرون لنا , لا ثقافة المجون والسفور , لا ثقافة الاختلاط والتميع لا ثقافة التحلل , وإنما ثقافة الحقيقة .

انطلقت فاطمة الزهراء ...

انطلقت إلى مسجد أبيها حينما اقتضى منها الواجب أن تخرج إلى مسجد أبيها , وخطبت تلك الخطبة العظيمة التي لا يقدر عليها الكبار من العلماء ... كانت البلاغة والفصاحة والحكمة تتدفق من كلماتها كما يتدفق السيل من البحر , وكان عمرها الشريف أقل من عشرين سنة , لكنها علّمت العلماء , علّمت الحكماء , ضربت المثل الأعلى الذي لم تصل إليه حتى الآن المرأة الأوربية .

هذه فاطمة الزهراء التي إستطاعت أن تثبت في تاريخ الإسلام أن العلم يجتمع مع الدين وأن الثقافة توأم مع الإيمان بالله , ومع التمسك بالحجاب , ومع التمسك بشعائر الدين .

انتن حملتنّ رسالة فاطمة الزهراء ...

انتن من سوف يعرف العالم عن طريقكنّ أن العلم يجب أن يكون إلى جانب الإيمان , وانه ليس من العلم في شيء السفور , وليس من الثقافة في شيء الاختلاط والتحلل .

إنّ المرأة يمكن أن تصل إلى أعلا مدارج الكمال والرقي في كل الميادين من دون أن تتنازل عن قيمة من قيمها الإسلامية , وعن شيء من تراثها ومن رسالة رب العالمين , الأوربيون حاولوا أن يثنوكم وعليكم انتم أن تفهموا العالم كله إنهم على خطأ وإنكم على حق .

نسأل الله أن يوفقكم جميعاً إن شاء الله ويرعاكم بعينه .

ملحق رقم -١٠-

خطاب السيد الصدر

إلى طلابه ومحبيه

خطاب السيد الصدر إلى طلابه ومحبيه لتأييد وإسناد ثورة الإمام الخميني

بسم الله الرحمن الرحيم

أولادي وأعزائي حفظكم الله بعينه التي لا تنام

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته

اكتب إليكم في هذه اللحظات العظيمة التي حقق فيها الإسلام نصراً حاسماً وفريداً في تأريخنا الحديث على يد الشعب الإيراني المسلم وبقيادة الإمام الخميني (دام ظله) وتعاضد سائر القوى الخيّرة والعلماء الأعلام , وإذا بالحلم يصبح حقيقة , وإذا بالأمل يتحقق , وإذا بالأفكار تنطلق بركاناً على الظالمين , لتجسّد وتقيم دولة الحق والإسلام على الأرض , وإذا بالإسلام الذي حبسه الظالمون والمستعمرون في قمقم يكسر القمقم بسواعد إيرانية فتية لا ترهب الموت , ولم يثن عزيمتها إرهاب الطواغيت , ثم ينطلق من القمقم ليزلزل الأرض تحت أقدام كل الظالمين , ويبعث في نفوس المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها روحاً جديدة وأملاً جديداً

إن الواجب على كل واحد منكم , وعلى كل فرد قدّر له حظه السعيد أن يعيش في كنف هذه التجربة الإسلامية الرائدة أن يبذل كل طاقاته وكل ما لديه من امكانات وخدمات , ويضع ذلك كله في خدمة

التجربة , فلا توقّف في البذل والبناء يشاد لأجل الإسلام , ولا حدّ للبذل والقضية ترتفع رايتها بقوة الإسلام , وعملية البناء الجديد بحاجة إلى طاقات كل فرد مهما كانت ضئيلة .

ويجب أن يكون واضحاً أيضاً إنّ مرجعية السيد الخميني التي جسّدت آمال الإسلام في إيران اليوم لا بدّ من الالتفاف حولها والإخلاص لها وحماية مصالحها , والذوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم , وليست المرجعية الصالحة شخصاً , وإنما هي هدف وطريق , وكل مرجعية حققت ذلك الهدف والطريق فهي المرجعية الصالحة التي يجب العمل لها بكل إخلاص .

والميدان المرجعي أو الساحة المرجعية في إيران يجب الابتعاد بها عن أي شيء من شأنه أن يُضعف أو لا يساهم في الحفاظ على المرجعية الرشيدة القائدة .

أخذ الله بيدكم وأقر عيونكم بفرحة النصر وحفظكم سنداً وذخراً .

والسلام عليكم يا أحبتي ورحمة الله وبركاته .

أبوكم

ملحق رقم -١١-

النداءات التاريخية الثلاث

للشهيد الصدر

/

عندما كان الإمام الصدر تحت الإقامة الجبرية , سرّب إلى الدعاة ثلاثة أشرطة مسجلة , داعياً فيها الشعب العراقي إلى مقاومة النظام بأي وسيلة ممكنة .

ووضع السيد الصدر نفسه قائداً للشعب العراقي وتحدث نيابة عنه وطالب الحكومة بمنح الشعب حقوقه السياسية والدينية وشدد على منح هذه الحقوق بصورة متساوية إلى كل الطوائف وقوميات الشعب بعربه وأكراده وسنته وشيعته .

كما خاطب أعضاء حزب البعث أنفسهم عندما بين لهم كيف خالفت قياداتهم الحالية حتى مبادئ حزبهم .

وتحدّى النظام في شرعيته وأهليته للحكم ودعاه بالسماح للمواطنين للتعبير عن أنفسهم ولو لفترة أسبوع واحد كي يعرفوا مشاعر الشعب نحوهم .

***

النداءات التأريخية الثلاث

وجهها الشهيد الصدر إلى الشعب العراقي

عندما كان محاصراً في منزله تحت الإقامة الجبرية .....

ـ النداء الأول ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين .

أيها الشعب العراقي المسلم : إني أخاطبك أيها الشعب الحر الأبي الكريم وأنا أشد الناس إيماناً بك وبروحك الكبيرة وبتأريخك المجيد وأكثرهم اعتزازاً لما طفحت به قلوب أبنائك البررة من مشاعر الحب والولاء والبنوّة للمرجعية إذ تدفقوا إلى أبيهم يؤكدون ولاءهم للإسلام بنفوس ملؤها الغيرة والحمية والتقوى يطلبون مني أن أظل أواسيهم وأعيش آلامهم عن قرب لأنها آلامي .

وإنني أود أن اوكد لك يا شعب آبائي وأجدادي أني معك وفي أعماقك ولن أتخلى عنك في محنتك , وسأبذل آخر قطرة من دمي في سبيل الله من أجلك .

وأود أن أؤكد للمسؤولين إنّ هذا الحكم الذي فرض بقوة الحديد والنار على الشعب العراقي , وحرمه من ابسط حقوقه وحرياته من ممارسة شعائره الدينية لا يمكن أن يستمر ولا يمكن أن يعالج دائماً

بالقوة والقمع , وان القوة ما كانت علاجا حاسما دائما إلا للفراعنة والجبابرة .

اسقطوا الآذان الشريف من الإذاعة فصبرنا

اسقطوا صلاة الجمعة من الإذاعة فصبرنا

وطوقوا شعائر الإمام الحسين (ع) ومنعوا القسم الأعظم منها فصبرنا

وحاصروا المساجد وملؤوها أمنا وعيوناً فصبرنا

وقاموا بحملات الإكراه على الانتماء إلى حزبهم فصبرنا

وقالوا إنها فترة انتقال يجب تجنيد الشعب فيها فصبرنا

ولكن إلى متى ؟

إلى متى تستمر فترة الانتقال ؟

إذا كانت فترة عشر سنين من الحكم لا تكفي لإيجاد الجو المناسب لكي يختار الشعب طريقة , فأي فترة تنتظرون ؟

وإذا كانت فترة عشر سنين من الحكم المطلق لم تتح لكم أيها المسؤولون إقناع الناس بالانتماء إلى حزبكم إلا عن طريق الإكراه فماذا تأملون ؟

وإذا كانت السلطة تريد أن تعرف الوجه الحقيقي للشعب العراقي فلتجمّد أجهزتها القمعية أسبوعاً واحدا فقط ولتسمح للناس بأن يعبّروا خلال أسبوع واحد كما يريدون .

إنني أطالبكم باسمكم جميعا أطالب بإطلاق حرية الشعائر الدينية وشعائر الإمام أبي عبد الله الحسين (ع) .

كما وأطالب باسمكم جميعـا بإعـادة الأذان وصـلاة الجمعـة والشعائر الإسلامية إلى الإذاعة .

وأطالب باسمكم جميعا بإيقاف حملات الإكراه على الانتساب إلى حزب البعث في كل المستويات .

وأطالب باسم كرامة الإنسان بالإفراج عن المعتقلـين بـصورة تعسفية وإيقاف الاعتقال الكيفي الذي يجري بصورة منفصلة عن القضاء

وأخيرا أطالب باسمكم جميعا وباسم القوى التي تمثلونها بفـسح المجال للشعب ليمارس بصورة حقيقية حقه في توفير شـؤون الـبلاد وذلك عن طريق إجراء انتخاب حر ينبثق عنه مجلس حر يمثل الأمـة تمثيلاً صادقاً .

واني اعلم أنّ هذه الطلبات سوف تكلفني غالياً , وقـد تكلفنـي حياتي , ولكن هذه الطلبات هي مشاعر امة , وطلبات امة وإرادة امـة ولا يمكن أن تموت امة تعيش في أعماقها روح محمد وعلي والـصفوة من آل محمد وأصحابه , وإذا لم تستجب السلطة لهذه الطلبات , فـاني أدعو أبناء الشعب العراقي الأبي إلى المواصلة في هذه الطلبات مهمـا كلفه ذلك من ثمن لأن الدفاع عن النفس دفاع عن الكرامة , دفاع عـن الإسلام , رسالة الله الخالدة .

والله ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد باقر الصدر
النجف الأشرف ٢٠ رجب ١٣٩٩

ـ النداء الثاني ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين .

يا شعبي العراق العزيز

يا جماهير العراق المسلمة التي غضبت لدينها , لكرامتها ولحريتها وعزتها ولكل ما آمنت به من قيم ومثل .

أيها الشعب العظيم , انك تتعرض اليوم لمحنة هائلة على يد السفاكين والجزّارين الذين هالهم غضب الشعب وتململ الجماهير بعد أن قيدوها بسلاسل من الحديد ومن الرعب .

وخيّل للسفاكين أنهم بذلك انتزعوا من الجماهير شعورها بالعزة والكرامة وجرّدوها من صلتها بعقيدتها وبدينها وبمحمدها العظيم لكي يحوّلوا هذه الملايين الشجاعة المؤمنة من أبناء العراق الأبي إلى دمى وآلات يحركونها كيف يشاؤون ويزقونها ولاء عفلق وأمثاله من عملاء التبشير والاستعمار بدلاً عن ولاء محمد وعلي (صلوات الله عليهم) .

ولكن الجماهير دائما هي أقوى من الطغاة مهما تفرعن الطغاة وقد تصبر , ولكنها لا تستسلم .

وهكذا فوجئ الطغاة بأن الشعب لا يزال ينبض بالحياة وما تزال لديه القدرة على أن يقول كلمته .

وهذا هو الذي جعلهم يبادرون إلى القيام بهذه الحملات الهائلة على عشرات الآلاف من المؤمنين , والشرفاء من أبناء هذا البلد الكريم

حملات السجن والاعتقال والتعذيب والإعدام وفي طليعتهم العلماء المجاهدون الذين يبلغني إنهم يستشهدون الواحد بعد الآخر تحت سياط التعذيب .

واني في الوقت الذي أدرك عمق هذه المحنة التي تمر بك يا شعبي وشعب آبائي وأجدادي أؤمن بأن استشهاد هؤلاء العلماء واستشهاد خيرة شبابك الطاهرين وأبنائك الغيارى تحت سياط العفالقة لن يزيدك إلاّ صموداً وتصميماً على المضي في هذا الطريق حتى الشهادة أو النصر .

وأنا أعلن لكم يا أبنائي بأني صممت على الشهادة ولعل هذا هو آخر ما تسمعونه مني وان أبواب الجنة قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء حتى يكتب الله لكم النصر .

وما ألذ الشهادة التي قال عنها رسول الله (ص) إنها حسنة لا تضر معها سيئة , والشهيد بشهادته يغسل كل ذنوبه مهما بلغت .

فعلى كل مسلم في العراق وعلى كل عراقي في خارج العراق ان يعمل كل ما بوسعه ولو كلفه ذلك حياته , من اجل إدامة الجهاد والنضال لإزالة هذا الكابوس عن صدر العراق الحبيب , وتحريره من العصابة اللا إنسانية وتوفير حكم صالح فذ شريف يقوم على أساس الإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته **محمد باقر الصدر**

شعبان ١٣٩٩

ــ النداء الثالث ــ

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وصحبه الميامين .

يا شعبي العراق العزيز

أيها الشعب العظيم

إني أخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك , وحياتك الجهادية بكل فئاتك وطوائفك , بعربك وأكرادك بسنتك وشيعتك , لأن المحنة لا تخص مذهباً دون آخر ولا قومية دون أخرى .

وكما ان المحنة هي محنة كل الشعب العراقي فيجب ان يكون الموقف الجهادي والرد البطولي , والتلاحم النضالي هو واقع كل الشعب العراقي .

واني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسني على السواء , ومن اجل العربي والكردي على السواء , حيث دافعت عن الرسالة التي توحدهم جميعا والعقيدة التي تهمهم جميعا , ولم اعش بفكري وكياني إلا للإسلام طريق الخلاص وهدف الجميع .

فانا معك يا أخي وولدي السني بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي , أنا معكما بقدر ما أنتما مع الإسلام , وبقدر ما تحملون هذا المشعل العظيم لإنقاذ العراق من كابوس التسلط والاضطهاد .

إنّ الطاغوت وأولياءه يحاولون أن يوحوا إلى أبنائنا البررة من السنة ان المسألة مسألة شيعة وسنة , وليفصلوا السنة عن معركتهم الحقيقية ضد العدو المشترك .

وأريد ان أقولها لكم يا أبناء علي والحسين وأبناء أبي بكر وعمر ان المعركة ليست بين الشيعة والحكم السني .

إن الحكم السني الذي مثله الخلفاء الراشدون والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل , حمل علي السيف للدفاع عنه ,إذ حارب جندياً في حروب الردة تحت لواء الخليفة الأول أبي بكر , وكلنا نحارب تحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي .

إنّ الحكم السني الذي كان يحمل راية الإسلام قد أفتى علماء الشيعة قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من اجله , وخرج آلاف من الشيعة وبذلوا دمهم رخيصاً من اجل الحفاظ على راية الإسلام ومن اجل حماية الحكم السني الذي كان يقوم على أساس الإسلام .

ان الحكم الواقع اليوم ليس حكماً سنياً , وان كانت الفئة المتسلطة تنتسب تأريخياً إلى التسنن .

فان الحكم الذي لا يعني حكم شخص ولد من أبوين سنيين , بل يعني حكم أبي بكر وعمر الذي تحداه طواغيت الحكم في العراق اليوم في كل تصرفاتهم , وهم ينتهكون حرمتهم للإسلام وحرمة علي وعمر معاً كل يوم وفي كل خطوة من خطواتهم الإجرامية .

ألا ترون يا أولادي وإخواني إنهم اسقطوا الشعائر الدينية التي دافع عنها علي وعمر معاً ؟

إلا ترون أنهم ملأوا البلاد بالخمور والخنازير وكل وسائل المجون والفساد التي حاربها علي وعمر معا ؟

ألا ترون أنهم يمارسون اشد ألوان الظلم والطغيان تجاه كل فئات الشعب ؟ ويزدادون يوما بعد يوم حقدا على الشعب وتفننا في امتهان كرامته والانفصال عنه والاعتصام ضده في قصورهم المحاطة بقوى الأمن والمخابرات .

بينما كان علي وعمر يعيشان مع الناس وللناس وفي وسط الناس ومع آلامهم وآمالهم .

ألا ترون إلى احتكار هؤلاء السلطة احتكاراً عشائرياً , يضفون عليه طابع الحزب زوراً وبهتانا ؟

وسدّ هؤلاء أبواب التقدم أمام كل جماهير الشعب سوى أولئك الذين رضوا لأنفسهم الذل والخضوع وباعوا كرامتهم وتحولوا إلى عبيد أذلاء .

إن هؤلاء المتسلطين قد امتهنوا حتى كرامة حزب البعث العربي الاشتراكي حيث عملوا من اجل تحويله من حزب عقائدي إلى عصابة تفرض الانضمام اليها والانتساب اليها بالقوة والإكراه .

وإلا فأي حزب حقيقي يحترم نفسه في العالم يطلب الانتساب إليه بالقوة ؟ إنهم أحسوا بالخوف حتى من الحزب نفسه الذي يدّعون تمثيله .

إنهم أحسوا بالخوف منه إذا بقي حزبا حقيقيا له قواعده التي تبنيها .

ولهذا أرادوا أن يهدموا قواعده بتحويله إلى تجمع يقوم على أساس الإكراه والتعذيب ليفقد أي مضمون حقيقي له .

يا أخواني وأبنائي من أبناء الموصل والبصرة

من أبناء بغداد وكربلاء والنجف

من أبناء سامراء والكاظمية

من أبناء العمارة والكوت والسليمانية

من أبناء العراق وكل مكان

إني أعاهدكم بأني لكم جميعا ومن أجلكم جميعاً

وإنكم جميعاً هدفي في الحاضر والمستقبل

فلتتوحد كلمتكم ولتتلاحم صفوفكم تحت راية الإسلام , ومن أجل إنقاذ العراق من كابوس هذه الفئة المتسلطة وبناء عراق حر كريم تحكمه عدالة الإسلام , وتسوده كرامة الإنسان , ويشعر فيه المواطنون جميعا على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم بأنهم إخوة ... يساهمون جميعاً في قيادة بلدهم وبناء وطنهم وتحقيق مثلهم الإسلامية العليا المستمدة من رسالتنا الإسلامية وفجر تأريخنا العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد باقر الصدر

شعبان ١٣٩٩

ملحق رقم -٢١-

قرار إعدام الدعاة

قرار إعدام الدعاة

قلنا إنّ البعثيين جاؤوا إلى الحكم ليقضوا على الصحوة الإسلامية التي لفت العراق كله من أقصاه إلى أقصاه , في المدرسة والجامعة وفي المسجد والسوق وفي الشارع , وفي كل مكان .

إنه الوعي الذي تبناه حزب الدعوة الإسلامية كمقدمة لتسلم الحكم

وإذا كان حزب البعث قد جعل العراق كله سجناً كبيراً ومقابر جماعية وملأ الأرض خوفاً وهلعاً فإنه لن يستطيع أن يقضي على روح الإسلام التي تأصلت في نفوس الناس .

وقد جاء ذلك واضحاً وصريحاً في تقرير المؤتمر القطري التاسع لحزب البعث المنعقد في بغداد إذ يقول :

(... إن عناصر حزب الدعوة التي استطاعت في إطار الظروف التي سيتمّ تناولها في الفصل الخاص بالمسألة الدينية أن تبني تنظيماً , له عدد لا بأس به من الأتباع , ويمتلك قدراً متميزاً من الفعّالية والجرأة ...)

ثم يقول :

(... وبسبب الطبيعة العراقية الموروثة المشحونة بعواطف التطرف وردود الأفعال , يمكن لهذا الموقف السلبي أن يتحول إلى

موقف عدائي إذا ما استثمرته قوى خبيثة ومنظمة تسعى ضمن مخطط واسع النطاق لتعويق مسيرة الثورة والقضاء عليها , ويشكل الدين والتدين وعاءً أو مناخاً ملائماً تماماً لاستقطاب الحالات السلبية المشار إليها , ففيها يجد الفرد المعقّد من التحولات الاجتماعية راحة نفسية وخلاصاً من حالة القلق والتوتر التي يعانيها أزاء هذه التحولات .

وفي هذه الظروف بالذات يمكن للأحزاب الدينية السياسية أن تستثمر هذه الظواهر لصالحها , وأن تستقطب عدداً من الشباب وتدفعهم لتحقيق أغراضها .

وهذا ما حدث بالفعل في العراق , فحزب الدعوة قد استثمر حالات القلق والضياع لدى بعض أوساط الشباب وشحنهم شحناً دينياً ..)

ثم يقول :

(... وبرغم كل هذه الحقائق البارزة ... كانت المرحلة السابقة تفتقر إلى الاستمرارية بخطّ مطّرد ومتصاعد ضمن مقاييس تضع في إشعاعها كل المتطلعين للأمام والباحثيين عن ملء الفراغ والبطولة والمجد ...) .

(... وقد ركّزت الأحزاب الدينية ـ السياسية وبخاصة حزب الدعوة على هذه الفئة واصطادتها في فخاخها , ووعدت الشباب منهم بالمعارك الساخنة والتحديات الملحمية , ولا بد أن نشير إلى أن أخطاء قد ارتكبت في أساليب تنظيم الشباب والطلبة مما دفع قسماً من هؤلاء

إلى الوقوع في شراك حزب الدعوة والحركة الدينية ــ السياسية الأخرى ...)

(... وخلال فترة قصيرة من الزمن حشد الحزب والثورة حملة عامة ضد هذه العصابة ...)

(... إن الظاهرة الدينية ــ السياسية لن تنتهي تماماً ... أنها لن تصاب بنكسة قاضية ... وإن هذه الظاهرة لن تختفي تماماً عن المسرح السياسي والاجتماعي ...)

(... إن بعض الحزبيين " ويقصد بهم البعثيين " صاروا يمارسون الطقوس الدينية بصورة مظهرية , شيئاً فشيئاً صارت المفاهيم الحزبية عند معالجتهم للقضايا الأساسية في الفكر والتطبيق في شتى النواحي التي يواجهها الحزب في عملية التغيير الثوري الشاملة ...)

(... كما إن شيوع الممارسات الدينية المفتعلة لدى بعض الحزبيين ونزول هذه الظاهرة إلى مستوى الأنصار والمؤيدين قد خلفا حالة من التداخل النسبي بين قاعدة الحزب وبين قاعدة الأحزاب الدينية السياسية .

فهذا الفرد وذاك يمارسان الممارسات الدينية في وقت واحد فتتقارب مفاهيمهما أزاء بعض المسائل والقضايا الفكرية والاجتماعية والنفسية , وقد أسهمت هذه الحالة في إضعاف يقظة الحزب أزاء الظاهرة الدينية السياسية والمعادية في البلاد ...)

(... وقد تكررت تحذيرات الرفيق صدام حسين في مناسبات عديدة وقالها في القيادة وفي اجتماعات الكادر , كما نشر له حديث خاص بهذه المسألة بعنوان " نظرة في الدين والتراث " ومن الضروري هنا تسجيل أسف القيادة لأن هذه التحذيرات لم تؤخذ بالجدية المطلوبة .)

(... وقبل ذلك علينا : أن نتساءل إذا كانت مفاهيم وممارسات التدين قد اعتبرت من قبل بعض الرفاق بديلاً أخلاقياً أو عقائدياً عن حزب البعث العربي الاشتراكي وسبيلاً لكل المسائل الجوهرية في الحياة فلماذا اختاروا حزب البعث العربي الاشتراكي ... ولماذا بعد أن قطعوا شوطاً طويلاً في الحزب يريدون فرضها عليه أو إشاعتها فيه من دون أن يكون لذلك أساس في عقيدة الحزب وفي تقاليده ومن دون أن تقرّ هذه المفاهيم والممارسات من قيادة حزبية مسؤولة أو من مؤتمر حزبي مسؤول ؟ ...)

(... ويجب أن نفهم أن فلسفتنا ليست التراث ولا الدين بحد ذاتيهما , إن فلسفتنا ما تعبّر عنه منطلقاتنا الفكرية وسياستنا المتصلة بها ....)

(... إن المطلوب منا هو أن نكون ضد تسييس الدين من قبل الدولة وفي المجتمع وضد إقحام الثورة في المسألة الدينية وأن نعود إلى أصل عقيدتنا ...)

***

المقاطع التي نشرناها ليست هي كل محتويات التقرير , وإنما اقتطعنا بعضها ويمكننا أن نلاحظ في بعضها , اعتراف حزب البعث بفاعلية وقوة تنظيم حزب الدعوة الإسلامية وتميّزه بالقوة والمتانة والتأثير والجرأة والإقدام مما اضطر إلى أن يسمي نشاط حزب الدعوة الإسلامية وجرأة عناصره إذ يقول انه (يمتلك قدراً متميزاً من الفعالية والجرأة) .

ويحاول التقرير أن يغطّي هلع حزب البعث وخوفه من حزب الدعوة الإسلامية الذي أسهب في الحديث عنه وعن قدرته على تعبئة طاقات الشباب وقوته وجرأته وتفاعله مع الجماهير وإمكانية توجيه القدرة الثورية فيها ... رغم كل ذلك حاول أن يخفي هذا الهلع حذراً من تعميق الخوف في نفوس عناصره , فراح يقنعهم بقدرته على تحجيم حزب الدعوة الإسلامية وإن خطره أصبح مجرد خطر " فني" .

ويؤكد التقرير عدم قدرة أية قوة أن تستأصل التيار الإسلامي وتقضي عليه...ويشرح أسباب الهجمة الوحشية الاستعمارية على حزب الدعوة الإسلامية دون غيره , والدخول ضده بحرب دموية سافرة وان حزب الدعوة هو مَكمن الخطر ويمتلك أساليب مؤثرة في المواجهة ... ويشكل خطورة على وجوده .

أما سر الخوف والهلع من حزب الدعوة الإسلامية فهو أن مفاهيم الحزب وأفكاره غزت صفوف حزب البعث بحيث كون هذا

الغزو تياراً مؤثراً بين صفوف البعث , ثم يعيد التقرير إلى الأذهان التحذيرات والمخاوف من تعاظم هذا التيار .

والتحذيرات كما يشير التقرير كانت تقدم للقيادات وللكادر المتقدم وأنها لم تلق أذناً صاغية , لذلك يسجل التاريخ أسفه وخوفه وهلعه .

إن التقرير بصورة عامة يعبّر عن حقيقة ميدانية عاناها حزب البعث في صراعه مع حزب الدعوة الإسلامية , فهو يشخص مواطن الخطر .

والقوة والخطة لمجابهته , ويصف حزب الدعوة بالنقاط التالية :

١- دقة التنظيم والتخطيط

٢- الجرأة والإقدام لدى الدعاة

٣- تبنّي العمل الجهادي والكفاح المسلح

٤- القدرة على توجيه الطبيعة الثورية في الشعب العراقي

٥- إقبال الشباب على تنظيم حزب الدعوة الإسلامية

٦- وجود نظرية عمل فكري وسياسي إسلامي واضحة المعالم تناقض عقيدة البعث .

٧- قوة تيار حزب الدعوة الإسلامية الفكري والثقافي .

ونتيجة لكل ذلك أصدر ما يسمى بمجلس قيادة الثورة , وبتوقيع صدام قراراً جائراً سيء الصيت برقم ٤٦١ في ٣١ / ٣ /١٩٨٠

بإنزال عقوبة الإعدام بكل من ينتسب إلى حزب الدعوة الإسـلامية أو يروج أفكاره أو يسهل أمره , أو كان قد انتسب إليه سابقاً .

ونثبت هنا صورة القانون ذلك :

استنادا الى احكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والاربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٣١-٣-١٩٨٠ ما يلي :

لما كانت وقائع التحقيق والمحاكمات قد اثبتت بادلة قاطعة ان حزب الدعوة هو حزب عميل مرتبط بالاجنبي وخائن لتربة الوطن ولاهداف ومصالح الامة العربية ، ويسعى بكل الوسائل الى تقويض نظام حكم الشعب ومجابهة ثورة (١٧) تموز مجابهة مسلحة .

لذلك قرر مجلس قيادة الثورة تطبيق احكام المادة (١٥٦) من قانون العقوبات بحق المنتسبين الى الحزب المذكور مباشرة او العاملين لتحقيق اهدافه العميلة تحت واجهات او مسميات اخرى .

ينفذ هذا القرار على الجرائم المرتكبة قبل صدوره التي لم يصدر قرار باحالتها على المحكمة المختصة .

صدام حسين
رئيس مجلس قيادة الثورة

ويذكر ان المادة ١٥٦ من قانون العقوبات تنص على مايلي :

يعاقب بالاعدام من ارتكب عمدا فعلا بقصد المساس باستقلال البلاد او وحدتها او سلامة اراضيها وكان الفعل من شأنه ان يؤدي الى ذلك .

وجاء في تفسير وسائل إعلام النظام بأنه يشمل أيضاً كل من يتعاون مع حزب الدعوة الإسلامية أو سهّل مهمته أو روّج لأفكاره والمرتبطين بصورة مباشرة أو غير مباشرة كالعاملين في المؤسسات الثقافية والفكرية أو الاتحادات المهنية والطلابية التي يرعاها الحزب ويدعمها[1].

واغرب ما في القرار انه يسري بأثر رجعي على الحالات السابقة لصدوره , فمثلا إذا وزع شخص منشوراً قبل عدة سنوات من إصدار القرار , يروج لأفكار إسلامية يتبناها حزب الدعوة , فإن طائلة الإعدام ستشمله لا محالة .

ويلاحظ على هذا القرار ما يلي :

١- إنّ هذا القرار له قوة القانون وليس له مثيل في القرارات الأخرى التي أصدرها حزب البعث .

٢- انه لا ينسجم مع بنود الدستور الموقت الذي أعلنه النظام عام ١٩٦٩ إذ أن هذا القرار يقضي بتصفية أعداد هائلة من البشر

١- وهذا يدل على مدى خوف حزب البعث وخشيته من حزب الدعوة الإسلامية الذي يسمونه بـ (الحزب العميل) قد امتد إلى تلك المجاميع العريضة والاتحادات المتشعبة .
في حين إن حزب البعث كان يعمل جاهداً على أن يستولي على كل المؤسسات بالإكراه , فالممتنع يمنع من الدخول في الكليات ومن الزمالات الدراسية في الخارج , أو السلك العسكري أو الدبلوماسي أو الوظائف ذات الحساسية .
أما الذين ينخرطون في حزبهم فتوفر لهم كل أساليب الحياة المرفهة في حين يتضوّر الآخرون من الجوع .

لمجرد اعتناقهم مبدأ معيناً وبعبارة أخرى فانه يشرع للقضاء على الإسلام في العراق لأن الخطورة تكمن في مسألة ترويج أفكار حزب الدعوة .

ومن المعروف أنّ أفكار حزب الدعوة هي أفكار إسلامية بحتة وتتخذ من الإسلام ديناً ومنهجاً ونظاماً .

ومن هنا فعقوبة من يروج لأفكار الإسلام هي الموت طبقاً للقرار ٤٦١ وعلى اثر القرار المذكور , اعتقلت السلطات عشرات الآلاف ممن يشتبه بأن له ميولاً دينية أو يمارس العبادات والشعائر الإسلامية بشكل علني , فسارت القوافل إلى منصات الإعدام ومات الكثيرون تحت التعذيب .

***

إن القرار ٤٦١ المشؤوم طبق في إعدام مالا يقل عن عشرين ألف من المنتسبين لحزب الدعوة الإسلامية وبقية المنظمات والحركات الإسلامية .

وكان على رأس القائمة التي نفذ فيهم حكم الإعدام :

الإمام السيد محمد باقر الصدر وأخته العلوية بنت الهدى في ٨ / ٤ /١٩٨٠

ونظرا للصمت المطبق الذي أحاط به صدام , الجريمة الشنعاء بقتل الإمام الصدر , فقد ظلت كل المعلومات المتعلقة باستشهاده محاطة بالكتمان إلا النادر اليسير .

كما طوردت مؤلفاته وصودرت ومنع الناس من قرائتها تحت طائلة العقاب الصارم .

نعم هناك وثيقة رسمية واحدة تتحدث عن سبب القضاء على السيد الصدر وهي عبارة عن محاضرة ألقاها فاضل البراك مدير الأمن العام (أيام شهادة السيد الصدر) على مجموعة من الكادر العسكري البعثي بعنوان (تهديدات الأمن الداخلي ومستلزمات استتبابه) نشرت في مجلة (الأمن والجماهير) وهي مجلة محدودة التداول خاصة بأفراد جهاز مديرية الأمن العامة وفروعها في المحافظات[1].

وبعد أن يردد نفس العبارات التي دأبت صحيفة حزب البعث (الثورة) بشكل يثير الاشمئزاز عن وجود مخططات إمبريالية صهيونية أمريكية فارسية تستهدف حزب الجماهير الكادحة , حزب البعث[2].

١- مجلة الأمن والجماهير , مجلة فصلية علمية يصدرها مركز التطوير الأمني العدد (٥) الصادر في كانون الأول ١٩٨١ وفي آخرها في الصفحة ١٤٤ كتب : اشرف على الإصدار مكتب العلوم الإعلامية . وفي أسفل الصفحة : مطبعة مديرية الأمن العامة .

٢- عندما يشتم الجاهلون غيرهم فإنهم يطلقون عليهم ألفاظاً قد لا ينسجم بعضها مع بعض المقصود منها إهانة (المشتوم) وإثارة السامع , فيقول له مثلا (أنت يهودي , نصراني , صابئي) أو كما ينقل عن بعضهم سابقا حين يشتم (معاوية بن أبي طالب) أو (علي بن أبي سفيان) والبعثيون يفعلون كذلك

يقول فاضل البراك عندما كان مديراً للأمن العام :

(... وفي مثل هذه الأجواء الملائمة لحزب الدعوة استطاع أن يضم في صفوفه عدداً من الطلاب والمثقفين والكسبة ورجال الدين وطلبة العلوم الدينية , وأصبحت له قواعد في معظم محافظات القطر ومؤسسات الدولة المدنية والعسكرية وفي الجامعات والمعاهد والمدارس وفي الأوساط الدينية كذلك وبشكل خاص التبعيات الفارسية والعناصر غير العربية ...) .

وليبرر إعدام السيد محمد باقر الصدر قال :

(... كما أصبحت قيادة حزب الدعوة بشخص مسؤولها محمد باقر الصدر مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحكام إيران الجدد , يتلقى منهم التعليمات وأساليب العمل وينسق معهم الفعاليات التخريبية التآمرية ضد الحزب والثورة ...) .

إنّ واحدة من التهم أعلاه كافية لتكون جريمة يعاقب عليها بالموت في عرف صدام , ولعل صدام اختار شهر نيسان موعداً لقتل السيد الصدر لتكتمل الفرحة بذكرى ميلاد حزب البعث في (٧ نيسان) وقتل أعظم مفكري الإسلام في القرن العشرين في نفس المناسبة .

ولم يكتف صدام بذلك , بل أوفد مندوبه (وزير الخارجية سعدون حمادي) إلى مجلس الأمن ليدعي أن الإمام الخميني وهو في قم

فحزب الدعوة كما يقولون يرتبط بالشاه والإمبريالية والخميني عناصره فارسية وغير عربية ....

ــ يوم كان في قم ــ يدير حزباً اسمه (حزب الدعوة) يتدخل في شؤون العراق الداخلية .

تجدر الإشارة إلى أن صدام حسين أصدر قراراً في ١٣/٤/١٩٨٠ , أي بعد اقل من أسبوعين من إصدار القرار الأول يقضي (بالعفو عن عقوبة الإعدام عن كل من يبادر بتسليم نفسه إلى السلطات المختصة خلال مدة أقصاها أسبوعان من تاريخ صدور هذا القرار ويدلي بالمعلومات التي اطلع عليها , أو أية معلومات لديه عن العناصر المنتمية إلى حزب الدعوة أو التي تعمل لتحقيق أهداف هذا الحزب تحت واجهات ومسميات أخرى) .

ولم يكن هذا القرار سوى أسلوب من أساليب الخداع المكشوف ولعل السلطة تصورت أنّ بعض الإسلاميين هم عناصر مهزوزة يمكن احتواؤها والتغرير بها بسهولة ولكن خاب ظنهم فالدعاة أقوى مما يتصورون .

وننشر هنا القرار المذكور :

استنادا إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والأربعين من الدستور الموقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٣/٤/١٩٨٠ ما يلي :

١- يعفى من العقوبة المحددة للجريمة المنصوص عليها في قرار مجلس قيادة الثورة ٤٦١ في ٣١/٣/١٩٨٠ كل من يبادر بتسليم نفسه إلى السلطات المختصة خلال مدة أقصاها

أسبوعان من تاريخ صدور هذا القرار ويدلي بالمعلومات التي اطلع عليها أو أية معلومات لديه عن العناصر المنتمية إلى حزب الدعوة أو التي تعمل لتحقيق أهداف هذا الحزب تحت واجهات ومسميات أخرى .

٢- ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية وينفذ اعتباراً من تاريخ صدوره .

موقع صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

***

إنّ نظام البعث وان كان قد أصدر قراره الجائر في ١٩٨٠/٣/٣١ , ولكن إعداماته وجرائمه حلّت بالعراق , منذ يوم تربّعوا على دست الحكم .

فالإجرام طبيعة متأصلة فيهم سواء في الأشهر التسعة التي حكموا فيها العراق عام ١٩٦٣ , أو في حركتهم الثانية في ١٩٦٨/٧/١٧ .

فإجرامهم لا يحتاج إلى قانون أو قرار , وقد سبق أن ذكرنا أن كثيرا من حوادث التعذيب والقتل وقعت منذ عام ١٩٧١ , وأنا شاهد حي على جرائمهم , يوم دخلت سجن قصر النهاية الرهيب مع المجاهد عبد الصاحب دخيل (أبو عصام) وقد مارسوا معي ومع غيري وشاهدت الكثير من أساليب التعذيب حتى كتبت في ذلك كتابا سميته

(صفحات سوداء من بعث العراق) وهو أول كتاب ينشر جرائم حزب البعث , والكتاب هذا وان كنت قد وضعت عليه أن المؤلف هـو عبـد الحميد العباسي , ولكنه في الواقع من تأليفي , وإنما فعلت ذلك خـشية على أهلي في العراق .

وقد شاء الله أن أخرج من سجن قصر النهاية لأنقـل للآخـرين ماذا كان يجري على البشر هناك .

***

وكنموذج للإعدامات التي سبقت تأريخ إصدار قـرار الإعـدام نثبت هنا قائمة بأسماء مائة كادر من حزب الدعوة الإسلامية .

ولكن القرار الصادر في ١٩٨٠/٣/٣١ , اتخذ ليكـون بـاكورة عمليات إجرامية كبيرة سيقوم بها حزب البعـث فـي داخـل العـراق وخارجه , حيث كانت القوى الكبرى تزيد من اعتمادها عليـه بعـد أن أظهر انه حزب يجيد تطبيق السياسة المفروضة عليه .

وأمامي (ألبوم) أصدره المركز الإعلامـي لحـزب الـدعوة الإسلامية في ربيع الثاني ١٤٠١هـ , يحوي عدداً كبيرا مـن صـور الشهداء , وأسماء ٥٦١ شهيدا في العراق خلال الفتـرة مـن الـشهر الخامس ١٩٧٨ إلى الشهر الثالث ١٩٨٠ (قبل تاريخ القرار المشؤوم)

وهؤلاء فيهم ٢٥٠ شهيداً من حزب الدعوة الإسلامية .

ومن الجدير بالذكر إن أعداد المعدومين هم أكثر بكثير مما ذكر في (الألبوم) , فالمركز الإعلامي لحزب الدعوة الذي أصـدره إنمـا

نشر أسماء الذين وصلت المعلومات عنهم في حين ان الكثيرين تبقى أسماؤهم طي الخفاء .

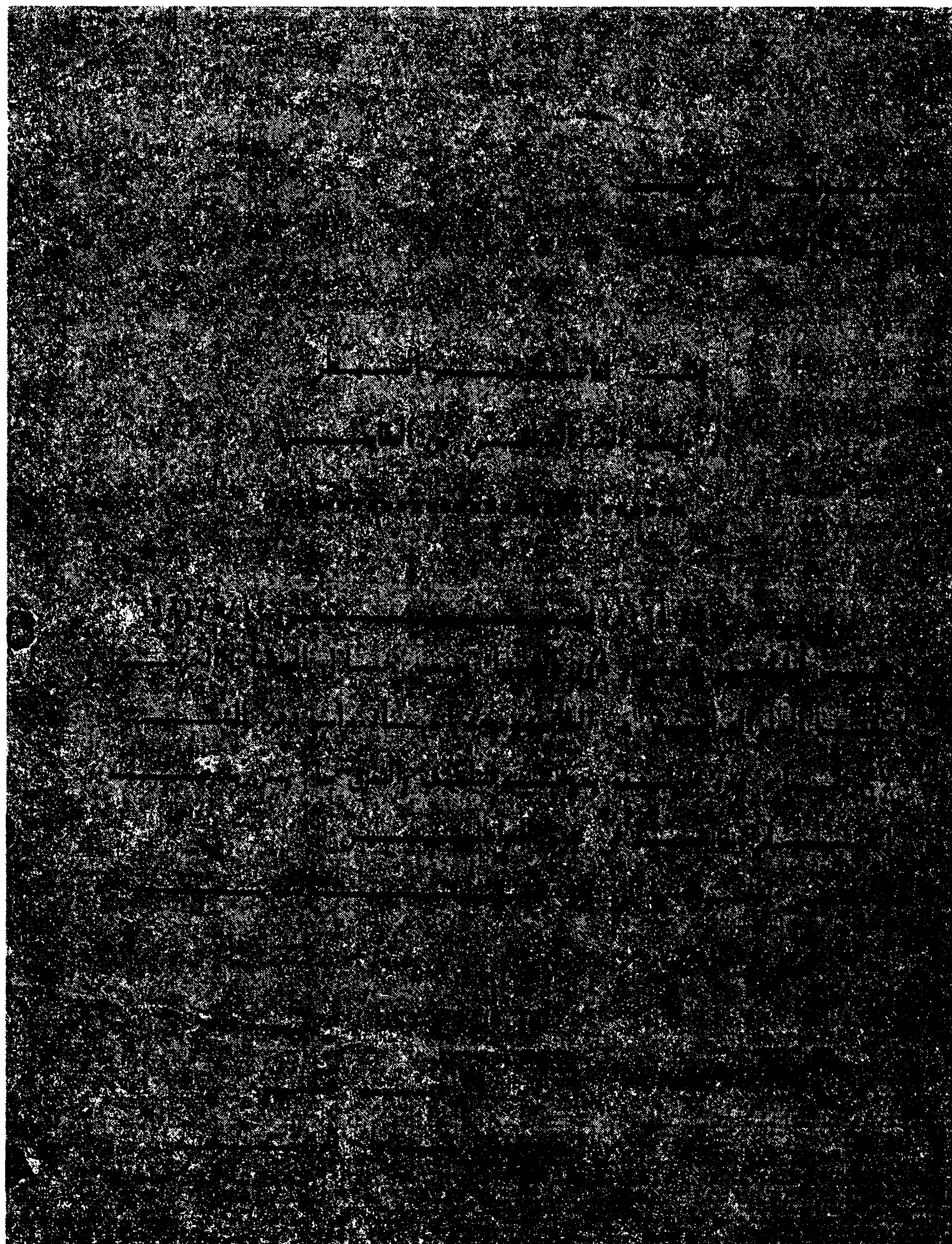
إذ أن السلطة تمنع ذوي الشهيد من إعلان الشهادة وما يترتب على ذلك من مراسيم .

يضاف إلى ذلك كثير من الذين يقضى عليهم دون أن يخبروا ذويهم , والمقابر الجماعية التي اكتشفت بعد سقوط الصنم شاهدة على ذلك .

***

وإذا قلنا إن السلطة تمنع ذوي الشهداء من إعلان الشهادة فإنها تمنع أن يوضع العلم العراقي على مقبرة الشهيد بعد عملية الدفن بحجة أنّ العلم قد يتلف وهو يسيء إلى حرمة العلم .

فلننظر هذه الوثيقة



والواقع إن صدام حسين لا تهمه حرمة العلم ولا حرمة العــراق بل ولا حرمة العراقيين فقد أوصل سمعة العراق إلى أدنى مستوى لهــا يوم دخل في حروب خاسرة مدمرة مع إيران والكويت .

ويوم حفر المقابر الجماعية للعراقيين , ليس الكبار مــنهم فقــط الذين من الممكن أن يحملوا السلاح وإنما حتى النساء والأطفال الرضع

ويوم أعدم من العراقيين بالآلاف , بل بعشرات الآلاف .

إنها عنجهية صدام وغرور صدام ووحشية صدام الذي يعــرض العراقيين للموت ثم لا يريد أن يبقي أثراً أو ذكرى للميت يتذكره أهلــه ويتذكره الناس عندما يرون انّ المقابر أمتلأت بالأعلام العراقية التـــي أساء صدام نفسه إلى سمعتها وحرمتها .

مائة شهيد من كوادر حزب الدعوة الإسلامية , اعدموا في الفترة من حزيران ١٩٧٩ وحتى آذار ١٩٨٠ أي قبل صدور قرار إعدام الدعاة .

	الاسم	المهنة	المدينة	تاريخ الإعدام
١	محمد عباس خضير	موظف	الثورة	١٩٧٩/٦/١٢
٢	عبد الأمير مشكور	بكالوريوس كيمياء	النجف	١٩٧٩/٦/١٩
٣	جاسم الايرواني	خطيب	النجف	١٩٧٩/٦/٢٧
٤	صباح الشوكي	مهندس كهرباء	بغداد	١٩٧٩/٦/٢٨
٥	مجيد كريم احمد	كاتب ومدرس	ديالى	١٩٧٩/٧/١٣
٦	يوسف حسين	مهندس	ديالى	١٩٧٩/٧/١٣
٧	علاء الشهرستاني	مهندس كهرباء	كربلاء	١٩٧٩/٧
٨	نعيم سلمان	ماجستير شريعة	النعمانية	١٩٧٩/٧/٢
٩	محمود شاكر السماوي	طبيب بيطري	السماوة	١٩٧٩/٧
١٠	سعيد عبد الأمير	مهندس	النجف	١٩٧٩/٨/٧
١١	محمد جواد الحكاك	مهندس	النجف	١٩٧٩/١٠/١٧
١٢	محمد غضبان العسكري	مدرس	البصرة	١٩٧٩/١٠/١٧
١٣	محمد رضا فخر الدين	مهندس	النجف	١٩٧٩/١٠/١٧
١٤	طالب غضبان	مهندس	النجف	١٩٧٩/١٠/١٧
١٥	علي محسن لعيبي	مهندس	بغداد	١٩٧٩/١٠/١٧
١٦	غسان محسن لعيبي	طبيب	بغداد	١٩٧٩/١٠/١٧

١٧	احمد عبد الزهرة	طبيب	بغداد	١٩٧٩/١٠/١٧
١٨	باسم الحداد	طبيب	بغداد	١٩٧٩/١٠/١٧
١٩	سعدي الصواف	أستاذ مساعد في كلية الهندسة	بغداد	١٩٧٩/١٠/١٧
٢٠	سهل طاهر العلي	مدرس شريعة	الكاظمية	١٩٧٩/١٠/١٧
٢١	حسين عبيد الخفاجي	...	بغداد	١٩٧٩/١٠/١٧
٢٢	جلال البيرماني	صيدلي	بغداد	١٩٧٩/١٠/١٧
٢٣	محمد عبد الله طاهر	مدرس في كلية الهندسة	بغداد	١٩٧٩/١٠/٢٨
٢٤	محمد عبد الرضا	استاذ في كلية الهندسة	بغداد	١٩٧٩/١٠/٢٨
٢٥	حسين طاهر	أستاذ في جامعة بغداد	بغداد	١٩٧٩/١٠/٢٨
٢٦	خضر الأطلسي	مدرس في الجامعة التكنلوجية	بغداد	١٩٧٩/١٠/٢٨
٢٧	طه محمد	طبيب	بغداد	١٩٧٩/١٠/٢٨
٢٨	ناصر الخزرجي	بطل رياضي بكالوريوس شريعة	النجف	١٩٧٩/١١/٦
٢٩	عبد الرضا عبد الله	موظف	الكوفة	١٩٧٩/١١/٦
٣٠	عباس حميد	موظف	الهندية	١٩٧٩/١١/٦
٣١	محمد صادق أبو الطحين	مدرس في كلية الزراعة	بغداد	١٩٧٩/١١/٦

٣٢	حسن علوان	أستاذ في كلية الفقه ماجستير فلسفة	النجف	١٩٧٩/١١/٦
٣٣	عبد السادة عبدالله	مدرس لغة إنكليزية	النجف	١٩٧٩/١١/٦
٣٤	مهدي أبو العيس	مدرس في كلية الفقه ماجستير تاريخ	الحلة	١٩٧٩/١١/٦
٣٥	علوان الحسناوي	مدرس في جامعة البصرة	البصرة	١٩٧٩/١١/٦
٣٦	أزهر يحيى الطيار	بكالوريوس فيزياء	كربلاء	١٩٧٩/١١/١٤
٣٧	صلاح الكناني	بكالوريوس آداب	بغداد	١٩٧٩/١١/١٥
٣٨	فائز سعدون صيهود	بكالوريوس شريعة	بغداد	١٩٧٩/١١/٢٧
٣٩	عمران عباس فهد	معلم	كربلاء	١٩٧٩/١٢/٧
٤٠	عباس حسين الخباز	مدرس رياضيات	كربلاء	١٩٧٩/١٢/٩
٤١	عبد الحليم الراوي	مدير مهندسي الري	بغداد	١٩٧٩/١٢/١٦
٤٢	علي الياسري	مدرس آداب	بغداد	١٩٧٩/١٢/١٩
٤٣	موح عبد الساعدي	بكالوريوس شريعة	بغداد	١٩٧٩/١٢/١٩
٤٤	جعفر صادق الموسوي	بكالوريوس إدارة	النجف	١٩٧٩/١٢
٤٥	سعدون الربيعي	مدرس لغة إنكليزية	بغداد	١٩٧٩/١٢/١٩
٤٦	عبد الأمير الركابي	بكالوريوس قانون	الناصرية	١٩٧٩/١٢/٣١
٤٧	زيدان الكعبي	موظف في شركة النفط قتل بالسم	البصرة	١٩٨٠/١
٤٨	قاسم عبود	مدرس لغة إنكليزية	البصرة	١٩٨٠/١

٤٩	عبد الرزاق الجزائري	بكالوريوس اقتصاد		١٩٨٠/١/١٦
٥٠	عبد الواحد صيهود	مهندس	البصرة	١٩٨٠/١/١٦
٥١	جميل أمانة	مدرس في جامعة البصرة ماجستير شريعة	الديوانية	١٩٨٠/١
٥٢	احمد محمد	مدرس علوم	البصرة	١٩٨٠/١
٥٣	جواد الموسوي	مدرس فيزياء	كربلاء	١٩٨٠/١
٥٤	عبد الأمير اللامي	مدرس فيزياء	البصرة	١٩٨٠/١
٥٥	سلطان البهادلي	مهندس	العمارة	١٩٨٠/١
٥٦	عبد علي عبد الرضا	مدرس	العمارة	١٩٨٠/١
٥٧	صالح حربي سلمان	مهندس	العمارة	١٩٨٠/١
٥٨	مهدي صالح	مدرس	العمارة	١٩٨٠/١
٥٩	فالح تقي	مدرس	العمارة	١٩٨٠/١
٦٠	جواد كاظم العطار	مهندس زراعي	العمارة	١٩٨٠/١
٦١	يونس خنجر العيداني	معلم	البصرة	١٩٨٠/١/٢٧
٦٢	عطية ناجي بجاي	موظف	البصرة	١٩٨٠/١/٢٧
٦٣	حاتم مزهر	مدرس فيزياء	البصرة	١٩٨٠/١/٢٧
٦٤	رحيم مگطوف المياح	مدرس آداب	البصرة	١٩٨٠/١/٢٩
٦٥	كاظم عبد الله	مدرس علوم	البصرة	١٩٨٠
٦٦	كثير حميد البصري	مهندس نفط	البصرة	١٩٨٠
٦٧	عبد الحسين أبو لحمه	مرشد فني	كربلاء	١٩٨٠

٦٨	زيدان اللبيبي	متقاعد (٧١سنة)	البصرة	١٩٨٠
٦٩	صالح الحلفي	مدرس	العمارة	١٩٨٠
٧٠	صباح عباس	مفتش (بكالوريوس قانون)	البصرة	١٩٨٠
٧١	طارق فرج الله	مهندس مدني	البصرة	١٩٨٠
٧٢	جواد الجابري	مدرس	النجف	١٩٨٠
٧٣	طاهر نجم	مهندس	النجف	١٩٨٠
٧٤	جودة حمد	بكالوريوس فيزياء	البصرة	١٩٨٠
٧٥	شاكر ضايف	مدرس آداب	البصرة	١٩٨٠
٧٦	علي كَاطع	معلم	الناصرية	١٩٨٠
٧٧	علي الرماحي	أديب وشاعر	الكوفة	١٩٨٠
٧٨	محمد حسن الشابندر	مهندس	بغداد	١٩٨٠
٧٩	حسين الحميداوي	مدرس شريعة	الناصرية	١٩٨٠/٣/١
٨٠	مجيد جواد كاظم	مدرس فيزياء	ديالى	١٩٨٠/٣/١٧
٨١	احمد الشعلان	معلم	النعمانية	١٩٨٠/٣/١٧
٨٢	راضي هاشم الهاشمي	مهندس	البصرة	١٩٨٠/٣/١٧
٨٣	قيس عبد الله	بكالوريوس شريعة	الحلة	١٩٨٠/٣/١٧
٨٤	عادل محمد السويلم	معاون مهندس	الديوانية	١٩٨٠/٣/١٧
٨٥	حسن رسن السوداني		العمارة	١٩٨٠/٣/١٧
٨٦	جواد كاظم الزبيدي	بكالوريوس شريعة	بغداد	١٩٨٠/٣/١٧

٨٧	رياض حسن شبر	مهندس	بغداد	١٩٨٠/٣/١٧
٨٨	رياض باقر زيني	طبيب	بغداد	١٩٨٠/٣/١٧
٨٩	غازي باقر الحريري	طبيب	بغداد	١٩٨٠/٣/١٧
٩٠	كاظم ظاهر	بكالوريوس إدارة	الناصرية	١٩٨٠/٣/١٧
٩١	عدنان سلمان	بكالوريوس تجارة	البصرة	١٩٨٠/٣/١٧
٩٢	طالب العليلي	مدرس	كربلاء	١٩٨٠/٣/١٩
٩٣	مجيد حميد ثامر	معلم	البصرة	١٩٨٠
٩٤	محمد بداي السالم	كاتب وأديب	البصرة	١٩٨٠
٩٥	عبد الحميد ثامر	مرشد زراعي	بغداد	١٩٨٠
٩٦	زهير جاسم المرهج	ماجستير جيولوجيا	الخالص	١٩٨٠
٩٧	سلوى البحراني	موظفة في جامعة بغداد	بغداد	١٩٨٠
٩٨	حسين فرحان	صيدلي	الحلة	١٩٨٠
٩٩	قيس القرطاس [١]	دكتوراه هندسة كهرباء	بغداد	١٩٨٠
١٠٠	علي ناصر الموسوي	حاكم جزاء (بكالوريوس قانون)	البصرة	١٩٨٠

١- قيس القرطاس لم يكن في حزب الدعوة الإسلامية .

ملحق رقم -٣١-

الشهيد السيد محمد باقر الصدر



الشهيد السيد محمد باقر الصدر

تعرفت على الشهيد عام ١٩٤٥ , وأتصور انه تاريخ مجيئه إلى النجف للدراسة في الحوزة .

التقيته في ساحة منتدى النشر , وكنا جالسين مع أستاذنا الكبير الشيخ محمد رضا المظفر , لإعداد الاحتفال بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة المرجع السيد أبو الحسن الأصفهاني .

كان ذلك اليوم هو بداية معرفتي به , بعد أن كان تلميذاً في مدرسة منتدى النشر الابتدائية بالكاظمية , وكنا نسمع عن نبوغه هناك .

فلقد كان طالباً ابتدائياً ولكن فكره كان يساوي فكر أساتذة الجامعات , وما أسرع ما نبغ في الحوزة أيضا .

ولكن نبوغه المبكر ذلك قد جعل الكثيرين يحسدونه .

ولعل الشهيد الصدر من القلائل الذين تحملوا ضراوة العناء في سبيل الإسلام ونشر مفاهيمه , وبالتالي مقاومة الظلم والظالمين .

نعم هناك كثير من العلماء يذكرهم التاريخ , كانت معاناتهم كبيرة , ولكن تلك المعاناة كانت من جانب واحد , هو السلطة .

والسلطات الحاكمة اندمجت مع الظلم , ولعلها لو لم تكن ظالمة لما وصلت للحكم .

أما الشهيد الصدر , فمعاناته كانت من جوانب متعددة ... كانت السلطة إحداها .

فنبوغه المبكر أثار حفيظة التقليديين الذين كانوا يعارضون كل تغيير يطرأ على الحوزة حتى في طباعة الكتاب .

فالكتب التي كانت متداولة , سواء في الفقه والأصول والنحو والمنطق والمعاني والبيان كانت مخطوطة أو مطبوعة طباعة حجرية وكانوا يعتبرونها كتباً تحمل في طياتها البركة , لأنها الكتب التي كان يدرسها الآباء والأجداد .

ولقد ذكرت في معرض حديثي عن منتدى النشر ــ في الكتاب الأول ــ مقدار المعاناة التي كنا نواجهها , لأن الدراسة في المنتدى كانت تتبع الأصول الحديثة في الجلوس على الكراسي واستعمال الجرس في بداية الدرس ونهايته .

ومعاناة الشهيد الصدر كانت في البداية تنحى هذا المنحى , فلقد أراد أن يستفيد من أجهزة التسجيل ليسهل على الطلاب مراجعتهم لدروسهم , ولكن ذلك كان يعتبر نقطة مخالفة ضخمة تواجهها الحوزة التقليدية .

وتوجهت إليه السهام يوم ساهم في تأسيس حزب الدعوة الإسلامية , فبعض الحوزويين يعتبرون ذلك نوعا من المروق عن الدين في حين انهم كانوا يتسامحون عندما ينخرط أولادهم في الانتساب إلى الأحزاب غير الإسلامية كالشيوعية والقومية .

وازدادت سعة المعارضة وحجمها , عندما ألف كتابيه (فلسفتنا واقتصادنا) وإن كان ذلك بطلب من المرجع الحكيم رحمه الله .

فالحوزوي الجيد في نظر الحوزة التقليدية لا بد ان يكون وكأنه منصهر في (قالب) محدد , لا يتجاوز الفقه والأصول , وإذا ما خرج عن هذه الدائرة , فكأنه خرج عن الدين والسيرة المتبعة .

***

وأخلاق السيد الصدر في لقائه بالشباب الذين كانوا قد أقبلوا على الدين في بداية الستينات , والذين كانوا يكتنزون كثيراً من الأسئلة يريدون الإجابة عليها وكشف النقاب عنها ولا يجدون من يوضح لهم ذلك .

فكان السيد الصدر هو الملجأ , إلاّ أن التقليديين كانوا يعتبرون ذلك نوعا من التنازل عن هيبة العالم .

إن نبوغ الشهيد الصدر ومؤلفاته واهتماماته السياسية وأخلاقه العالية التي شدت جماهير الشباب إليه , جعلت الحوزة التقليدية تنظر إلى نشاطه كأنه غير طبيعي في الحوزة , وكأنه خارج عن الأعراف والتقاليد التي توارثها الأبناء عن الآباء ... إلى أن تنتهي السلسلة إلى الطوسي الذي انتقل إلى النجف في منتصف القرن الخامس الهجري .

***

إن هذه الحالة البائسة التي كانت تعيشها الحوزة , والتي كان الشهيد الصدر أحد ضحاياها كانت واضحة جداً للسلطة البعثية التي كانت تريد أن تقضي على الحوزة كيفما كانت , بل على الدين كله .

وأرادت أن تتحسس نبض حوزة النجف عندما اعتقلت السيد الصدر في عام ١٩٧٢ , ثم في اعتقاله عام ١٩٧٧ ثم في الاعتقال الثالث عام ١٩٧٩ ثم في حجزه .

لقد أرادت السلطة أن تتحسس مدى تفاعل الحوزة مع عملية الاعتقال .

***

ومن المؤسف أن يسجل التاريخ عدم اكتراث الحوزة بالحدث بل إن بعض الحوزويين من أبناء المراجع كانوا يشجعون على اعتقال السيد الصدر ويدعون السلطة للقضاء عليه .

وكانوا غافلين عن إن نوبة الاعتقال سوف تطالهم جميعاً , وهو الذي حدث , حينما اعتقلت المرجع السيد الخوئي ونقلته إلى بغداد وحقق معه صدام حسين نفسه .

***

واحتجزت سلطة البعث السيد الصدر , هو وعائلته لعدة اشهر وقطعت عنهم الماء والكهرباء والتلفون وأخيراً الأكل أيضاً .

وكانت تتصور في البداية أن هذا الاحتجاز والتضييق في أسباب الحياة سوف يضعف إرادة السيد الصدر , فيستجيب إلى مطاليبها .

وأوفدت له الوفود .

والوفود قد تكون من مسؤولين في حزب السلطة والدولة , وقد تكون من معممين مرتبطين بحزب البعث ومالية البعث .

واستعملوا مع السيد الصدر كل وسائل الضغوط , ولكن السيد الصدر كان لا يخشى من ذلك أبداً .

وكانت مطاليب الوفود تتلخص بما يلي :

١- الكف عن مساندة الجمهورية الإسلامية

٢- الإشادة بمشاريع سلطة البعث في العراق , مثل تأميم نفط كركوك[١].

٣- رفع حرمة الانتساب إلى حزب البعث .

٤- تحريم الانتساب إلى حزب الدعوة الإسلامية .

وإذا استجاب لذلك , فسوف يتحقق :

١- رفع الحجز

٢- يزوره صدام حسين ويهديه سيارته الخاصة .

١- والواقع إن تأميم شركة نفط العراق في منطقة كركوك كان تمثيلية بائسة حيث إن شركة (برتش بتروليوم) أرادت أن تسلم الآبار للعراق على أن تستلم النفط على البحر مراعاة لمصلحتها . لأنها لا تعتبر حفر آبار جديدة عملية اقتصادية بالنسبة إليها , ولأنها استخرجت مليار طن من الآبار المحفورة , وهي الكمية الأساسية لمثل هذه الآبار .
ولكي تتخلص أيضا من الأموال الطائلة التي يستحقها العاملون في الآبار طيلة امتياز الشركة , ثم إنها تمكنت أن تأخذ تعويضاً مقداره خمسة عشر مليون طن من النفط تتسلمها في ميناء طرابلس عند البحر الأبيض .
وكان لهذه اللعبة الاستعمارية مهرجان ضخم قامت به السلطة العميلة لتظهر بمظهر الثورية والاشتراكية ومعاداة الاستعمار .

٣- أي مقدار من المال يطلبه .

٤- طلباته تنفذ في جميع الوزارات .

أما الامتناع عنها فسوف يؤدي إلى القضاء عليه .

وكانوا يتصرفون مع السيد الصدر كما يتصرفون مع أي شخص يعتقلونه ثم يجربون معه الترغيب والترهيب .

ولكنهم لم يكونوا يتصورون أن السيد الصدر سوف يفضّل الشهادة على الخضوع لإرادتهم (لا يعطيهم بيده إعطاء الذليل ولا يقر لهم إقرار العبيد) .

فالهدف الوحيد الذي كان يسعى إليه منذ وعى نفسه هو خدمة الإسلام ورضوان الله تعالى , عندما كان يدرس وعندما كان يكتب وأخيراً في مواقفه السياسية والشهادة .

فهؤلاء قوم لا يعرفون أن الإنسان قد يطلب الشهادة ليكسب رضوان الله , ولتكون محفزاً للأمة في طلب الحق إن عاجلا أو آجلا .

تماماً مثل شهادة الحسين عليه السلام التي أيقظت المسلمين من سباتهم , ليعرفوا أنّ حكم بني أمية حكم ظالم منحرف عن الإسلام , ولا يبالون في تحقيق شهواتهم أن يقتلوا ابن بنت رسول الله (ص) .

وبالتالي فان شهادة الحسين عليه السلام أحيت الإسلام وهزّت المسلمين من الأعماق ليدركوا واقعهم الذي يعيشونه وليميزوا دائما بين الحق والباطل .

***

ولعل القضية الأهم التي جلبت له المعاناة والمضايقات من السلطة في العراق , هي قضية البرقية التي وجهها إليه الإمام الخميني رحمه الله , التي تطلب إليه أن لا يغادر النجف .

في حين لم يفكر السيد الصدر ــ آنذاك ــ بالمغادرة مطلقا وكانت البرقية لغزاً لم يهتد السيد الصدر إلى حقيقتها ومغزاها حتى شهادته .

والإمام الخميني ــ في تلك الأيام ــ حين كان يقوّض عرش الطاووس[1] لبنة لبنة , وجداراً جداراً , جيشاً وشرطة ومواقع ومؤسسات كان البعض يعتقد بأن ما يحصل لا يخلو من معاجز منحه الله إياها .

والصيحات غير المسؤولة التي كان يطلقها مهدي الهاشمي (المعمم المنافق الذي أعدم فيما بعد) في تصدير الثورة كانت تجعل ساكني الخليج والعراق أيضاً يعتقدون أن الإمام الخميني سوف يُسقط عروش هؤلاء أيضاً .

***

فالبرقية (وقد تحدثنا عنها في موضوع سابق) بقدر ما شدّت الجماهير للسيد الصدر نفسه وللإسلام , فإنها كانت مبرراً قوياً تتمسك به السلطة الجائرة في جلب المعاناة والمتاعب له .

١- رمز الكبرياء التي كان يتغنى بها الشاه على انه سليل ملوك فارس العظام .

والسيد الصدر , وهو في اشد أيام الاحتجاز , كان يستطيع أن يهرب من داره , ثم يخرج من النجف إلى مكان آخر , في شمال العراق , او خارج الحدود , ومن هناك يوجه نداءاته للشعب العراقي .

ولكن العملية هذه بعد البرقية وتفاعلاتها , كانت تعتبر خروجه من النجف (فراراً من الزحف) .

***

لقد واجه السيد الصدر أياماً صعبة , كانت كلها تقوده إلى أن يكون أمام الشهادة وجهاً لوجه .

فلماذا لا يفكر باستثمار الشهادة , لتكون عنصراً قوياً في تحريك الأمة التي ضيقت السلطة الجائرة الخناق عليها ؟

وهنا لا بأس بأن نقتبس من كتاب (سنوات المحنة) للشيخ محمد رضا النعماني الذي كان مع السيد الصدر في بيته إلى آخر أيامه

نقتبس من كتابه هذه الفكرة التي راودت السيد الصدر في إستثمار الشهادة , التي سوف يتعرض لها السيد الصدر حتماً .

يقول الشيخ النعماني في صحيفة ٣٠٨ من كتابه إلى صحيفة ٣١٠ ما يلي :

القيادة النائبة

((وفي الفترة الأخيرة من أيام الحجز كان السيد الشهيد رحمه الله مهتماً بقضية ملء الفراغ الذي سيحدث بعد استشهاده , فمن سيواصل المسيرة ؟ ومن سيقود الثورة ؟ومن يستثمر دمه الطاهر لخدمة الإسلام؟ .

ولم تكن الخيارات المتاحة له (رضوان الله عليه) كثيرة وذلك لأن التجربة المرّة أثبتت أن الساحة تفتقر إلى القيادة الرشيدة التي ستستثمر دمه وتواصل المسيرة بحكمة وشجاعة , وخاصة ساحة المرجعية والحوزة التي لم تكن مهتمة إلا بحياتها الروتينية وأعرافها وأوضاعها الخاصة .

وما تجربة الحجز إلا شاهد حي على صحة تلك الرؤية , إذا لم يتحرك أحد فمن كان يفترض انه سيتحرك .

وهكذا فليس متوقعاً أن تستثمر المرجعية أو الحوزة دمه الزكي في حال استشهاده , فكان لا بد من عملٍ ما يكفل الثورة من ناحية والاستفادة من دم السيد الشهيد رحمه الله إلى أقصى حد في خدمة القضية الإسلامية من ناحية .

وعلى هذا الأساس جاءت فكرة القيادة النائبة كخيار اضطراري لا بد منه , وكان تخطيطه أن تواصل القيادة النائبة , قيادة الثورة وبيدها

أعظم محفز لتحرك الجماهير واستثارتهم , وهو دم السيد الشهيد رحمه الله .

وكانت الخطوط العامة لفكرة القيادة النائبة كما يلي :

١- اختار السيد الشهيد ـ مبدأياً ـ أربعة أشخاص من خيرة العلماء , ليكونوا القيادة النائبة التي كان من المفروض أن يُعلن عن أسمائهم للأمة .

٢- وضع ـ رحمه الله ـ قائمة بأسماء أشخاص آخرين لعل عددهم أكثر من عشرة يكون من حق القيادة الرباعية انتخاب من تشاء منهم للانضمام إليها فيما إذا اقتضت المصلحة ذلك , أو اقتضى توسع العمل إضافة أشخاص آخرين لها , حسب نظام كان قد كتبه .

٣- أن يكتب السيد رسالة مفصلة إلى الإمام الراحل السيد الخميني , يشرح له فيها فكرة القيادة النائبة ويبين له تفاصيلها , ويطلب منه الاهتمام بالقيادة النائبة وإسنادها بكل ما يمكن .

٤- تسجيل بيان بصوت السيد الشهيد ـ رحمه الله ـ موجه إلى الشعب العراقي يوصيه فيه بوجوب الالتفاف حول القيادة وإسنادها وإطاعتها والعمل بتوجيهاتها .

٥- كتابة بيان مفصل حول نفس الموضوع موقع من قبله .

٦- أن يخرج السيد الشهيد ــ رحمه الله ــ إلى الصحن الشريف في الوقت الذي يكون مملوءً بالناس , وهو الفترة الواقعة بين صلاة المغرب والعشاء , وهناك يلقي خطاباً على المصلين , يعلن فيه أسماء أعضاء القيادة النائبة , ويطلب من الناس إطاعتهم والسير تحت رايتهم .

وقال ــ رضوان الله عليه ــ

(سوف أظل أتكلم وأتهجم على السلطة , وأندّد بجرائمها وأدعو الناس إلى الثورة عليها , إلى أن تضطر قوات الأمن إلى قتلي في الصحن الشريف أمام الناس , وأرجو أن يكون هذا الحادث محفزا لكل مؤمن وزائر يدخل الصحن الشريف , لأنه سيرى المكان الذي سوف أقتل فيه , فيقول : (هاهنا قتل الصدر) وهو أثر لا تستطيع السلطة المجرمة محوه من ذاكرة العراقيين) .

وكان رضوان الله عليه قد أمرني ــ والحديث لازال للنعماني ــ أن أخرج من البيت واشتري قطعة سلاح .

وتمكنت بمساعدة أحد الأخوة الطلبة أن أوفر له ذلك وآتي به إلى البيت .

ثم قال لي : هل انت مستعد لتشاركني الشهادة ؟

فقلت : نعم إن شاء الله

فقال : إذن نخرج معاً , فإذا حاولت قوات الأمن منعي من الذهاب إلى الصحن , فحاول إطلاق النار عليهم , لكي يتاح لي الوصول إليه .

***

وكان المفروض ـ كشرط ضروري لتنفيذ الفكرة وضمان نجاحها ـ أن يكون كافة أعضاء القيادة الرباعية في خارج العراق لأن الإعلان عن أسمائهم وهم في داخله يعني ـ على أقل الاحتمالات ـ قيام السلطة باعتقالهم إن لم يكن إعدامهم , وعلى هذا الأساس عرض ـ رضوان الله عليه ـ فكرة مشروع القيادة النائبة على أحدهم , وبعد نقاش للمشروع وشكل اشتراكه فيه اعتذر عن الاشتراك .

وفشل مشروع القيادة النائبة , وأصابت السيد الشهيد خيبة أمل قاتلة , وهمّ دائم فتدهورت صحته , وأصيب بانهيار صحي وضعف بدني حتى كان لا يقوى على صعود السلم إلا بالاستعانة بي , وظهرت على وجهه علامات وحالات لا أعرف كيف أعبر عنها .

قلت لسماحته (والكلام للنعماني) : سيدي لماذا هذا الهم والحزن والاضطراب ؟

فقال :

لقد تبددت كل التضحيات والآمال , أنت تعرف إنني سوف لن أتنازل للعفالقة , وسوف أقتل ..... أنا لا أريد أن اقتل في الزنزانات ـ وإن كان ذلك شهادة مقدسة في سبيل الله ـ بل أريد أن أقتل أمام

الناس ليحركهم مشهد قتلي , ويستثيرهم دمي , هل تراني أملك شيئا غير سلاح الدم ؟

وهاأنا ذا قد فقدته , إن قتلني هؤلاء فسوف لن يفلحوا بعدي ولن ينتصروا)) إلى هنا ينتهي حديث الشيخ محمد رضا النعماني في كتابه (سنوات المحنة وأيام الحصار)

***

وفي تاريخ يوم الخميس ٢٨ شعبان ١٤٢٥ هـ الموافق ١٤/١٠/٢٠٠٤ م التقيت الشيخ النعماني نفسه في مدينة النعمانية وسألته عدة أسئلة :

ـ من كان هذا الشخص الذي كلمه السيد الشهيد , والذي لم يوافق؟

ـ قال انه السيد محمد باقر الحكيم

ـ ولماذا لم يوافق ؟

ـ كان الشهيد الصدر قد اختار أن تكون القيادة النائبة من أربعة أشخاص هم :

(السيد مرتضى العسكري والسيد محمود الهاشمي والسيد مهدي الحكيم والسيد محمد باقر الحكيم)

وكان يشترط أن يكون هؤلاء جميعا في الخارج , وبالفعل فقد كان ثلاثة منهم في الخارج إلا السيد محمد باقر الحكيم الذي عرض عليه السيد الشهيد فكرة (القيادة النائبة) وأن يخرج من العراق .

فقال له السيد محمد باقر : دعني أفكر بالأمر إلى يوم غد

وفي اليوم التالي اعتذر بحجة أن داره في النجف سوف يصادرها النظام فور سماعهم بنبأ اللجنة .

قال له السيد الصدر : وكم قيمتها ؟

قال له : إنها تساوي ستين ألف دينار

فقال له السيد الشهيد : أنا أدفع لك هذا المبلغ الآن , فإذا سلمت لك الدار , فالمبلغ هذا والدار لك .

وإن صادروا الدار فهذا عوضها

قال له السيد محمد باقر الحكيم : وما هو موقعي من هؤلاء ويقصد اللجنة ؟

قال السيد الشهيد : أنت واحد منهم

قال لا بل أنا رئيسهم

فرفض الشهيد الصدر , وخابت كل آماله التي كان يخطط لها خصوصاً وان السيد محمد باقر الحكيم يعتبر من ألصق تلاميذه به .

***

وسألت الشيخ النعماني :

عن طريقة المحاورة هذه , كيف تمت ؟ والسيد الشهيد في الاحتجاز .قال كنا نستعمل طريقة (الصينية [1]) حيث نكتب عليها بحروف بارزة كالفحم مثلا ثم يرفعونها في أعلا السطح في مقابل أشعة الشمس فيقرأها الطرف الآخر ويجيب عليها بنفس الطريقة .

علماً بأن دار آل الحكيم من جهتها الخلفية غير بعيدة عن دار السيد الصدر .

***

وبين يدي الآن كتاب ضخم صادر من مديرية الأمن العامة في بغداد تحت عنوان :

(حزب الدعوة الإسلامية) الواقع والحقيقة , بين الماضي والحاضر , إعداد فريق عمل .

والكتاب المذكور فيه بعض المعلومات الصحيحة عن حزب الدعوة وفيه معلومات مشوشة .

وعندما يتحدث عن القيادة النائبة في الصفحة ٤٠ ــ ٤١ يقول :

((... وكان الصدر يعلم أن مصيره إلى القتل فقد قام بترشيح أربعة أشخاص للقيادة النائبة التي تخلفه في حال استشهاده وهم

١- الصينية في اصطلاح العراقيين , وعاء كبير دائري , ذو حافات قليلة الارتفاع يختلف في سعته حسب الحاجة , يصنع غالباً من الألمنيوم , يستعمل لحمل أواني الطعام .

(مرتضى العسكري , محمد باقر الحكيم , محمد مهدي الحكيم ومحمود الهاشمي) .

وكتب رسالة إلى الخميني , سلمها كأمانة إلى يد محمد باقر الحكيم , لكنه سحب ترشيحه بعد ذلك .

وكان من أسباب سحب الترشيح أيضاً هو إعتذار محمد باقر الحكيم عن التوجه إلى إيران للالتحاق بالقيادة النائبة المزمع تشكيلها))

ثم يعود فيقول :

((لما تقدم آنفاً نرى بأن عملية مدروسة نسجت للإيقاع بالصدر من خلال تفرده بإعلان مرحلة المواجهة والصراع مع السلطة وإذاعة خبر رغبته بمغادرة العراق في ضوء رسالة الخميني , فضلاً عن رفض أبرز عناصر قياديي حزب الدعوة من المثول لأوامره الذي كان يعول عليهم في التصدي للقيادة في العراق .

لذلك فقد اتضحت غايات الصدر الأساسية ومشروعه القادم بالنسبة للقيادة في العراق والأجهزة الأمنية , الأمر الذي يصبح فيه الصدر المسؤول الأول عن محاولة الإنقلاب لإعلان حكومة إسلامية جديدة مما يضطر الجهاز الأمني في العراق للقبض على محمد باقر الصدر والإطاحة به , وبذلك تكون هناك ((ضربة عصفورين بحجر)) منها إعدام الصدر من قبل الأجهزة الأمنية في القطر والتخلص منه كونه يحظى بتأييد كبير في صفوف المرجعية وحزب الدعوة وإعلان

صراع جديد غاضب بقيادة وتفرد محمد باقر الحكيم الذي أصبحت لـه الساحة فارغة للزعامة والخروج على الدولة كاحتجاج لإعدام الصدر))

***

بعد الإحباط الذي تعرض له السيد الصدر في مـشروع القيـادة النائبة , أسقط ما في يده , وأسلم نفسه للقدر وهو متأكد بأنـه سـوف يُقضى عليه في الأيام القريبة فكل الدلائل كانت تشير إلى ذلك .

والحوزة باتت , وشأن السيد الصدر لا يعنيها , وكأنها إذا سكتت فسوف تسلم هي مما أصاب الصدر , وهو تصور خاطيء , ما أسـرع ما انتبهت على واقعها , فكان البعثيون يلتقطونهم واحداً واحداً .

ولا شك أن لتصريحات وتصرفات بعض المسؤولين الإيرانيين علاقة بالذي تعرض له السيد الصدر .

كان منهم (مهدي الهاشمي[1]) المنافق الشرس الذي يشبه صدام حسين في كثير من صفاته .

إنّ مهدي الهاشمي هذا , كان مسؤول حركات التحرر في العالم (العراق وأفغانستان وفلسطين وكشمير والفلبيين ومناطق أفريقيا ...) وكان ذا نفوذ واسع في الحرس الثوري وبقية الوزارات , بل في الدولة كلها) .

١- مهدي الهاشمي أعدم في طهران على عهد الإمام الخميني عام ١٩٨٧ بتهمـة التآمر على نظام الجمهورية الإسلامية وارتكاب العديد من الجرائم بمـا فيهـا جرائم القتل .

وليس بعيدا أن يكون له أنصار ومؤيدون لا يزالون موجــودين في أماكنهم السابقة .

إنّ مهدي الهاشمي هذا التقى مجموعة من الأفغانيين عام ١٩٨١ باعتباره مسؤولا عن حركات التحرر , ومنها حركة الأفغانيين المسلمين فتطرق إلى ذكر العراق , وذكر السيد الصدر ووصـــمه بأنـــه عميـــل أمريكا .

فانتفض أولئك الأفغانيون واحتجوا عليه , وكان أكثرهم طلابـــاً للسيد الصدر عندما كانوا في النجف , وردّوا عليه بشدة .

وكتبوا مذكرة بذلك إلى السيد الإمام الخميني ورئيس الجمهورية ذكروا لهم ذلك .

وهذه مأساة أخرى , تضاف إلى المآســي التـــي تعــرض لهـــا فالجمهورية الإسلامية التي تفانى فيها , يصرح أحد مسؤوليها بأن السيد الصدر عميل لأمريكا .

إنها أصوات (وطاويط) لا تؤثر فيمن اختط لنفسه سلوكاً خاصاً يبتغي رضوان الله تعالى .

لقد ختم السيد الصدر حياته الكريمة , لتكون حياته كلها متميـــزة في النبوغ المبكر والعلم والتأليف والأخلاق الحسنة والفراســـة وســـعة الأفق في عدد من المعارف , ثم أخيراً في الشهادة .

فهنيئاً له حياته المباركة , وهنيئاً له الشهادة , فلقد تخلص من عذاب يحيق به كل يوم , بل كل ساعة , وتخلص من حياة يعيشها الآخرون في ذل ونفاق وخنوع .

***

وفي الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر يوم السبت ١٩٨٠/٤/٥ طرق الباب على السيد الصدر , وإذا بالمجرم (أبو سعد) مدير أمن النجف ومعه (أبو شيماء) مساعده .

وقال للسيد : إن المسؤولين يودّون لقاءك في بغداد .

وما أسرع ما ذهب معه , بعد أن ودّع ــ للحظات ــ أهله وأطفاله ليصدق مقولته التي أعلنها قبل أيام :

(وأنا أعلن لكم يا أبنائي أني صممت على الشهادة , ولعل هذا آخر ما تسمعونه مني , وأنّ أبواب الجنة قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء حتى يكتب لكم الله النصر , وما ألذ الشهادة التي قال عنها رسول الله (ص) إنها حسنة لا تضر معها سيئة والشهيد بشهادته يغسل كل ذنوبه مهما بلغت) .

وفي اليوم التالي أي في ١٩٨٠/٤/٦ ذهب أبو شيماء مساعد مدير امن النجف , واخذ أخت السيد الصدر (بنت الهدى) بحجة أنّ أخاها يريدها .

فذهبت معه , وهي تعلم أنّ مصيرها ومصير أخيها هو الإعدام

***

وفي الساعة العاشرة من مساء اليوم الثامن من نيسان ١٩٨٠ أي بعد أربعة أيام فقط قطعت السلطة التيار الكهربائي عن مدينة النجف الأشرف , وفي ظلام الليل الدامس تسللت مجموعة من قوات الأمن إلى دار المرحوم السيد محمد صادق الصدر وطلبوا منه الحضور معهم إلى بناية محافظة النجف .

وكان بانتظاره هناك المجرم مدير أمن النجف (أبو سعد) فقال له : هذه جنازة الصدر وأخته , قد تم إعدامهما , وطلب منه أن يذهب معهم لدفنهما .

فقال له السيد محمد صادق : لا بد من تغسيلهما

قال مدير الأمن : قد تم تغسيلهما وتكفينهما

فقال السيد : لا بد من الصلاة عليهما

قال له مدير الأمن صلِّ عليهما

وبعد أن انتهى من الصلاة , قال له مدير الأمن هل تحب أن تراهما ؟

فقال : نعم

فأمر الجلاوزة بفتح التابوت , فشاهد السيد الصدر مضرجاً بدمائه , وآثار التعذيب على كل مكان من وجهه .

ثم قال له : لك أن تخبر عن إعدام السيد الصدر , ولكن إياك أن تخبر عن إعدام بنت الهدى , إن جزاءك سيكون الإعدام [1].

***

ولا نعلم ماذا دار في أقبية مديرية الأمن , وبحضور صدام في قصره ؟ ماذا دار من تحقيق وتعذيب تعرض له السيد الصدر وأخته الشهيدة ؟ ليس لدينا تفصيل في ذلك , عدا تقرير مبتور ينقله لنا :

الأمين الأول علي حاتم عبد الله البهادلي

ل ٤٤٨ ف[1] س الإسناد / سابقاً الأمن العامة

بغداد الثورة / ٤٢\٥١١

(معلومات عن جريمة اعتقال السيد محمد باقر الصدر)

... اعتقل الشهيد الصدر وجلب بواسطة سيارة أمريكية خضراء اللون كان يستخدمها مدير الأمن العام , وقام بعملية الاعتقال المجرم (مقدم سعدون) مدير الشعبة السياسية في حينها ... ومعه (مقدم رياض) آمر سرية طوارئ أمن المديرية .

الشهيد الصدر كان يرتدي جبة سوداء حاسر الرأس نزعت منه العمامة , وتم اقتياده الى الطابق العلوي (الشعبة الخامسة ـ الشؤون السياسية) حيث قام المقدم سعدون بسحب لحية السيد متكرراً مع السب

١- مقتبس من كتاب (سنوات المحنة وأيام الحصار) ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ للشيخ محمد رضا النعماني .

والشتم مستخدماً العبارات التالية (أنت كذاب وليس بـسيد وتريـد أن تشوه الدين وتحرّض الناس علينا وكلمات بذيئة جداً جداً وكان حاضـر هذه العملية المجرم المقدم محمد أحد ضباط السياسية ... حيث قام بسبّ السيد وشتمه وسحب السيد من شعر رأسه , بعدما جاء المجرم الملازم أول (محمد) ... وهو المسؤول عن التعذيب مع مقدم محمد , وهـذا الملازم قام بشتم السيد , وبعدها صفع الـسيد علـى وجهـه والـسبّ والتكرار .

(وقال المقدم جمال ــ إن للناس حرياتهم ومن المفـروض أن (تجر عدل) [1] عندما جئنا بك في المرة الأولى ولا تتفلسف بروسنا)

أجابهُ السيد (هل إن حريتكم تتمثل بإباحـة الخمـر والفجـور والفحشاء والمنكر ليمارسوا شعائرهم الدينية ويتوجهوا إلى الله , مـاذا تقولون لربكم يوم الحساب ؟)

فأجابه المجرم المقدم جمال (يا ربك يا دين) [2]

وفي أثناء الكلام جرى اتصال هاتفي من القـصر الجمهـوري حيث أجاب المقدم المجرم سعدون بكلمة (صار سيدي) [3] سوف نرسله لكم . بعـدها خاطـب بعض أفـراد (الشعبة السياسية) قائلا لهم : (يريدوه في القصر ــ يعني السيد ــ وعليكم بإيصاله) .

١- أي تمشي مستقيما .
٢- عندما قال لهم السيد الصدر : ماذا تقولون لربكم ؟ سخروا منه وقالوا له : أي ربّ هذا وأي دين ؟ .
٣- (صار سيدي) باللهجة العراقية بمعنى : نعم سيدي , أنفذ أوامرك يا سيدي .

حيث قاموا بوضع القيود في يديه ووضع نظارات سوداء على عينيه[1] .

***

وقبل إقدام النظام على قتل الإمام السيد الصدر , أصدر أبشع قرار في تاريخ العراق , وذلك في ٣١/ آذار ١٩٨٠ (وقد سبق أن ذكرناه في موضع آخر) والذي يقضي بإعدام كل من ينتمي إلى حزب الدعوة الإسلامية , وكل من يحمل أفكاره ويرّوجها أو يتعاطف معها وتسري أحكام القرار بأثر رجعي .

ثم أقدمت السلطة على جريمتها الشنعاء بإعدام الإمام الصدر وأخته بنت الهدى في ٨ أو ٩ نيسان /١٩٨٠ .

وقدم الشهيد الصدر النموذج الأمثل للمرجع الديني الذي يعيش هموم الأمة وهموم الإسلام بكل وعي وعمق وتفهم .

فلم يكن يرى نفسه خارج دائرة الأمة , بل كان يعيش داخلها وفي مواجهة التحديات التي تتعرض لها فيقف في الصف الأول مدافعاً ومضحياً ... ولا أدل على ذلك من تصميمه على الشهادة في سبيل الله من أجل نصرة قضية الإسلام في العراق ,كما قال ذلك في بيانه التأريخي الثاني الذي وجهه إلى الشعب العراقي الذي يقول فيه :

٤- الى هنا ينتهي التقرير ولا نعلم ماذا جرى له بعد ذلك .

(وأنا أعلن لكم يا أبنائي بأني صممت على الشهادة ...)

لقد جعل الإمام الصدر الشهادة في سبيل الله مشروعاً حضارياً من أجل الإسلام وهو من خلال هذه القناعة قطع الطريق أمام كل محاولات المساومة والابتزاز والإغراء والتهديد التي مارستها معه السلطة في بغداد , كما انه لم يبق لغيره عذراً في اتخاذ الصمت والتخلي عن قضية الإسلام في العراق .

والمحزن في الأمر أنّ الحوزة العلمية في النجف الأشرف لم تتخذ أي موقف لتعبر فيه عن استنكارها لهذه الجريمة النكراء وظل الصمت هو الموقف .

وباستشهاد الإمام الصدر , خلت الساحة من المرجعية القائدة التي تعيش هموم الأمة وتتفاعل معها وتضحي من اجلها , وقد ظهرت آثار هذه الخسارة الكبيرة على عموم الوضع الإسلامي في العراق وعلى القضية الإسلامية العراقية التي فقدت باستشهاده القائد الحقيقي الذي يمكن أن يعطي للأمة ولقضيتها الإسلامية كل ما عنده , حتى لو كلفه ذلك حياته.

لقد خسرت الأمة بفقده المرجع والقائد الذي تحتاجه في أصعب مراحلها التاريخية , وخسر حزب الدعوة الإسلامية المرشد والموجّه الذي يحسم الأمور عندما يواجه الحالات الصعبة في أوضاعه الداخلية خسره في أدق مرحلة من مسيرته , وخسرت القضية الإسلامية في

العراق القائد الذي يستطيع ان يعطيها الموقف الثابت والقرار الصائب والرمز الذي تجتمع تحت رايته كل الفصائل والقوى المخلصة .

ولشدة اهتمام السيد الشهيد بحزب الدعوة الإسلامية , فإنه لم يخرج من الحياة إلا وأطلق وصيته العظيمة على مسامع الدنيا والتي اختصرها بمطلب واحد حيث قال :

((أوصيكم بالدعوة خيراً فإنها أمل الأمة))

ملحق رقم -١٤-

قصائد في الشهيد الصدر

وبيان حزب الدعوة الإسلامية

قصائد في الشهيد الصدر

السيد حسين الشامي :

القصيدة الأولى

جراح الأنبياء

إلى الجرح الذي لم يزل يقطر شهداً سماوياً رائعاً

إلى سيدي ومعلمي الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر

جــراحك ام جــراح الأنبــياء وصوتك أم تراتــيل السمـــاء

ووجــهك أم مســيل من نجومٍ تــحــطّ بعــزّةٍ وبكبــريـــاء

تتبعــها الســراة بــلا ضــياع ولمّــتها الشموس بلا انطفاء

رداؤك ألــف مكرمــةٍ وطــهرٍ فكــيف يُضم كون في رداء؟

وهــبتَ الســائرين رؤى تجلت بــرفضــهمُ ونــمّت بالعطاء

وســيـّرتَ الدمــوعَ مــســارَ مــجــدٍ ولــونت العقيدة بالدماء

وقــفت تــردّ هــوجاً عــاتياتٍ عدتْ غدراً وهبت في الخفاء

يــراعك كــان سيــفاً أريــحياً تــجرّد بالتــمــرد والإبــاء

وأنت الصــدر والبلوى حشــود تُواري عنك وجــهاً في حياء

لأنك مــن تــكور فــي يــديــه مــدار النــور في عتم المساء

***

ذكــرتك والــمصــائب مشرعات وأقســـاهن للــقلب التــنائي

ولــو أن الــبكــاء يــردّ صحبي وأخواني لــطال لهــم بكائي

ولكنـــي وأنـــت هـــوى بـــقلبـــي وذاكـــرتي وحزني وانتمائي
تخـــذتك رايـــة ومـــدى وجـــرحاً وأغـــنية بقـــافلـــة الـــوفـــاء
وســـرت على خطاك إلى ضفافٍ نمـــاها المجد من وردٍ وماء

* * *

القصيدة الثانية

لأنك الوطن

إلى الإمام الشهيــد الصدر فــي الخـــالـــدين

عـــمر تقاصر دونه الزمـــنُ وشـــواطئ صلت لها السفـــن
وجــــراح قلـــب كلما نزفـــت ذابت بفيض دمائها المــحـــن
يا صدر خذ وهج الدموع فقد خصب الأسى وتبرعم الشجن
يا صــــــدر إنا أمـــة ولـــدت فـــي غــــربةٍ مالمّها سكـــن
جـــــاءت إلـــيك ولم تبع غدها أنّى تبيع ونـــــــحرها الثمـــن
هذا عـــــراقك راح يصلــــــبه حقد الـــغزاة ليُـــعبـــد الوثـــن
خـــسئوا فأنـــت اليـــوم أكـــبــــــر مـــن قــــــدر الطـــغاة لأنك الوطن

***

عُمــــــر وأنـــت قتـــيـــل دمعته والقاتلان الحــــزن والفــــتن
أدمـــيت شفرتــــــها وأرعـــــبها ما يحتوي غـــــدها ويحـــتضن
فاجـــأتـــها بــــــدم تقــــدس أن يخـــبـــــو مسار القــــبر والـــكفن
وحمـــــلت روحــــــك ما تناهبها خـــوف ولا استـــرخى لـــها بدن
فـــــرداً تحـــدّق فـــي جــــراحتنا وســـــواك لاعـــيـــــن ولا أذن
تـــخطـــو الرجـــال وأنـــت سابقها وثبّتْ بــــــك الآيـــات والســـنن
ويـــداك أنـــدى غيـــمتين سقــــت شـــجرَ العراق فأورق الغصـــن

من بعد أن ألـوى ببسمـتـه عـطش الثرى والمـورد النتن
يا صـدر طيـفك جـنـح غـربتنا خـفـقّـاقـة والأفـق مرتهن
نعـلـو فيُـدنـينا تمـزقـنا نغفو فيسرق حـلمنا الوسـن

***

دُفن العـراق بـنا لنبـعثه فنـودّ أنّا بـعـض مـن دفنـوا
شـوك الصحاري فـي أناملنا وخيـامنا الحسـرات والوهن
يـبست قـوافـلنا وقـد تعبت ظـمـأى فلا ضـرع ولا لبن
إلا رؤاك تلـمّ حـيـرتنا فـهـي اليـد البيـضاء والمـنن
وهي الربيـع يمـر في دمـنا دفـئاً فـيصحـو الجذر والفنن
رحـمـاك لا تغضب لدمعتنا فالـدمع في ذكراك ممتـحـن
إن سـال أطفـأ حمـر أعـيننا أوجـفـت فهـو الباخـل الضغن
عـذراً إذا طـالتـك أحـرفنا فلأنـت أنـت البـحـر والسفن

***

الشاعر حسن عبد الحميد السنيد

(جواد جميل)

القصيدة الأولى –

عطاشى الجرح نرتشف الرمالا ونخفي تحت أضلعنا النصــــالا
ونعبر مــوتنا حلـــمّاً جـرِيئاً طوى بجناحه حلماً ... مــجالا
ونــولــد مــرة أخــرى كــأنّا دفــنا في التراب لــــــنا خيالا
يشيب الجمر في دمــنا ويأبـــى رمــاد قلوبــنــــا إلا اشتــعالا
مــسافات تــطاردنا .. وتحبــو مشــوهة فنســحرها جمــــالا
نسافر في الجفاف المرّ خصــباً ونطلع منه ورداً .. أو ظــــلالا
تعاندنا الــمرافئ ... عاقــراتٍ فنرحل خلف أشرعة حبــــالى
إلى ضفة تــــعانقنا بــــــكاء ونلمح بين أدمعها ..... ســؤالا
من الآتون ؟ .. ثم يضج صوت على أدراج حيرتنا ... تعــالــى
قفوا ... ماذا حملتم ؟ أي نعــش مشت فيه الرؤى سرعى عجالى
هل أختطف الربيع ؟وهل تشظّت مواســمــــــه شريــدات ثكالى؟
قفوا هذا زمان الصــمت شُــدّت شرايين الحياة لنا ... حــــبالى
وحسب دمـــــوعــنا أنّا بكــينا مَن اختصــر الرجولة والرجالا

***

رحيـــلك أم شــفـــاه مطــفئات لوى الزمن ابــتسامتها اغتيالا

فكان اليــأس أكبرنــــا رجــاء وكان الصمت أفــصحنا مقالا
سألنا الشمس أين مضى؟ فراحت تغيب أسى . ومالت حيث مالا
ويغــرينا مـــــدار النــجــم أنا وجدنا فيه منك خــطى طوالا
أأنت رحلت أمــس أم أن جيــلاً من الأبطال قد شد الرحـــالا ؟
وماذا خلف ليلك غيــر أفـــق ضبابـــي ... طلعت به هلالا
وغير شواطئ للمــلح صلـــت عـــلى شـــفتيك فانسابت زلالا
ومانسي (الفرات) ظلال كـف تعـلم غضبة المــوج الدلالا
ولا عرف (العراق) سواك وجهاً يقاسمه التوهج ... والجــلالا
ولــكــن موتــك ألــف مــوت تقــدس حزنه عن أن يقــــالا

***

رويدك لم يــزل في القلب نبض يهزّ على ارتجافـــته الجبالا
حملـــت به المنى وجعاً وسيـــفاً واتعبت التمرد والنضـــــــالا
وفاجــأت انكســارتنا وأفـــقاً رأينا خلـــفه السحـــب الثقالا
بأنا حالمون علـــى ســــــرابٍ بأحـــداق ترى الرمد إكتحـــالا
وإن خيولنا الشقــراء شـــدت أعنّتها علـــى أيدي الكسالى
وقلت لخوفنا سـيّان , مــالــت لــنا ســلماً أم اقتــحمت قتالا
يذوب الغدر في دمــــها وفيــاً وتــحلم أن تــذوب به احتيالا
وقلت بأن أرضاً ســال فــيــها دم الشهداء .. صرح لن يطالا

حــــرام أن تـمـدّ بها أكـف إلى كـف تـرى دمـنا حلالا
وكـيف نخـادع الزيـتـون أنا كسرنا عـنه قـيدا واعتقـالا
ولـم تبرع بجنـتهـم جـميعاً ولـم تمـطر بلوعتهم صِلالا
وسرت بها على وهـج المنـايا تجنـبها المـتاهـة والضلالا
لتكتشف الخلـود لها طـريقاً وغيرك راح يكتـشف الزوالا

* * *

لظى ورؤاك تـفتـح جانـحيها لتحـتضن الأسنـّـة والنبالا
تشد جراحـنا وتلـم نـزفـاً تدفـق مـن طـفولتنا وسالا
وخـلـف عيوننا يبكي (عراق) صحا ليل العذاب به وطـالا
تحز بعنقه السكين صمـتاً وينشد غنوة الموت ارتجـالا
ذئـاب الجوع تـنهشه اشتـهاءً وقاتـلـه يـهدهده افتـعالا
يساقيه كـؤوس النـار حـتى إذا جُـنّ اللظى خـاف النزالا
وسلم سيـفه الـخشبي ذلاً وقبّـل نعـل سـيده امتثالا
وعاد وليـس فـي شـدقيه إلا حـكايات قد أرتجفت هـزالا
هزائم أمـة سـخـرت بأمـس وزالت كي يجيء غد .. فزالا
وكانت تـمـنح الـزمن امتداداً وكـانـت تـملأ الدنيا فعالا
وما قالت لـي الـتـاريـخ إلا أطـلّ وراءها قـدر وطـالا

القصيدة الثانية ــ

من دم مطفـــأ يجيء النهار فاحتضار البركان ومــض ونار
وبحضـــــن الجراح يختبئ الطوفان طفلاً ... ويــــولد الإعصار
فهي بوابــة التمرد .. تقــتــات الشــــظايا لتــهطــل الأمــطار
وهي صمت .. يهزّ أعماقه الرعد ... وتدوي بضفـــّـتيه البــحار
ليس مــوتاً هــذي الــدمــاء فللجرح غموض تلقه الأسرار
يتبع الخصب خطوه أينما مرّ وتـــــمـشي وراءه الأنــهار
كيف صارت للملح رائحة الورد المندّى فاخــضرّ حــتى الغبار ؟
كيف رنّت معزوفة الوجع المــر .. وحنــت بلــــحنــها القيثار ؟
فإذا اليأس رغـــــبة وانــهيار الروح رفــض وخــوفنا إصرار
هاهو الجرح يفتـــح الزمـــــن المغلــق فينا .. فتسقط الأسوار

***

حمــلت لونك المرافئ والموج فأنــت الشــراع والبــحّــار
وأرتــوت دفئك الينابــيـــع وأشتاقك رمل معذب وقــفار
وارتديت الربيع فاســتغفر المـــاء ابتهالا ... وصلــّـت الأشجار
ورمت عندك القوافل أجراساً وألقت أتعــابــها الأســفار
انت فاجأت مـــوتنا فأفقنا بــعــد أن شــدّ نبــضنا الاحتــضـــار
خــذ حــكاياتنا المدمّاة في لــحظــة حــب تــفدى لــها الأعمار
ستر انا نطـــوي علـــى الــقيـد أضــلاعا برَتها زنزانة وجدار

يادم (الصدر) .. يا لظى الزمن الآخر ... أنت المدى وأنت المسار
أكتشف صبحنا فكل مساء يصلب الأنبياء والثوار
ونسمي الرماد ماء ليصحو نورس متعب وارض بوار
ونقول : السماء ابعادنا الأخرى إذا ضاق في التراب المدار
آن للجرح أن يرى في طقوس الموت دمعاً هدوؤه تيّار
آن ... لكن وراء أحداقنا يرقد ذل مشوه وانكسار
والشفاه الخرساء إن عزفت لحن التحدّي ... تهشّم المزمار
في خيام الضباب عري الصحارى ولنا في الضباب أهل ودار
ولنا في مواسم القحط ناعورة ماء وصبية وجرار
ولنا في مقابر الشمس أشلاء خيول لم يولهن العثار
فلماذا يضيع لون القناديل ويخفي الأشياء وحل وقار ؟
ولماذا يسافر البحر عنا ويلم الشواطئ المحار ؟
نحن حلم الأرض الجريحة ... يطويه ضياع وغربة وانتظار
تحتسي صوته الرياح ويبنيه فضاء ممزق منهار
طعنته المنى ... فما زال شلواً وعلى وجهه يسيل العار
عمره رحلة مع الموت تحدوه دروب مخبولة وانتحار
نحن حلم الفراغ ... قافلة حيرى تخاف السرى وخطو معار
فتدفق يا رفض بين الشرايين ... لتهوي في روحنا الأحجار
وتسلل كالضوء تورق حناناً نافذات مسمورة وحصار

الشاعر جودت القزويني

الشاهد والشهيد

في رثاء شهيد العصر الإمام السيد محمد باقر الصدر

مَشىَ _ والدجى مرعب جائرُ _ عــلى الخــافِقين _ دَمٌ ثائرُ
يُعانــقـهُ الخـلْدُ فــي مُـرتقاهُ يَعلو بهِ نَــفــحُــه العَــاطِرُ
وَمَا مَــاتَ مَــنْ عَلـَّمَ السائرينَ بأنَّ فــقــيــدَهُــمُ حاضِــرُ
وأنّ قـــــتيلــَــهُمُ قــاتــلُ وأنّ أســـيـــرَهمُ آســرُ
مَشى دمُــكَ الطهرُ بينَ العروقِ يَهــوي بــه الحاكمُ الجائرُ
وتسقــُط تيــــجانه العَاريات كــما يَسقــط الأرمَدُ العَاثرُ
ولســت ســوى عالمٍ بالجلالِ يــرفــعــه عــالــمٌ آخــرُ
دَنا مِنــكَ خصمُك كابي الخطى كمــا قــدْ دَنا الخائِر البائرُ
ولــمــا رأى ثــورة الــخالدين يُفجــرها شخــصك (الباقرُ)
تــناثــر مثــل إشتباك الرمــاح على الرمــل يلهبه الساعرُ
وَظنّ بأنّ الغــيــومَ الــثــقــالَ يغيبُ بــهــا قمــرٌ زاهِــرُ
فــلــم يــدر أنّ يــداً مِنْ بعيدٍ لاحَ بــها عَــزمُــكَ القاهرُ
تقــربُ في قــبضــتيك الزمانَ صــوتــكَ نَــاهٍ , بــه آمرُ
وما زال ظــلكَ طــلــقَ الرؤى يــطــوف بــه فلــك دائرُ
نــثرت جــبــيــنك للــعالمينَ فشعَ لهم نــورُهُ الــبَاهــرُ
وأورَقَ كــفــكَ ذاك الــحُســامُ شــظــايا , يُلــملمُها الثائرُ

وليسَ علَيكَ إذا أحجَمتْ فلولٌ يُبعثرُها الفاجرُ
فوَحْدكَ أرهَبْتَ دنيا العِدى وَحدّكَ في غمده باترُ
سَلامٌ عليكَ أبا الرافدين يرددُهُ موجةُ الهادرُ
أتيتُك , والدرب ما بيننا تلاشى بهِ الخاطرُ السائرُ
وأذريتُ دَمعَيَ صَوبَ الغَمامِ لمرآكَ يا أيها الناظرُ
ولمّا تيَقنتُ أنّ الحِمامَ دنا , ومَحَطَ الردى فاغِرُ
حَملتُ الأكاليلَ مَخضوبة يُلونها نزْ فُك القاطرُ
وشيَّعت نعشكَ حتى استقرّ بقبركَ تيارُكَ الزاخرُ
وما غابَ نجمٌ عَن الناظرين ولكنْ زكا العُنصرُ الطاهرُ
وجدتُ دماءَك فوقَ الأكفِ نزيفاً يُقدمُهُ الناصرُ
وفَوقَ جَبينكَ خَيلُ السنين ترجّلها جفنك الساهِرُ
وما بين يوميكَ مغبرةٌ تلاشى بها خَصْمُكَ الغائرُ
حياةٌ كرأد الضحى عَزمَةَ وعمرٌ بأنداده عامرُ
سَلام عليكَ أبا الرافدين يا أيُّها الدارعُ الحاسرُ
وسقياً لتربكَ ذاك الطهور يُرّويه جَفنُ العُلى الماطرُ

***

المرحوم الدكتور السيد داوود العطار

نشيد الأحرار [1]

باقر الصدر منا سلاما	أي باغ سقاك الحماما
أنت أيقضتنا كيف نغفو	أنت أقسمت ان لا تناما
كيف تنأى بعيداً ولمّا	يبلغ المؤمنون المراما
غبت عنا سريعاً ولمّا	يطرد الثائرون الظلاما
قد فقدناك زعيماً لا يجارى	فبكيناك دماً دمعاً سجاما
يا شهيدا قام فردا	ينتضي للطغاة حساما
أنت كالسبط حسين	قد أبيت الحياة مضاما
يا أبا جعفر سوف تبقى	مشعلاً هادياً يتسامى
كذب البعث مازلت فينا	كالخمينيّ تهدي الأناما
دعوةً قدتـَّها قد تسامت	ثورة هدفاً والتزاما

١- وقد أصبحت هذه القصيدة نشيداً , وكذلك كان يقرأ في جميع الاحتفالات التي تقام في الشأن العراقي , في كل مكان حيث يتواجد العراقيون .
وكان له اثر بالغ في نفوس العراقيين بحيث أصبح له دوي في الأوساط العراقية يذكرهم بالمأساة التي تعرض لها الشهيد الصدر على ايدي الطغاة في النظام العراقي من خلال طريقة اللحن الخاص الذي كانت تلقى فيه هذه القصيدة أو من خلال المعاني الكبيرة التي تتضمنها القصيدة علما بأن اللحن الذي كانت تقرأ به القصيدة إنما هو للمرحوم الدكتور السيد العطار نفسه ابتكر الطريقة ثم جرّبها مع بناته اللاتي كن يقرأنها وإياه , وبعد نجاح اللحن علمّه لإحدى فرق الإنشاد , فأصبح نشيداً يقرأ في جميع الاحتفالات العراقية .
ولكن البعض كان يحرص كثيراً على إلغائه ونسيانه , لأن فيه ذكراً للدعوة والدعاة . وكان يحرص على حذف كل شيء فيه ذكر للدعوة أو للدعاة

وشبـــابـــاً دعــوت فهــبّوا … يرخـــصـــون الدمـــاء كـــراما

وسبيلاً سلـــــكــــت منيراً … بالضـــحايا وطـــابت مـــقـــامـــا

ومفاهيم صغـــت وفـــكـــراً … هام فيـــه الـــدعاةهـــيـــــامـــا

قد فديت الديـــن بالـــمهجة لما … حاول البعث في الديـــن انتقاما

إنّ ديـــنـــاً شـــيـــدتــه … امـــة بالـــدمـــا فتـــســـامـــى

يا أبا جـــعـــفر نم قرير العين … إنا هـــجرنـــا الـــمنـــامـــا

قد عشـــقنا الشـــــهادة ذوداً … عن حمى الدين حـــتى يقـــامـــا

نحن اقسمنا يميناً أن نضـــحي … أو نرى الإسلام شـــرعاً ونظاما

***

كما رثاه الشعر الشعبي في قصائد كثيرة
نقتطف منها هذه القصيدة

للشاعرة أم عبد الله

ناعــي البــيــن لا تنـــعى صوتــك چــم كَلــب گـطــع
الــناعـــي صـــاح يالــتنشـــد إذا تـــريــد الـــخبـــر إســمـــع
بالأســـياط والتــــعــذيـــب نــجل المــصطـفى أتـلــوع
تحـــــت الســـوط أيـــكت دمه أويلي مــثــّـلوا إبـــجســمــه
ماخـــلــو هــــــله يـــمـّــة انشـــيـــع إجــنازته او تـــرفـــع
يا ناشد وانـــــدفــن خفــيـــة أو منـــهو بــــها الفــعل مسئول

* * *

منهو بهـــالفـــعل مســــئول أو منهو اللي يـــــكَوم ابــثـــار
كَلتله خـــلي أمــــــر الثار بعد كَول اشســـده واشصــــــار
صحيح أخـــته كَضــت وياه أو جــسمـــها وسّمـــوه بالنار
يكَلــــــي هــــاي خلـــيها مـــالـــي لـــــسان احـــچّيـــها

* * *

بيان من حزب الدعوة الإسلامية
بمناسبة الذكرى الأولى للمرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر [1]

يا شعبنا العراقي الجريح ..يا أبناء امتنا الإسلامية المجيدة .

في العام الماضي وفي مثل هذه الأيام السوداء من تاريخ عراقنا المجاهد أقدمت حكومة الكفر العميلة في بغداد , على تنفيذ جريمة العصر النكراء بإعدامها المفكر الإسلامي والإنساني الكبير المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر وشقيقته العالمة الفاضلة " بنت الهدى " رضوان الله عليهما , مستهترة في عملها الإجرامي ذلك بأبسط حقوق الإنسان ومبادئ الإسلام وكرامة الشعب العراقي الجريح ...

فرغم أن المرجع الشهيد كان إماماً لملايين المسلمين في العراق ومدرسة فكرية إسلامية في شتى ضروب المعرفة , اجمع المهتمون بشؤون الفكر على إمامته الفكرية واصالته الإسلامية فإن حكم القتلة المجرمين لم يرعَ له حرمته ولم يعترف بمشاعر الأمة التي حملت الولاء والانقياد له حيث اقتيد وشقيقته العالمة إلى أحد معتقلات البعث

١- إن كتابنا هذا الثاني من تاريخ الدعوة وإن كان ينتهي عند شهادة الأمام الصدر ولكننا ارتأينا أن ننشر هذا البيان لأنه يتعلق بالفاجعة الكبرى وإن كان تاريخه بعد سنة من الإستشهاد .

الرهيبة في بغداد , وعُرِّض إلى أشد أنواع التعذيب الجسدي والنفسي ونفذ فيه وشقيقته الكريمة حكم الإعدام دون محاكمة ولا حتى إعلان تهمة و ودفن جسده الطاهر الذي شوهه التعذيب في النجف الأشرف ...

أيها المسلمون في كل مكان

ـ يا أحرار العالم ....

إنّ اقتراف هذه الجريمة النكراء من قبل عصابة المجرم السفاح صدام حسين لتعبر بقوة ووضوح عن الحقد الطائفي اللئيم الذي يحمله هذا العميل الصليبي الصلف بحكم تربيته على يد منظر الصليبية المعاصرة ميشيل عفلق الذي استهتر بقيم الأمة ورسالتها ومشاعرها وجاهر بعداء دينها ورسالتها وأعرافها الإسلامية كافة , ارضاء لأسياده الأعداء التقليديين للإسلام وللمرجعية الدينية المجاهدة في العراق .

إنّ هذه الجريمة النكراء التي أقدم على اقترافها هذا العميل الصلف صدام التكريتي قد حولت الشهيد الصدر من مفكر ومرجع قائد إلى " قضية وثأر " سترتفع من أجلها رايات الجهاد حتى ينتصر الشعب العراقي لدم الشهيد الكبير ويهدم بمعاول ثورته المنتظرة عرش العملاء الأذلاء في بغداد , ويحقق الأهداف العليا التي جاهد المرجع الشهيد من أجلها حتى لقي ربه مخضباً بدم الشهادة على يد سوموزا العراق المتنمر صدام التكريتي .

أيها المسلمون في كل مكان

ويا أحرار العالم : إننا نعجب اشد العجب من احجاب المؤسسات الدولية التي تدَّعي نشدان الحق والحفاظ على كرامة الإنسان عن فضح الحكم الدموي العميل الذي قل نظيره في تاريخ البشرية , أننا نعجب من سكوت المؤسسات الإسلامية وأحرار العالم كذلك على الجرائم المنكـــرة التي يقترفها هذا العميل المفضوح ....

فإذا كانت جريمة إعدام المفكر الإنساني الكبير الشهيد الـــصدر معلماً بارزاً من معالم السلوك الدموي الذي يسلكه صدام التكريتي فـــي سياسته تجاه المؤمنين والأحرار كافة في العراق فإن آلافاً من الجـــرائم الأخرى التي لم يشهد لها تاريخ الإنسان المعاصر مثيلاً تجري كل يوم في عراقنا الجريح .

فالاعتقالات الكيفية , وإطلاق يد العابثين ممن يسمون برجـــال الأمن لأنتهاك الحرمات , والاعتداء على أعراض المعتقلـــين , وابـــادة أسر بأكملها لاتهام شخص فيها انه عضو في الدعوة الإسلامية وتهجير عشرات الآلاف من ديارهم , وتشريد الآلاف مـــن بيـــوتهم ووطـــنهم وإعلان بيان الإبادة لكل منتمٍ أو متعاون مع أكبر حركة إســـلامية فـــي العراق والقتل الجماعي تحت التعذيب , وفـــي المحاكمـــات الـــصورية وزج الجيش العراقي في حرب قذرة ضد الجمهورية الإسلامية وغيـــر ذلك : جرائم لا يصح لأي مهتم بشؤون الإنسان والإســـلام أن يـــسكت عليها .

إنّ الشعب العراقي بقيادة مجاهديه وأحراره يعلن عن إدانته لأي سكوت على جرائم صدام التكريتي , ويستصرخ الضمير العالمي للتحقيق في جرائم القتل الجماعي , وحرب الإبادة على المؤمنين الأحرار والوطنيين الشرفاء , وسياسة التهجير الظالمة , والتصفيات الجسدية للمعتقلين من الشباب والشيوخ والنساء والأطفال .

إنّ الله جلَّ وعلا سيحاسب المقصرين عن نصرة قضيتنا الكبرى في العراق وإنّ التاريخ لن يرحم الساكتين عن قول الحقيقة ..

نعاهد دم الشهيد السعيد السيد الصدر ودماء الشهداء الأبرار كافة وجميع المهجرين من ديارهم ظلماً واليتامى والثكالى وكافة أبناء شعبنا العراقي الجريح أننا سنمضي على الدرب قدماً حتى نحقق إرادة امتنا المظلومة المغلوبة على أمرها بكسر القيود والأغلال وإقامة حكم الله في الأرض : حكم العدل والحرية والكرامة .

(وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين)

حزب الدعوة الإسلامية

٢٠ جمادى الأولى ١٤٠١ هـ

ملحق رقم -١٥-

بيان الإمام الخميني بمناسبة

استشهاد السيد الصدر

بيان الأمام الخميني

أصدر الإمام الخميني بياناً تاريخياً أعلن فيه استشهاد الإمام الصدر وأخته بنت الهدى , هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

تبين ــ ببالغ الأسف ــ من خلال تقرير السيد وزير الشؤون الخارجية , والذي تم التوصل إليه عن طريق مصادر متعددة , وجهات مختصة في الدول الإسلامية , وحسب ما ذكرته التقارير الواردة من مصادر أخرى : إن المرحوم آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر وشقيقته المكرمة المظلومة , والتي كانت من أساتذة العلم والأخلاق ومفاخر العلم والأدب , قد نالا درجة الشهادة الرفيعة على أيدي النظام البعثي العراقي المنحط , وذلك بصورة مفجعة .

فالشهادة تراث ناله أمثال هذه الشخصيات العظيمة من أوليائهم والجريمة والظلم أيضاً تراث ناله أمثال هؤلاء ــ جناة التاريخ ــ من أسلافهم الظلمة .

فلا عجب لشهادة هؤلاء العظماء الذين أمضوا عمراً من الجهاد في سبيل الأهداف الإسلامية على أيدي أشخاص جناة قضوا حياتهم

بامتصاص الدماء والظلم وانما العجب هو أن يموت مجاهـدو طريـق الحق في الفراش دون أن يلطخ الجناة أيديهم الخبيثة بدمائهم .

ولا عجب أن ينال الشهادة المرحوم الصدر وشقيقته المظلومـة وانما العجب أن تمر الشعوب الإسلامية وخاصة الشعب العراقي النبيل وعشائر دجلة والفرات وشباب الجامعات الغيارى , وغيرهم من الشبان الأعزاء في العراق على هذه المصائب الكبرى التي تحلّ بالإسلام وأهل بيت رسول الله (ص) دون أن تأبه لذلك , وتفسح المجال لحزب البعث اللعين لكي يقتل مفاخرهم ظلماً الواحد تلو الآخر .

والأعجب من ذلك هو أن يكون الجيش العراقي وسائر القـوى العسكرية آلة بيد هؤلاء المجرمين , يساعدونهم علـى هـدم الإسـلام والقرآن الكريم .

إنني يائس من كبار القادة العسكريين , ولكنني لست يائساً مـن الضباط والمراتب والجنود , وما أتوخاه منهم هو :

أما أن يثوروا أبطالاً وينقضّوا على أساس الظلم , كما حدث في إيران .

وأما أن يفروا من معسكراتهم وثكناتهم وألا يتحملوا عار مظالم البعث .

فأنا غير يائس من العمال وموظفي حكومة البعـث المغتـصبة وآمل أن يضعوا أيديهم بأيدي الشعب العراقي , وأن يزيلوا هذا العـار عن بلاد العراق .

أرجوه تعالى أن يطوي بساط ظلم هؤلاء الجناة .

وها أنا أعلن الحداد العام لمدة ثلاثة أيام أعتباراً من يوم الأربعاء الثالث من شهر (ارديبهشت)[1] الثالث والعشرين من نيسان , كما أعلن يوم الخميس عطلة عامة , وذلك تكريماً لهذه الشخصية العلمية , ولهذا المجاهد الذي كان من مفاخر الحوزات العلمية , ومن مراجع الدين ومفكري المسلمين .

وأرجو الخالق تعالى أن يعوضنا عن هذه الخسارة الكبرى والعظيمة على الإسلام والمسلمين .

والسلام على عباد الله الصالحين

الثاني من ارديبهشت ١٣٥٩ هـ

روح الله الموسوي الخميني

١- أحد الشهور الشمسية الهجرية .

ملحق رقم -١٦-

صدام يأمر بإتلاف

كتب الشهيد الصدر

إتلاف كتب الشهيد الصدر

نقرأ في التاريخ أن الجيش الهمجي لهولاكو الوثني عندما احتل بغداد عام ١٢٥٨ قضى على الثروة العلمية في إتلافه للكتب التي كانت تتميز بها بغداد في عصرها الذهبي , يوم كانت حاضرة العالم الإسلامي المترامي الأطراف .

وقد يبالغ بعض المؤرخين فيقول إن نهر دجلة تغير لونه إلى السواد لكثرة ما ألقي فيه من كتب .

ويعود المؤرخون فيذكرون حادثة أخرى تدعو للتباكي والأسف عندما أحرق الأسبان كتب العرب المسلمين في الأندلس بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ , حيث كانوا يضعون تلك الكتب كالتلال في ساحات عامة ويبدأون بإحراقها للقضاء على الحضارة الإسلامية .

والواقع إن إحراق الكتب من قبل هولاكو أو الأسبان وإن كان عملاً ينبئ عن روح متخلفة جاهلة حاقدة , ولكن يبقى البشر شيئاً والعلم شيئاً آخر .

فالبشر قد يستهدفهم الإنسان عندما يتصورهم أعداء , ولكن ما ذنب العلم يوأد ويحرق وتحرم الإنسانية من منابع للعلم الذي يخدم الأجيال والبشرية .

واذا أردنا أن نبّرر لجيش هولاكو فعلتهم الشنيعة تلك , فلا نملك إلا هذا الجواب .

إنهم جاهلون وثنيون , غرباء جاءوا من مناطق نائية موغلة في التخلف , واحتلوا بغداد , وفعلوا ما فعلوا بدافع الحقد والكبرياء والأنانية والعداء للعلم .

ونفس الشيء يقال عن الأسبان سوى إنهم نصارى يعادون الإسلام وفكر الإسلام ويريدون القضاء على كل أثر للمسلمين .

***

تلك حقيقة سلفت في عهد قديم قام بها أناس كلهم أعداء الإسلام ولكن ما هو تفسير أن يقوم صدام حسين رئيس جمهورية العراق العربي المسلم بعمل كهذا ؟

إذ أمر بإتلاف كتب الشهيد السيد محمد باقر الصدر .

فإذا كان هولاكو وثنياً

فان صدام يدعي الإسلام

واذا كان هولاكو غريباً عن البلاد

فان صدام يدّعي انه المواطن الأول

واذا كان جيش هولاكو يتميز بالجهل والبعد عن الحضارة

فان صدام يدّعي انه تخرج من كلية القانون , مهيب ركن وقائد عام للقوات المسلحة العراقية , ويدّعي التقدمية والتحضر وينظّر لذلك وإذا وإذا ....الخ

فما باله يصدر قراراً بإتلاف كتب الشهيد السيد محمد باقر الصدر , فلنقرأ ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

قيادة منطقة اربيل
التوجيه السياسي ٨٤٢
الرقم ت س / ١ /
التاريخ ٨ / ١٠ / ١٩٨١

الى / القاطع ٦ و ب و ج هيئة التشكيلات ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦
الموضوع / اتلاف كتب

كتاب قيادة الفيلق الاول (ت س) ١٦٦٣١ في ٣٠ / ٩ / ١٩٨١ .
نرجو الايعاز الى [illegible] التوجيه السياسي لدى وحداتكم باتلاف الكتب المطبوعة المؤلفة من قبل المجرم محمد باقر الصدر واعلامنا .

العقيد الركن
علي حسين موسى
ع/ قائد منطقة اربيل

نسخة الى
قيادة الفيلق الاول ت س / كتابكم اعلاه .

أليست هي الجاهلية الحمقاء للقضاء على العلم والفكر والحضارة ؟

***

وهذه وثيقة أخرى تبين لنا أنّ المجرمين لا يدرون ماذا يعملون بكتب الشهيد الصدر عندما يعثرون عليها .

هل يحرقونها ؟ أم شيء آخر ؟



[redacted]

الرقم ...٩...

التاريخ ...٩/٢/١٩٨٢.

ختم الواردة

((سـري))

وزارة الاوقاف والشؤون الدينية/المؤسسات الدينية/العتبات

م/سحب كتب

كتابكم المرقم ٣٧٨٩٨ في ٣٠/١٢/١٩٨١

والحاقا بكتابنا المرقم ٢٥/س في ٨/١٢/١٩٨١

لقد تم فتح وتفتيش المكتبة في الحسينية المذكورة وتم العثور على مجموعة من الكتب التي تعود للمجرم محمد باقر الصدر وهي :

١ ـ كتاب بحوث في شرح العروة الوثقى اربع اجزاء .

٢ ـ بحث حول المهدي .

٣ ـ المعالم الجديدة للاصول جزء واحد .

نرجو التفضل باعلامنا ماذا نفعل بها هل نرسلها لكم أم نحرقها أم ماذا .

للتفضل بالاطلاع لطفا .

عباس عبد الامير عباس

مدير الاوقاف والشؤون الدينية في بابل وكالة

خاتمة الكتاب

لقد تمّ ـــ بحمد الله ـــ إنجاز الكتاب الثاني في وقت قياسي حيث كان بعد إنجاز الكتاب الأول بعشرين يوماً فقط .

ولكن لا بدّ أن يكون معلوماً أنني كنت مشغولاً بالكتابين في آن واحد.

بقي أمامي أن أبدأ بالكتاب الثالث ومن ثم الكتاب الرابع إن شاء الله

وعلى رغم الطلب المتكرر من الأخوة الذين ربما تكون لديهم معلومات تفيدنا في موضوعنا إلا أن أشغالهم الكثيرة منعتهم من إسعافي بالأمر .

وسوف تزداد الحاجة إلى معلوماتهم لأدّونها في الكتابين .

وأرجوهم بإخلاص أن تكون إستجابتهم سريعة وإيجابية .

والله ولي التوفيق والتسديد

المؤلف

١ ذي الحجة ١٤٢٦ هـ

٢٠٠٦/١/١ م

المحتويات

Email : maktap @ daawaparty.com
Www.daawaparty.com
العراق - بغداد - حسن شبّر